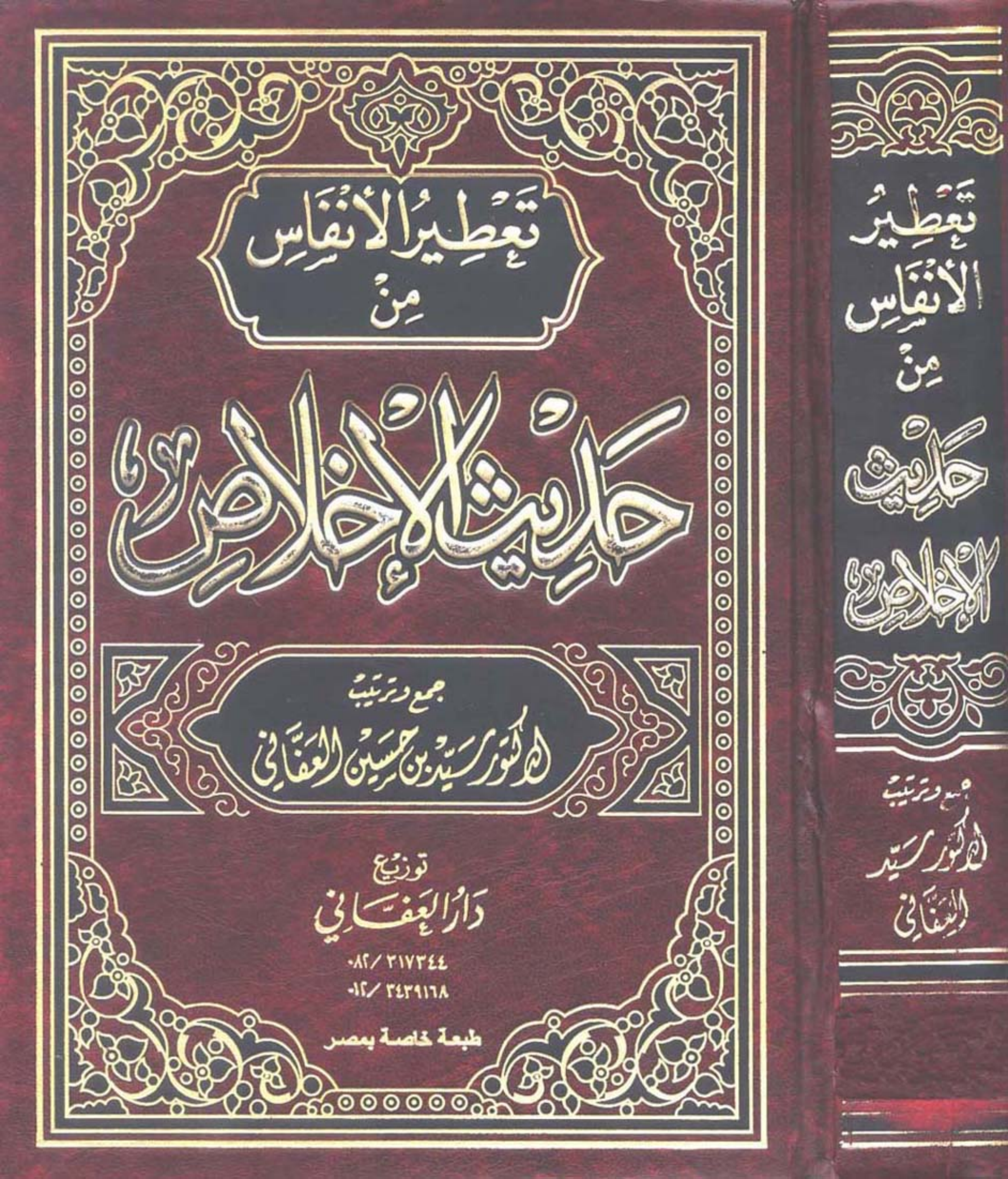


تعطير الأنفاس
من
حديث الإخلاص
جمع وترتيب
الدكتور سيد بن حسين العفاني
توزيع
دار العفاني
٣١٧٣٤٤ /٠٨٢
٣٤٣٩١٦٨ /٠١٢
طبعة خاصة بمصر
تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص
جمع وترتيب
الدكتور سيد العفاني

تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

نشر
معاذ بن جبل
٠٢/٣٩١٢٣١٧
٠١٠/ ٥٢٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
٠٨٢/ ٣١٧٣٤٤
٠١٢/ ٣٤٣٩١٦٨

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٣١٧٣٤٤/ ٠٨٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٨٦٧٤

كمبيوتر الصديق

٦٣٨٧٠٩٤

الإهداء

♥ **إلى: أبي الطب الألمعي الأستاذ الدكتور/السيد عقل:** الذي ساقه اللَّه إليّ في أحرج اللحظات في حياتي فأعاد اللَّه البسمة على يديه إليّ وإلى من حولي.

للَّه ما أجمل تواضعك في علوّك، لقد مسّت يدك المتوضئة الطاهرة المباركة هذا الداء العضال فنزعته بإذن ربك وطوّقت عنقي بجميل لك لن أنساه ما حييت وعند اللَّه وحده جزاؤك. لك النصيب الوافر من قول القائل:

تعوّد بسط الكفِّ حتى لو أنه ... ثناها لقبضٍ لم تَجبه أناملهْ
تراهُ إذا ما جئتَه متهلّلا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكنْ في كفّه غير روحه ... لجاد بها فليتق اللَّه سائلهْ
هو البحر من أيّ النواحي أتيتَهُ ... فَلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحِلُهْ

سيدي: قال الشافعي: إنما ضيّع المسلمون ثلث العلم بتضييعهم للطب وتركه لليهود والنصارى، فوضعت الحرج عن أمتك وصرت أمة في فرد.

أسأل اللَّه عزّ وجل أن يحيي قلبك مثلما داويت قلبي، وأن يجعلك من الربانيين الذين يريدون وجهه، ولا يصرفون القلب لغيره، وبارك في ذريتك ووقاك شر أعدائك، وجعلكم اللَّه نبراسًا وقدوة ومثلاً أعلى في عالم الطب بين الأطباء المسلمين.

يا أيها الحبـــر الذي ... عمّتْ أياديه النبيلهْ
اقبل هديـة مَنْ يـــرى ... في حقك الدنيا قليلهْ

♥ **إلى شقيق النفس الشيخ الحبيب عالي القدر إبراهيم عبده:** بأبي هو وأمي الرجل في زمن عزّ فيه الرجال.. نعم الأخ أنت ـ أحسبك كذلك ـ جعلكم اللَّه من الربانيين.

♥ **إلى الرجل المؤسسة المجاهدة** والقلم الصادق، والأخ الحبيب الغالي **الشيخ أبي إسلام أحمد عبدالله** .. لا توفيك الكلمات حقك وفضلك وشرفك ورجولتك فجزاك اللَّه عن أمتك وعني خير الجزاء.

♥ إلى زهرتي الصغيرة التي ملأت الدنيا عليّ بابتسامتها ووجودها انتظرت مجيئها خمس سنوات ـ فروّت هجير حياتي بطهرها وعبيرها وضيائها **أسماء السيد حسين**.

أسأل اللَّه عز وجل لك ولأختيك زهرتيّ **سمية وفاطمة** أن يجعلكما اللَّه من القانتات الربانيات وأن يجعل لكُنَّ في قلوب المؤمنين ودًا، وألا يجعل الحياة عليكن نكدًا.

،،، المؤلف



مقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

✍ إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

* **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢].

* **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: ١].

* **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

✍ **أما بعد؛**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

هذه صفحات الإخلاص، وهو مسك القلب، وأصل الدين وقاعدته،

وخلاصة الدعوة النبوية، وقطب القرآن. ونستغفر اللَّه من قولٍ لسنا له بأهل... نشم عبير المخلصين ونطوّف بك في سيرهم لعلنا نقتدي بهم ونسير على دربهم.. وإن بعدت الشقة بين حالنا وحالهم.. كلما تذكرت حالهم ومآلهم تأملت قول اللَّه تعالى عن أهل الكهف: ﴿**وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ كلب خطا مع أحبائه خطوات، فإلى يوم القيامة يُتلى: ﴿**وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ**...﴾ لما صحبهم الكلب؛ لم تضره نجاسة صفته، ولا خساسة قيمته.

✍ نعيش مع سير أهل الإخلاص فيعرفوا لنا حق الصحبة.. نطلب أخبارهم، ونتبع آثارهم، نكثر من الحديث عن أهل المعاني وندع أرباب الدعاوى، فاسلك طريقهم تكن رفيقهم، وانزل بواديهم يصوّت بك صوت حاديهم، زاحمهم، وادخل في حزبهم، فكل غريب للغريب نسيب، وتأثير الصحبة لا يخفى، وإن كان الإخلاص عزيزاً ومرتقاه صعبًا، وقد ندر وجود المخلصين وبكتهم أعين الصادقين.

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا ... بانوا عنها فليتهم ما بانوا
ناديت وفي حشاشتي نيران ... يا دار متى تحوّل السكان

✍ فإنا نستعين بالعلي القدير وننهض ونبادر، ولا نستصعب طريقهم فالمعين قادر، نتعرّض لمن أعطاهم، ونسأل مولانا ومولاهم، فرب كنز وقع به فقير، ورب معنى فاز به صغير، ونقول: اللَّهم فهّمنا عنك فإنا لا نفهم عنك إلا بك، يا معلم إبراهيم علّمني.. يا مفهم سليمان فهّمني.. نشكوا إليك حاجة لا يَحْسُنُ بثُّها إلا إليك... نستعين بالودود العليم الحكيم.. ونقف وقفة مع عبودية القلب وشرفها، ووقفة أخرى مع النية وفضلها، ونعرّج على وادي الإخلاص وجنانه.. لنشم عبيره وريحانه.. نتعرف على فضل الإخلاص، وذكره في الكتاب والسنة، ومعانيه وميادينه، ونقف طويلاً لنفهم ماهيته ودرجاته.. وعلامات الإخلاص ونذكر سير بعض المخلصين ففي

الحديث عنهم تذكرة، والحكايات الصحيحة عنهم تحف من تحف الجنة.. ونتكلم عن ما يتوهم أنه إخلاص وليس كذلك، والمفاهيم الخاطئة للإخلاص، وحكم العمل المشوب بحظوظ النفس ونقطف من أزاهير وكلام الربانيين والمخلصين والطريق إلى الإخلاص وثمرته وحاجة الأمة والدعاة إليه، ثم نتكلم عن الرياء وجحيمه وويلاته ـ أعاذنا اللَّه وإياكم منه ـ ونذكر ما دق من أمره وخفي، وما ورد في ذمه وسوء منقلب أهله، وأنواعه، وعلاجه.

✍فما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وما كان فيه من خير فمن اللَّه وله المنة والفضل. ونذكر طرفًا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا الباب نحذر إخواننا منها.

✍اللَّهم أفهمنا عنك واسلك بنا سبيل الموقنين فكيف يهتدي السالك إذا كان الدليل حائرًا؟!

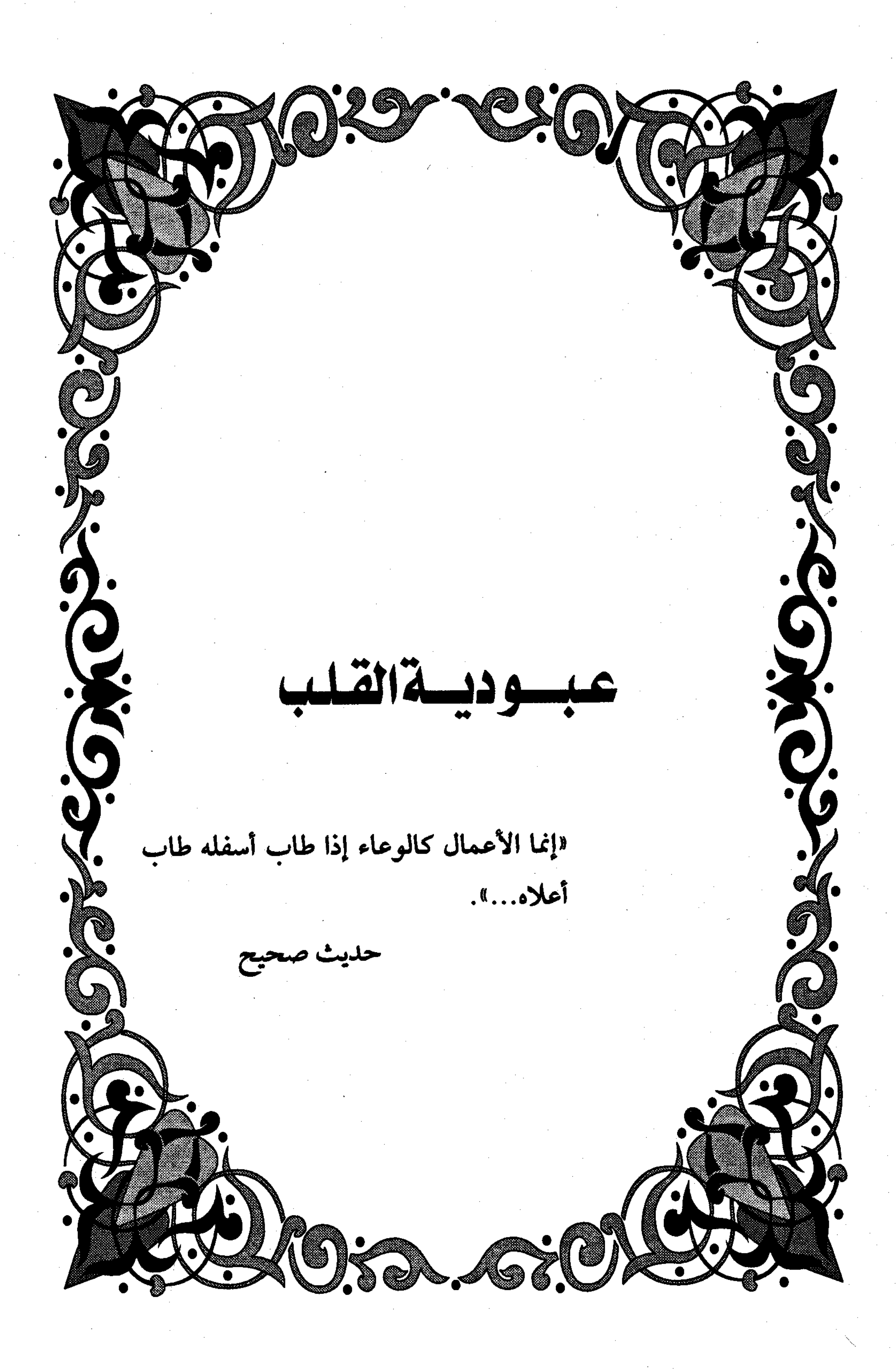
✍يا دليل الحيارى دلنا على طريق المخلصين، ولا تجعلني ممن يكون غيره أنفع بوعظه منه، ويا قابل التوب اغفر لنا مقابح الغيب، واجعلنا من أخلص من أخلصتهم لك وشغلتهم بك عن غيرك.

✍وإلى أحبتي وإخواني ممن يطّلعون على جمعي هذا.. بعتكم أغلى الملك.. سير السلف وإخلاصهم، فلا تنسوني من دعائكم لكرامة الدلاّل.

* * *

وكتبه
حامدًا شاكر مصليًا
الفقير إلى رحمة ربه
وأن يجعله من المخلصين
سيد بن حسين العفاني
أول ليلة من رمضان ١٤٢٢هـ

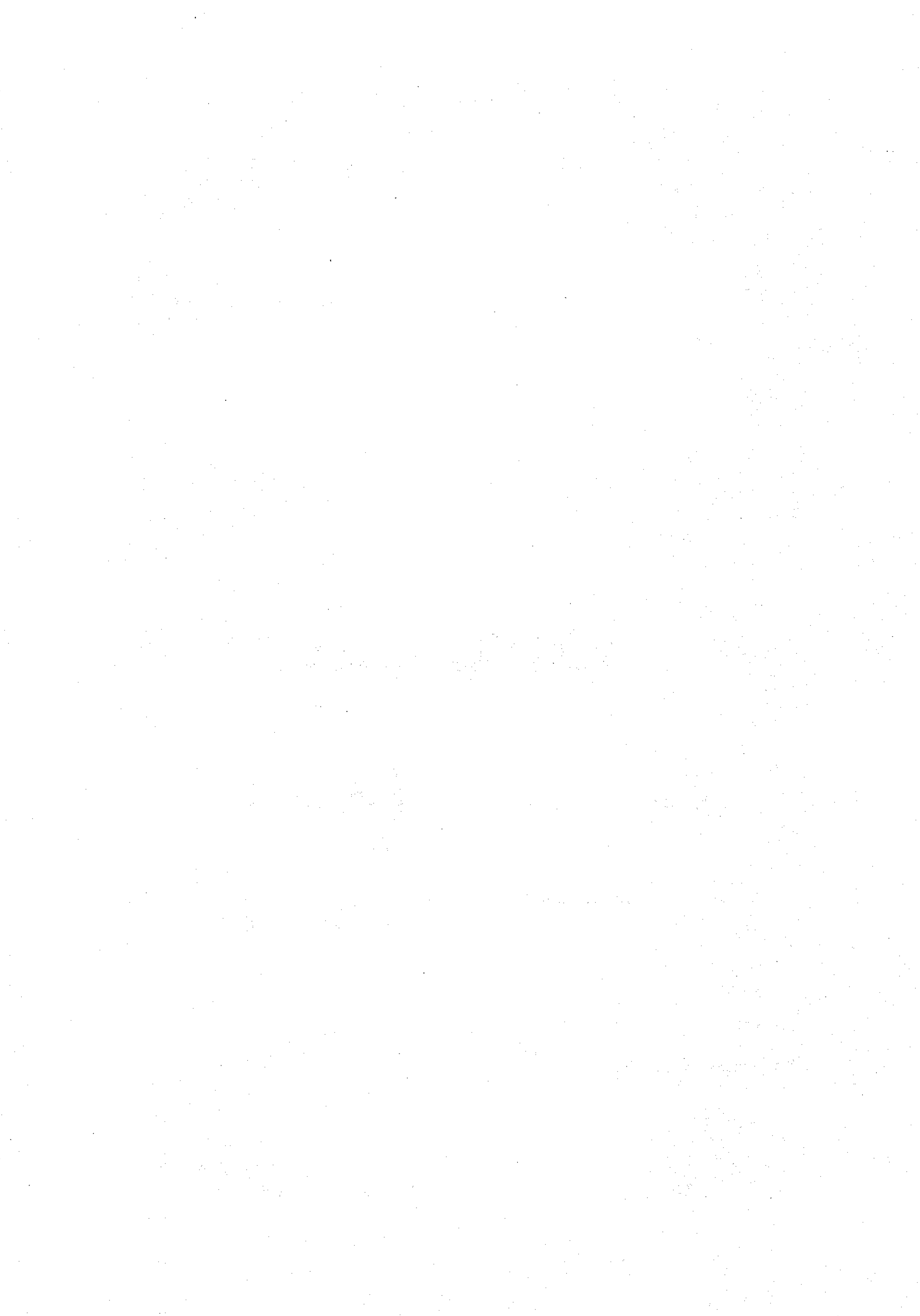




عبودية القلب

«إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه...».

حديث صحيح



عبودية القلب أعظم وأدوم من عبودية الجوارح

✍ طوبى لعبد عرف الطريق إلى اللَّه، ووا أسفاه وا حسرتاه لعبد انقضى الزمان، ونفد عمره وقلبه محجوب عن تصحيح المعاملة وحسن الصيانة والرعاية لحق مولاه، ما شمّ للإخلاص رائحة. فداو قلبك وأصلحه وأخلص، وصحِّح النيّة وأخلص الطوية، فإن حاجة اللَّه من العباد صلاح قلوبهم.

◻ سُئِل ذو النون عن السفلة من هو؟ قال: «من لا يعرف الطريق إلى اللَّه ولم يتعرّفه»[1]. والطريق إلى اللَّه يقطع بذلّ القلوب وإخلاصها لعلاّم الغيوب.

◻ قال يحيى بن معاذ الرازي: «مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب»[2]، وأبواب ملك الملوك لا تقرع بالأظافير وإنما بوجيب القلوب.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**[3].

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[4].

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم.

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الإيمان (٥٢)، ومسلم في «صحيحه» كتاب المساقاة (١٠٧/١٥٩٩) وأصحاب السنن الأربعة.

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٥٦٤)، وابن ماجه.

● وعن معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنما الأعمال كالوِعاء، إذا طاب أسفله طاب أعلاه، وإذا فسد أسفله فسد أعلاه»**[(١)] .

● وقال أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: «القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده».

◻ وقال الغزالي: «إنما الجوارح أتباع وخدم وآلات، يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة؛ فالقلب هو المقبول عند اللَّه إذا سلم من غير اللَّه، وهو المحجوب عن اللَّه إذا صار مستغرقًا بغير اللَّه، وهو المطالب وهو المخاطَب وهو المعاتَب، وهو الذي يسعد بالقرب من اللَّه فيفلح إذا زكّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنّسه ودسّاه؛ وهو المطيع بالحقيقة للَّه تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على اللَّه تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره؛ وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه، إذ كل إناء ينضح بما فيه»[(٢)] .

◻ قال أبو خزيمة العابد: «القصد إلى اللَّه بالقلوب أبلغ من حركات الأعمال: الصلاة والصيام ونحوهما»[(٣)] .

◻ وقال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «من تأمّل الشريعة، في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٩٩)، وأبو يعلى (٤/ ١٧٧٦)، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٩٦)، وعنه أحمد (٤/ ٩٤)، والرامهرمزي في «الأمثال» ص(١٠١ ـ هند) بلفظ: «إنّ ما بقي من الدنيا بلاء وفتنة، وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء، إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله».

(٢) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٣).

(٣) «حلية الأولياء».

بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميّز المؤمن من المنافق إلا بما في قلب كل واحد من الأعمال التي ميّزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر، وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»[١] .

❑ وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ:« أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملِّة، وإن النيّة بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، فمعرفة أحكام القلب أهم من معرفة أحكام الجوارح»[٢] .

❑ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأعمال القلبية: «هي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة اللَّه ورسوله، والتوكل على اللَّه، وإخلاص الدين للَّه، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه والرجاء له، وهذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين»[٣] .

وقال: «الأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا خبث الملك خبثت جنوده»[٤] .

* صلاح القلب موقوف على إخلاصه:

صلاح القلب وصلاح أعماله موقوف على إخلاصه.

❑ قال الجنيد: «إن اللَّه يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟!»[٤] .

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٣/ ٣٣٠).

(٢) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٢٤).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٠/ ٥)، (٢٠/ ٧٠).

(٤) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٢٠٨).

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن للَّه عبادًا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب الخير أجمع».

❑ وقال السوسي ـ رحمه اللَّه ـ: «مُراد اللَّه من عمل الخلائق الإخلاص».

* والإخلاص منّة من اللَّه، يكحل بها عيون قلوب الصادقين، قال اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، قال الجنيد: سبل الإخلاص.

* وباب الإخلاص مفتوح، فادخل منه تصل إلى رحمة اللَّه وتكن في كنفه وحفظه وستره وأجره ورزقه وكفايته، ادخله ترتع في رياض المخلصين وتدرك المعنى النفيس في حياتك، وإلا ففقدان هذا الشيء الغالي فقدان لحياتك ذاتها فحياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

✍ فيا طيب قلوب امتلأت من توحيد اللَّه والإخلاص له ومحبته وخشيته ومراقبته، قد أنساها إخلاصها لمولاها ذكر غيره، أوحشهم أنسها به ممن سواه، قد فنوْا بحبه عن حب من سواه، وبذكره عن ذكر من سواه، وبإفراده بالخوف والرجاء والرغبة إليه والرهبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والإنكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره.

✍ قلوب خرجت إلى فضاء التوحيد والمعرفة، وتخلّصت من مشيمة الطباع وظلمات النفس والهوى، فقرّت عيونها باللَّه، وقرّت عيون بها وقلوب، وأنست بقربها الأرواح، وذكّرت رؤيتها باللَّه، فاطمأنت باللَّه وسكنت إليه، وعكفت بهمتها، وسافرت هممها وعزائمها إلى الرفيق الأعلى، لا تقرّ بشيء غير اللَّه، ولا تسكن إلى شيء سواه، ولا تطمئن بغيره، تجد من كل شيء سوى اللَّه عوضًا، ومحبته قوتها، ومعرفته أنيسها،

عدوّها من جذبها عن اللّه «وإن كان القريب المصافيا»، ووليّها مَن ردّها إلى اللّه وجمع القلوب عليه «وإن كان البعيد المناويا»(١).

✍ قلوب انصبغت بالإخلاص لمولاها، آوت إليه فآواها، وسجدت بين يديه وحده خاشعة ذليلة منكسرة من كل جهة من جهاتها، فيا لها من سجدة ما أشرفها، لا ترفع رؤوسها منها إلى يوم اللقاء، تقطع في سفرها إليه بيداء الأكوان، وتخرق حُجب الطبيعة، ولا تقف عند رسم، ولا تسكن إلى علم.

✍ تبقى هذه القلوب السليمة الخالصة للّه عرشًا للمثل الأعلى ـ عرشًا لمعرفة محبوبها والإخلاص له، نزّهت سرّها أن يُساكن سواه، أو يطمئن بغيره. قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش، فطوباها وطوباها وطوباها، لسان حالها يناجي مولاها:

من فاته منك وقت حظُّهُ الندم ... ومن تكن همه تسمو به الهممُ
وناظر في سوى معناك حُقّ له ... يقتصّ من جفنه بالدمع وَهْوَ دَمُ(٢)
والسمع إن جال فيه من يحدثه ... سوى حديثك أمسى وقره الصممُ
في كل جارحة عين أراك بها ... مني وفي كل عضو بالثناء فمُ
فإن تكلمت لم أنطق بغيركم ... وكل قلبي مشغوف بحبكم
أخذتم الروح مني في ملاطفة ... فلست أعرف غيرًا مذ عرفتكمُ
نسيت كل طريق كنت أعرفها ... إلاّ طريقًا تؤديني لبابكمُ
فَسَلّني كلَّ حالٍ كنت آلفه ... في وصله القطع ما بيني وبينكمُ
ولي بكم عوض عن كل مفتقد ... ولا تساوي الأماني لحظ طيفكم

---

(١) انظر «طريق الهجرتين» لابن القيم ص(١٦) ـ المطبعة السلفية.

(٢) قال الإمام محمد بن إبراهيم الوزير:

وناظر في سوى مرآك حُقّ له ... يفيض مدمعه بالدمع وهو دمُ

* الإخلاص عزيز ومرتقًى صعب :

تبحث في الزحام الكثيف عن المخلصين فتروعك ندرتهم. . .

محاسنُ من دنيا ودينٍ كأنما بها حلّقت في الجو عَنْقَاء مُغرِب[١]

❑ أو كما قال القائل:

ما أكثر الناس، لا، بل ما أقلّهمُ الله يعلم أني لم أقل فندا

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

❑ قال الغزالي: «قد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلاّ بالعلم والعبادة، والناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلاّ العاملون، والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

* فالعمل بغير نيّة عناء، والنيّة بغير إخلاصٍ رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، وقد قال اللَّه تعالى في كل عمل كان بإرادة غير اللَّه مشوبًا مغمورًا ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

✍ وليت شعري كيف يصحّح نيته من لا يعرف حقيقة النيّة؟ أو كيف يخلص من صحح النيّة إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟ أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه؟ فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة اللَّه تعالى أن يتعلم النيّة أولاً لتحصل المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذيْن هما وسيلتا العبد إلى

---

(١) «الأمم كلها تضرب المثل «بالعَنْقَاء» في الشيء الذي يُسمَع به ولا يُرَى!! والعرب إذا أخبرت عن هلاك شيءٍ وبطلانه قالت: حَلَّقت به في الجو عنقاء مغرب» انتهى من كتاب «الحيوان» للجاحظ (٧/ ١٢٠).

النجاة والإخلاص»[١] .

❑ قال سهل بن عبدالله التستري: «النيّة الإخلاص، وكما يثبت حكم الظاهر بالفعل كذلك يثبت حكم السرّ بالنيّة، ومن لا يعرف نيته لا يعرف دينه، ومَن ضيّع نيّته فهو حيران، ولا يبلغ العبد حقيقة علم النيّة حتى يدخله الله في ديوان أهل الصدق»[٢] .

❑ قال يحيى بن أبي كثير: «تعلموا النيّة فإنها أبلغ من العمل»[٣] .

❑ وقالت رقية العابدة: «تفقّهوا في مذاهب الإخلاص ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى ركوب القلاص»[٤] .

❑ وقال أيوب السختياني: تخلّص النيات على العمّال أشد عليهم من جميع الأعمال.

❑ وقال الثوري: كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل[٥] .

❑ وقال ـ رحمه الله ـ: ما عالجت شيئًا أشدّ عليّ من نيتي، إنها تتقلّب عليّ.

❑ وقال سفيان بن عيينة: قال رجل من العلماء: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله عز وجل[٦].

❑ وقيل لسهل بن عبدالله التستري: أي شيءٍ أشدّ على النفس؟ فقال:

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٣١٥).

(٢) «حلية الأولياء».

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٧٠).

(٤) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٢١).

(٥) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣١٠)، و«الإحياء» (٣/ ٣١٧).

(٦) «حلية الأولياء».

الإخلاص إذْ ليس لها فيه نصيب [١].

□وقال بشار: قال لي يوسف بن أسباط: «تعلّموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلّمته في اثنتين وعشرين سنة» [٢].

□وقال السري السقطي: «تصفية العمل من الآفات أشدّ من العمل» [٣].

□وقال ابن الجوزي: «ما أقل من يعمل للَّه مخلصًا» [٤].

□وقال أبو إسحاق الآجري لعبدون الزجاج: «يا غلام لأن ترد إلى اللَّه عز وجل من هَمّك ذرة خير لك مما طلعت عليه الشمس» [٥].

□وقال: «أعزّ شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنما ينبت على لون آخر».

□وقال أبو سليمان الداراني: «طوبى لمن صحّت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا اللَّه تعالى».

فيا أسفى: كيف يهتدي السائل إذا كان الدليل حائرًا؟

وواسفى ذهب السادة وبقي قرناء الرياء والوسادة.

ذم المنازل بعد منزلة اللّوى والعيش بعد أولئك الأقوامُ

□قال الثوري: ما زلت أُرائي وأنا لا أشعر إلى أن جالست أبا هاشم [٦] فأخذت منه ترك الرياء [٧].

---

(١) «الإحياء» (٣/ ٣٣١).
(٢) «حلية الأولياء».
(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٨٧).
(٤) «صيد الخاطر» لابن الجوزي.
(٥) «تهذيب الحلية».
(٦) «المدهش» لابن الجوزي ص(٤١٦).
(٧) «حلية الأولياء».

وقال السري لنفسه: «أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري»(١).

ذهب أهل التحقيق، وبقيت بُنيّات الطريق، خلت البقاع من الأحباب وتبدلت العمارة بالخراب.

أسمع أصواتًا بلا أنيس، وأرى خشوعًا أصله من إبليس. . .

تشبهت حـــور الظبـــاء بهم ... إذا سكنت فيك ولا مثل سكنْ

أصـــامت بنـــاطـق ونـــافر بآنس ... وذو خـــلا بـــذي شـــجن

مشـــتبـــه أعـرفـــه وإنمـــا ... مغـــالطًا قلت لصحبـــي دار منْ

قـف باكيًـــا فيهـــا وإن كنت أخًا ... مؤانسًـــا فبكهـــا عنـــك وعن

لم يبـق لي يــــوم الفراق فضلة ... من دمعة أبكي بها على الدّمنْ(٢)

* * *

---

(١) «حلية الأولياء».

(٢) «المدهش» لابن الجوزي.

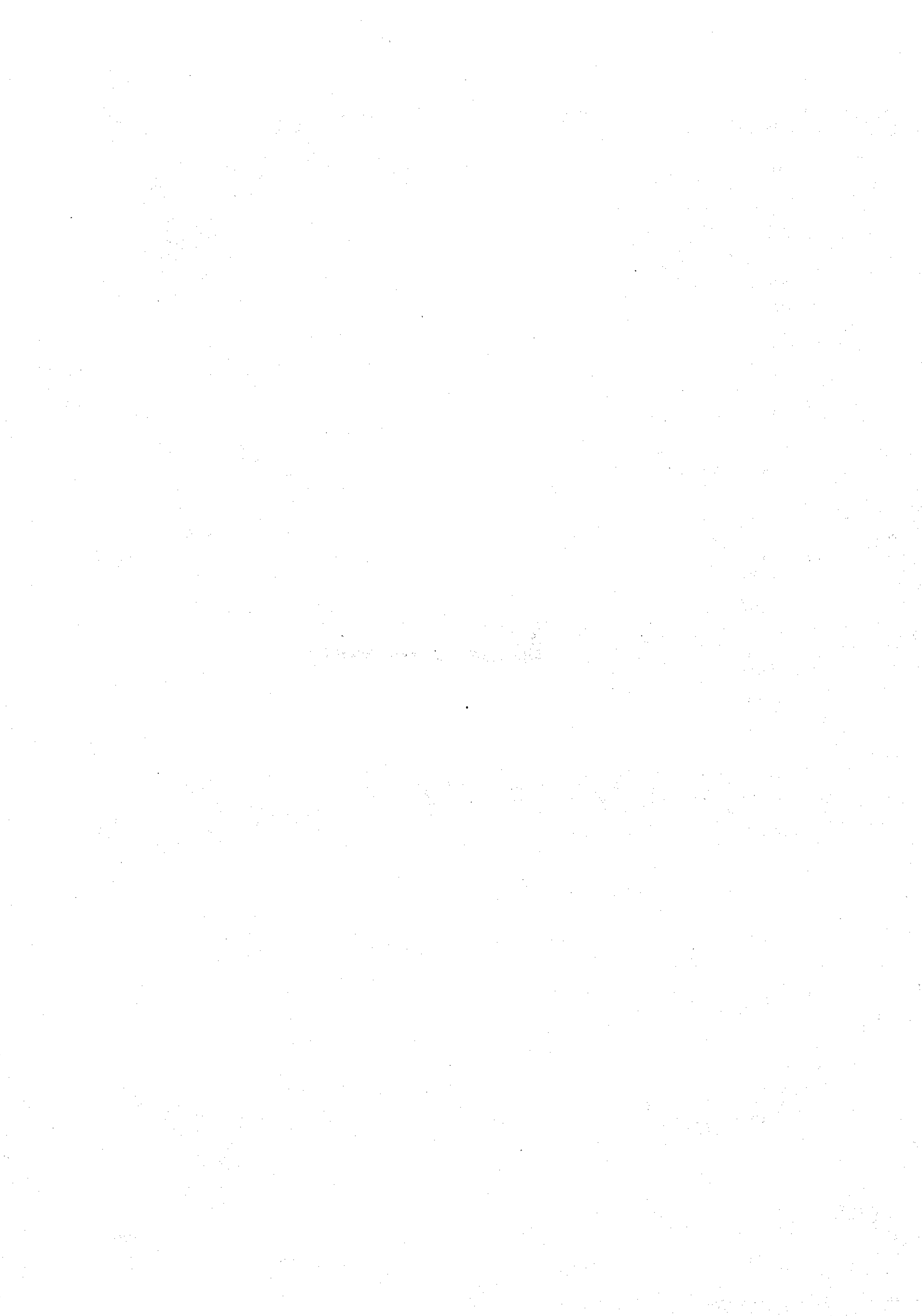




النيَّـــة

«يا بني، انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير».

الإمام أحمد بن حنبل



النيَّـــــة

✍ النية هي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يُبنى عليه، فإنها روح العمل، وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يُبنى عليها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها، وبها يُستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة»[1] .

● عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله؛ فهجرته إلى اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[2] .

✍ حديث نفيس خطب به الخلفاء الأربعة، فلما صلح للخطبة على المنابر صلح أن يُجعلَ في خطب الدفاتر.

وبه صدّر البخاري كتابه «الصحيح» وأقامه مقام الخطبة له؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه اللَّه فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة.

📖 ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي: «لو صنفت كتابًا في الأبواب؛

---

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٤/ ١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩ و١٣٥)، (٥/ ١٦٠)، (٧/ ٢٢٦)، (٩/ ١١٥)، (١١/ ٥٧٢)، (١٢/ ٣٢٧) «فتح الباري»، و«مسلم» (١٩٠٧)، وأبو داود (٢/ ٣٥٢)، والترمذي (١/ ١٩٨)، والنسائي (١/ ٨٥)، (٧/ ١٣)، (٦/ ١٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤١/ ٤٢٢٧)، وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، والدارقطني في «سننه»، وابن خزيمة.

لجعلت حديث عمر بن الخطاب بالنّيات في كل باب»[١] .

❑ قال ابن الكمال: «لما كان عالم الملك تحت قهر عالم الملكوت وتسخيره لزم أن يكون لنيّات النفوس وهيئتها تأثير فيما تباشره أبدانها من الأعمال، فكل عمل بنيّة صادقة رحمانية عن هيئة نورانية صحبته بركة ويُمن وجمعيّة وصفاء، وكل عمل بنية فاسدة شيطانية عن هيئة غاسقة ظلمانية صحبه مَحْق وشؤم وتفرقة»[٢] .

*** هذا الحديث من جوامع الكلم النفيس:**

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٣٢): «هذا الحديث أصل في الإخلاص، ومن جوامع الكلم التي لا يخرج عنها عمل أصلاً، ولهذا تواتر النقل عن الأعلام بعموم نفعه وعظم وقعه. قال أبو عُبيد: ليس في الأحاديث أجمع ولا أغنى ولا أنفع ولا أكثر فائدة منه.

❑ «واتفق العلماء أمثال الشافعي وأحمد وابن المديني وأبي داود والدارقطني والبيهقي وغيرهم على عدّه ربع الإسلام أو ثلثه أو نصفه.

فهذا أبو داود صاحب السنن يقول: كتبت عن رسول اللَّه ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما تضمّنه هذا الكتاب ـ يعني كتاب السنن» ـ جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

أحدها: قوله ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات».**

---

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» لسليم الهلالي ص(٢٩) ـ دار ابن الجوزي.

(٢) «فيض القدير» للمناوي (١/ ٢٩ ـ ٣٠).

والثاني: قوله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[١] .

والثالث: قوله ﷺ: «**لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه**».

والرابع: قوله ﷺ: «**الحلال بيّن والحرام بيّن**»[٢] .

وفي رواية أخرى عن أبي داود قال: أصول السنن في أربعة أحاديث؛ وذكرها إلا أنه جعل حديث «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»[٣] أحد هذه الأصول.

وقد وافق الدارقطني أبا داود في روايته الأخيرة فعدّها أربعة وهي نفس الأحاديث التي أوردها أبو داود وعدّها ابن المديني وابن مهدي أربعة أيضًا، ولكن خالفوا في ذكر بعض الأحاديث، فهم يرون أن أصول الأحاديث الأربعة هي حديث: «**إنما الأعمال**»، وحديث: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث**»[٤] ، وحديث: «**بني الإسلام على خمس**»[٥] ، وحديث: «**البينة على المُدَّعي، واليمين على من أنكر**»[٦] .

(١) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وأحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن الحسين بن علي، والحاكم في «الكنى» عن أبي ذر، والحاكم في «تاريخه» عن علي بن أبي طالب، والطبراني في «الأوسط» عن زيد بن ثابت، وابن عساكر عن الحارث بن هشام، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩١١).

(٢) رواه البخاري ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن النعمان بن بشير.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سهل بن سعد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٤٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٩٢٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن عثمان، وأحمد والنسائي عن عائشة، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢١٩٦).

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر.

(٦) قال النووي: حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في «الصحيحين» «جامع العلوم» ص(٢٩٤).

وواضح أن مرادهم من كون حديث: «**إنما الأعمال**» ربع الإسلام أنه أحد أربعة أحاديث عليها مدار الإسلام.

❑ والإمام أحمد يرى أن حديث «**إنما الأعمال**» أحد قواعد الإسلام ولكنه عدّ الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ثلاثة، حديث: «**إنما الأعمال**» وحديث: «**الحلال بين والحرام بيّن**»، وحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(1).

ووجه ما قاله الإمام أحمد أن الدين فعل ما أمر اللَّه به، وترك ما نهى عنه، فحديث «**الحلال بيّن، والحرام بيّن**» فيه بيان ما نهى اللَّه عنه.

❑ والذي أمر به نوعان:

أحدهما: العمل الظاهر، وهو ما كان واجبًا أو مستحبًا.

الثاني: العمل الباطن، وهو إخلاص الدين للَّه.

فقوله: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**» ينفي التقرب إلى اللَّه بغير ما أمر اللَّه به أمر إيجاب أو استحباب.

وقوله: «**إنما الأعمال بالنيّات**» يبيّن العمل الباطن، وأن التقرّب إنما يكون بالإخلاص في الدين للَّه».

❑ ووجّه البيهقي كون حديث «**إنما الأعمال**» ثلث العلم بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها؛ لأنها قد تكون عبادة مستقلة، وغيرها محتاج إليها(2).

وقد يُقال: إن القول مندرج في العمل الظاهر، وبذا يكون الحديث

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه عن عائشة.

(2) «فيض القدير» (١/ ٣٢)، و«فتح الباري» (١/ ١٠).

نصف العلم لا ثلثه، وهذا منقول عن الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ قال: «يدخل فيه نصف العلم»، ووجه ما قاله: «أن للدِّين ظاهرًا وباطنًا»، والنيّة متعلّقة بالباطن، والعمل هو الظاهر، والنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح»[١].

والذي يُلفت النظر أن العلماء وإن اختلفوا في تحديد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومدار الدين، وفي تعليل كونها كذلك، إلا أنهم اتفقوا جميعًا على أن حديث «**إنما الأعمال**» أحد قواعد الإسلام، وأصل من أصوله، بل هو كما يقول النووي: «أعظم هذه الأحاديث»[٢، ٣].

❑ وهذا الحديث من جوامع الكلم، وهو يدخل في مباحث هامة في علم الأخلاق، والأصول، والتوحيد، وغالب مسائل الفقه وأبوابه، فابن مهدي يرى أنه يدخل في ثلاثين بابًا من العلم، والشافعي يرى أن «حديث النية يدخل في سبعين بابًا من الفقه، وما ترك لمبطل، ولا مضار، ولا محتال حجَّة إلى لقاء اللَّه تعالى»[٤].

* النيـــــة:

النية في اللغة القصد والعزم، وتطلق أيضًا ويراد بها قصد المعبود، بل دلالة النية على المعنى الثاني أوضح وأظهر كما في الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**».

❑ والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين:

---

(١) «إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٥٦).
(٢) «المجموع» للنووي (١/ ٣٦١).
(٣) «مقاصد المكلفين» للدكتور عمر الأشقر (٩٠ ـ ٩٣) ـ دار النفائس ـ مكتبة الفلاح.
(٤) «فيض القدير» للمناوي (١/ ٣٢)، «العيني على البخاري» (١/ ٢٢).

أحدهما: تمييز العبادات بعضها عن بعض؛ كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات؛ كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبريد والتنظيف.. وهذه النية هي التي تُوجد كثيرًا في كلام الفقهاء في كتبهم.

الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو للَّه وحده أم للَّه وغيره أم لغير اللَّه؟ وهذه هي النيّة التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص، وهي التي توجد كثيرًا في كلام السلف.

❑ ويعبر عنها في القرآن كثيرًا بلفظ «الإرادة»؛ كما في قوله تعالى: ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩]، وقوله: ﴿**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

❑ وقد يعبر عنها في القرآن بلفظ «الابتغاء»؛ كما في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ**﴾ [الليل: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ الآية [البقرة: ٢٦٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* * *

* فضل النيّـة:

١ - يبعث الناس على نياتهم:

● عن جابر - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يبعث

كل عبد على ما مات عليه»(١) .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «يُبعث الناس على نيّاتهم»(٢) .

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «يُحشَر الناس على نيّاتهم»(٣) .

✍ يحشر الناس ويبعثون على نيّاتهم فاحذر أن يفضحك ميراثك: نيتك يوم القدوم على ربك واعلم أن خلوص النيّة لرب البرية هو خلاصة العطية.

٢ ـ من كانت الآخرة همّة:

* قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ١٩].

* وقال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ قال قتادة: على نيته(٤) .

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «من كانت الآخرة همَّه، جعل اللَّه غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي

---

(١) أخرجه مسلم، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، والطحاوي.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠١٤).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن جابر، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٢).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٨) ـ المكتبة القيمة.

راغمة، ومن كانت الدنيا همّه، جعل اللَّه فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[١].

● وعن زيد بن ثابت ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همّه فرّق اللَّه عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه؛ ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرة نيّته جمع اللَّه له أمره، وجعل غناه في قلبه؛ وأتته الدنيا وهي راغمة»[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنه من تكن الدنيا نيّته يجعل اللَّه فقره بين عينيه، ويُشتِّت عليه ضيعته، ولا يأته منها إلا ما كُتب له، ومن تكن الآخرة نيته يجعل اللَّه غناه في قلبه، ويكفيه ضيْعته، وتأتيه الدنيا وهي راغمة»[٣].

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من كانت الدنيا همته وسدمه، ولها شخص، وإياها ينوي، جعل اللَّه الفقر بين عينيه، وشتّت عليه ضيعته، ولم يأته منها إلا ما كُتب له منها، ومن كانت الآخرة همته وسدمه، ولها شخص، وإياها ينوي، جعل اللَّه عز وجل الغنى في قلبه، وجمع عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهي صاغرة»[٤].

● وعن زيد بن ثابت ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٤٩ ـ ٩٥٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٥١٠).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٢٤ ـ ٢٥٢)، وابن حبان (٧٢)، وقال المنذري رواته ثقات، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الألباني: اسناده صحيح انظر «السلسلة الصحيحة» (٩٥٠).

(٣) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ١٣٣/ ٧٢٦٧) عن زيد بن ثابت. وقال المنذري: إسناده لا بأس به، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢٣١/ ٣١٦٨): صحيح لغيره.

(٤) صحيح لغيره: رواه البزار والطبراني واللفظ له، وابن حبان في «صحيحه» عن أنس.

«من كانت نيّته الآخرة، جمع اللَّه له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت نيّته الدنيا فرّق اللَّه عليه أمره، وجعل فقره بين عينيْه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب اللَّه له»[١].

● وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: **«من جعل الهمّ همًّا واحدًا؛ كفاه اللَّه همّ دنياه، ومن تشعّبته الهموم لم يُبال اللَّه في أي أودية الدنيا هلك»**[٢].

● وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: **«من جعل الهموم همًّا واحدًا همّ المعاد؛ كفاه اللَّه همّ دنياه، ومن تشعّبت به الهموم في أحوال الدنيا؛ لم يبال اللَّه في أيّ أوديته هلك»**[٣].

✍ **أخي**: إن اللَّه يقرب من القلوب بمقدار قربها منه.. همّك ما أهمّك، والآخرة لا ينالها إلا قلب خال عما سوى اللَّه ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ**﴾.

حرام على قلب أن يشم رائحة الصدق والإخلاص ونيّته لغير اللَّه...

٣ ـ الخلود في الجنة أو النار بالنيّات:

☐ قال الحسن: «إنما خلّد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيّات»[٤].

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٤٨٩١)، وابن ماجه (٤١٠٥) قال في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات، ورواه ابن حبان (٧٢ ـ موارد الظمآن).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الحاكم والبيهقي من طريقه وغيرها، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٧٠): حسن لغيره.

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه عن ابن مسعود، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٧١): حسن لغيره.

(٤) «الإحياء» (٤/٣١٧).

✍ قد يقول قائل: لِمَ يعذّب اللَّه الكافر بالخلود في النار مددًا لا نهاية لها مع أن العدل يقتضي أن يعذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولم يخلد المؤمن في الجنة مع أنه لم يؤمن ولم يطع إلا مدة محدودة من الزمان، بل قد يسلم للَّه قبل الغرغرة ويدخل في الإسلام ويموت ولم يسجد للَّه سجدة واحدة؟

والسبب في ذلك أن المؤمن ينوي أن يطيع اللَّه أبدًا، فجوزي بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازمًا وناويًا الكفر أبدًا فجوزي بنيته[1]، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [الأنعام: ٢٨].

٤ - حفظ العبد على قدر نيته:

● قال ابن عباس - رضي اللَّه عنهما -: إنما يُحفظ الرجل على قدر نيّته.

«وكتب سالم بن عبداللَّه إلى عمر بن عبدالعزيز: اعلم أن عون اللَّه للعبد على قدر النيّة، فمن تمّت نيته تم عون اللَّه له، وإن نقصت نقص بقدره»[2].

٥ - يبلغ المرء بنيّته ما لا يبلغه بعمله:

❑ قال جعفر بن حيان: ملاك هذه الأعمال النيات، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغه بعمله».

❑ قال ثابت البناني: نية المرء أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم من الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله»[3].

من رحمة اللَّه ونعمه على عباده أن جعل من عزم ونوى فعل الخير

---

(١) انظر «الأشباه والنظائر» للسيوطي ص(١١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٥٥٦).

(٢) «الإحياء» (٤/ ٣١٧).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٦).

كمن فعله، ومن نوى الغزو كمن غزا.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه عز وجل: إذا تحدث**[1] **عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها**»، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به ـ فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرَّاي**[2]»[3].

* وتخلف رجال من الصحابة في غزوة تبوك لم يكن عندهم زاد ولا راحلة حبسهم العذر، ولم يكن عند النبي ﷺ ما يحملهم عليه، وبكوا بكاء الرجال شوقًا إلى الغزو فعلم اللَّه نيّاتهم، فشاركوا الغزاة في الأجر، قال تعالى: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ**﴾.

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي ﷺ كان في غزاة، فقال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيراً ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**»[4] قالوا: يا رسول اللَّه، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[5].

(١) أي: «همّ» كما في الرواية الأخرى، وفي رواية ثالثة: «أراد».

(٢) أي: من أجلي.

(٣) رواه مسلم في «الإيمان»، باب إذا هم العبد بحسنة (١/ ١١٧، ١١٨)، حديث (١٢٩).

(٤) في رواية الإسماعيلي كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٦/ ٤٧): «إلا وهم معكم فيه بالنيّة»، وفي حديث جابر عند مسلم (١٩١١): «إلا شركوكم في الأجر» أي أن لهم من الأجر مثل أجر الغازي.

(٥) «صحيح البخاري» كتاب الجهاد ـ باب من حبسه العذر «فتح الباري» (٦/ ٤٦، ٤٧) ح (٢٨٣٩)، وكتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر (٨/ ١٢٦) ح(٤٤٢٣).

● وقال ﷺ : «**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[١] .

● وقال ﷺ : «**إن أقوامًا بالمدينة خلفنا؛ ما سلكنا شِعبًا، ولا واديًا إلا وهم معنا، حبسهم العذر**»[٢] .

فالكريم المنّان المطّلع على خبايا النفوس يرفع الراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين؛ لأن بُعد هممهم، وشرف نيّاتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم، ولا يهدر اللَّه يقينهم الراسخ ورغبتهم العميقة في التضحية.

* قال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**﴾ [النساء: ٩٥].

نزلت هذه الآية كما يقول ابن كثير أوّلاً بدون «غير أولي الضرر»، وكان عبداللَّه بن أم مكتوم قريبًا من الرسول ﷺ فقال: أنا ضرير، واللَّه لو أستطيع الجهاد لجاهدت، فنزلت ﴿**غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ**﴾، فالآية كما يقول ابن كثير ويرويه عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: تدل على أن «أولى الضرر» يساوون المجاهدين، ما دام الضرر قاهرًا، والنيّة مستقرة في القلوب»[٣] .

فإذا صدقت النيّات من العباد وحالت دون القيام بالعمل المراد الحوائل، فإن صاحب النيّة يعدّ في عداد العاملين، وما أحسن قول القائل[٤] :

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسومًا وسِرْنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عُذْرٍ وعن قَدَرٍ ... ومن أقام على عُذْرٍ فقد راحا

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه عن أنس، ومسلم وابن ماجه عن جابر.
(٢) رواه البخاري عن أنس.
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٦٧).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٦٨).

● وعن سهل بن حنيف ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«من سأل اللَّه الشهادة بصدق بلّغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**[١] .

● وقال ﷺ : **«من سأل اللَّه القتل في سبيل اللَّه، صادقًا من قلبه، أعطاه اللَّه أجر شهيد، وإن مات على فراشه»**[٢] .

✍ واللَّه لو لم يكن من فضيلة للنيات إلا هذا الحديث لكفى.

● وعن جابر بن عتيك ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ جاء يعود عبداللَّه بن ثابت، فوجده قد غُلب عليه[٣] ، فصاح به، فلم يجبه، فاسترجع رسول اللَّه ﷺ ، وقال: **«غلبنا عليك يا أبا الربيع»** فصاح النساء وبكيْن، فجعل جابر ـ وفي رواية: فجعل ابن عتيك ـ يسكتهن، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«دعهن، فإذا وجب فلا تبكين باكية»**، قالوا: يا رسول اللَّه، وما وجب؟ قال: **«إذا مات»** فقالت ابنته: واللَّه إن كنتُ لأرجو أن تكون شهيدًا، فإنك كنتَ قد قضيت جهازك[٤] ، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«إن اللَّه قد أوقع أجره على قدر نيّته....»**[٥] .

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٠٩)، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي وابن حبان، والحاكم عن معاذ، والحاكم في «المستدرك» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٧٧).

(٣) قد غُلِب عليه: أي أن مرض الموت غلب عليه حتى لم يستطع الكلام، ولم يمت بعد، كما جاء في «تنوير الحوالك» (١/ ٢٣٣).

(٤) أي: أعدّ أسباب الجهاد من متاع وسلاح وغير ذلك كما في «عون المعبود» (٨/ ٣٧٧).

(٥) **صحيح**: رواه مالك في الجنائز (١/ ٢٣٣، ٢٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٤٦)، وأبو داود (٣/ ١٨٨، ١٨٩) ح (٣١١١)، والنسائي (٤/ ١٣، ١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان ٣١٨٩، ٣١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥١، ٣٥٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، والألبساني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٦٠١)، و«أحكام =

● وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا اشتكى**[(١)] **العبد المسلم قيل للكاتب الذي يكتب عمله: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أقبضه أو أطلقه**»[(٢)] .

● وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض، قيل للمَلك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أطلقه أو أكفته إلي**[(٣)] »[(٤)] .

● وعن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يقول: [إني**][(٥)] **إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل [للحفظة]: أنا قيدت عبدي [هذا] وابتليته**

= الجنائز» ص(٥٤)، وشعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول» (١١/ ١٠١)، والشيخ عمر الأشقر في «مقاصد المكلفين» ص(٨٥).

(١) أي: مرض.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٩)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٣٢)، ورواه أحمد (٢/ ١٥٩)، والحاكم (١/ ٣٤٨) بنحوه مختصرًا وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٣٣٣): «هو كما قالا».

(٣) أكفِتَه إليّ: أي أضمّه وأقبضه. أي: أنه يكتب له عمله الصالح الذي كان يعمله قبل المرض، يُكتب له ذلك ما دام مريضًا حتى يشفيه الله ويطلقه من مرضه ذلك، أو يكفته إليه بالموت، وذلك لأنه كان ينوي أن يعمل هذا العمل، ولكن منعه المرض من فعله. انظر «فتح الباري» (٦/ ١٣٦).

(٤) **إسناده حسن**: رواه عبدالرزاق (١١/ ١٩٦)، رقم (٢٠٣٠٨)، وأحمد (٢/ ٢٠٣)، وحسّن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٨٤)، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٤٢١).

(٥) زيادة من «المسند» (٤/ ١٢٣)، و«المعجم الأوسط» (٥/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، وفيه زيادة «للحفظة»، و«المعجم الكبير» (٧١٣٦)، وفيها الزيادة الثانية.

فأجروا له ما كنتم تُجرون له وهو صحيح»[١] .

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«إذا مرض العبد أو سافر؛ كُتِب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**[٢] .

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ يبلغ به النبي ﷺ قال: **«من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح**[٣] **، كُتِب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه عزّ وجل»**[٤] .

● وعن أبي كبشة الأنماري ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: **«ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه»**، قال: **«فأما الثلاثة الذي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده اللَّه عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح اللَّه عليه باب فقر»**. وأما الذي أحدثكم حديثًا فاحفظوه فإنه قال: **«إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه اللَّه مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه، ويعلم للَّه فيه حقًّا فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه اللَّه علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النيّة، يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيّته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه اللَّه مالاً ولم**

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٦)، والأوسط (٥/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٢٣).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجهاد ـ باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة (فتح ٦/ ١٣٦) رقم (٢٩٩٦)، وكذا رواه أبو داود.

(٣) أي: نام وهو عازم على قيام الليل، فلم يقم تلك الليلة من غير تفريط منه، ولكن غلبه النوم، فلم يقم ـ انظر «النية» للدكتور عبداللَّه بن عبدالعزيز الجبرين.

(٤) صحيح: رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجه (١٣٤٤)، ورواه النسائي موقوفًا بعد ذلك وله حكم الرفع، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٨٨ ـ الإحسان). وقال المنذري: إسناده جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» ص(١٢)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الإحسان قال: إسناده جيد.

يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم للَّه فيه حقًّا، فهو بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه اللَّه مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيّته، فوزرهما سواء»[١].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا ابتلى اللَّه عز وجل العبد المسلم ببلاء في جسده، قال اللَّه عز وجل للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، وإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه»**[٢].

❑ قال داود الطائي: البر همته التقوى، فلو تعلّقت جميع جوارحه بالدنيا لردّته نيته يومًا إلى نيّة صالحة، وكذلك الجاهل بعكس ذلك.

❑ قال بعض العلماء: اطلب النيّة للعمل قبل العمل، وما دمت تنوي الخير فأنت بخير. وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملاً للَّه تعالى فإني لا أحب أن يأتي عليّ ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمّال اللَّه؟ فقيل له: قد وجدت حاجتك

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣١)، والترمذي (٢٣٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٩٧)، وروى جزأه الأخير الإمام أحمد (٤/ ٢٣٠)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣٧٩٦): رواه ابن ماجه بسند جيد. وروى مسلم جزأه الأول (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة، ولفظه: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللَّه عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحد للَّه إلا رفعه».
والحديث قال فيه الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٧٠)، وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول» (١١/ ١٠)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على «شرح السنة».

(٢) حسن صحيح: رواه أحمد في «المسند» بإسنادين حسنين، والبغوي في «شرح السنة»، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه أحمد، ورواته ثقات، وقال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب»: حسن صحيح.

فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهمّ بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله»[١] .

٦ ـ النية سرّ العبودية وروحها، والعمل بغير نية لا ينفع :

● قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ «أفضل الأعمال أداء ما افترض اللَّه تعالى، والورع عما حرّم اللَّه تعالى، وصدق النيّة فيما عند اللَّه»[٢] .

❑ وقال بلال بن سعد: «إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه اللَّه عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله، فإذا عمل لم يدعه اللَّه حتى ينظر في ورعه، فإن تورّع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلحت نيّته فبالحري أن يصلح ما دون ذلك. فإنَّ عماد الأعمال النيّات، فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيراً، والنيّة في نفسها خير وإن تعذّر العمل بعائق»[٣] .

❑ وقال الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٢٠): «لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلا؛ لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنه يمسح ثوبًا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة، فكان وجود ذلك كعدمه، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً، فيقال: العبادة بغير نيّة باطلة.

* قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

● قال عبداللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونيّة إلا بما يوافق السنة»[٤] .

(١، ٢، ٣) «الإحياء» (٤/ ٣١٧).
(٤) «العدة» (١/ ٨).

- وقال مطرّف بن عبدالله: «صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النيّة»[١] .

- وقال سفيان الثوري: «لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنيّة، ولا يستقيم قول وعمل ونيّة إلا بموافقة السنة»[٢] .

- وقال يحيى بن معاذ الرازي: صلاح الأمر أن يكون على نيّة[٣] .

- وقال ابن حزم: «النيّة هي سرّ العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومحال أن يُعتبر في العبودية عمل لا روح معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب»[٤] .

٧ ـ نيّة الخير باقية أبدًا لا تتوقف أبدًا إن توقف العمل:

«قد تتوقف بعض الأعمال البدنية المطلوبة شرعًا كالهجرة، وذلك عندما ينتشر الإسلام وتصبح كلمة اللَّه هي العليا، وكصلة الأرحام إذا لم يكن للمرء رحم يصله، ولكن نيّة العمل الخيِّر باقية دائمة لا تتوقف أبدًا، يقول الرسول ﷺ : «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**»[٥، ٦] .

٨ ـ قاصد الخير يثاب بنيّته وإن لم يصب المراد:

إذا قصد العبد القيام بفعل خير شرعه اللَّه، إلاّ أن هذا الفعل لم يقع

---

(١) «حلية الأولياء».

(٢) «الحلية».

(٣) «تهذيب الحلية» (/ ٢٦٦).

(٤) «إحكام الأحكام» لابن حزم (٢/ ٧٠٦ ـ ٧٠٧).

(٥) «مقاصد المكلفين» ص(٨٨).

(٦) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب جزاء الصيد ـ باب لا يحل القتال بمكة (٤/ ٤٦ ـ فتح)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب الإمارة (١٣/ ٨)، وأبو داود في «سننه» ـ كتاب الجهاد ـ باب الهجرة هل انقطعت؟ (٣/ ٧).

الموقع المناسب فإن صاحبه يثاب بقصده ونيّته.

● يوضح هذا الحديث المبارك الذي قاله النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«قال رجل لأتصدَّقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على سارق، فقال: اللَّهم لك الحمد على سارق! لأتصدقنَّ الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية! فقال: اللَّهم لك الحمد على زانية، لأتصدَّقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على غني، فقال: اللَّهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني! فأُتِي، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه اللَّه»**[١].

٩ ـ النيّات تُمَيِّز الأعمال:

قد تتفق الأعمال في صورها، ويتميّز بعضها عن بعض بالنيّات.

ـ فالنطق بالشهادتين مخلصًا هذا بأفضل المنازل، فإذا انطق بهما نفاقًا يريد إحراز ماله ودمه كان بشرّ المنازل.

والساجد للَّه فعله من أعظم القربات، والساجد لغير اللَّه فعله من أعظم الذنوب، وذبح البهائم صورته واحدة، فالذي يذبحه لغير اللَّه فقد أذنب وعصى، والذي يذبحه للَّه فقد برّ وأطاع[٢].

* والنيّات تميّز العبادات عن العادات:

ـ فالنيات تميّز بين ما يفعل لرب السماوات من عبادة وبين العادات.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٢٢، ٣٥٠)، والبخاري، ومسلم (٧/ ١١٠)، وابن ماجه.

(٢) انظر: «مقاصد المكلفين» ص(١٠١).

ـ فمن الغسل ما يكون من الأحداث، ومنه ما يكون للتَّبرد، والاستحمام والمداواة.

ـ ودفع المال منه ما يكون هبة، أو هدية، ومنه ما يكون قربة إلى اللَّه، كالزكاة، والصدقات، والكفّارات.

ـ والإمساك عن المفطرات: منه ما يكون حمية وعلاجًا، ومنه ما يكون قربة إلى اللَّه وهو الصيام والنية هي التي تميّز بينهما.

ـ والذبائح منها ما يكون لتغذية الأبدان وضيافة الضيفان، ومنها ما يكون تقربًا للملك الديان كالهدْي والأضاحي والنيّة تميّز بينهما.

* والنيّات تميّز رتب العبادات:

فالنيّة هي التي تميّز راتبة الفجر عن فرض الفجر إذا صلاّهما المصلي منفردًا، وبها يتميّز القضاء عن الأداء، وفي النفل تميّز الراتب عن غيره، وكذلك في الفرض تميّز مثلاً الظهر عن العصر، والمنذورة عن المفروضة بأصل الشرع.

ـ وفي العبادات المالية: تميّز الصدقة الواجبة عن النافلة، والزكاة عن المنذورة والنافلة.

ـ وفي الصوم تميّز صوم النذر عن صوم النفل، وصوم الكفّارة عنهما، وصوم رمضان عمّا سواه.

ـ وفي الحج تميّز الحج عن العمرة، والحج المفروض عن المنذور والنافلة.

ـ وكما قلنا فإن النيّة تؤثر في الفعل، فيصير تارة حرامًا، وتارة حلالاً، وصورته واحدة تفرّق بينهما النيّة فقط.

فالقرض في الذمة، وبيع النقد بمثله إلى أجله، صورتهما واحدة، والأول قربة صحيحة، والثاني معصية باطلة.

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «الروح»: «الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك التوكل والعجز، والرجاء والتمني، والحب للَّه، والحب مع اللَّه، والنصح والتأديب، وحب الدعوة إلى اللَّه وحب الرياسة، وعلو أمر اللَّه والعلو في الأرض، والعفو والذل، والتواضع والمهانة، والمودة والحقد، والاحتراز وسوء الظن، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، والتحدّث بالنعم شاكرًا والفخر بها. فإن الأول من كل ما ذُكِر محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلا القصد»[1] .

١٠ ـ النيّات تُحوّل العادات إلى عبادات:

إن صلاح النية وإخلاص الفؤاد للَّه رب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة.

وإن خبث الطوّية، يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسار.

والحق أن المرء ما دام قد أسلمّ للَّه وجهه وأخلص نيّته، فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظاته، تُحتسب خطوات إلى مرضاة اللَّه.

قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ: «ما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نيّة أو نيّات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئًا من الخطرات والخطوات واللحظات»[2] .

فالغافل من يغفل عن تحويل المباحات إلى طاعات، فمن أتى شيئًا من مباح الدنيا لم يُعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة بقدره، وناهيك خسرانًا بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى.

---

(١) انظر: «مقاصد المكلفين» ص(٦٩، ٧٠، ٧١).

(٢) «الإحياء» (٤/ ٣٢٣).

فالعاقل من يجمع بين إتيان المباحات ولا يُنقص من الأجر والحسنات بتحسين النيّات، ولهذا قال بعض العارفين من السلف: «إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء» وكل ذلك مما يكون أن يقصد به التقرب إلى اللَّه تعالى؛ لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين، كمن قصد من الأكل التقوّي على العبادة.

بل ويقضي شهواته ومع النيّة الصالحة تحوّل إلى طاعة وقربات فمن نوى بالوقاع تحصين دينه، وتطييب قلب أهله، والتوصل به إلى نسل صالح يعبد اللَّه تعالى بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ كان مطيعًا بأكله ونكاحه. قال ﷺ: **«وفي بضع أحدكم صدقة»**.

وأغلب حظوظ النفس من الأكل والوقاع قصد الخير بها غير ممتنع لمن غلب على قلبه همّ الآخرة.

● عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشفيت[1] منه على الموت، فقلت: يا رسول اللَّه! بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة واحدة، أفأتصدّق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**»، قال: أفتأصدق بشطره؟ قال: «**الثلث يا سعد، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون[2] الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه إلا آجرك اللَّه بها، حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك**»، قلت: يا رسول اللَّه! أخلّف بعد أصحابي[3]؟ قال: «**إنك**

(١) أي: أشرفت منه على الموت. انظر: «النهاية» (٢/ ٤٨٩).

(٢) العالة: الفقراء، جمع عائل، و«يتكففون الناس»: أي يمدون أكفهم إليهم ليسألوهم «النهاية» (٣/ ٣٣١)، و(٤/ ١٩٠).

(٣) قال النووي: «قال القاضي عياض: معناه أخلف بمكة بعد أصحابي، فقاله إمّا إشفاقًا من =

لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه اللَّه إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضرّ بك آخرون...»[١] .

● وعن أبي مسعود البدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها، كانت له صدقة**»[٢] .

● وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: بعث رسول اللَّه ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخْلاف[٣] ، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشرا ولا تنفِّرا**»، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريبًا من صاحبه أحدث به عهدًا فسلّم عليه، فسار معاذ في أرضه قريبًا من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جُمعت يداه إلى عنقه[٤] ، فقال له معاذ: يا عبداللَّه بن قيس[٥] أيَّمَ هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقتل، قال: إنما جيء به لذلك، فانزِل، قال: ما أنزل حتى يُقتل. فأُمِر به فقُتِل، ثم نزل فقال: يا

= موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها للَّه تعالى فخشي أن يقدح ذلك في هجرته أو ثوابه عليها، أو خشي بقاءه بمكة بعد انصراف النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وتخلفه عنهم بسبب المرض، وكانوا يكرهون الرجوع فيما تركوه للَّه تعالى، ولهذا جاء في رواية أخرى «أخلف عن هجرتي» انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (١١/ ٧٨).

(١) رواه البخاري حديث رقم (٥٦، ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٢٩٣٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢).

(٣) المخلاف: الإقليم.

(٤) أي: شُدَّت يداه ورُبطت مع رقبته.

(٥) هذا اسم أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ.

عبدالله! كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوّقه تفوقًا[1] قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»[2] .

ومعنى قوله: «فأحتسب نومتي: أي أنه يرجو الأجر في إراحة جسده بالنوم ليكون أنشط له في العبادة بعد قيامه من نومه، يرجو الأجر على ذلك مثلما يرجو الأجر على قيامه وتعبه في عبادة الله، وذلك لأن العمل المباح إذا فعله العبد ونوى بفعله إياه أن يستعين به على طاعة الله كان هذا المباح عبادة يثاب عليها العبد؛ لأنه ابتغى بذلك وجه الله تعالى[3] .

١١ ـ شرف النيات بباعثها وهو القلب :

يحق للنيّات أن تشرف بموجدها وباعثها وهو القلب؛ فالقلب سيد الأعضاء ومليكها، وهو الآمر الناهي، والأعضاء تطيعه، لا تعصي له أمرًا ولا تخرج عن حكمه، فهو منها بمنزلة الراعي من الرعية.

فإذا كان هذا شأن القلب فالنيّة وهي عمل قلبي لها فضل على الأعمال الظاهرة، وفضلها عليها كفضل القلب على الأعضاء الظاهرة.

☐ يقول علي القاري في هذا: «قال سهل: ما خلق الله تعالى مكانًا أعزّ وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن، وما أعطى كرامة للخلق أعزّ عنده من معرفته، فجعل الأعزّ في الأعزّ، فما نشأ في أعزّ الأمكنة يكون أعزّ مما

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٢): «أي ألازم قراءته ليلاً ونهارًا وشيئًا بعد شيء وحينًا بعد حين، مأخوذ من فواق الناقة، وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر، ثم تحلب، هكذا دائمًا».

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي ـ باب بعث معاذ وأبي موسى إلى اليمن قبل حجة الوداع «فتح الباري» (٨/ ٦٠، ٦٢، ٦٣) حديث رقم (٤٣٤١ ـ ٤٣٤٥).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٦٢)، و(١٢/ ٢٧٥).

نشأ من غيره. . .»[١].

١٢ ـ النيّة عمل السر وعمل السر أفضل من عمل العلانية:

النية خفية غير ظاهرة، فلا يستطيع العبد أن يرائي بنيته؛ لأن الناس لا اطلاع لهم على المستتر في القلوب، بخلاف الأعمال الظاهرة البيّنة فقد يداخلها الرياء، وكثير من الآفات التي تعرض للعمل الظاهر تأتي من هذا الداء الوبيل والآفة الماحقة، فالرياء يبطل الأعمال ويفسدها، ويخبث النفوس ويدسِّيها. فأما النية إن كانت صالحة فكما يقول ابن الجوزي: «من أصلح سريرته؛ فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فاللَّه اللَّه في السرائر؛ فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر»[٢].

١٣ ـ الجمع بين النيّات في العمل الواحد تجارة العلماء الرابحة:

❏ يقول أبو طالب المكي: «النية الصالحة هي أول العمل الصالح وأول العطاء من اللَّه تعالى وهو مكان الجزاء، وإنما يكون للعبد من ثواب الأعمال على حسب ما يهب اللَّه تعالى له من النيّات، فربما اتفق في العمل الواحد نيّات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النية، وعلى مقدار علم العامل، فيكون له بكل نية حسنة، ثم يضاعف كل حسنة عشر أمثالها؛ لأنها أعمال تجتمع في عملٍ»[٣].

❏ وقال الغزالي في «الإحياء»: «الطاعات مرتبطة بالنيّات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها، أما تضاعف الفضل: فبكثرة النيّات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب،

---

(١) «مقاصد المكلّفين» (٩٧، ٩٨).

(٢) «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص(٣٥٥).

(٣) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩).

إذ كل واحدة منها حسنة ثم تُضاعف كل حسنة عشر أمثالها.

□ ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيّات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقرّبين.

أولها: أن يعتقد أنه بيت اللّه وأنه داخله زائرًا للّه، فيقصد به زيارة مولاه عز وجل.

ثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ **وَرَابِطُوا** ﴾.

ثالثها: الاعتكاف، وكف السمع والبصر والأعضاء.

ورابعها: عكوف الهمّ على اللّه ولزوم السرّ للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد.

وخامسها: التجرد لذكر اللّه أو لاستماع ذكر وللتذكر به، فعن أبي أمامة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعمله كان له كأجر حاج تاما حجه»**(١).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ اللّه له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»**.

وسادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر، إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكًا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته.

---

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٣٢٣): إسناده جيد.

وسابعها: أن يستفيد أخًا في اللَّه فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة، والمسجد معشش أهل الدين المحبين للَّه وفي اللَّه.

وثامنها: أن يترك الذنوب حياء من اللَّه تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت اللَّه ما يقتضي هتك الحرمة، وقد قال الحسن بن علي - رضي اللَّه عنهما -: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه اللَّه إحدى سبع خصال: أخًا مستفادًا في اللَّه، أو رحمة مستنزلة، أو علمًا مستظرفًا، أو كلمة تدل على هدى، أو تصرفه عن ردي، أو يترك الذنوب خشية أو حياء».

* **مثال آخر**: استعمال الطيب مباح، ويمكن جمع النيّات الحسنة فيه: مثل أن ينوي به اتباع سنة رسول اللَّه ﷺ، وينوي بذلك أيضًا تعظيم المسجد واحترام بيت اللَّه فلا يرى أن يدخله زائرًا للَّه إلا طيب الرائحة، وأن يقصد به تعظيم وتوقير الملائكة، فإن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته برائحته، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون اللَّه بسببه، فمن تعرّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل:

إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلين همُ

وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر؛ فقد قال الشافعي - رحمه اللَّه -: «من طاب ريحه زاد عقله».

فهذا طريق تكثير النيّات، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جدّه في طلب الخير وتشمّره له وتفكره فيه. فبهذا تزكو الأعمال وتكثر الحسنات.

فهذا وأمثاله من النيّات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه»[١] فيا لعظم النيات.. ويا لكرم المولى الودود، ويا لعظم هذا الدين.

*** نيّة المرء خير من عمله:**

✍ لما مرّ نقول إن النيّة أفضل من العمل، وفي الحديث: «**نيّة المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته**»، وفي الحديث الآخر: «**نيّة المؤمن أبلغ من عمله**»[٢].

◻ قال أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٣١٠، ٣١١): «فيه عشرة أوجه:

- قيل: إن النيّة سرّ وأعمال السر تُضاعف.

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) حسن: قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص(٤٥٠): «حديث: «نية المؤمن أبلغ من عمله» أخرجه العسكري في «الأمثال»، والبيهقي في «الشعب» من جهة ثابت عن أنس به مرفوعًا، وقال ابن دحية: لا يصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف. انتهى. وله شواهد منها: عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا: «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيّته، وكل يعمل على نيّته، فإذا عمل المؤمن عملاً ثار في قلبه نور» أخرجه الطبراني، وكذا هو عنده وعند العسكري من حديث النواس بن سمعان ولفظ العسكري: «نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الفاجر شرّ من عمله»، وأخرجه الديلمي من حديث أبي موسى الأشعري بالجملة الأولى، وزاد: «إن اللّه عز وجل ليعطي العبد على نيّته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها، والعمل يخالطه الرياء». ثم قال السخاوي: «وهي وإن كانت ضعيفة فبمجموعها يتقوى الحديث، وقد أفردت فيه وفي معناه جزءًا، بل في «عاشر المجالسة» للدينوري إلمام ببعض ما وجه به فيراجع. ا.هـ من المقاصد بنصه. وقال علي القاري: قال الزركشي: سنده ضعيف، ثم قال: «وله طرق يتقوى بها» «تحسين الطوية». انظر «مقاصد المكلّفين» ص(١٠٣). وضعّفه الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ٣١٩).

- وقيل لأنها غيب لا يطّلع عليها غير اللَّه تعالى والظواهر مشتركة.

- وأيضًا فإن اللَّه عز وجل يهبها للعبد خالصة لا يشوبها شيء إذا وهبها، ولا يدخل عليها الآفات، فهذا عطاء مهيأ وسائر الأعمال مدّخر له.

- وأيضًا لأنها من شرط العمل حتى لا يصح عمل إلا بها، وهي تصحّ بمجردها. وكان عبدالرحيم بن يحيى الأسود يقول: معنى قوله: «نية المرء خير من عمله» يعني إخلاصه في العمل خير من العمل. قال: فالإخلاص بغير عمل خير من عمل غير مخلص، والنية عنده: هو الإخلاص نفسه.

- وقد قيل في معنى قوله: نية المؤمن خير من عمله لأن نيّة المؤمن دائمة ومتصلة والأعمال منقطعة.

- وبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة، وخلد أهل الشرك في النار لدوام نيّاتهم على التوحيد ودوام نيّات الآخرين على الشرك مدة الدهر.

فهذه المعاني كلها على هذا الوجه الذي يقول فيه: إنّ معناه أن النيّة خير من العمل.

- وفيه وجه آخر يكون الكلام فيه على التقديم والتأخير، أي نيّة المؤمن هي من عمله خير، كأنه قال: هي بعض أعماله الخير.

فيكون على هذا التأويل أن النيّة من أعمال القلوب، وأنها من أعمال العبد خير كثير. وهذه الأقوال كلها صحيحة، وهي موجودة في النيّة ففضلت النية العمل؛ لأن هذه المعاني من صفتها.

❐ قال بعض التابعين: قلوب الأبرار تغْلي بالبرّ وقلوب الفجّار تغلي بالفجور، واللَّه مطّلع على نيّاتهم فيثيبهم بقدر ذلك فانظر ما همك وما نيّتك».

* تعقيب للغزالي على قول أبي طالب المكي:

«اعلم أنه قد يُظَن أنّ سبب هذا الترجيح أنّ النية سر لا يطلع عليه إلا

اللَّه تعالى، والعمل ظاهر، ولعمل السر فضل، وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد؛ لأنه لو نوى أن يذكر اللَّه بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرًا من التفكر، وقد يظن أنّ سبب الترجيح أنّ النيّة تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف؛ لأنّ ذلك يرجع معناه إلى أنّ العمل الكثير خير من القليل، بل ليس كذلك فإن نيّة أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم، والعموم يقتضي أن تكون نيته خيرًا من عمله. وقد يقال: إنّ معناه أنّ النية بمجرّدها خير من العمل بمجرّده دون النية، وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد، إذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلاً والنية بمجرّدها خير؛ وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير، بل المعنى أنّ كل طاعة تنتظم بنية. وعمل، وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات، ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل، أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل، فمعناه: نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته، والغرض أن للعبد اختيارًا في النية وفي العمل، فهما عملان والنية من الجملة خيرهما؛ فهذا معناه»[1].

* كلام طيب لأديب الإسلام - مصطفى صادق الرافعي -:

❑ يقول الرافعي في كتابه «وحي القلم» تحت عنوان «نية المؤمن خير من عمله»: «إن نية المؤمن لا تنطوي إلا على الخير الكامل، فهو - ما دامت نيّته على صلاحها وسره على إخلاصه - لا يعد اليسير من الشر يسيرًا، ولا يرى الكثير من الخير كثيرًا؛ فالأصل القائم في تلك النية المؤمنة ألا يبدأ الشر كي لا يوجد، وألا ينتهي الخير كي لا يفنى، فالمؤمن من دلك على الخير

(١) «الإحياء» (٤/ ٣١٩).

والكمال أبدًا، في حين أن عمله بطبيعته الإنسانية يتناول الخير والشر جميعًا، ثم لا يكون إلا عملاً إنسانيًّا على نقص واضطراب والتواء.

ـ وقد لا يستطيع المؤمن أن يأتي الخير في بعض أحواله، ولكنه يستطيع دائمًا أن ينويه ويرغب فيه ويعزم عليه، ليحقق ضميره في كل ما يَهُمّ به، ويحصر أفكاره في قانون نيّته المؤمنة. وهذا هو الأساس في علم الأخلاق لا أساس من دونه.

ـ والنية من بعد هي حارس العمل؛ فكل إنسان يستطيع أن يذْعِن وأن يأبى، ومِن ثم تكون هذه النيّة ردًّا ومدافعة من ناحية، واستجابة ومطاوعة من الناحية الأخرى، فهي على الحقيقة متى صلحت كانت استقلالاً تامًّا للإرادة، وكانت مع ذلك ضبطًا لهذه الإرادة على حال واحدة هي التي ينتظم بها قانون المبدإ السامي.

ـ ثم إنه لا ضابط لصحة العمل واستقامته إلا النية الصحيحة المستقيمة؛ فالتزوير والتلبيس كلاهما سهل ميسور في الأعمال، ولكنهما مستحيلان في النية إذا خلصت.

ـ وهي كذلك ضابط للفضائل توجّه القلوب على اختلافها وتفاوتها اتجاها واحدًا لا يختلف، فيكون طريق ما بين الإنسان والإنسان، من ناحية الطريق ما بين الإنسان وبين اللَّه.

ـ وأشواق الروح بطبيعتها لا تنتهي، فيعرضها الجسم بجعل حاجاته غير منتهية؛ يحاول أن يطمس بهذه على تلك، وأن يغلّب الحيوانية على الروحانية، فإذا كانت النية مستيقظة كفّتْه وأماتت أكثر نزعاته، ووضعت لكل حاجة حدًّا ونهاية، وبذلك ترجع النية إلى أن تكون قوة في النفس يخرج بها الإنسان عن كثير مما يحدّه من جسمه، ليخرج بذلك عن كثير مما يحده من معاني الأرض..

ـ وهي بعد هذا كله تحمل الإنسان أن ينظر إلى واجبه كأنه رقيب حي في قلبه، لا يُرائيه ولا يجامله، ولا يُخَدع من تأويل، ولا يُغَرّ بفلسفة ولا تزيين، ولا يُسكته ما تُسوِّل النفس، ولا يزال دائمًا يقول للإنسان في قلبه: إن أكبر الخطأ أن تُنظِّم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.

ـ وجملة القول في معاني النية أنها قوة تجعل باطن الجسم متساوقًا مع ظاهره، فتتعاون الغرائز المختلفة في النفس تعاونًا سهلاً طبيعيًّا مطَّردًا، كما تتعاون أعضاء الجسم على اختلافها في اطرادٍ وسهولة وطبيعة»[1] .

* النيــة:

□ قال الرافعي: «أول النفس النية العاملة لآخرتها، وآخر النفس ما تؤدي إليه أعمال هذه النية؛ فليس في إنسان الدنيا إلا إنسان العالم الآخر؛ وبهذا يقدَّر صمته وكلامه، وحركته وسكونه، وما يأتي وما يَدَع، وما يحب وما يكره، إذ كل شيء منه على ذلك الاعتبار إنما هو صورة الحقيقة العاملة فيه»[2] .

□ قال المناوي في «نية المرء خير من عمله»: «لأن تخليد اللَّه العبد في الجنة ليس بعمله وإنما هو لنيّته؛ لأنه لو كان بعمله كان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو أضعافه لكنه جازاه بنيّته؛ لأن لو كان ناويًّا أن يطيع اللَّه أبدًا فلما اخترمته منيته جوزي بنيته، وكذا الكافر؛ لأنه لو جُوزي بعمله لم يستحق التخليد في النار إلا بقدر مدة كفره؛ لأنه نوى الإقامة على كفره أبدًا لو بقي فجوزي بنيته، ذكره بعضهم».

□ وقال الكرماني: المراد أن النيّة خير من العمل بلا نيّة إذ لو كان

(١) «وحي القلم».
(٢) «وحي القلم».

المراد: خير من عمل مع نيّة لزم كون الشيء خيراً من نفسه مع غيره، أو المراد أن الجزء الذي هو النية خير من الجزء الذي هو العمل لاستحالة دخول الرياء فيها، أو أن النية خير من جملة الخيرات الواقعة بعمله، أو أن النيّة فعل القلب، وفعل الأشرف أشرف، أو لأن القصد من الطاعة تنوير القلب، وتنويره بها أكثر لأنها صفته.

❑ وقال ابن الكمال: هذا ترجيح لعمل القلب على عمل الجوارح على ما دلّ عليه خبر الوزغة وقد أفصح عنه البيضاوي حيث قال في تفسير: ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**﴾ بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وثقته بربه ومن أجله تتفاوت الأعمال في مقادير الثواب؛ فالمعنى أن جنس النيّة راجح على جنس العمل بدلالة أن كلاً من الجنسين إذا انفرد عن الآخر يثاب على الأول دون الثاني وهذا لا يتمشى في حق الكافر» ا.هـ، وقال البعض: إنما قال النبي ؛ لأن النيّة عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وعمل القلب أبلغ وأنفع وهو أمير والجوارح رعية وعمل القلب أعظم وأبلغ؛ ولأن العمل يدخل تحت الحصر، والنيّة لا، إذ المتحقق في إيمانه عقد نيته على أن يطيع اللَّه ما أحياه ولو أماته ثم أحياه وثم ثم، وهذا اعتقاد منبرم مستدام فيترتب له من الجزاء على نيته ما لا يترتب له على عمله؛ وقال بعضهم: معناه أن المؤمن كلما عمل خيراً نوى أن يعمل ما هو خير منه، فليس لنيته في الخير منتهى، والفاجر كلما عمل شرًّا نوى أن يعمل ما هو شر منه فليس لنيته في الشر منتهى»[1] .

❑ وقال المناوي: «إن النيّة بانفرادها توصل إلى ما لا يوصله العمل بانفراده؛ ولأنها هي التي تقلب العمل الصالح فاسداً والفاسد صالحًا مثابًا

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

عليه ويثاب عليها أضعاف ما يثاب على العمل، ويُعاقب عليها أضعاف ما يعاقب عليه فكانت أبلغ وأنفع، وقيل: إذا فسدت النيّة وقعت البلية.

ومن الناس من تكون نيته وهمته أجلّ من الدنيا وما عليها، وآخر نيته وهمته مِن أخس نيّة وهمّة، فالنيّة تبلغ بصاحبها في الخير والشر ما لا يبلغه عمله، فأين نيّة من طلب العلم وعلّمه ليصلي اللَّه عليه وملائكته وتستغفر له دواب البر وحيتان البحر إلى نيّة من طلبه لمأكل أو وظيفة كتدريس، وسبحان اللَّه كم بين من يريد بعلمه وجه اللَّه والنظر إليه وسماع كلامه وتسليمه عليه في جنة عدن وبين من يطلب حظًّا خسيسًا كتدريس أو غيره من العرض الفاني»(١) .

❑ قال المناوي: «قال الحكيم: والنيّة نهوض القلب إلى اللَّه وبدوها خاطر ثم المشيئة ثم الإرادة ثم النهوض ثم اللحوق إلى اللَّه تعالى مرتحلاً بعقله وعمله وذهنه وهمته وعزمه، فمن هنا تتم النية ومنه يخرج إلى الأركان، فيظهر على الجوارح فعله، وإذا صحّ العزم خرج الرياء والفخر والخيلاء من جميع أعماله وبلغ مقام الأقوياء.

وأما غير الكامل فصدره مرج من المروج ملتف فيه من النبات ما إذا تخطى فيه يكاد لا يستبين موضع قدمه أن يضعه من كثرة النفاق، فهذا صدر فيه أشغال النفس وفنونها ووساوس شهواتها فمن أين يأتي النور؟ وإنما يستنير قلب أجرد أزهر في صدره فسح، قد شرحه اللَّه للإسلام فهو على نور من ربه، رطب بذكر اللَّه ورحمته، وصلب بآلاء اللَّه.

والناس في هذه النيّة على طبقات: أما نيّة العامة فارتحالهم إلى اللَّه بهذا العلم والعقل والذهن والهمة والعزم فمبلغ ارتحالهم، ثم ليس لقلوبهم من القوة ما يرتحلون به فيطيرون لأنه لا ريش لقلوبهم والمحو مسدود؛ لأن

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٢٩٢).

القلوب لمّا مالت إلى النفوس وإطاعتها انسدّ طريقها إلى ربها، وأما العارفون فنيّاتهم صارت كلها نيّة واحدة؛ لأن القلب ارتحل إلى اللّه ووجد الطريق إليه فمرّ والقلب أمير والنفس أسير»[١].

*** النيّـة في كل شيء:**

❑ «قال الثوري لعلي بن الحسن: «اعمل بنيّة، وكُلْ بنيّة واشرب بنيّة».

❑ وعن ابن المبارك سألت الثوري عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته قال: ينوي أن يناجي ربه.

❑ وعن مكي بن إبراهيم قال: دخلت على سفيان بن سعيد يومًا وبين يديه رغيف وكفّ زبيب ـ أو حفنة ـ فقال لي: ادن يا مكيّ، قلت: يا أبا عبداللّه دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تَدْعُني قبلها، قال: اليوم حضرتني النيّة»[٢].

❑ وعن عمر بن ذر قال: ربما قيل لإبراهيم التيمي: تكلم! فيقول: ما تحضرني نيّة»[٣].

❑ وقالت أخت داود الطائي له: لو انتقلت من الشمس إلى الظل فقال لها: هذي خطى لا أدري كيف تُحسب.

*** أقوال في النيّـة:**

❑ قال سفيان الثوري: «عليك بتقوى اللّه ولسان صادق ونيّة خالصة، وأعمال شتى صالحة، ليس فيها غش ولا خدعة، فإن اللّه يراك وإن لم تكن تراه، وهو معك أينما كنت، لا يسقط عليه شيء من أمرك، ولا تخدع اللّه فيخدعك، فإنه من يخادع اللّه يخدعه، ويخلع عنه الإيمان ونفسه لا

(١) «فيض القدير» (٦/ ٢٩٢).
(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٤٠٢، ٤٠٣).
(٣) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٨٨).

تشعر.. وأحسن سريرتك يحسن اللَّه علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين اللَّه يصلح اللَّه فيما بينك وبين الناس»[١] .

* **تفقّد نيتك وراعِها** :

❑ قال نعيم بن حمّاد: ضرب السياط أهون علينا من النيّة الصالحة.

❑ وقال المناوي: «قال الغزالي: الشأن في صحّة النيّة فهي معدن غرور الجُهّال ومَزَلّة أقدام الرجال»[٢] .

* **أخي من لك أن تسلم نيتك ؟** :

عن إسماعيل بن أبي حكيم ـ وكان كاتب عمر بن عبدالعزيز بالمدينة ـ ولم يزل معه بالشام ـ قال: دخل عبدالملك على أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من ردّ المظالم؟ قال: عَلَى إنفاذه، فرفع عمر يديه، ثم قال: الحمد للَّه الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بني، أصلي الظهر إن شاء اللَّه، ثم أصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس، فقال عبدالملك: يا أمير المؤمنين، مَن لك بالظهر، ومَنْ لك يا أمير المؤمنين إن بقيت أن تسلم لك نيتك للظهر؟ قال عمر: فقد تفرّق الناس للقائلة، فقال عبدالملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة جامعة حتى يجتمع الناس، فأمر مناديه فنادى، فاجتمع الناس وقد جيء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب وفي يد عمر جلم يقصه حتى نودي بالظهر[٣] .

✍ فانظر إلى كلام الأكابر وكيف أخلصوا ومحّصوا نيّاتهم.

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٣٠١): «ينبغي لكل عامل أن

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧).

(٢) «فيض القدير» (٦/ ٤٤).

(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٤٤).

يقصد بعمله وجه اللَّه لا سيما العلم فلا يقصد به توصلاً إلى غرض دنيوي كمال أو جاه أو شهرة أو سمعة بل يمحص قصده للَّه قال الشريف السمهودي: قال لي شيخنا شيخ الإسلام الشرف المناوي: إنه كان كلما يخرج إلى الدرس يقف بدهليزه حتى يُحَصِّل النية ويصححها ثم يحضر» ا.هـ.

*** النيـّة نوعـان:**

◻ قال المناوي: «قال ابن القيم: النيّة نوعان:

- نوع يتعلق بالمعبود. - ونوع يتعلق بالعباد.

فالأول: نيّة تتضمن إفراد المعبود وهي نيّة الإخلاص الذي هو روح العمل ومواكب العبودية وبها أمر الأولون والآخرون ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ**﴾.

الثاني: تمييز العبادة عن العادة ومراتب العبادة. اهـ.»[1].

*** النية من جنس الإرادات والعزوم وليست من جنس العلوم:**

ذهب بعض الشيعة ومنهم نصير الدين الطوسي إلى أن النيّة من جنس العلوم وخالف بعضهم.

أما أهل السنة والجماعة فيكادون يجمعون على أن النيّة من جنس الإرادات والعزوم فقد فسّروها بالقصد أو العزم أو الإرادة.

وممّن نصّ على ذلك صراحة القرافي ـ رحمه اللَّه ـ قال: «والنيّة من باب العزوم والإرادات، لا من باب العلوم والاعتقادات»، وأقر النووي عبارة القرافي[2].

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٣٠١).

(٢) «نهاية الأحكام في بيان ما للنيّة من الأحكام» ص(٣٥).

□ قال ابن تيمية: «والنية من جنس القصد والإرادة»[١] .

□ وقال الطيبي من الأحناف: «النيّة معنى وراء العلم فهي نوع إرادة كالقصد»[٢] .

فالنية هي الإرادة، وكون الناوي لا بد أن يعلم ما سينويه صحيح، لأن النية وإن كانت إرادة وقصدًا إلاّ أنها لا يمكن أن تحصل أو تقع مع الجهل، فالنيّة تتبع العلم، فمن علم ما يريد فعله فلا بد أن ينويه ضرورة، وإذا جهل الأمر فكيف ينويه؟ أما القول بأن مطلق العلم بالشيء نيّة فهو خطأ بيّن، وإلا لزم من علم الكفر أن يكون كافرًا مع أن الذي ينوي الكفر كافر[٣] »[٤] .

*** هل للإنسان سلطانٌ على نيّته وقصده:**

هل يمكن للإنسان أن يوجِّه نيّته الوجهة التي يريد، إذا شاء أن يكون مخلصًا وهل يتحقق ذلك تلقائيًّا.

□ يقول الغزالي: «اعلم أنّ الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله ﷺ: «**إنّما الأعمالُ بالنيات**»، فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله: نويت أن أدرّس للَّه أو آكل للَّه. ويظنّ ذلك نيّة وهيهات! فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزل من جميع ذلك. وإنما النيّة انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أنّ فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً.

والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرّد الإرادة، بل ذلك

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٨/ ٢٥١)، و«شرح إنما الأعمال بالنيات» ص(١٢).
(٢) «البحر الرائق» (١/ ٢٥).
(٣) «حاشية ابن عابدين» (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).
(٤) «مقاصد المكلفين» (٣٨ ـ ٣٩).

كقول الشبعان: نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه، أو قول الفارغ: نويت أن أعشق فلانًا وأحبه وأعظمه بقلبي، فذلك محال. بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه. وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها، وما لم يعتقد الإنسان أنّ غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده. وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين، وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغًا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت، والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع، ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال. فإذا غلبت شهوة النكاح مثلاً ولم يعتقد غرضًا صحيحًا في الولد دينًا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة، إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة، فكيف ينوي الولد؟ وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح اتباعًا لرسول اللَّه ﷺ يعظم فضلها لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه، وهو حديث محض ليس بنية. نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوي أوّلاً إيمانه بالشرع ويقوي إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد ﷺ، ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره، فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحرّكه تلك الرغبة وتتحرّك أعضاؤه لمباشرة العقد، فإذا انتهضت القدرة المحرّكة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويًا، فإن لم يكن كذلك فما يقدّره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان.

ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم

النية وكانوا يقولون: ليس تحضرنا فيه نيّة، حتى أن ابن سيرين لم يصلِّ على جنازة الحسن البصري وقال: ليس تحضرني نية. ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدري، فقالت: أجيء بالمرآة؟ فسكت ساعة، ثم قال: نعم، فقيل له في ذلك فقال: كان لي في المدري نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها اللَّه تعالى. ومات حماد بن سليمان ـ وكان أحد علماء أهل الكوفة ـ فقيل للثوري: ألا تشهد جنازته؟ فقال: لو كان لي نية لفعلت. وكان أحدهم إذا سئل عملاً من أعمال البر يقول: إن رزقني اللَّه تعالى نية فعلت. وكان طاوس لا يحدّث إلا بنية، وكان يُسأل أن يحدّث فلا يحدّث، ولا يسأل فيبتدئ! فقيل له في ذلك قال: أفتحبون أن أحدّث بغير نية؟ إذا حضرتني نية فعلت. وحكي أنّ داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل، جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحًا ورده فقال ما لك؟ قال: فيه أسانيد ضعاف، فقال له داود: أنا لم أخرجه على الأسانيد، فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت، قال أحمد: فرده عليّ حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلاً ثم قال: جزاك اللَّه خيرًا فقد انتفعت به. وقيل لطاوس: ادع لنا! فقال: حتى أجد له نية. وقال بعضهم: أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد. وقال عيسى بن كثير: مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه: ألا تعرض عليه العشاء؟ قال: ليس من نيتي.

وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية، وكانوا لا يرون أن يعملوا عملاً إلا بنية لعلمهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب، وعلموا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه: نويت، بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح

من اللَّه تعالى، فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها. نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات، فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلي التفاصيل غالبًا. ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهد جهيد، وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته. وأما الطاعة على نية إجلال اللَّه تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا، وهذه أعز النيات وأعلاها، ويعز على بسيط الأرض من يفهمها فضلاً عمن يتعاطاها»[١].

❑ قال الشيخ عمر الأشقر: «وممن نصّ على هذه الحقيقة وأدركها العلامة ابن خلدون قال: «الأعمال الظاهرة كلها في زمام الاختيار، وتحت طوع القدرة البشرية، وأعمال الباطن في الأكثر خارجة عن الاختيار متعاصية على الحكم البشري، إذ لا سلطان له على الباطن».

فإذا كان العبد ليس له سلطان على نيته، فكيف يُؤمر أن يوجهها توجيهًا معينًا؟! كيف يأمرنا الشارع بالإخلاص ويجعله أعظم التكاليف الشرعية؟! ونحن نعلم أن شرط التكليف أو سببه قدرة المُكَلَّف على المُكَلَّف به، فما لا قدرة للمكلَّف عليه لا يصح التكليف به شرعًا، وإن جاز عقلاً!! أجاب الشاطبي عن هذه القضية ووضّحها قائلاً: «إذا ظهر من الشارع في بادئ الرأي القصد إلى التكليف بما لا يدخل تحت قدرة العبد فذلك راجع في التحقيق إلى سوابقه أو لواحقه أو قرائنه، فقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

وقوله في الحديث: «**كُن عبداللَّه المقتول، ولا تكن عبداللَّه القاتل**»[(١)] ، وقوله: «**لا تمت وأنت ظالم**»، وما كان نحو ذلك، ليس المطلوب منه إلا ما يدخل تحت القدرة، وهو الإسلام وترك الظلم والكفّ عن القتل والتسليم لأمر اللَّه تعالى، وكذلك سائر ما كان من هذا القبيل»[(٢)] .

وعلى ذلك فيكون التكليف بتوجيه العبد نيته إلى الإخلاص وقصد اللَّه دون سواه باكتساب الأسباب التي تؤدي إلى ذلك، بأن يتعرّف على اللَّه، ويتملّى في بديع صنعه، وعظيم نعمه، ويتعرّف إلى صفاته، وينظر في عظيم ثواب الطائع، وعظيم عقوبة العاصي، وينظر في الفوائد التي تعود عليه من الطاعات في الدنيا والآخرة، فعند ذلك تنبعث النفس إلى العمل بطاعة اللَّه صادقة مخلصة. وإذا كان الغالب على العبد أمر الدين، وامتلأ قلبه بحب اللَّه وخوفه ورجائه سهل عليه استحضار النيّة؛ لأن قلبه مائل إلى الخير باستمرار، أما الذي يميل قلبه إلى الدنيا دائمًا فإنه يصعب عليه الإخلاص»[(٣)].

* الأعمال المتعلّقة بالنيّة:

اعلم أنّ الأعمال وإن انقسمت أقسامًا كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر إحصاؤه واستقصاؤه ـ فهي ثلاثة أقسام: معاص وطاعات ومباحات.

القسم الأول: المعاصي، وهي لا تتغير عن موضعها بالنية، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام: «**إنما الأعمال بالنيات**» فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية، كالذي يغتاب إنسانًا مراعاة لقلب غيره،

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥/١٠١).

(٢) «الموافقات» (٢/٧٨).

(٣) «مقاصد المكلفين» لعمر الأشقر ص(٣٩ ـ ٤١).

أو يطعم فقيراً من مال غيره، أو يبني مدرسة أو مسجدًا أو رباطًا بمال حرام؛ وقصده الخير. فهذا كله جهل، والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلمًا وعدوانًا ومعصية. بل قصده الخير بالشر ـ على خلاف مقتضى الشرع ـ شيء آخر، فإن عرفه فهو معاند للشرع، وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم، والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع، فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً؟ هيهات، بل المروّج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى؛ فإنّ القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل، ولذلك قال سهل ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ما عصي اللَّه تعالى بمعصية أعظم من الجهل! قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئًا أشد من الجهل؟ قال: نعم الجهل بالجهل. وهو كما قال؛ لأنّ الجهل بالجهل يسدّ بالكلية باب التعلم، فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم؟ وكذلك أفضل ما أطيع اللَّه تعالى به العلم، ورأس العلم: العلم بالعلم، كما أنّ رأس الجهل: الجهل بالجهل. فإنّ من لا يعلم العلم النافع من العلم الضارّ اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم، والمقصود أنّ من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم. وقد قال اللَّه سبحانه: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾.

ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار؛ المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين، فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق اللَّه تعالى، وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبًا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ

الناس بسبب مشاهدته على معاصي اللَّه تعالى، ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضًا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى، ويتسلسل ذلك، ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده، ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه، فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلاً وألفي سنة، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، ثم العجب من جهله حيث يقول: «**إنما الأعمال بالنيات**» وقد قصدت بذلك نشر علم الدين؛ فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير. وإنما حب الرئاسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه، والشيطان بواسطة حب الرئاسة يلبس عليه. وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفًا لقاطع طريق وأعدّ له خيلاً وأسبابًا يستعين بها على مقصوده؛ ويقول: إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق اللَّه الجميلة، وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل اللَّه تعالى، فإن إعداد الخيل والرباط والقوّة للغزاة من أفضل القربات، فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي. وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى اللَّه تعالى. فليت شعري لِمَ حَرُم هذا السخاء؟ ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمدّه بغيره؟ والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء اللَّه تعالى وقد يعاون به أعداء اللَّه عز وجل وهو الهوى! فمن لا يزال مؤثرًا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته؟ بل لم يزل علماء السلف رحمهم اللَّه تعالى يتفقدون أحوال من يتردد إليهم، فلو رأوا منه تقصيرًا في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه، وإذا رأوا منه فجورًا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن

مجالسهم وتركوا تكليمه فضلاً عن تعليمه، لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر، وقد تعوّذ جميع السلف باللَّه تعالى من الفاجر العالم بالسنة وما تعوّذوا من الفاجر الجاهل، حكي عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ أنه كان يتردد إليه سنين، ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه، فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره، حتى قال: بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم. فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم. وهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير، أعني الفضل من العلوم التي تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها، بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدّم على الأقران.

فإن قوله ﷺ: «**إنّما الأعمالُ بالنياتِ**» يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي؛ إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد، فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها.

القسم الثاني: الطاعات. وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها. أما الأصل؛ فهو أن ينوي بها عبادة اللَّه تعالى لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية. وأما تضاعف الفضل: فبكثرة النيات الحسنة فإنّ الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها.

فهذا طريق تكثير النيات، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جدّه في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه. فبهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات.

القسم الثالث: المباحات. وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئًا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة أنه لم فعله وما الذي قصد به؟

والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيّات فيها، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرّب إلى اللَّه تعالى، فإياك ثم إياك أن تستحقر شيئًا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعدّ جوابها يوم السؤال والحساب»[1].

وعظ الحسن يومًا فانتحب رجل، فقال الحسن: «أما واللَّه ليسألنك اللَّه ما أردت بهذا»[2].

*** قدِّموا النية، وانووا الخير:**

□ قال سفيان الثوري: «ما ضعف بدن قط عن مبلغ نيّته، فقدّموا النيّة ثم اتبعوها»[3].

✍ **أخي**: من خلصت نيّته كفاه اللَّه ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم اللَّه من قلبه شانه اللَّه.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٥) باختصار.

(٢) «الزهد» لهناد بن السري ص(٤٣٤ ـ ٤٤٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٥٤).

❑ قال إبراهيم النخعي: «إن الرجل ليتكلم بالكلام، على كلامه المقت، ينوي فيه الخير، فيُلقي اللَّه عز وجل له العذر في قلوب الناس، حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا إلا الخير، وإن الرجل يتكلم بالكلام الحسن لا يريد به الخير فيُلقي اللَّه عز وجل له في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا الخير»(١).

❑ قال الإمام أحمد لابنه: «يا بُنيّ انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»(٢).

● عن ميمونة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من ادَّان دينًا ينوي قضاءَه أدّاه اللَّه عنه يوم القيامة**»(٣).

* النية سبب عظيم للتوفيق قال تعالى: ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء: ٣٥].

وحسبك من فضل النيّة أن نقصّ عليك قول الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ وقول أعلم الأمة بالحلال والحرام عن حسن النيّة لخالد بن الوليد ـ رضي اللَّه عنه ـ:

*** ليهنك أبا سليمان النية والحظوة:**

أمر الصديق خالد بالتوجه لقتال الروم في الشام، وأثنى على خالد ثناءً عطرًا، فقال: «إنه لم يُشج الجموع من الناس ـ بعون اللَّه ـ شجاكٍ، ولم ينزع الشجيُّ من الناس نَزْعك، فليهنك أبا سليمان النيّة والحظوة، فأتمِمْ يُتمم

(١) إسناده صحيح.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٢٧٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وكذا رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٨٦).

اللَّه لك، ولا يدخلنك عُجْب فتخسر وتخذل، وإياك أن تُدِلّ بعمل، فإن اللَّه له المنّ، وهو وليّ الجزاء»[١] .

وفي يوم اليرموك وقف معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - وقال للناس مثنيًا على خالد - رضي اللَّه عنه -: «أما واللَّه إن أطعتموه، لتطيعُنّ مبارك الأمر، ميمون النقيبة، عظيم الغناء، حسن الحسبة والنيّة». وقال أيضًا عن خالد: «أما إني لأرجو أن اللَّه قد أعطاه بصيرة على جهاد المشركين وشدّته عليهم وجهاده إياهم، مع حسن بصيرته وحسن نيته وإعزاز دينه أحسن الثواب، وأن يكون من أفضلنا بذلك عملاً».

*** وانظر ماذا فعل الذين يريدون وجه اللَّه:**

«في سنة ثمان وثمانين غزا الصائفة مسلمة بن عبدالملك، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبدالملك، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن «طوانة» في جمادى من هذه السنة - وكان حصنًا منيعًا - اقتتل الناس عنده قتالاً عظيمًا، ثم حمل المسلمون على النصارى، فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين، فانهزم المسلمون، ولم يبق أحد منهم في موقفه، إلا العباس بن الوليد ومعه ابن مُحَيْريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز: أين قرّاء القرآن الذين يريدون وجه اللَّه عز وجل؟ فقال: نادهم يأتوك. فنادى: يا أهل القرآن، فتراجع الناس فحملوا على النصارى، فكسروهم ولجئوا إلى الحصن، فحاصروهم حتى فتحوه»[٢] .

*** وإنك لتعلم ما نريد:**

وانظر إلى أبي الحسن علي بن محمد بن بشار العالم الزاهد الذي روى

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٨٤).
(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٧٩).

عن أبي بكر المرّوذي، وصالح بن أحمد، وكان المشايخ كالبربهاري والخلاّل يعظّمونه ويقصدونه، وكانت له كرامات. وكان يذكِّر الناس فيفتتح كلامه فيقولُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]، فسأله رجل: ما الذي تريد؟ فقال: هو يعلم أني ما أريد من الدنيا والآخرة سواه»[١].

«كلمات في النيّة»

❑ قال الإمام النووي: «النيّة معيار لتصحيح الأعمال فحيث صلحت النيّة صلح العمل وحيث فسدت فسد العمل».

❑ وقال ابن رجب: «صلاح العمل وفساده، بحسب النيّة المقتضية لإيجاده».

❑ وقال داود الطائي: «رأيت الخير كله إنما يجمعه حُسن النيّة وكفاك بها خيراً».

❑ وقال ابن المبارك: «رب عمل صغير تعظّمه النيّة، ورب عمل كبير تصغّره النية».

❑ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أحب لكل من عمل عملاً من صلاة أو صيام أو صدقة أو نوع من أنواع البر أن تكون النيّة متقدمة في ذلك قبل الفعل».

❑ وقال الفضيل بن عياض: «إنما يريد اللَّه عزّ وجل منك نيتك وإرادتك».

❑ وقال الشيخ علي سلطان القاري: «اعلم أن عدم وصول المريد[٢] إلى

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٦٨٤).

(٢) مصطلح صوفي، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

النهاية، لعدم تصحيح النيّة في البداية، فعدم الوصول لفقد الأصول»[١] .
فصحِّح النيّة بالهمة العلية.

❑ قيل لحبيب بن أبي ثابت التابعي مفتي أهل الكوفة والمعوّل عليه عندهم: حدّثنا عن أشق شيء؟ قال: مجيء النيّة.

❑ وقال يوسف بن أسباط: «تخليص النيّة من فسادها أشدّ على العاملين من طول الاجتهاد».

❑ ولِلَّه در القائل: بحسن النية تقهرون الهوى، وبترك الشهوات تصفو أعمالكم.

* **استسقوا بإصلاح نيّاتكم.. بقلوب سماوية لا بقلوب أرضية:**

❑ قال أبو محمد الصلحي الكاتب: «نادى منادي المتقي في زمن خلافته في الأسواق: إن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيته: أن امرأة صالحة رأت النبي ﷺ في منامها، فشكت احتباس القطر[٢] ، فقال لها: قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى، ويستسقون ويدعون اللَّه، فإنه يسقيهم في يومهم، وإن أمير المؤمنين يأمركم معاشر المسلمين بالخروج في يوم الثلاثاء، كما أمركم رسول اللَّه ﷺ ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نيّاتكم، وإقلاع من ذنوبكم.

قال: فأخبرني الجم الغفير أنهم لمّا سمعوا النداء ضجّت الأسواق بالبكاء والدعاء. فشقّ ذلك عليّ، وقلت: منام امرأة لا يُدرى كيف تأويله، وهل يصح أم لا، يُنادي به خليفة في أسواق مدينة السلام؟ فإنْ لم يسقوا

---

(١) «تطهير الطوية بتحسين النية» لعلي سلطان القاري ص(٦٠) ـ المكتب الإسلامي ودار عمار.

(٢) القطر: المطر.

كيف يكون حالنا مع الكفار؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا. وما مازلت قلقًا حتى أتى يوم الثلاثاء، فقيل لي: إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبدالملك، إمام الجامع، وخرج أكثر أصحاب السلطان، والفقهاء والأشراف.

فلما كان قبل الظهر، ارتفعت سحابة، ثم طبّقت الآفاق، ثم أسبلت عزاليها[١] بمطر جود[٢]. فرجع الناس حفاة من الوحل»[٣].

□ وجاء في ترجمة «سعدون المجنون»:

«قال عطاء السلمي: احتبس علينا القطر بالبصرة فخرجنا نستسقي، وإذا بسعدون المجنون، فلما أبصرني قال: يا عطاء إلى أين؟ قلت: خرجنا نستسقي. قال: بقلوب سماوية أم بقلوب أرضية؟ قلت: بقلوب سماوية. قال: لا تبهرج فإن الناقد بصير. قلت: ما هو إلا ما حكيت لك، فاستسق لنا. فرفع رأسه إلى السماء وقال: أقسمتُ عليك إلاّ سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول:

أيا من كلما نودي أجابا ... ومن بجلاله ينشي السحابا
ويا مَن كلّم الصدّيق موسى ... كلاما ثم ألهمه الصوابا
ويا مَن رَدّ يوسف بعد ضر ... على من كان ينتحب انتحابا
ويا من خصّ أحمد واصطفاه ... وأعطاه الرسالة والكتابا

اسقنا، فأرسلت السماء شآبيب كأفواه القرب»[٤].

---

(١) عزاليها: إشارة إلى شدة وقع المطر.

(٢) المطر الجود: المطر الغزير.

(٣) «الكامل» لابن الأثير (٨/ ٣٧٧)، و«المنتظم في تاريخ الأمم» لابن الجوزي (٦/ ٣١٩).

(٤) «فوات الوفيات» ابن شاكر الكتبي (٢/ ٤٨ ـ ٤٩).

* نور الدين زنكي لا يفعل شيئًا إلا بنيّة صالحة:

قال ابن الأثير: «كان رحمه اللَّه لا يفعل فعلاً إلا بنيّة حسنة، كان بالجزيرة رجل صالح، كثير العبادة والورع، شديد الانقطاع عن الناس، وكان نور الدين يكاتبه ويراسله، ويرجع إلى قوله، فبلغه أن نور الدين يُدمن اللعب بالكرة، فكتب إليه يقول له: ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذِّب الخيل لغير فائدة دينية، فكتب إليه نور الدين - رحمه اللَّه - بخط يده - يقول: «واللَّه ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنما نحن في ثغر والعدو قريب منا، وبينما نحن جلوس، إذ يقع صوت فنركب في الطلب، ولا يمكننا أيضًا ملازمة الجهاد ليلاً ونهارًا، شتاءً وصيفًا، إذ لا بد من الراحة للجند، ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جمامًا(١) لا قُدرة لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها أيضًا بسرعة الانعطاف والكرّ والفرّ في المعركة، فنحن نركبها ونروّضها بهذا اللعب، فيذهب جَمَامُها، وتتعوّد سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب، فهذا واللَّه الذي يبعثني على اللعب بالكرة».

قال ابن الأثير: فانظر إلى هذا الملك المعدوم النظير، الذي يَقِلُّ في أصحاب الزوايا المنقطعين إلى العبادة مثله، فإن من يجيء إلى اللعب يفعله بنية صالحة، حتى يصير من أعظم العبادات وأكثر القربات - يقلُّ في العالم مثله، وفيه دليل على أنه كان لا يفعل شيئًا إلا بنيّة صالحة، وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين».

* * *

(١) الجَمام: الراحة، وجمَّ الفرس: تُرِك ولم يُركب.

*** إيهٍ صلاح الدين.. طوية ما أطهرها، ونفس ما أشجعها وأجسرها!!**

□ قال القاضي ابن شداد عن صلاح الدين:

«في سنة أربع وثمانين ـ لما ودّع أخاه وعسكر مصر بعسقلان ـ، سرنا على الساحل طالبين عكا، وكان الزمان شتاء عظيمًا، والبحر هائجًا هيجانًا عظيمًا، وموجه كالجبال كما قال اللَّه، وكنت حديث عهد برؤية البحر، فعظم أمر البحر عندي، حتى خُيِّل لي أنني لو قال لي قادر: لو جُزْتَ في البحر ميلاً واحدًا ملّكتك الدنيا لما كنتُ أفعل، واستخففتُ رأي من يركب البحر رجاء كسب دينار أو درهم، هذا كله خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر وتموّجه، فبينا أنا في ذلك، إذ التفت إليّ، وقال: في نفسي أنه متى يسّر اللَّه تعالى فتح بقية الساحل قسّمت البلاد، وأوصيتُ وودّعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره أتبعهم فيها، حتى لا أُبقي على وجه الأرض مَن يكفر باللَّه، أو أموت. قال: فعظم وقع هذا الكلام عندي، حيث ناقض ما كان يخطر لي، وقلت له: ليس في الأرض أشجع نفسًا من المولى، ولا أقوى نيّة في نصرة دين اللَّه، وحكيت له ما خطر لي، ثم قلتُ له: ما هذه إلا نيّة جميلة، ولكن المولى يسيِّر في البحر العساكر وهو سور الإسلام، ولا ينبغي أن يخاطر بنفسه. فقال: أنا أستفتيك، ما أشرف المِيْتات؟ فقلت: الموت في سبيل اللَّه. فقال: «غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتات».

قال: فانظر إلى هذه الطويّة، ما أطهرها! وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجسرها! اللَّهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك رجاء رحمتك، فارحمه»[1].

(١) «عيون الروضتين» (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١١).

* **الفرق بين النيّة والأمل:**

□ قال الحكيم الترمذي: «**النيّة**: نهوض القلب قاصدًا إلى اللَّه عز وجل مبتغيًا بسعيه وجه اللَّه تعالى، يُقال في اللغة: ناء ينوء، أي: نهض ينهض، فإن طالت المدة في نيته أن يقصد بقلبه العمل إلى سنة أو إلى مدة طويلة لم يكن ذلك بأمل في الدنيا.

والأمل: أن يحدث نفسه بالأجل في مدة طويلة جزافًا وهو لا يعلم ذلك، وقد علم أنه غُيّب عنه ذلك، وإنما هي أنفاس معدودة لا يدري متى تنفد، فإذا نفدت لم تزد نفسًا واحدًا قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا**﴾ [المنافقون: ١١]، وقال: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤]. فإذا حدّثت النفس في ذاتها بهذه المدة الطويلة استمرّت في شهواتها ونهمتها، فطول الأمل يجرّئه على قضاء النهمات، ويمنيه التوبة، فإذا قصر الأمل بما ورد عليه من الخبر عن اللَّه تعالى بقوله: ﴿**إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا**﴾ انقطع طول أمله فقصر، فعلى قدر ما يعي قلبه من هذا الخبر ينقطع من أمله.. فحديث النفس بمدة الأجل هو أمل، وحديث القلب بمدة الأجل هو نيّة، لأن حديث النفس بذلك لقضاء النهمة والشهوة، وحديث القلب بذلك لقضاء الحقوق والقيام بها.

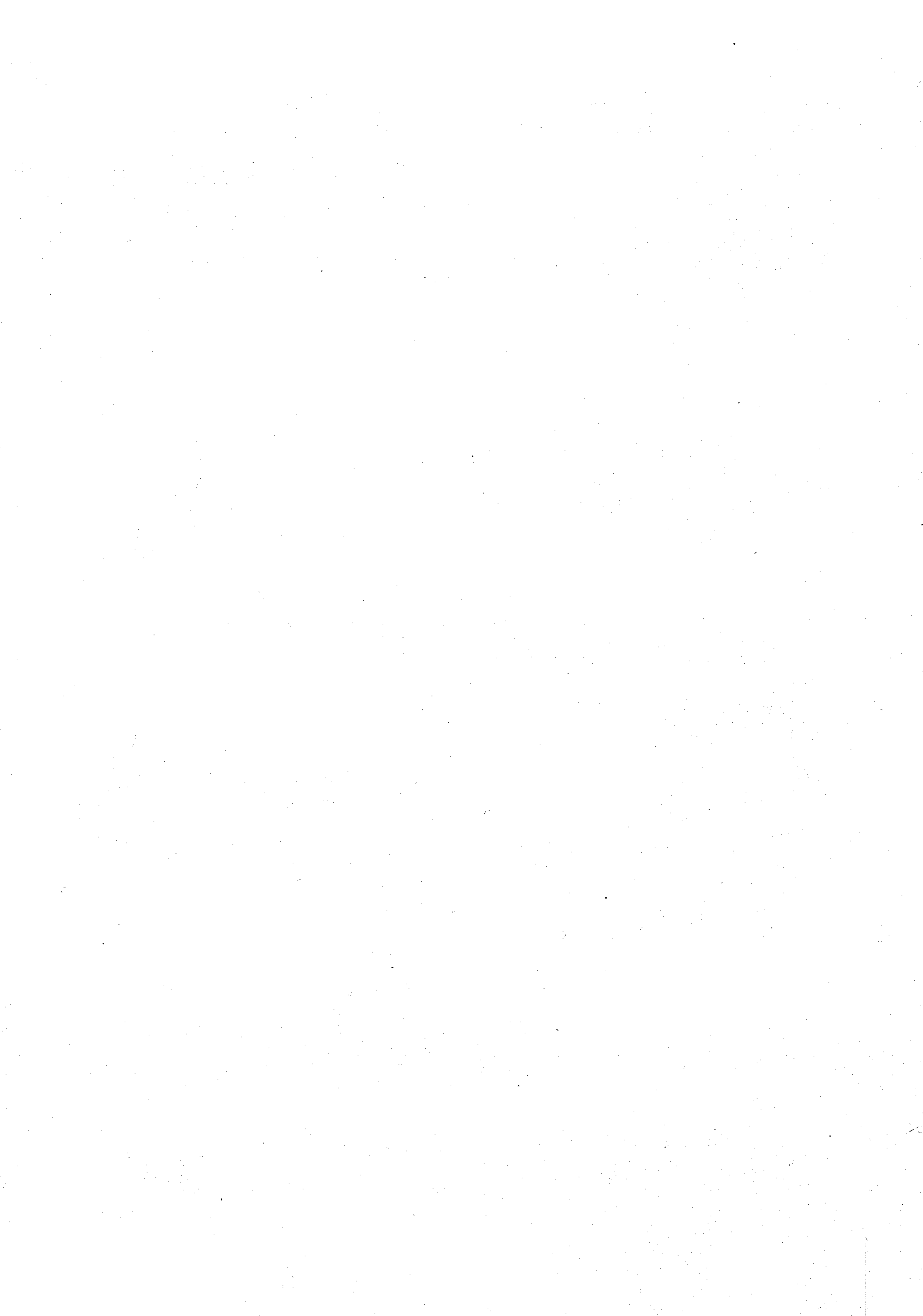
وحديث النفس بذلك ليرضي النفس بالشهوات، وحديث القلب ليرضي الرب بالطاعات، فصارت هذه نيّة وتلك أملاً، فصارت النيّة سرورًا والأمل غرورًا؛ ولأن النيّة صارت في ديوان اللَّه فأثيب عليها، والأمل صار في ديوان الشيطان فأورثه الحسرة والندامة»[1] .

---

(١) «الفروق ومنع الترادف» للحكيم الترمذي ص(١٥٢ ـ ١٥٤) ـ النهار للطبع والنشر.



الإخـــــلاص



الإخـــلاص

من وجد اللَّه فماذا فقد ؟!.. ومن فقد اللَّه فماذا وجد؟! ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨] فطوبى لمن رغب إلى اللَّه، وكان قصده إلى من إليه المنتهى، يريد وجه ربه ذي الجلال والإكرام.. فراراً إليه.

تَصَاعَدُ أنفاسي إِليْكَ جَوَابُ وكُلُّ إشاراتي إِليكَ خِطابُ
فليتــكَ تحلُــو والحيــاةُ مريرةٌ ولَيْتَك تَرْضى والأنَامُ غِضَابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عَامِرٌ وبيني وبين العالمين خَرَابُ
إِذا صَحّ منك الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ وكُلُّ الذي فوق الترابِ ترابُ
فيا ليتَ شُرْبِي من ورَادِكَ صافيًا وشُرْبِي من ماءِ الفراتِ سرابُ
متَى لم يكنْ بيني وبينَكِ ريبةٌ فكُلٌّ نعيمٍ صَدَّ عَنْكَ عذابُ
فكيفَ تَوَانى الخَلقُ عنك وقد بَدَا جَمَالٌ به قد هامَتِ الألبابُ
أقولُ لعُذَّالي مَدَا الدَّهْرِ أَقْصِرُوا فكُلُّ الذي يَهْوَى سِواه يُعابُ

ولِلَّه در القائل:

وعنك إِشارتي وإليك قصدي ومنك مَسَرَّتي ولك انقيادي
وأنت ذخيرتي وبك انتصاري وفيك تألهي وبك اعتمادي

* ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

* **كلام الملوك ملوك الكلام:**

قال ابن قيم الجوزية: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [الحجر: ٢١] متضمن لكنز من الكنوز وهو أن كل شيء لا يُطلب إلا ممن عنده

خزائنه ومفاتيح تلك الخزائن بيده، وأن طلبه من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه. وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ متضمن لكنز عظيم، وهو أن كل مراد لم يُرَد لأجله ويتصل به؛ فهو مُضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يُحبُّ لأجله فمحبته عناء وعذاب، وكل عمل لا يُراد لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه، فاجتمع ما يُراد منه كله في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]، واجتمع ما يُراد له في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ فليس وراءه سبحانه غاية تُطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى، وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر، ولا يطمئن، ولا يسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره. وليس المرادُ المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى.

ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره، يطُل عليه ذلك، وزال عنه، وفارقه أحوج ما يكون إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه، ظفر بنعيمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد»(١).

«إن في القلب شعثًا: لا يلمُّه إلا الإقبالُ على اللَّه.

وفيه وحشة: لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

وفيه حزن: لا يُذهِبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (١٩٦ ـ ١٩٧).

وفيه قلق: لا يُسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

وفيه نيران حسرات: لا يُطفيها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.

وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته ودوام ذِكره والإخلاص له، ولو أُعطى الدنيا وما فيها لم تُسَدّ تلك الفاقة منه أبداً.

وفيه مرض: لا يشفيه إلا لقاء مولاه في يوم المزيد».

فللّه ما أحلى قيام قلوب قالت: ربنا رب السموات والأرض لا تبغي به بدلا، ولا تنتصب إلا لوجه ملك الملوك، شغلهم به عمن سواه.. قاموا للّه وباللّه ففُقِدوا عما سواه، قاموا للّه فلم يقعدوا حتى يصلوا إلى اللّه.

❑ «أفضل ما يتقرب به العبد إلى اللّه، أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد من الدنيا غيره» ولا يسلم لك قلبك حتى توجهه إلى سيده.

❑ قال الفضيل بن عياض: لا يسلم لك قلبك، حتى لا تبالي من كل الدنيا.

* الإخلاص عكوف القلب على مولاه:

الإخلاص إنابة وتسليم ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ فالإنابة هي عكوف القلب على اللّه عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك: عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته، بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ﷺ ومن لم يعكف قلبه على اللّه وحده عكف على التماثيل المتنوعة؛ كما قال إمام

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ١٨٢).

الحنفاء لقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

فتعلق القلب بغير اللَّه واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عباد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإراداتهم على تماثيلهم، فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته بحيث يكون عاكفًا عليها، فهو نظير عكوف عباد الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتعس والنُّكس، فقال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**[1] »[2] .

*** الإخلاص:**

«رُوح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلى اللَّه.

فإذا غاض هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هناك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة.

في أعمال الحياة المعتادة قد يكون الإخلاص شرطًا لإتقانها وتجويدها وضمان ثمراتها وهو إخلاص يعني اطراح بعض المآرب الصغيرة واستهداف بعض المثل العالية. وقد ينفك هذا الشرط ويتعامل الناس بالمظاهر ويتجاوزون عما وراءها.

لكن في ميدان الدين لا يرتفع عمل أبدًا ما لم تصحبه نيّة صالحة، وما لم يقترن بإرادة وجه اللَّه وحده. بل إن التديّن الذي يكتنفه الأهواء ضرب

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة (٢٨٨٧).

(٢) «الفوائد» لابن القيم.

من العوج النفسي، والالتواء الخُلُقي يثير التقزز ويستدعي الاشمئزاز»[١] .

* **الإخلاص لغة:**

مصدر أخلَص يُخلِص وهو مأخوذ من مادة (خَ لَ صَ) الدالة على تنقية الشيء وتهذيبه[٢] .

والخالص كالصافي إلاّ أن الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه والصافي قد يُقال لما لا شوب فيه.

❑ قال ابن منظور: خَلَص الشيء، يَخْلُص خُلُوصًا وخلاصًا إذا كان قد نَشَبَ[٣] ثم نجا وسلم. وأخْلَصه وخلّصه، وأخلص للّه دينه: أمْحَضَه، وأخلص الشيء: اختاره.

والمخلَصين: قال ثعلب: الذين أخلصوا العبادة للّه تعالى، والذين أخلصهم اللّه عز وجل، فالمخلصون المُختارون، والمخلِصون: المُوَحِّدون وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد[٤] .

* **واصطلاحًا:**

❑ قال الكفوي: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد بها المعبود وحده، وقيل: تصفية السرّ والقول والعمل[٥] .

«❑ وقال المناوي: «الإخلاص: تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه».

(١) «مع اللّه» للشيخ محمد الغزالي ص(١٩٥).
(٢) «مفردات الراغب» ص(١٥٤).
(٣) نشِب: أي تعلّق به شيء.
(٤) «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٢٦).
(٥) «الكليات» للكفوي.

وقيل: الخلاص عن رؤية الاشخاص، وقيل: تصفية العمل من التهمة والخلل»[١] .

❑ وقال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهداً غير اللَّه.

❑ وقيل: التبري عن كل ما دون اللَّه.

❑ وقال السوسي: الإخلاص فقد رؤية الإخلاص، فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

❑ وقال سهل التستري: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته للَّه تعالى وحده لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا.

❑ قال الغزالي: وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض.

❑ وقال إبراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع اللَّه تعالى.

❑ وقال أبو عثمان المغربي: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق. ومن تزيّن للناس بما ليس فيه سقط من عين اللَّه.

❑ وقال القشيري: « قال الأستاذ: والإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى اللَّه سبحانه دون شيء آخر من تصنّع مخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرّب إلى اللَّه تعالى.

ويصح أن يقال: الإخلاص: تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين، ويصح أن يقال: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص.

❑ سمعت الأستاذ أبا علي الدقّاق يقول: «الإخلاص التوقي عن

(١) «التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي ص(٤٢).

ملاحظة الخلق، والصدق: التنقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له.

❑ وقال ذو النون المصري: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه»[١] .

❑ وقال حنيفة المرعشي: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيراً من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

❑ وقال الجنيد: الإخلاص سر بين اللَّه وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

❑ وقيل لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب.

❑ وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون آخر[٢] .

❑ وقال أبو طالب المكي: حقيقة الإخلاص سلامته من وصفين؛ وهما: الرياء والهوى، ليكون خالصًا كما وصف اللَّه تعالى الخالص من اللبن، فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال: ﴿**مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا**﴾ [النحل: ٦٦]، فلو وُجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصًا، ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا، فكذلك معاملتنا للَّه عز وجل إذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس، ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة، ولم يقبلها اللَّه تعالى منا فاعتبروا»[٣] .

---

(١) «الرسالة القشيرية» للقشيري تحقيق هاني الحاج ص(٣٠٠ ـ ٣٠١) ـ المكتبة التوفيقية.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٩١، ٩٢).

(٣) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (/ ٣٩).

❑ وقيل: الإخلاص: هو تصفية السر والقلب والعمل.

❑ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وحد الإخلاص كقول بعضهم[١]: المخلص هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع اللَّه عز وجل، ولا يحب أن يطّلع الناس على مثاقيل الذر من عمله»[٢].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «وغالب المسلمين يخلصون للَّه في كثير من أعمالهم، كإخلاصهم في الأعمال المشتركة بينهم مثل صوم رمضان، فغالب المسلمين يصومونه للَّه، وكذلك من داوم على الصلوات فإنه لا يصلي إلا للَّه عز وجل»[٣].

❑ وقال سهل بن عبداللَّه: «لا يعرف الرياء إلا مخلص».

❑ وقال النووي: «إن الإخلاص يفتقر إلى الصدق، والصدق لا يفتقر إلى شيء»[٤].

❑ قال الغزالي: «الإخلاص يضاده الإشراك، فمن ليس مخلصًا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية. والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الإخلاص. والإخلاص وضدّه يتواردان على القلب فمحله القلب، وإنما يكون ذلك في القصود والنيات. وقد ذكر حقيقة النية، وأنها ترجع إلى إجابة البواعث، فمهما كان الباعث واحدًا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصًا بالإضافة إلى المنوي،

---

(١) وهو الحارث المحاسبي.

(٢) «شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» لابن تيمية ص(٢٠).

(٣) المصدر السابق ص(٢٠).

(٤) «الأربعين النووية».

فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص، ومن كان غرضه محض التقرب إلى اللَّه تعالى فهو مخلص. ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى اللَّه تعالى عن جميع الشوائب، كما أنّ الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق، ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ـ وبالجملة؛ كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب ـ قل أم كثر ـ إذا تطرق إلى العمل تكدّر به صفوه وزال به إخلاصه. والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس. فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه اللَّه نجا. وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من اللَّه»[1].

❑ وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه ـ: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص: أن يعافيك اللَّه منهما.

❑ قال الشعراني في «تنبيه المغترين» ص(٣٠): «ومعنى ترك العمل لأجل الناس أن لا يحب أن يعمل إلا في محل يحمده الناس فيه، فإن لم يجد من يَحمده ترك العمل وكسل عنه».

❑ وقال ابن القيم في «الفوائد»: «الإخلاص: هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله».

* الصدق والإخلاص:

❑ قال الجرجاني: الفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أن الإخلاص لا يكون

(١) الإحياء» (٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

إلا بعد الدخول في العمل، أما الصدق فيكون بالنية قبل الدخول فيه»[١] .

❏ وقال ابن القيم: «الصديقية: كمال الإخلاص والانقياد، والمتابعة للخبر والأمر ظاهراً وباطنًا»[٢] .

فضل الإخلاص

١ ـ الإخلاص مسك القلب، ينقّيه من الحقد والخيانة:

«الإخلاص مسك مصون في القلب، ينبه ريحه على حامله»[٣] .

❏ وقال الجنيد: «إن اللَّه عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟»[٤] .

● الإخلاص ماء حياة القلب، ومدار الفلاح كله عليه، فإنه يطهر القلب من الحقد والشحناء والخيانة:

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: **«نضّر اللَّه امرأً سمع مقالتي فوعاها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يُغَل[٥] عليهن قلبُ امرئ مؤمن: إخلاص العمل للَّه، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم يحيط من ورائهم»**[٦] .

---

(١) «التعريفات» للجرجاني ص(١٣، ١٤).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٣).

(٣) «اليواقيت الجوزية» لابن الجوزي ص(٧٧) ـ مكتبة السنة.

(٤) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ٣٨٦).

(٥) هو من الإغلال: الخيانة في كل شيء، يروى «يَغلُّ» بفتح الياء من الغِل وهو الحقد والشحناء؛ أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق، وروي «يُغل» بالتخفيف، و«عليهن» في موضع الحال، تقديره: لا يغل كائنًا عليهن قلب مؤمن.

(٦) صحيح: رواه البزار، وقال المنذري في «الترغيب»: إسناده حسن، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥): صحيح.

وفي رواية أخرى: «**نضّر اللَّه عبداً سمع مقالتي، فوعاها وحفظها، ثم أدّاها إلى من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه غيرُ فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يَغِل عليهن قلب امرئٍ مسلم: إخلاص العمل للَّه، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحوطُ من ورائهم**»[1] .

❑ قال ابن القيم: «أي لا يبقى فيه غِلّ، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غِلّه، وتنقّيه منه، وتخرجه عنه، فإن القلب يغلّ على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه على جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاًّ ودخلا، ودواء هذا الغِل واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص، والنصح، ومتابعة السنة».

٢ ـ الإخلاص وصية اللَّه للمرسلين وأمره إليهم وإلى أممهم:

* قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا**﴾.

قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٦): «قال أبو العالية: وصاهم بالإخلاص في عبادته».

* وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ٢].

* وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ١١].

* وقال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي**﴾ [الزمر: ١٤].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن جبير بن مطعم، ورواه أبو داود وابن ماجه عن زيد بن ثابت، والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٦٦).

* وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

٣ ـ الإخلاص هو أصل الدين وقاعدته فهو التوحيد العملي، وهو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن:

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إخلاص الدين للَّه هو الدين الذي لا يقبل اللَّه سواه. وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه.

* وقد أخبر سبحانه أنَّ الأولين والآخرين إنما أمروا بذلك في غير موضع.. فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ الآية.

✍ وهذا حقيقة لا إله إلا اللَّه، وبذلك بعث جميع الرسل[1].

* التوحيد العملي هو الإخلاص:

الإخلاص للَّه هو أصل الدين وقاعدته أصل الأصول وقاعدة الدين في سورتي الإخلاص: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

---

(١) «مجموع الفتاوى» السلوك (٥١/١٠).

□ فأما ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وهو إخلاص الدين للَّه بالقصد والإرادة. وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي، وكلا النوعين مرتبط بالآخر، فلا يوجد أحد من أهل التعطيل الجهمية ـ وأهل التمثيل المشبهة إلا وفيه نوع من الشرك العملي[1].

* الكلمة الباقية هي كلمة الإخلاص:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص للَّه وهي البراءة من كل معبود إلا من الخالق الذي فطرنا.

* الصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام:

□ قال ابن تيمية في «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» ص(٣٠٣): «والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام»[2].

والمنافق ضد المؤمن الصادق، وهو الذي يكون كاذبًا في خبره، أو كاذبًا في عمله، كالمرائي بعمله[3].

* شجرة الإخلاص في القلب:

□ قال ابن القيم في «الفوائد»: «الإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرُها طيبُ الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في

---

(١) «مجموع الفتاوى» السلوك (١٠/ ٥٤، ٥٥).

(٢، ٣) «التحفة العراقية» ص(٣٠٣، ٣٠٧).

الآخرة.

وكما أنّ ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك.

والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب؛ ثمرها في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم.

وقد ذكر اللَّه هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

٤ ـ تحفظ الأمة وتنصر بإخلاص رجالها:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنما ينصر اللَّه هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»**(١).

● وعن أبيّ بن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بَشِّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة من نصيب»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه النسائي وغيره عن سعد، وهو في البخاري وغيره دون ذكر الإخلاص، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥)، و«صحيح الجامع».

(٢) صحيح: رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥ ـ ١٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٨٢٥).

وعند البيهقي: «**بشر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب**».

● قال رسول الله ﷺ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل**»[1]. وما ذاك إلا لإخلاصه وتجرده لله عز وجل.

● وقال رسول الله ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه؛ منهم البراء بن مالك**»[2].

لقي البراء المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرّك، فاقسم على ربك. قال: أُقسِم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم.. وذكر الحديث، وانتصر المسلمون في هذه المعركة بإخلاص البراء ودعائه.

* وانظر كيف فُتحت كابل عاصمة أفغانستان:

«قال مخلد: كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم في جيش وكان صاحب خراسان، وكانت الترك خرجت إليهم، فبعث إلى المسجد ينظر من فيه؟ فقيل له: ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعًا أصبعه، فقال قتيبة: أصبعه تلك أحب إليّ من ثلاثين ألف عنان». وفي رواية: لما اصطف الناس لفتح كابل قال قتيبة قائد الجيش: أين محمد بن واسع؟ قالوا: في أقصى الميمنة رافعًا أصبعه إلى السماء، فقال: أبشروا بالنصر، هذه الأصبع الفاردة أحب إليّ من ألف سيف شهير وشاب طرير، فلما أتاه قال: ماذا كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق: الدعاء[3].

---

(١) صحيح: خرجه الحاكم عن جابر، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٧).
(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك.
(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٣).

* وانظر إلى سيف اللَّه المسلول خالد بن الوليد - رضي اللَّه عنه - وإخلاصه وتجرده وكيف كان ميمون النقيبة وكيف قال له الصديق - رضي اللَّه عنه -: «ليهنك الحظوة والنيّة يا أبا سليمان»، وبإخلاصه دوّخ الفرس وأذلهم، ثم ثنى بالروم وطردهم من بلاد الشام وأنهى وجودهم بأكبر نصر وهو يوم اليرموك، وكيف قال الصديق عنه: «واللَّه لأذهبن وساوس الروم بسيف خالد».

*** وانظر إلى إخلاص أبي معاوية الأسود وكان ضريراً:**

عن أحمد بن فضيل العلي قال: غزا أبو معاوية الأسود، فحصر المسلمون حصنًا فيه علج لا يرمي حجرًا لإنسان إلا أصابه، فشكوا إلى أبي معاوية فقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، استروني منه، فلما وقف قال: أين تريدون بإذن اللَّه؟ قالوا: المذاكير، فقال: أي رب سمعت ما سألوني فأعطني ما سألوني، بسم اللَّه، ثم رمى المذاكير بإذن اللَّه فمرّ السهم حتى إذا قرب من حائط الحرس ارتفع حتى إذا أخذ العلج في مذاكيره فوقع، وقال: شأنكم به»[(١)] .

❑ قال أبو معاوية الأسود: القلب المعني بأمر اللَّه في علو من اللَّه..

* وانظر إلى القائد الصالح عقبة بن نافع، فاتح «زويلة» و«غدامس»، وبعض كور السودان، و«فزّان» وعامة بلاد البربر و«باغاية»، وبلاد «الزاب» و«طنجة» و«السوس الأدنى» و«السوس الأقصى».

لما أراد عقبة أن يختط القيروان ويبنيها دار عز للإسلام ركب إلى موضعها، وكان غيضة، كثير الأشجار، مأوى الوحوش والحيّات، فقال له

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٦٦).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٦٧).

رجاله: «إنك أمرتنا بالبناء في شعار وغياض لا تُرام، ونحن نخاف السباع والحيّات، وغير ذلك من دواب الأرض، وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ وسائر ذلك تابعون، فدعا اللَّه عز وجل، وجعل أصحابه يؤمنون على دعائه، ومضى إلى «السنجة» وواديها ونادى «أيتها الحيات والسباع، نحن أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فارحلوا عنا إنا نازلون، ومَن وجدناه بعد ذلك قتلناه»، ونظر الناس بعد ذلك إلى أمر مُعجب، من أن السباع تخرج من الشعار تحمل أشبالها، والذئب يحمل جَرْوَه، والحيات تحمل أولادها، ونادى في الناس: «كفّوا عنهم حتى يرتحلوا عنا». فلما خرج ما فيها من الوحوش والهوام ـ وهم ينظرون إليها ـ نزل عقبة الوادي، وأمرهم أن يقطعوا الشجر»[1]

❑ وفي السير: «كان الموضع غيْضة لا يُرام من السباع والأفاعي، فدعا عليها، فلم يبق فيها شيء، وهربوا، حتى إن الوحوش لتحمل أولادها».

❑ قال مفضل بن فضالة: «كان عقبة بن نافع مجاب الدعوة»[2].

وخرج عقبة من القيروان بعد أن استخلف بها زهير بن قيس البلوي، ودعا عقبة أولاده قبل مغادرته القيروان وقال لهم: «إني قد بعت نفسي من اللَّه عز وجل، فلا أزال أجاهد من كفر باللَّه» ثم وعظهم ووصّاهم، ثم قال: «عليكم سلام اللَّه، وأراكم لا تروْني بعد يومكم هذا»[3]، ثم قال: «اللَّهم تقبّل نفسي في رضاك، واجعل الجهاد رحمتي، ودار كرامتي عندك»[4].

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٦ ـ ٧)، و«البيان المغرب» (١/ ١٣ ـ ١٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٤٠)، و«تاريخ ابن عساكر»، و«طبقات علماء إفريقية» ص(٨)، و«حسن المحاضرة» (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٣) «ابن الأثير» (٤/ ٤٢).

(٤) «رياض النفوس» (١/ ٢٢ ـ ٢٣).

وسار إلى مدينة «باغاية» لا يُدافعه أحد، والروم يهربون في طريقه يمينًا وشمالاً، فانهزموا عنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعًا، وغنم منهم مغانم كثيرة»[١] .

ورحل عقبة إلى «تاهرت»، فاستغاث الروم بالبربر، فأجابوهم ونصروهم، فقام عقبة في الناس خطيبًا فكان من قوله: «أنتم اليوم في دار غربة، وإنما بايعتم رب العالمين وقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبًا لرضاه وإعزازًا لدينه، فأبشروا؛ فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل، إن شاء اللَّه تعالى، وربكم عز وجل لا يُسلمكم، فالقُوهم بقلوب صادقة؛ فإن اللَّه عز وجل جعلكم بأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين» فاشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدو، ولكنهم انتصروا أخيرًا، فانهزمت الروم والبربر، وأخذهم السيف، وكثر فيهم القتل، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم»[٢] .

وانتهى عقبة إلى «السوس الأدنى»، وسار - رحمه اللَّه - حتى وصل إلى «مالبان» أقصى بلاد المغرب، ورأى البحر المحيط، فقال: «يا رب، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك»[٣] ، ثم قال: «اللَّهم اشهد؛ أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيتُ في البلاد أقاتل من كفر بك، حتى لا يُعبد أحد دونك»[٤] . وسقط البطل شهيدًا في «تهوذة» على يد البربر.

* * *

(١) «الكامل» لابن الأثير (٤/ ٤٢).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٤/ ٤٢).

(٣) «الكامل» لابن الأثير (٣/ ٤٢ - ٤٣).

(٤) «رياض النفوس» (١/ ٢٥).

*** الولي الكبير ليث الإسلام نور الدين محمود زنكي ونصره العظيم في وقعة حارم لإخلاصه العجيب:**

الولي العابد الكبير الذي سارت الركبان بعبادته وزهده وإخلاصه، كان فتح «حارم» سنة ٥٥٩هـ من أعظم معارك نور الدين مع الصليبيين، إذ جاء الفرنج بحدِّهم وحديدهم، وملوكهم وفرسانهم، وكان المقدّم عليهم البرنس «بيموند» صاحب أنطاكية، وانتصر عليهم نور الدين انتصارًا ساحقًا، ووقع كل الأمراء والملوك أسرى بين يديه، وقُتل منهم في المعركة عشرون ألفًا.

❑ قال ابن الأثير: «بلغني أن نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ لما التقى الجمعان أو قُبيله، انفرد تحت تل حارم، وسجد لربه عز وجل، ومرّغ وجهه وتضرّع وقال: يا رب، هؤلاء عبيدك، وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك، وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك، أيش فضول محمود في الوسط، يشير إلى أنك يا رب، إن نصرت المسلمين فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود، إن كان غير مستحق النصر.

وبلغني أنه قال: «اللَّهم انصر دينك ولا تنصر محمودًا، من هو محمود الكلب حتى يُنصر؟!»، وهذه علامة تل حارم التي سنذكرها في هذا المنام.

❑ قال العماد: لما وصل خبر نزول الفرنج على دمياط، اهتمّ واغتمّ، وأنهض عسكرًا ثقيلاً فوصل قبل رحيل الفرنج بأسبوع».

❑ قال أبو شامة: «بلغني أن إمامًا لنور الدين رأى ـ ليلة رحيل الفرنج عن دمياط ـ في منامه النبي ﷺ، فقال له: «أَعلِم نور الدين أن الفرنج رحلوا عن دمياط في هذه الليلة. فقال: يا رسول اللَّه، ربما لا يُصدقني، فاذكر لي علامة يعرفها. فقال: قل له: بعلامة ما سجدت على «تل حارم»، وقلت: يا رب، انصر دينك ولا تنصر محمودًا، من هو محمود الكلب حتى

يُنصَر. قال: فانتبهت، ونزلت إلى المسجد، وكان من عادة نور الدين أنه ينزل إليه بغلس، ولا يزال يتركع فيه حتى يصلي الصبح. قال: فتعرضت له، فسألني عن أمري فأخبرته بالمنام، وذكرت له العلامة، إلا أنني لم أذكر لفظة: «الكلب»، فقال نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ اذكر العلامة كلها. وألح في ذلك، فقلتها، فبكى ـ رحمه اللَّه ـ، وصدّق الرؤيا، فأرَّخْتُ تلك الليلة، فجاء الخبر برحيل الفرنج فيها»[1].

وانظر إلى نور الدين لما قال له أصحابه: إن لك في بلادك إدارات كثيرة، وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقُرّاء، فلو استعنت بها لكان أمثل، فغضب من هذا وقال: واللَّه إني لا أرجو النصر إلا بأولئك، فإنما تُرزقون وتنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم يُقاتلون عني ـ وأنا نائم على فراشي ـ بسهام لا تُخطئ، وأصرفها إلى مَن لا يُقاتل عني إلا إذا رآني بسهام قد تُخطئ وتصيب»[2].

* **«اللَّهم اجعلني مع صاحب النقب»**:

☐ قال ابن قتيبة: «حاصر مسلمة بن عبدالملك حصنًا، وكان في ذلك الحصن نقب ـ أي ثقب في الحائط ـ فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد.

فجاء رجل من عُرض الجيش ـ أي من عامته غير معروف ـ فدخله ففتح اللَّه عليهم الحصن.

فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟

فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء.

---

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (١/٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(٢) «عيون الروضتين» (١/٢٥٨ ـ ٢٥٩).

فجاء رجل إلى الآذن فقال: استأذن لي على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه.

فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له. فقال الرجل لمسلمة: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا: ألا تسوّدوا اسمه - أي لا تكتبوه - في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو؟ أي من أيّ قبيلة هو.

قال مسلمة: فذاك له. قال الرجل: أنا.

فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يصلي صلاة إلا قال: «اللّهم اجعلني مع صاحب النقب»[(١)].

٥ - رضى اللّه ثمرة الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٩ - ٢١].

قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٢٦): «إن المحبة والإخلاص والإنابة لا تقوم إلا على ساق الرضى»، وقال: «الرضى من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان. قال أبو الدرداء: «ذروة سنام الإيمان: الصبر للحكم، والرضى بالقدر»[(٢)].

وثمرة الإخلاص رضى اللّه عز وجل عن المخلص وكفى به شرفًا وجزاء، فما بعده غاية تدرك وهذا أعلى النعيم في الدنيا، كما أن رضوان اللّه الأكبر أعلى نعيم أهل الجنان.

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١٧٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢١٤).

٦ ـ المخلصون محل عناية ونظر الصفوة من أنبياء اللَّه ورسله وأوليائه:

* قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

اللَّه غايتهم، يتوجهون إليه بالغداة والعشي، لا يتحوّلون عنه، ولا يبغون إلا رضاه، وما يبتغونه أجل وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة. تقوم الدعوات على هذه القلوب التي تتجه إلى اللَّه وحده خالصة له، لا تبتغي جاهًا ولا متاعًا ولا انتفاعًا، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه.

نظروا إلى اللَّه بقلوبهم، فأمر اللَّه رسوله سيد البشر ﷺ بألا يرفع بصره عنهم، ولا يُقلع عنهم نظره.

لا تقطع اليوم عنهم نظرك، فإنا لا نمنع غدًا نظرهم عنا. آواهم اللَّه في الدنيا بالعظماء، وفي عقباهم بكرمه.

إن زينة الدنيا لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلّع إليه من يدْعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

هؤلاء الذي ترفرف أرواحهم إلى الآفاق الكريمة وتسجد قلوبهم تحت العرش ويريدون الآخرة، ويسعون لها، يتلقون الشكر والتكريم من الملأ الأعلى، جزاء السعي الكريم لهدف كريم، وجزاء التطلع إلى الأفق البعيد الوضيء فلا يكون المتاع في الأرض هو الهدف والغاية، فإن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام، تقف

غايتهم عند الحياة الدنيا، بما فيها من نقص وهبوط، يرضونها، ويستغرقون فيها، فلا ينكرون فيها نقصًا، فتهبط بهم ثم تهبط لأنهم لا يرفعون رؤوسهم إلى قمة، ولا يتطلعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون رؤوسهم وأبصارهم دائمًا إلى هذه الأرض وما عليها ويخدعون ببريقها الكاذب الخادع.

٧ ـ الإخلاص أحد شرطيْ قبول العمل:

ما من عمل يوم القيامة إلا ويُنشر له ديوانان: لمن وكيف.

لمن: سؤال عن الإخلاص هل فعلته للَّه عز وجل ابتغاء وجهه أم فعلته رئاء الناس طلبًا لمدحهم أو هربًا من ذمهم.

وكيف: سؤال عن المتابعة لرسول اللَّه ﷺ.

مع كل عمل هجرتان: هجرة إلى اللَّه قصدًا، وهجرة إلى رسوله اتباعًا.

❑ قال ابن القيم في «الفوائد»: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه»، وقال: «والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى ما سوى اللَّه ورسوله».

* قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢].

❑ قال السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض: «هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون للَّه، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا**

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]»، وقال تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾** [النساء: ١٢٥]. وقال تعالى: **﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾** [لقمان: ٢٢].

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل للَّه. والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته.

فبالإخلاص وتصحيح النية الركن الأول تتحقق: «صحة الباطن»، وبموافقة النية والشرع الركن الثاني للعمل تتحقق صحة الظاهر. وخلاف ذلك مردود على صاحبه قال تعالى: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾** [الفرقان: ٢٣] وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه اللَّه.

● قال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات»**، وقال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»**[١]، وقال ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٢].

٨ ـ الإخلاص رفعة وعلو:

في حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال النبي ﷺ لسعد: **«إنك لن تُخلّفَ فتعمل عملاً تبتغي به وجه اللَّه إلا ازددت به درجة ورفعة»**[٣].

وقال أبو بكر المرّوزي: سمعت رجلاً يقول لأبي عبداللَّه ـ أحمد بن حنبل ـ وذكر له الصدق والإخلاص، فقال أبو عبداللَّه: بهذا ارتفع القوم»[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم عن عائشة (١٧١٨).

(٣) مر تخريجه.

(٤) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٢٦٧).

بهذا ارتفع أويس القرني، وأبو مسلم الخولاني، والفضيل بن عياض وعبداللَّه بن المبارك، وداود الطائي، والشافعي، ومحمد بن واسع، والنووي، والربانيون من أولياء هذه الأمة عبادها وعلمائها.

*** رفع الإخلاص سيد التابعين أويس القرني:**

انظر كيف رفع الإخلاص سيد التابعين أويس، وكان مغموراً في قومه يسخرون منه حتى يبحث عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

أويس القرني: سيد العباد بعد الصحابة كما سماه الشاطبي، يصفه الذهبي بأنه: «القدوة سيد التابعين في زمانه»، وكان الإمام أحمد يضرب به المثل في الزهد فيقول: لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العري حتى قعد في قوصرة.

● عن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن خير التابعين، رجل يُقال له: أُويْس، وله والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على اللَّه لأبرّه، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**»[1]، وفي رواية أخرى: «**فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**».

روى مسلم عن أُسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: هل ههنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول اللَّه ﷺ قد قال: «**إن رجلاً يأتيكم من اليمن يُقال له: أويس لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض فدعا اللَّه فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**».

☐ قال الإمام النووي: «قوله: «وفيهم رجل يسخر بأويس «أي يحتقره ويستهزئ به، وهذا دليل على أنه يخفي حاله ويكتم السر الذي بينه وبين اللَّه

(١) رواه مسلم.

عز وجل ولا يظهر منه شيء، وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء - رضي الله عنهم -» ا. هـ.

وروى مسلم أيضًا عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبرّه فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**». فاستغفرْ لي، فاستغفر له، فقال عمر - رضي الله عنه -: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء[1] الناس أحب إليّ. قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت قليل المتاع. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم....**» فأتى أويسًا فقال: استغفر لي فقال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه..

قال أسير: وكسوتُه بردة، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة». فانظر إلى رفعة أويس - لإخلاصه - في الدنيا قبل الآخرة..

◻ قال ابن القيم في «الفوائد»: «المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية ونيّة صحيحة، فمن فقدهما تعذّر عليه الوصول إليه.

فإن الهمة إذا كانت عالية تعلّقت به وحده دون غيره، وإذا كانت النيّة

---

(١) أي: ضعافهم الذين لا يُؤبه لهم، وهذا من إيثار كتم حاله وترك الشهرة.

صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه، فالنية تفرد له الطريق، والهمة تُفرد له المطلوب، فإذا توحد مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته.

◘ إذا كانت همته سافلة تعلّقت بالسُّفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى، وإذا كانت النيّة غير صحيحة كانت طريقة غير موصلة إليه، فمدار الشأن على همة العبد ونيته، وهما مطلوبه وطريقه».

٩ ـ الإخلاص خلاص وحرية وفرار من كل قيود الأرض.. به يصبح القلب أميرًا بعد أن كان أسيرًا:

* قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

من صَحّ فراره إلى اللَّه صحّ قراره مع اللَّه.. فرار من الأثقال والأغلال والأوهان والقيود التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض، وتثقلها عن الانطلاق، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال فيجيء هتاف الإخلاص قويًّا للانطلاق والتملّص والفرار إلى اللَّه: لا لا ياقيود الأرض.. إنا نريد وجه اللَّه ونرغب إليه. وكمال العبودية هي الحرية من الأغيار وما سوى اللَّه، ألا تكون تحت رق المخلوقات، ومن صدقت للَّه تعالى عبوديته خلصت من رق الأغيار حريته، فلا يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى، ولا أجل مُنى ولا أرب ولا حظ.

أَتمنّى على الزمان محالا أن ترى عيناي طلعة حرّ

◘ سُئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مصّ نواة فقال: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم».

◘ وقال بشر بن الحارث الحافي: «من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية فليطهر السريرة بينه وبين اللَّه تعالى»[1].

(1) «الرسالة القشيرية» ص(٣١١).

□ قال إبراهيم بن شيبان القرميسيني: «من أراد أن يكون معدودًا في الأحرار، مذكورًا عند الأبرار فليخلص عبادة ربه، فإن المتحقق في العبودية مسلم من الأغيار»[١] .

□ وقال معروف الكرخي: «يا نفس أخلصي تتخلصي».

□ «وسُئل ذو النون يومًا فيم يجد العبد الخلاص؟ فقال: «الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تخلّص»[٢] .

وقال: من صحح استراح، ومن صفى صُفّي له[٣] .

□ وقال الجُنيد: «من لزم طريق المعاملة على الإخلاص أراحه اللَّه عن الدعاوىٰ الكاذبة»[٤] .

*** إما أن تكون عبداً للَّه أو عبداً لغيره.. إما أن تكون في حبس الكريم أو في حبس اللئام:**

أنت القتيـــل بـــكل من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

● قال ﷺ: **«تعس عبد الدرهم.. تعس عبد الدينار.. تعس عبد القطيفة.. تعس عبد الخميصة»**.

□ قال ابن القيم في «الفوائد»: «طالب اللَّه والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر اللَّه وما يزيد في

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٤٥٥).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٣٧).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٣٨).
(٤) «تهذيب الحلية» (٣/ ٤٦٩).

إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلّصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه.

ومن لم يصبر على هذين الحبسين، وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا، إما متخلّص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس».

❑ قال سعدون المجنون لذي النون: متى يكون القلب أميراً بعد ما كان أسيراً؟ فقال ذو النون: «إذا اطلع الخبير على الضمير، فلم ير في الضمير غيره؛ لأنه الجليل العزيز»(١).

❑ وقال المناوي عن المخلصين: «لما أخلصوا في المراقبة ونسيان الحظوظ كلها، وقطعوا النظر والقصد عما سوى معبودهم لم يكن لغيره عليهم سلطان، بل هم منه في حماية وأمان»(٢).

● قال ﷺ: **«تعس عبد الدرهم.. تعس عبد الدينار.. تعس عبد القطيفة.. تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، إن أُعطي رضي وإن مُنِع سخط»**(٣).

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «سماه النبي عبد الدرهم، وعبد الدينار وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، وذكر ما فيه من دعاء وخبر وهو قوله: «تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» والنقش إخراج الشوكة من الرِّجْل، والمنقاش ما يخرج به الشوكة، وهذه حال من إذا أصابه

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٣٢).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٢٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجهاد ـ باب الحراسة في الغزو في سبيل اللَّه.

شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه إذا أُعطي رضي، وإذا مُنِع سخط، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، فرضاهم لغير اللَّه، وسخطهم لغير اللَّه، وهكذا حال من كان متعلّقًا برئاسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده.

العبـــد حـــر ما قنـــع والحـــرّ عبـــد ما طمـــع

□ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «وكلما قوي طمع العبد في فضل اللَّه ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحريته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه. كما قيل: استغن عمن شئت تكن نُظيره، وأفضِل على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره. فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له، وإعراض قلبه عن الطلب من غير اللَّه والرجاء له يوجب عبوديته له، وإعراض قلبه عن الطلب من اللَّه والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية للَّه؛ لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق؛ بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما على أهله وأصدقائه، وإما على أمواله وذخائره؛ وأما على ساداته وكبرائه، كمالكه وملكه، وشيخه ومخدومه وغيرهم، ممن هو قد مات أو يموت قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٨].

وكلما علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه خضع

قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك؛ وإن كان في الظاهر أميرًا لهم متصرفا بهم؛ فالعاقل من ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلّق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرًا لها، تحكم فيه وتتصرّف بما تريد؛ وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها. وفي الحقيقة أسيرها ومملوكها ولا سيما إذا دَرَت بفقره إليها، وعشقه لها؛ وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور، الذي لا يستطيع الخلاص منه، بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقًا مستعبدًا متيّما لغير اللَّه فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب»[1] ا.هـ.

١٠ ـ الإخلاص للَّه يورث الفهم عن اللَّه والعلم والحكمة:

الإخلاص للَّه يورث الفهم عن اللَّه عز وجل والعلم والنور ويجعل اللَّه له فرقانًا يبصر به الحق ويهتدي به.

* قال تعالى: ﴿ .. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

❑ قال ابن كثير: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زجره، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال في آية الحديد (٢٨): «وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) «تيسير العلي القدير» لمحمد نسيب الرفاعي (١/ ٢٤٤).

آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1] [الأنفال: ٢٩].

☐ وقال ابن القيم في آية الأنفال (٢٩): «هذا يتيسر بالفرقان المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل، وتكفير السيئات، وذلك غاية التيسير»[2] .

☐ قال ابن القيم معلقًا علي كلام الهروي في مرتبة العلم: «الدرجة الثانية: علم خفي ينبت في الأسرار الطاهرة، من الأبدان الزاكية، بماء الرياضة الخالصة، ويظهر في الأنفاس الصادقة، لأهل الهمة العالية في الأحايين الخالية والأسماع الصاخية».

☐ قال ابن القيم: «متى خلصت الأبدان من الحرام وأدناس البشرية، التي ينهى عنها العقل والدين والمروءة، وطهرت الأنفاس من علائق الدنيا: زكت أرض القلب، فقبلت بذر العلوم والمعارف، فإن سُقيت بعد ذلك ـ بماء الرياضة الشرعية النبوية المحمدية ـ وهي التي لا تخرج عن علم، ولا تبعد عن واجب، ولا تُعطّل سنة ـ أنبتت من كل زوج كريم، من علم وحكمة وفائدة وتعرُّف، فاجتنى منها صاحبها ومن جالسه أنواع الطرَف والفوائد، والثمار المختلفة الألوان، والأذواق، كما قال بعض السلف: إذا عقدت القلوب على ترك المعاصي جالت في الملكوت، ثم رجعت إلى أصحابها بأنواع التحف والفوائد».

وقال عن الأنفاس الصادقة: «صدقها» خلوصها من شوائب الأغيار والحظوظ»[3] .

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/٣١٨) ـ دار المنار ـ القاهرة.

(٢) «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم ص(٥٨).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤).

❑ وقال ابن القيم عن «العلم اللدني الرحماني»: «والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع اللَّه، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصُّه به، كما قال علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ وقد سُئل: «هل خصّكم رسول اللَّه ﷺ بشيء دون الناس؟ قال: لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النَّسَمة، إلا فهمًا يؤتيه اللَّه عبدًا في كتابه» فهذا هو العلم اللدني الحقيقي»[1].

* قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ [البقرة: ٢٦٩]: قال الضحّاك: هي القرآن والفهم فيه. وقال مجاهد: هي الإصابة في القول والفعل. وقال النخعي: هي معاني الأشياء وفهمها.

❑ قال ابن القيم: «وأحسن ما قيل في الحكمة: قول مجاهد، ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل.

وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان.

ومن الحكمة: الإشارات الموافقة للكتاب والسنة وسببها إخلاص وصفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحسُّ والذهن، فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة، لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها.

«فالكامل من إشارته إلى الغاية. ولا يكون ذلك إلا لمن فني عن رسمه وهواه وحظه. وبقي بربه ومراده الديني الأمري»[2].

❑ انظر إلى فهم البخاري الرباني لإخلاصه في قول اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّهُ**

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٨٢).

لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩].

□ قال البخاري: «لا يمسه: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا المؤمن لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾»[١].

□ قال ابن القيم: «لا يجد حلاوته ويذوق طعمه ويباشر حقائقه إلا القلب المطهر من الأنجاس والأدناس وإلى هذا أشار البخاري في «صحيحه». فهذه من أصح الإشارات»[٢].

□ وقال ابن القيم أيضًا: «لا ينال معانيه ويفهمه كما ينبغي إلا القلوب الطاهرة وإن القلوب النجسة ممنوعة من فهمه، ومصروفة عنه، فتأمل هذا النسب القريب وعقد هذه الأخوة بين هذه المعاني وبين المعنى الظاهر من الآية واستنباط هذه المعاني كلها من الآية بأحسن وجه وأبينه، فهذا من الفهم الذي أشار إليه علي - رضي اللَّه عنه -»[٣].

وهذه الإشارات الصحيحة لا تنال إلا بصفاء الباطن، وصحة البصيرة، وحسن التأمل»[٤]، ولا تكون إلاّ لمن فرّغ قلبه مما سوى اللَّه.. فلا تلج المعرفة إلا في قلب خالص.

□ قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: «وسمعته يقول في قول النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[٥]: إذا كانت الملائكة

---

(١) «صحيح البخاري» - كتاب التفسير - باب ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣].

(٢) «السماع» لابن القيم (٣٩٦).

(٣) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ٤١٨).

(٥) رواه أحمد، والبخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي وابن ماجه عن أبي طلحة.

المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة اللَّه عز وجل، ومحبته وحلاوة ذكره، والأنس بقربه، في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟ فهذا من إشارة اللفظ الصحيحة. . .

ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها، وهي بيت الرب فتوجه المصلي إليها ببدنه وقالبه شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن؟ بل وجّه بدنه إلى البيت، ووجّه قلبه إلى غير رب البدن»(١) .

❑ قال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٢) .

❑ وقال سفيان بن عيينة: «ما أخلص عبد للَّه أربعين يومًا إلا أنبت اللَّه الحكمة في قلبه نباتًا، وأنطق لسانه بها، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها»(٣) .

❑ وقال أبو يزيد: «من سمع الكلام، ليتكلم مع الناس، رزقه اللَّه فهمًا يكلّم به الناس، ومن سمعه ليعامل اللَّه، رزقه اللَّه فهمًا يناجي به ربه»(٤) .

❑ وقال سهل بن عبداللَّه التستري: «ما من عبد دخل في شيء من السنة وكانت نيته متقدمة في دخوله للَّه، إلا خرج الجهل من سرّه شاء أو أبى بتقديمه النيّة، ولا يعرف الجهل إلا فقيه زاهد عابد حكيم»(٥) .

وقال: «ولا يبلغ العبد حقيقة علم النيّة حتى يدخله اللَّه في ديوان أهل الصدق، ويكون عالمًا بعلم الكتاب، وعلم الآثار، وعلم الاقتداء».

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤١٨).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٩٢).
(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٣٣).
(٤) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٤٩).
(٥) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٣٠).

❑ وقال يحيى بن معاذ الرازي: «من أشخص بقلبه إلى اللَّه انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه»[١] .

❑ وقال ذو النون: إذا كنت متعلّقًا باللَّه في أحوالك لا بأعمالك، غير ناظر إلى سواه، فأنت كامل المعرفة»[٢] .

❑ وقال الجنيد: «اعلم أنه إن كنتَ كلك له، كان لك بكل الكلّ فيما تحبه منه، فكن مؤثرًا له بكل ما انبسط له منك، ومنه بدا لك، ومنه به يبسط عليك ما لا يحيط به علمك، ولا تبلغه أمانيك وآمالك»[٣] .

❑ ويقول الشيخ محمد صالح المنجد: «الإخلاص يجعلك تصل إلى حقيقة المسائل، وتصل إلى الحق فيها، وقد يكون فلان أعلم من فلان، ولكن قد يصيب ـ هذا الأقل يصيب الحق في المسألة، وذلك الرجل لا يصيب، قد يحفظ رجل عشرة أقوال، وواحد يحفظ قولين، أو قول واحد، ويكون هو الحق، وذلك الذي يحفظ عشرة أقوال لا يصيب الحق، ويعمل بواحد بعيد عن الحق ـ السبب هو الإخلاص»[٤] .

انظر إلى عبدالوهاب الوراق تلميذ الإمام أحمد بن حنبل وصاحبه الذي «جمع بين العلم والتقى، قيل لأحمد: من نسأل بعدك؟ فقال: سلوا عبدالوهاب، فإنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق»[٥] .

* * *

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٥٨).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٣٤).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٨٧).
(٤) «حاجتنا إلى الإخلاص» للشيخ محمد صالح بن المنجد ص(٥٤) ـ الشروق الإسلامية.
(٥) «تاريخ بغداد» للخطيب (١١/ ٢٧)، و«مناقب الإمام أحمد» ص(٦٧٩).

*** كلام المخلصين دواءٌ للخطّائين.. يُدمي القلوب:**

❑ قال مالك بن دينار عن المخلصين: «كان كلامهم دواءً للخطّائين. قال مالك: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: بلى! واللَّه لقد رأيناهم: الحسن، وسعيد بن جبير، وأشباههم، الرجل منهم يُحيي اللَّه بكلامه الفئام من الناس».

❑ انظر إلى سيد من سادات المخلصين: الحسن البصري ـ رحمه اللَّه ـ قال عنه خالد بن صفوان: «أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد على أمرٍ قام به، وإن قام على أمرٍ قعد عليه، وإن أمر بأمرٍ كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له»[1].

❑ وقال عبدالواحد بن زيد: «ما بلغ الحسن البصري ما بلغ إلا لكونه كان إذا أمرَ الناس بشيء يكون أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء كان أبعدهم منه».

وكانوا يقولون: ما رأينا أحداً سريرته أشبه بعلانيته من الحسن البصري»[2].

انظر إلى سيد البكائين الحسن الذي قالوا عنه: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»: «قيل مرة ليونس بن عُبيد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: هل رأيت أحدًا يعمل بعمل الحسن البصري؟ قال: واللَّه ما رأيتُ مَنْ يقول بقوله، فكيف أرى من يعمل بعمله!! كان وعظه يبكي القلوب ووعظ غيره لا يبكي العيون»[3].

بل كان وعظه يُدمي القلوب لإخلاصه.. فليست النائحة الثكلى كالمستعارة.

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ١٤٧).

(٢) «تنبيه المغترين» للشعراني ص(٣٥).

(٣) المصدر السابق ص(٢٤).

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

«قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنهم تكلّموا لعزّ الإسلام، ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلّم لعزّ النفوس، وطلب الدنيا ورضا الخلق»[١].

حدث عن القوم فالألفاظ ساجدة خلف المحاريب والأوزان تبتهلُ

١١ ـ التوسل إلى الله بالإخلاص له:

● عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللّهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[٢] قبلهما أهلاً أو مالاً، فنأى بي طلب الشجر يومًا فلم أرح[٣] عليهما حتى ناما فحلبت غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر[٤] والصبية يتضاغون[٥] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللّهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفجرت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.**

قال الآخر: اللّهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ ـ وفي

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٢٢).

(٢) أي: أقدّم قبلهما أهلاً ولا مالاً من رقيق أو خادم.

(٣) أي: أرجع.

(٤) أي: ظهر ضوؤه.

(٥) أي: يصيحون من الجوع.

رواية: كنت أحبّها كأشد ما يحبّ الرجال النساء - فأردتها على نفسها[١] فامتنعت مني حتى ألمّت بها سَنَة من السنين[٢] فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلّيَ بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرتُ عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها - قالت: اتق اللَّه ولا تفضّ الخاتم[٣] إلا بحقه فانصرفتُ عنها وهي أحبّ الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتُها، اللَّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللَّهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبداللَّه أدِّ لي أجري. فقلت: كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبداللَّه لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا اللَّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[٤].

١٢ - الإخلاص يصرف الفحشاء ويقضي على الشهوات والشبهات:

* قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. قرأ نافع وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿المخلِصين﴾ بكسر اللام.

فنجّى اللَّه عبده ونبيه يوسف بإخلاصه وإحسانه ومراقبته لربه، وكل

---

(١) أي: الجماع.

(٢) أي: نزلت بها سنة من السنين المجدبة. وفاقة وفقر، وحاجة شديدة.

(٣) كناية عن فضّ الفرج والبكارة.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤/٤٤٩)، (٦/٥٠٥)، (١٠/٤٠٤)، ومسلم (٢٠٩٩).

الإغراءات من جانب امرأة العزيز لا يثبت أمامها إلاّ من ثبّته اللَّه وأخلصه لنفسه بإخلاصه.

❑ قد كان يوسف عليه السلام شابًّا، عزبًا، غريبًا عن أهله، جميلاً كما قال رسول اللَّه ﷺ: «**أعطي يوسف شطر الحسن**»[1] . وهو عبد لامرأة العزيز، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وهي الداعية المراودة له، وقد غاب الرقيب، وهدّدته بالسجن إن لم يفعل ويطاوعها، فترك ما ترك لوجه اللَّه عز وجل فصرف اللَّه عنه الفحشاء.

❑ قال ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «الذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتثلة لما أُمرت به، ومع امتثال المأمور، لا تفعل المحظور، فإنهما ضدّان. قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ**﴾ الآية، وقال: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ الآية [الحجر: ٤٢]. فعباد اللَّه المخلصون لا يغويهم الشيطان، و«الغي» خلاف الرشد، وهو اتباع الهوى، فمن مالت نفسه إلى محرم، فليأت بعبادة اللَّه كما أمر اللَّه مخلصًا له الدين، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاء خشية ومحبة، والعبادة له وحده، وهذا يمنع من السيئات.

فإذا كان تائبًا، فإن كان ناقصًا، فوقعت السيئات من صاحبه كان ماحيًا لها بعد الوقوع، فهو كالترياق الذي يدفع أثر السم، ويرفعه بعد حصوله، والغذاء من الطعام والشراب، وكالاستمتاع بالحلال الذي يمنع النفس من الحرام، فإذا حصل له طلب إزالته، وكالعلم الذي يمنع من الشك، ويرفعه بعد وقوعه، وكالطب الذي يحفظ الصحة ويدفع المرض، وكذلك ما في القلب من الإيمان يحفظ بأشباهه مما يقوم به.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد في «مسنده»، وأبو يعلى والحاكم، وابن عساكر وابن عدي عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٦٢).

وإذا حصل منه مرض من الشبهات والشهوات أزيل بهذه، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة، كذلك القلب لا يمرض إلا لنقص إيمانه، وكذلك الإيمان والكفر متضادان، فكل ضدين: فأحدهما يمنع الآخر تارة، ويرفعه أخرى». اهـ.

❑ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن القلب إذا ذاق طعم عبادة اللَّه والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو بخوف من مكروه، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر.

* قال تعالى في حق يوسف: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية للَّه والإخلاص له تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فإن الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر اللَّه، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه، فإن ذكر اللَّه عبادة للَّه، وعبادة القلب للَّه مقصودة لذاتها. وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع.

والقلب خُلق يحب الحق ويريده ويطلبه، فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك، فإنه يُفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل، ولهذا قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٩، ١٠].. فبيّن أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش والظلم والشرك والكذب وغير ذلك» اهـ.

* وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]. وعند نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿المخلِصين﴾ بكسر اللام.

١٣ ـ الإخلاص عون في الشدة وينجّي من الكروب:

يصرف اللَّه عز وجل السوء عن عباده المخلصين وينجيهم من كل كرب، ويصنع الإخلاص الأعاجيب، وإليك قصة غلام الراهب.

● عن صهيب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للمَلك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلامًا أُعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلّمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللَّهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنيّ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ. وكان الغلام يبرئ الأكمه[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء[2] فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي اللَّه تعالى، فإن آمنت باللَّه تعالى دعوت اللَّه فشفاك فآمن باللَّه تعالى فشفاه اللَّه تعالى، فأتى الملك**

---

(١) هو الذي وُلِد أعمى.

(٢) أي: الأمراض.

فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: مَن ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أو لك رب غيري؟ قال: ربي وربك اللَّه. فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي اللَّه تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مَفْرق[1] رأسه فشقّه به حتى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته[2] فإن رجع دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللَّهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم اللَّه تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللَّهم اكفنيهم بما شئت فأنكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع[3] ، ثم خذ سهمًا من كنانتي[4] ، ثم ضع السهم في كبد القوس[5] ، ثم قل: بسم اللَّه رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم اللَّه رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه فمات، فقال الناس: آمنا برب

(١) هو وسطه.

(٢) أعلاه.

(٣) هو العود من أعواد النخيل.

(٤) بيت السهام.

(٥) كبد القوس: وسطه.

الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد واللَّه نزل بك حَذَرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود[١] بأفواه السكك فخدّت[٢] ، وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه[٣] فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها تقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»[٤] .

انظر إلى إخلاص الغلام في الدعاء، وكيف نجاه من الكرب العظيم، في الجبل وفي البحر «اللَّهم اكفنيهم بما شئت».. انظر إليه وهو يشري نفسه ابتغاء مرضاة اللَّه ووجهه الكريم يضحي بنفسه من أجل أن تكون كلمة الإخلاص هي العليا، وانظر إلى إيمان شعب بأكمله لإخلاص عبد اللَّه الغلام.

١٤ ـ الإِخلاص طريق الجنة، وأهل الجنة أهل الإِخلاص:

* قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨ ـ ٤٣]. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بالكسر «المخلِصين».

❑ قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٩ ـ ١٠): «يقول تعالى مخاطبًا للناس: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين.. ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

---

(١) الشقوق.

(٢) خدّت: أي شُقّت.

(٣) أي: ألقوه.

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

أي ليس يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كانت لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء اللَّه من التضعيف.

وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ قال قتادة والسدي: يعني الجنة. ثم فسره بقوله تعالى: ﴿فَوَاكِهُ﴾ أي: متنوعة، ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾، أي: يُخدمون ويرفهون وينعمون في جنات النعيم».

فالمخلصين هم سادة أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا[1] ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨ - ١٢] إلى أن قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

❐ قال ابن القيم: «حتى لو كان الشكور سائغًا استعماله جمعًا، واحتمل الجمع والمصدر، لكان الأليق بمعنى الآية المصدر لا الجمع؛ لأن اللَّه تعالى وصفهم بالإخلاص وأنهم إنما قصدوا بإطعام الطعام وجهه ولم يريدوا من المطعمين جزاءً ولا شكورًا، ولا يليق بهذا الوضع أن يقولوا: لا نريد

---

(١) تنبيه: شكورًا: قال بعضهم: شكور جمع شكر. «والصحيح أنه مصدر جاء على الفعول لأن مقابله وهو الكفر والجحد والنفار تجيء مصادرها على الفعول نحو كفور وجحود ونفور، ويبعد كل البعد أن يراد بالكفور جمع الكفر، والكفر لا يعهد جمعه في القرآن قط، ولا في الاستعمال، فلا يُعرف في التخاطب أكفار وكفور، وإنما المعروف الكفر والكفران والكفور مصادر ليس إلا، فحسّن مجيء الشكور على الفعول حمله على مقابله، وهو كثير في اللغة، وحتى لو كان الشكور سائغًا استعماله جمعًا، واحتمل الجمع والمصدر لكان الأليق بمعنى الآية المصدر لا الجمع» ا.هـ من «بدائع الفوائد» (٢/ ٨٤ - ٨٥).

منكم أنواعًا من الشكر وأصنافًا منه، بل الأليق بهم وبإخلاصهم أن يقولوا: لا نريد منكم شكرًا أصلاً، فينفوا إرادة نفس هذه الماهية منهم، وهو أبلغ في قصد الإخلاص من نفي الأنواع. فتأمله، فإنه ظاهر فلا يليق بالآية إلا المصدر[١].

❑ قال ابن الجوزي: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: لطلب ثواب اللَّه، قال مجاهد وابن جبير: أما إنهم ما تكلّموا بهذا، ولكن علمه اللَّه من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب»[٢].

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾: أي: حسنًا وبياضًا في الوجوه وسرورًا لا انقطاع له. وقال الحسن: النضرة في الوجوه والسرور في القلب»[٣].

❑ قال عطاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾: «شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب»[٤].

❑ وقال ابن القيم: «جمع لهم سبحانه بين الأمرين أن شكر سعيهم وأثابهم عليه، واللَّه تعالى يشكر عبده إذا أحسن طاعته ويغفر له إذا تاب عليه، فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور»[٥].

❑ قال ابن جرير الطبري: «يقال لهؤلاء الأبرار حينئذٍ: إن هذا الذي أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثوابًا على ما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات». قال قتادة: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن»[٦].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٢، ٣، ٤) «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٠) على الترتيب.

(٥) «عدة الصابرين» لابن القيم ص(٢٨٠).

(٦) «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٢).

والأبرار هم المقربون وهم أعلى درجة من أصحاب اليمين قال: الحسن: «هم الذين لا يؤذون الذر»[١] ، وهم أعلى أهل الجنة منزلة فالأبرار المقربون هم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات»[٢] كان الإخلاص شعارهم هم السابقون بالخيرات.

❐ قال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة اللَّه، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ».

❐ قال إبراهيم الهروي: طريق الجنة على ثلاثة أشياء أولها: أن يسكن قلبك بموعود اللَّه، والثاني: الرضا بقضاء اللَّه، والثالث: إخلاص العمل»[٣].

١٥ ـ لا سلطان للشيطان على المخلِصين، ولا سبيل له على إغوائهم، فهم على صراط مستقيم:

* قال تعالى عن الشيطان وإغوائه لمن في الأرض: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾** [الحجر: ٣٩ ـ ٤٢].

قرأ نافع وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر المخلصين بكسر اللام.

❐ وقرأ قتادة، ويعقوب: «هذا صراطٌ عَلِيٌّ مستقيم» أي: رفيع.

❐ قال الحسن: معناه صراط إليّ مستقيم.

---

(١) «زاد المسير» (٨/ ٤٣٠).

(٢) «تفسير ابن كثير».

(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٥٣).

وهذا يحتمل أمرين: أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض فقامت أداة «على» مقام «إلى».

□ والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى وهو الأشبه بطريق السلف. أي صراط موصّل إليّ.

□ وقال مجاهد: الحق يرجع إلى اللَّه وعليه طريقه لا يعرج على شيء وهذا مثل قول الحسن وأبين منه، وهو من أصح ما قيل في الآية.

□ وقيل: عليّ للوجوب، أي عليّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه. والقولان نظير القولين في آية النحل: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ [النحل: ٩]. والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر: أن السبيل القاصد ـ وهو المستقيم المعتدل ـ يرجع إلى اللَّه ويوصل إليه. قال طفيل الغنوي:

مضوا سلفا قصد السبيل عليهمُ وصرف المنايا بالرجال تشقلبُ

أي ممرنا عليهم، وإليهم وصولنا.

قيل في أداة «على» سر لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق كما قال في حق المؤمنين ﴿**أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ٥]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ [النمل: ٧٩]، واللَّه عز وجل هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى، فكان في أداة «على» على هذا المعنى ما ليس في أداة «إلى» فتأمله، فإنه سر بديع.

فإن قلت: فما الفائدة في ذكر «على» في ذلك أيضًا، وكيف يكون مستعليًا على الحق وعلى الهدى؟

قلت: لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى، مع ثباته عليه، واستقامته إليه فكان في الإتيان بأداة «على» ما يدلّ على علوه وثبوته

واستقامته، وهذا بخلاف الضلال والريب فإنه يؤتى فيه بأداة «في» الدالة على انغماس صاحبه وانقماعه وتدسسه فيه، كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠]، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، فإن طريق الحق تأخذ علوًّا بصاحبها إلى العليّ الكبير وطريق الضلال تأخذ سفلا هاوية بسالكها إلى أسفل سافلين.

* وفي قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١] قول ثالث: وهو قول الكسائي: إنه على التهديد نظير قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] كما يقال: طريقك عليّ، وممرك عليّ لمن تريد إعلامه بأنه غير فائت لك، ولا معجز، والسياق يأبى هذا ولا يناسبه لمن تأمله، فإنه قاله مجيبًا لإبليس الذي قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠]، فإنه لا سبيل لي إلى إغوائهم، ولا طريق لي عليهم فقرّر اللَّه عز وجل ذلك أتمّ التقرير، وأخبر أن الإخلاص صراط عليه مستقيم فلا سلطان لك على عباده الذين هم على هذا الصراط؛ لأنه صراط عليّ، ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصراط ولا الحوم حول ساحته، فإنه محروس محفوظ باللَّه، فلا يصل عدو اللَّه إلى أهله»... وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: وهما نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٢ ـ ١٣]، قال: فهذه مواضع في القرآن في هذا المعنى.. واختار شيخنا قول مجاهد في السور الثلاث»[1].

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٥ ـ ١٨).

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«لفظ هذه الآيات[١] فيه أن السبيل الهادي هو على اللَّه».

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في الآية الأولى ثلاثة أقوال، بخلاف الآيتين الأخريين[٢] ، فإنه لم يذكر فيهما إلا قولاً واحدًا، فقال في تلك الآية: اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاص. فالمعنى أن الإخلاص طريق إليّ مستقيم و«على» بمعنى «إلى».

والثاني: هذا طريق عليّ جوازه، لأني بالمرصاد فأجازيهم بأعمالهم وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للرجل تخاصمه: طريقك عليّ.

والثالث: هذا صراط عليّ استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان.

قال: وقرأ قتادة ويعقوب: ﴿**هذا صراط عَلِيٌّ**﴾ أي: رفيع... قال: القول الصواب هو قول أئمة السلف ـ قول مجاهد ونحوه ـ فإنهم أعلم بمعاني القرآن لا سيما مجاهد»[٣] .

وقال: «وذكروا القراءة على يعقوب وغيره: أي رفيع. قال البغوي: وعبّر بعضهم عنه: «رفيع أن يُنَال، مستقيم أن يمال»[٤] .

وقال: «قوله ـ هذا ـ إشارة إلى ما تقدّم ذكره، وهو قوله: ﴿**إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ فتعبد العباد له بإخلاص الدين له: طريق يدل عليه، وهو

---

(١) يعني: الحجر (٤١، ٤٢)، والنحل (٩)، والليل (١٢، ١٣).

(٢) الآية الأولى هي آية الحجر.

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ١١٥، ١١٦).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١١٦).

طريق مستقيم، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾»[1].

فسبيل الإخلاص هو سبيل الهدى والحق هو الذي يسعد أصحابه، وينالون به ولاية اللَّه ورحمته وكرامته فيكون اللَّه وليهم دون الشيطان. ليس للشيطان ـ بشرطه هو على نفسه ـ على عباد اللَّه المخلصين بمنأى عن ذلك كله.

◻ فلا يملك الشيطان أن يزين لهم؛ لأنه عنهم محصور، ولأنهم منه في حمى؛ ولأن مداخله إلى نفوسهم مغلقة، وهم يعلّقون أبصارهم وقلوبهم باللَّه. إن الشيطان لا يتلقّف إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع. فأما من يخلصون أنفسهم للَّه، فاللَّه لا يتركهم للضياع، ورحمة اللَّه أوسع بهم، ويكفي فخرًا وشرفًا أن اللَّه نسبهم إلى نفسه.

١٦ ـ طريق المخلصين عَلِيٌّ مستقيم، كلها تنزيه لرب العالمين:

طريق المخلصين صاف نيّر عليّ مستقيم رفيع أن يُنال، مستقيم أن يُمال.

* قال تعالى: ﴿هذا صراط عليٌّ مستقيم﴾. هكذا قرأ قتادة ويعقوب.

* وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٥٨ ـ ١٦٠]، وعلى قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن كثير، وابن عامر: ﴿إلا عباد اللَّه المخلِصين﴾.

◻ قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٧): «وقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تعالى وتقدّس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوًّا كبيرًا.

---

(١) المصدر السابق (٨/ ١١٩).

وقوله: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع، وهو من مثبت، إلا أن يكون الضمير في قوله: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عائد إلى جميع الناس، ثم استثنى منهم المخلصين، وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل. وجعل ابن جرير[١] هذا الاستثناء من قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ... إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، وفي هذا الذي قاله نظر» ا.هـ

❑ قال ابن القيم: «نزه سبحانه نفسه عما يصفه به كل أحد إلا المخلِصين من عباده، وهم الرسل ومن اتبعهم»[٢].

وقال: «قال غير واحد من السلف: هم الرسل»[٣].

وقال: «نزه نفسه عما يصفه به الخلق، ثم سلّم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد»[٤]

وهذا الطريق طريق الإخلاص وتنزيه اللَّه عز وجل وإثبات صفاته التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ طريق درج عليها وثبت الرعيل الأول، ثم فرق على أثرهم التابعون، وتبعهم على منهاجهم اللاحقون، يوصي بها الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك بنبيهم مقتدون، وعلى منهاجه سالكون» ومن صفا توحيده القولي العلمي صفا توحيده الإرادي الطلبي توحيد القصد.

❑ قال ابن تيمية: «وكلا النوعين مرتبط بالآخر، فلا يوجد أحد من

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٩).
(٢) «جلاء الأفهام» لابن القيم ص(٩١).
(٣) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/ ١٥٣).
(٤) «الصواعق المرسلة» (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة إلا وفيه نوع من الشرك العملي»[1].

١٧ ـ الإخلاص سبيل إلى كامل الغفران والنجاة من النيران:

بالإخلاص تغفر الذنوب وينجو العبد من النيران.

● جاء في حديث عمرو بن عبسة ـ رضي اللَّه عنه ـ: «... **فإن هو قام فصلى، فحمد اللَّه وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهله، وفرّغ قلبه للَّه إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه**»[2].

● وقوله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

● وقوله ﷺ: «**ما منكم أحد يتوضأ، فيحسن الوضوء، ثم يقوم، فيركع ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، وجبت له الجنة وغفر له**»[3].

● وقوله ﷺ: «**إن اللَّه حرم على النار من قال: لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه عز وجل**»[4].

* قال تعالى عن إلياس وقومه: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [الصافات: ١٢٧ - ١٢٨].

□ قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٢): «﴿**فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾ أي: للعذاب يوم الحساب، إلا عباد اللَّه المخلصين: الموحدين منهم. وهذا استثناء منقطع من مثبت».

---

(١) «مجموع الفتاوى» ـ السلوك ـ (١٠/ ٥٤، ٥٥).

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٣٧ - ٤٠].

* وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٣ - ٧٤]. وهم الموحدون على قراءة: ﴿المخلَصين﴾ وهم المخلِصون على قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وهمُ همْ.

✍ فطوبى لمن أخلص القصد للَّه عز وجل ويمم وجهه للَّه عز وجل، وطوبى لمن غفر اللَّه له سيئة واحدة.. فكيف إذا أتى الإخلاص بمحو السيئات وغفران الذنوب، وحرّم صاحبه على النار.. فأخلص يا أخي تتخلص.

* * *



الإخـــلاص

في

الكتــاب والســـنة



الإخلاص في الكتاب والسنة

✍ القرآن الكريم مليء بآيات الإخلاص التي تحث عليه وتبيّن فضله وشرف أهله، ورد الإخلاص في القرآن على عدة وجوه منها:

١ ـ الأمر به وإخلاص الدين للَّه:

* قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

* وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾. قال قتادة: أمرهم بالإخلاص.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

* الإخلاص: سمة بارزة للنبيين والمرسلين وشعار هذه الأمة:

* قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٦].

* وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

هو الاتجاه إلى فاطر السموات والأرض، الاتجاه الحنيف الذي لا ينحرف إلى الشرك، وهي الكلمة الفاصلة واليقين الجازم والاتجاه الأخير، فلا تردد بعد ذلك ولا حيرة»[1] .

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]. «فالأمة هو القدوة المعلم الخير، والقانت المطيع للَّه الملازم لطاعته، والحنيف المقبل على اللَّه المعرض عما سواه، ومن فسّره بالمائل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسّره بلازم المعنى، فإن الحنف هو الإقبال، ومن أقبل على شيء مال عن غيره، والحنف في الرِّجْلين هو إقبال إحداهما على الأخرى ويلزمه ميلها عن جهتها. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. فحنيفًا هو حال مفردة لمضمون قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، ولهذا فُسرت «مخلصًا»

---

(١) «الظلال» (٢/ ١١٤١).

فتكون الآية قد تضمنت الصدق والإخلاص، فإن إقامة الوجه للدين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره، والحنيف المفرد لمعبوده لا يريد غيره، فالصدق أن لا ينقسم طلبك، والإخلاص أن لا ينقسم مطلوبك.

الأول: توحيد الطلب.

والثاني: توحيد المطلوب»[١].

* وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. «بين سبحانه أن إقامة الوجه إخلاص القصد، وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفًا مقبلاً عليه معرضًا عمّا سواه هو فطرته التي فطر عليها عباده، فلو خُلُّوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ولا اختاروا سواه؛ ولكن غُيِّرت الفطر وأُفسدت، كما قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟**»، ثم يقول أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾»[٢].

أي: فطرهم منبين إليه، والإنابة إليه تتضمن الإقبال عليه بمحبته وحده، والإعراض عما سواه.

● وفي «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علّمني في مقامي هذا، إنه قال: كل مال نحلته**

---

(١) «جلاء الأفهام» لابن القيم ص(١٥٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

عبداً فهو له خلال، وإني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وحَرّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم»[١] .

فأخبر سبحانه أنه إنما فطر عباده على الحنيفية المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له وكمال طاعته وحده دون غيره»[٢] .

«قال عمر لمعاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنهما ـ: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة فقال عمر: صدقت»[٣] .

* وقال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

* وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

* وقال تعالى عن خاتم النبيين ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

«إنه التجرد الكامل للَّه، بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٦٢، ٢٦٦)، ومسلم (٥/ ٧١٦) في الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأبو داود الطيالسي (١٠٧٩) ص(١٤٥)، والنسائي في «فضائل القرآن» ص(١٠٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٤٢١ ـ ٤٢٣).

(٣) «شفاء العليل» لابن القيم (٢٨٦).

الحياة، بالصلاة والاعتكاف، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه.

☐ إنها تسبيحة التوحيد المطلق، والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، وتخلصها للَّه وحده. للَّه «رب العالمين». القوّام المهيمن المتصرف المربّي الموجه الحاكم للعالمين.. في «إسلام كامل» لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يُعبّدها للَّه، ولا يحتجز دونه شيئًا في الضمير ولا في الواقع «وبذلك أُمِرت»... فسمعتُ وأطعتُ.. «وأنا أول المسلمين»[1] .

وكان هذا التجرد شكرًا رخيًّا نديًّا على الهداية إلى الصراط المستقيم، الذي لا التواء فيه ولا عوج: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ وهو دين اللَّه القديم منذ إبراهيم.. أبي هذه الأمة المسلمة المبارك المخلص المنيب، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

☐ واختار اللَّه الإخلاص عنوانًا ونبراسًا لهذه الأمة وعلامة لها في طريق التوحيد الندي: ـ

* قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩].

* وقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]. فاللَّه اللَّه في السرائر التي تخفونها وهي للَّه بواد.

---

(١) «الظلال» (٣/ ١٢٤٠ ـ ١٢٤١).

* وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ الآية [الحج: ٣٧].

قال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «معناه؛ ولكن يناله النيات منكم»[1].

٢ ـ إخلاص الكافرين الدين للَّه عند البلاء الشديد:

* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

* وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥ ـ ٦٦].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

وسيمر في فضائل الإخلاص الآيات القرآنية في إخلاص اللَّه عز وجل من شاء من عباده، والمخلصون الناجون من عذاب الدنيا والآخرة، أو من تلبيس إبليس، والآيات في الثناء على المخلصين وفضل الإخلاص.

* * *

(١) «شرح بستان العارفين» للنووي ص(١٤).

* أحاديث واردة في فضل الإخلاص(١) :

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ المُدَّعي البيّنة فلم يكن له بينة، فاستحلف المطلوب، فحلف باللَّه الذي لا إله إلا هو، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«إنك قد فعلتَ، ولكن غفر اللَّه لك بإخلاصك قول لا إله إلا اللَّه»**(٢) .

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«الدنيا معلونة، ملعون ما فيها إلا ما ابتُغي به وجه اللَّه»**(٣) .

● وعن أبي فراس ـ رجل من أسلم ـ قال: نادى رجل فقال: يا رسول اللَّه! ما الإيمان؟ قال: **«الإخلاص»**، وفي لفظ آخر قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«سلوني عما شئتم»** فنادى رجل: يا رسول اللَّه: ما الإسلام؟ قال: **«إقام الصلاة وإيتاء الزكاة»**. قال: فما الإيمان؟ قال: **«الإخلاص»**. قال: فما اليقين؟ قال: **«التصديق»**(٤) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«إن اللَّه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهه»**(٥) .

---

(١) وهي غير الأحاديث الواردة في فضل الإخلاص.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥٣، ٢٨٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر في «تحقيقه» (٧٤، ٧٥، ٧٦) ح رقم (٢٢٨٠): وقال الهيثمي: فيه خراش بن المهاجر لم أعرفه وبقية رجال ثقات.

(٣) حسن لغيره: رواه الطبراني قال المنذري بإسناد لا بأس به، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٠٧): حسن لغيره.

(٤) صحيح: رواه البيهقي، وأبو فراس الأسلمي مذكور في الصحابة دون خلاف. والحديث متصل، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٠٤).

(٥) إسناده حسن: رواه النسائي (٦/ ٢٥)، واللفظ له عن أبي أمامة الباهلي، ونحوه عند أحمد (٤/ ١٢٦) من حديث شداد بن أوس، وذكره البيهقي بطرق مختلفة في «السنن» =

● وعن عثمان ـ رضي اللّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًّا من قلبه إلا حُرِّم على النار**»، فقال له عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز اللّه ـ تبارك وتعالى ـ بها محمدًا وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص[1] عليها نبي اللّه عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا اللّه»[2].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: سمعت أبا بكر ـ رضي اللّه عنه ـ على هذا المنبر يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ في هذا اليوم من عامه الأول، ثم استعبر أبو بكر وبكى، ثم قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**لم تُؤتواْ شيئًا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية، فاسألوا اللّه العافية**»[3].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أنه قال: قيل: يا رسول اللّه: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول اللّه ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوْلى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا اللّه خالصًا من قلبه ـ أو نفسه ـ**»[4].

= (٩/ ٢٨٢) عن ابن عباس وأبي هريرة. وحسن إسناده الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٢)، ومحقق «جامع الأصول» (٣/ ٥٨٤).

(١) ألاص الإنسان إذا حرّكه عن موضعه وأداره لينتزعه.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (١/ ٦٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥): رجاله ثقات، وقال الشيخ شاكر في تحقيق «المسند» (١/ ٣٥٣): إسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح: رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٧٦، ٧٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٨٨٦)، واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر محقق «المسند» (١/ ١٥٨، ١٥٩): إسناده صحيح.

(٤) البخاري «الفتح» (١/ ٩٩)، وله رواية أخرى في الرقاق مثلها إلا قوله: «خالصًا من قلبه» ـ أو نفسه ـ جاءت من قبل نفسه. «الفتح» (١١/ ٦٥٧٠).

● وعن عبداللَّه بن الزبير ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة يقول: «**لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا اللَّه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا اللَّه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**»[١] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»[٢] .

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة وإذا استُنفرتم فانفروا**»[٣] .

● وعن عبداللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللَّهم لك أسلمت وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ـ أو لا إله غيرك ـ**»[٤] .

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٠٦)، وقال الألباني (١/ ٢٨١) رقم (١٣٣٤): صحيح، ونحوه عند مسلم.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود في «سننه» (٣١٩٩)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٦١٧) رقم (٢٧٤٠): حسن.

(٣) رواه البخاري «الفتح» (٦/ ٢٧٨٣) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٣٥٣) عن عائشة وهو نفس لفظ ابن عباس.

(٤) رواه البخاري «الفتح» (١١/ ٦٣١٧) واللفظ له، ومسلم (٧٦٩).





معاني الإخـلاص وميـادينـه



«معاني الإخلاص وميادينه»

١ ـ الإخلاص في التوحيد يحرّم العبد على النار:

❑ قال ابن القيم: «قد فسّر السلف «دعوة الحق» بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق ومرادهم هذا المعنى.

● فقال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ: «دعوة الحق: التوحيد.

● وقال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: شهادة أن لا إله إلا اللَّه. وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا للَّه، ودعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها»[١] .

❑ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإخلاص للَّه هو الإسلام، إذ الإسلام هو الاستسلام للَّه لا لغيره كما قال اللَّه تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٢٩]، فمن لم يستسلم للَّه فقد استكبر، ومن استسلم له ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام»[٢] .

* قال تعالى: ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي**﴾ [الزمر: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١٤٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الآية [النساء: ١٤٥ ـ ١٤٦].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

(٢) «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» ص(٣٠٧) ـ تحقيق يحيى بن محمد الهنيدي ـ مكتبة الرشد.

وكلمة التوحيد هي كلمة الإخلاص، والإخلاص هو توحيد القصد والتوحيد العملي الذي أُرسل به المرسلون. و«ليس في خزائن اللَّه أكبر من التوحيد»[١] كما قال سهل التستري.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما قال عبد لا إله إلا اللَّه قط مخلصًا إلا فُتِحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش، ما اجتُنِبت الكبائر»**[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأني رسول اللَّه، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن، إلا غفر اللَّه له»**[٣].

● وعن عتبان بن مالك الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ: غدا عليّ رسول اللَّه ﷺ فقال: **«لن يُوافى عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا اللَّه يبتغي به وجه اللَّه إلا حرّم اللَّه عليه النار»**[٤].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا اللَّه خالصًا من قلبه أو نفسه»**[٥].

● وعن عتبان بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«إن**

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٣٦).

(٢) حسن: رواه الترمذي عن أبي هريرة وحسّنه. قال المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٥٩): ولم يبيّن الترمذي لم لا يصح قال ابن القطّان: وذلك لأن فيه الوليد بن القاسم ضعّفه ابن معين مع كونه لم تثبت عدالته فحديثه لأجل ذلك لا يصح»، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٣١٤)، و«الترغيب» (٢/ ٢٣٨)، و«صحيح الجامع» (٥٦٤٨)، وعبدالقادر الأرناؤوط في «تحقيق جامع الأصول» (٤/ ٣٩٢).

(٣) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي، وابن ماجه، والحميدي وابن حبان عن معاذ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٧٨)، و«صحيح الجامع» (٥٧٩٣).

(٤) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٢٣).

(٥) البخاري (١/ ١٩٣) في العلم ـ باب الحرص على الحديث ـ وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٨).

الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل»[١] .

قال الشيخ حافظ حكمي: في شروط لا إله إلا الله:

وبشروط سبعة قد قُيِّدت ... وفي نصوص الوحي حقًا وردتْ

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد قدر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفّقك الله لما أحبّه

قال الشيخ ياسر برهامي في «فضل الغني الحميد»: هذه الشروط ليست شروطًا في قبول الإسلام الظاهر في الدنيا، بل في نفع صاحبه في الآخرة، وتأمل جميع الأدلة التي ذكرت في كون هذه الأعمال شروطًا تجدها إنما هي في أمر الآخرة: «حرمه الله على النار»، و«دخل الجنة»، ونحو ذلك وليست في ثبوت عصمة الدم والمال بل النطق بها مع شهادة أن محمدًا رسول الله كاف في عصمة الدم والمال وثبوت حكم الإسلام ظاهرًا وجريان أحكام الإسلام على صاحبها في الدنيا، واحذر مما وقع فيه أهل البدع من الخلط بين الأمرين.. فاليقين وغيره من الشروط شرط في صحة الإسلام والإيمان باطنًا وهذا الأمر لا علم لنا به لأننا لم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس»[٢]. ولقد نقل العلامة ابن رجب الإجماع عن دخول العبد الإسلام بالنطق بالشهادتين فقط.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في «فتح المجيد»: حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى

---

(١) رواه البخاري (١١/٥١٨) في الصلاة ـ باب إذا دخل بيتًا يصلي حيث يشاء. ومسلم (١/٤٥٦/ح٢٦٤) في المساجد ـ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعد.

(٢) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ وعليه حاشية بقلم الشيخ ياسر برهامي (١/ ٩٠ ـ ٩١) ـ مركز الهدى للدراسات.

بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة**»[1] ، وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: «لا إله إلا اللَّه يدخل النار، ثم يخرج منها، وتواترت بأن اللَّه حرّم على النار من قال: لا إله إلا اللَّه، ومن شهد أن محمدًا رسول اللَّه، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادة، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه.. وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرًّا على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون اللَّه أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم اللَّه ولا كراهة لما أمر اللَّه، وهذا هو الذي يحرم النار إن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص، وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا يترك له ذنبًا إلا مُحِيَ عنه كما يمحو الليل النهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصرّ على ذنب أصلاً، فيغفر له ويُحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يُناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته»[2] .

□ عن أبي يزيد ـ البسطامي ـ قال: لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء[3] .

---

(١) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) «فتح المجيد» (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٥٠).

❑ قال ابن القيم في «الفوائد»: «إذا كان اللَّه وحده حظّك ومرادك، فالفضل كله تابع لك يزدلف إليك، أيّ أنواعه تبدأ به.

وإذا كان حظك ما تنال منه؛ فالفضل موقوف عنك؛ لأنه بيده تابع له، فعل من أفعاله، فإذا حصل لك حصل لك الفضل بطريق الضمن والتبع، وإذا كان الفضل مقصودك لم يحصل اللَّه بطريق الضمن والتبع، فإن كنت قد عرفته وأنست به ثم سقطت إلى طلب الفضل، حرمك إيّاه عقوبة لك، ففاتك اللَّه وفاتك الفضل».

٢ ـ الموالاة في اللَّه أوثق عُرَى الإيمان:

● عن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**من أحب للَّه، وأبغض للَّه، وأعطى للَّه، ومنع للَّه فقد استكمل الإيمان**»[١].

● وعن ابن مسعود وابن عباس والبراء ـ رضي اللَّه عنهم أجمعين ـ مرفوعًا: «**أوثق عُرا الإيمان: الموالاة في اللَّه، والمُعاداة في اللَّه، والحب في اللَّه، والبغض في اللَّه**»[٢].

❑ قال ابن القيم في «الفوائد»: «إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد مَن تركها لغير اللَّه، أما من تركها صادقًا مخلصًا من قلبه للَّه، فإنه لا يجد في تركها مشقة إلاّ في أول وهلة ليُمتحن: أصادق هو في تركها أم كاذب؟ فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة.

❑ قال ابن سيرين: سمعت شُرَيْحًا يحلف باللَّه: ما ترك عبدٌ للَّه شيئًا

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والضياء في «المختارة» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٨٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٩٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه الطيالسي، والحاكم، والطبراني في «الكبير والأوسط» عن ابن مسعود، والطبراني عن ابن عباس، وأحمد في «مسنده»، وابن أبي شيبة، وابن نصر عن البراء، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٢٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٥٣٩).

فوجد فقده وقولهم: «من ترك شيئًا للَّه عوّضه اللَّه خيرًا منه» حق، والعِوَض أنواع مختلفة، وأجلّ ما يُعَوّض به: الأنس باللَّه ومحبته وطمأنينة القلب به وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى» ا.هـ

الإخلاص في الحب في اللَّه

● عن عبادة بن الصامت - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«قال اللَّه تعالى: حقّت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم النبيون والصدّيقون والشهداء»**[1].

● وعن أنس - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه اللَّه منه، كما يكره أن يُقذف في النار»**[2].

● قال ﷺ: **«من سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا للَّه»**[3].

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: **«أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد اللَّه تعالى على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه**

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني والحاكم عن عبادة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٣٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم عن أبي هريرة، وكذا رواه ابن نصر والبزار، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٠٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٨٨).

قال: أين تريد؟ قال: أُريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها عليه؟ قال: لا؟ غير أني أحببته في اللَّه تعالى، قال: فإني رسول اللَّه إليك بأن اللَّه قد أحبك كما أحببته فيه»[١] .

◻ قال الفيض بن إسحاق: قال لي الفضيل: تريد الجنة مع النبيين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها للَّه عز وجل، وأي قريب باعدته في اللَّه، وأي بعيد قرّبته في اللَّه[٢]

◻ قال إبراهيم بن الأشعث: «ما رأيت أحداً كان اللَّه في صدره أعظم من الفضيل. . . ما رأيت رجلاً يريد اللَّه بعلمه وأخذه وإعطائه ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره ـ يعني: الفضيل ـ»[٣] .

٣ ـ الإخلاص في الصلاة :

● قال ﷺ : **«ما منكم من أحد يتوضأ، فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، وجبت له الجنة، وغفر له»**[٤] .

● وقال ﷺ : **«ما منكم من رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويمج، ويستنشق، فينتثر إلا جرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره اللَّه، إلا جرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا جرت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه كما أمره اللَّه، إلا جرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٠).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وأبو عوانة، وابن حبان، والبيهقي في «سننه» عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٠٢).

كما أمره اللَّه، إلا جرت خطايا رجليه من أطراف أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى، فحمد اللَّه وأثنى عليه ومجده بالذي هو أهله، وفرغ قلبه للَّه إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أُمه»[(١)] .

● قال ﷺ : **«ما من عبد يسجد للَّه سجدة، إلا كتب اللَّه له بها حسنة، وحط عنه بها سيئة ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود»**[(٢)] .

٤ ـ الإخلاص في قيام رمضان :

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدّم من ذنبه»**[(٣)] .

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٩١): «من قام بالطاعة في رمضان أتى بقيام رمضان وهو التراويح أو إلى إحياء لياليه بالعبادة غير ليلة القدر ويحصل بنحو تلاوة أو صلاة أو ذكر شرعي «**إيمانًا**» تصديقًا بوعد اللَّه بالثواب عليه «**واحتسابًا**» إخلاصًا، وجمع بينهما؛ لأن المصدق للشيء قد لا يفعله مخلصًا بل لنحو رياء، والمخلص في الفعل قد لا يكون مصدقًا بثوابه.

٥ ـ قيام ليلة القدر احتسابًا :

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال رسول اللَّه ﷺ : **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[(٤)] .

❑ قال المناوي: «أي أحياها مجردة عن قيام رمضان إيمانًا وإخلاصًا من غير شوب نحو رياء طلبًا للقبول هبه شعر بها أم لا»[(٥)] .

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن عمرو بن عبسة.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والضياء عن عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٤٢).

(٣) رواه أصحاب الكتب الستة عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي.

(٥) «فيض القدير» (٦/ ١٩١).

٦ ـ حب المساجد والخروج إليها والمكث بها ابتغاء وجه اللَّه:

● قال ﷺ: «ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تُبشبش اللَّه له من حين يخرج من بيته، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم، إذا قدم عليهم»(١).

● قال ﷺ: «سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة اللَّه تعالى، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في اللَّه، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خاليًا ففاضت عيناه»(٢).

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد، كان في صلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدهم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللَّهم ارحمه، اللَّهم اغفر له، اللَّهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه»(٣).

٧ ـ الذكر عند الأذان إخلاصًا للَّه عز وجل:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا قال المؤذن: اللَّه أكبر اللَّه أكبر، فقال: أحدكم: اللَّه أكبر اللَّه أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، فقال: أشهد أن لا إله

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه والحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الأشبيلي، وحسنه المناوي في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٨٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

إلا اللَّه، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول اللَّه، قال: أشهد أن محمداً رسول اللَّه، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، ثم قال: حي على الفلاح، فقال: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، ثم قال: اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، قال: اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، ثم قال: لا إله إلا اللَّه، قال: لا إله إلا اللَّه، من قلبه دخل الجنة»[١] .

٨ ـ الصوم احتسابًا للَّه عز وجل:

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«من صام رمضانًا إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**[٢] ، قال المناوي: احتسابًا لأمر اللَّه به طالبًا الأجر أو إرادة وجه اللَّه لا لنحو رياء.

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«من صام يومًا في سبيل اللَّه، باعد اللَّه منه جهنم مسيرة مائة عام»**[٣] . **«في سبيل اللَّه»**: أي للَّه ولوجهه أو في الغزو أو الحج.

● وقال ﷺ : **«من صام يومًا في سبيل اللَّه جعل اللَّه بينه وبين النار خندقًا، كما بين السماء والأرض»**[٤] .

وقد نسب اللَّه الصوم إلى نفسه من دون بقية العبادات فهو العبادة الوحيدة التي لا يدخلها الرياء إذا لم يخبر الإنسان عن صومه بلسانه يريد بذلك الرياء.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أحمد وأصحاب الكتب الستة عن أبي هريرة.

(٣) حسن: رواه النسائي عن عقبة بن عامر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٣٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٦٣)، و«تخريج المشكاة» (٢٠٦٤)، و«صحيح الترغيب» (٩٨١)، و«صحيح الجامع» (٦٣٣٣).

٩ ـ الإخلاص في الإنفاق ابتغاء وجه اللَّه:

* قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

❑ قال ابن كثير: «هذا مثل ضربه اللَّه لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته».... وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: بحسب إخلاصه في عمله»(١).

* وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

* وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

❑ قال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت لوجه اللَّه فلا عليك ما كان عمله»، وهذا معنى حسن، وحاصله: أن المتصدق إذا تصدّق ابتغاء وجه اللَّه فقد وقع أجره على اللَّه سبحانه، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب البرّ أو الفاجر أو مستحق أو غيره، وهو مثاب على قصده، ومستند هذا تمام الآية: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) «تيسير العلي القدير» (١/ ٢٢٦، ٢٢٧).

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

□ قال ابن كثير: هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات، حتى النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

● وفي حديث السبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله: **«ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»**.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»**[1].

□ قال المناوي في «فيض القدير» (٤/٢٠٦ ـ ٢٠٧): «والسر ما لم يطلع عليه إلا الحق تعالى وذلك لأن إسراره دليل على إخلاصه لمشاهدة ربه وهي درجة الإحسان، وفي القرآن: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فنور الإخلاص ورحمة الإحسان أطفأ نار الغضب».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيا تُطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»**[2].

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٩٧)، و«صحيح الترغيب» (٨٨٠).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أم سلمة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٨١١)، و«صحيح الجامع» (٣٧٩٦).

* قال تعالى في شأن المخلصين المنفقين المطعمين ذوي الحاجات: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

□ عن الربيع بن خثيم أنه قال لأهله: اصنعوا لنا خبيصًا، فصنعوا له فدعا رجلاً به خبل فجعل يلقمه ولعابه يسيل؛ فلما ذهب قال أهله: تكلّفنا وصنعنا ما ندري هذا ما أكل، فقال الربيع: «لكن اللَّه يعلم»[1] .

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «أهديت لرسول اللَّه ﷺ شاة. قال: «اقسميها»، فكانت عائشة إذا رجعت الخادم تقول: ما قالوا؟ يقول الخادم: قالوا: بارك اللَّه فيكم، فتقول عائشة: وفيهم بارك اللَّه، نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا»[2] .

«إن من تمام إخلاص عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ، أنها لم تكن تنتظر شيئًا حتى الدعاء»[3] .

* إنفاق الصديق على مسطح بن أثاثة بعد نزول براءة عائشة هو الإخلاص العالي:

* قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة. وقد عرف أن مسطح بن أثاثة كان ممن

---

(١) «الحلية» (٢/١٠٧).

(٢) «صحيح الكلم الطيب» برقم (٢٣٨).

(٣) «الإخلاص» لحسين العوايشة ص(٤١).

عنه ـ بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة. وقد عرف أن مسطح بن أثاثة كان ممن خاضوا فيه وهو قريبه، وهو من فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ ينفق عليه، فآلى على نفسه لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا. ثم كان ماذا؟

«فطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية التي تطهرت بنور اللَّه، أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ أبي بكر الذي مسّه حديث الإفك في أعماق قلبه، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعِرضه، فما كاد يسمع دعوة ربه إلى العفو، ويكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحي: ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾؟ حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع على مشاعر الإنسان، ويرتفع على منطق البيئة. وحتى تشف روحه وترف وتشرق بنور اللَّه، فإذا هو يلبي داعي اللَّه في طمأنينة وصدق يقول: بلى واللَّه إني لأحب أن يغفر اللَّه لي، ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف: واللَّه لا أنزعها منه أبدًا ذلك في مقابل ما حلف: واللَّه لا أنفعه بنافعة أبدًا بذلك يمسح اللَّه على آلام ذلك القلب الكبير، ويغسله من أوضار المعركة، ليبقى أبدًا نظيفًا طاهرًا زكيًّا مشرقًا بالنور»[1].

إنه الإخلاص الذي يجعل الصديق ينفق على من خاض في عرض أطهر من مشت على الأرض زوج النبي ﷺ وبنت الصديق ـ رضي اللَّه عنهما ـ.

* **المتصدق بعِرضه في الليالي على مَن ظلمه:**

إنه الرباني الصحابي الجليل عُلبة بن زيد الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ: «كان علبة بن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، فلما حضّ على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده، فقال علبة بن زيد: «اللّهم

---

(١) «الظلال» (٤/ ٢٥٠٥).

إني ليس عندي ما أتصدّق به، اللّهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك، فأمر رسول اللّه ﷺ مناديًا فنادى: أين المتصدق بعرضه البارحة؟ فقام علبة فقال: «**قد قبلت صدقتك**».

❑ وعند ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ١): «فقال النبي ﷺ : «**أين المتصدق هذه الليلة؟**» فلم يقم إليه أحد. ثم قال: «**أين المتصدق؟ فليقم**» فقام إليه فأخبره، فقال النبي ﷺ : «**أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة**».

رجال من الأحباب تاهت نفوسهم ... ينادونه خوفًا ويدعونه قصدا
وقاموا بليل والظلام مُغَلِّلٌ ... إلى منزل الأحباب فاستعملوا الكدّا
يجودون بالأعراض في حلك الدجى ... وقصدهم الفردوس كي يرزقوا الخلدا
أولئك قوم في العبادة أخلصوا ... فتاهوا به شوقًا وماتوا به وجدا

*** الإخلاص في أبهى صوره في الإيثار حتى الموت:**

❑ عن ابن الأعرابي قال: استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأُتوا بالماء وهم صَرْعى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه!! أُتي عكرمة بالماء فنظر إلى سُهيل بن الحارث بن هشام ينظر إليه فقال: ابدءوا بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوه، فمرّ بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم[1].

❑ «وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إنْ كان به رمق سقيْته ومسحتُ به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أنْ نعم، فإذا رجل يقول: آه.. فأشار

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٢٥٩).

أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه.. فأشار هشام: انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، رحمة اللَّه عليهم أجمعين»[١] .

١٠ ـ الإخلاص في الحج:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**من حج للَّه، فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[٢]

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**اللَّهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»[٣] .

● قال رجل لابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ: ما أكثر الحاج! فقال ابن عمر: ما أقلّهم، ثم رأى رجلاً على بعير على رحل رث، خطامه حبل فقال: لعلّ هذا.

❑ وقال شريح: الحاج قليل والركبان كثير. وما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقلّ الذين يريدون وجهه.

خليليّ قطّاع الفيافي إلى الحمى كثيرٌ وأما الواصلون قليل

❑ حج الحسن بن علي خمسًا وعشرين حجة ماشيًا. وإن النجائب لَتُقادُ معه، ولقد قاسم اللَّه تعالى ماله ثلاث مرات، حتى كان يُعطي الخفّ ويمسك النعل»[٤] .

والحج خلوص النيّة للبر قبل البرية، وإصلاح الطوية، قبل امتطاء المطية

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٧٤).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٣١٣).

(٤) «أضواء البيان» للشنقيطي (٥/ ٧٠).

وقصد رب البيت قبل قصد البيت.

الحج رحلة إلى اللَّه في دار الدنيا، يفارق الأهل والوطن متوجهًا إلى اللَّه عز وجل في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا، متوجهًا إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له، الذين نودوا فأجابوا، وشُوِّقوا فاشتاقوا، واستنهضوا فنهضوا، وقطعوا العلائق، وفارقوا الخلائق، وأقبلوا على بيت اللَّه عز وجل الذي فخم أمره، وعظم شأنه، ورفع قدره.

«والإحرام في الحج والعمرة بمنزلة التكبير في الصلاة، فيه تصوير الإخلاص والتعظيم». كما قال الإمام الدهلوي: والتلبية «لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

معناها: اتجاهي وقصدي إليك ومحبتي لك، وإخلاصي لك.

❑ قال سفيان بن عيينة: حجّ عليّ بن الحسين - رحمه اللَّه - فلما أحرم، واستوت به راحلته؛ اصفرّ لونه، وانتفض، ووقعت عليه الرّعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: لِمَ لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يُقالَ لي: لا لبيك ولا سعديك، فلما لبّى غُشِيَ عليه، ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

❑ قال مالك: أحرم علي بن الحسين، فلما أراد أن يلبي قالها فأغمي عليه وسقط عن ناقته وهُشم[1].

● وعن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الحاج الشعث التّفِل»**[2].

---

(١) «السير» (٤/ ٢٩٢)، وابن عساكر (١٢/ ١٢٠).

(٢) حسن: أخرجه أحمد والترمذي، وابن ماجه، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه السيوطي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٦٢).

«الحاج الشعث التَّفِل»[٢].

● وفي حديث المباهاة يوم عرفة أن اللَّه تعالى يقول للملائكة: «**انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا ضاحين، اشهدوا أني قد غفرتُ لهم**».

● قال عمر - رضي اللَّه عنه - يومًا وهو بطريق مكة: «تشعثون وتغبرون وتتفلون وتضحون لا تريدون بذلك شيئًا من عرض الدنيا، ما نعلم سفرًا خيرًا من هذا يعني الحج.

❑ وقف مطرّف بن عبداللَّه بن الشخير وبكر المزني بعرفة فقال أحدهما: اللَّهم لا ترد أهل الموقف من أجلي، وقال الآخر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أني فيهم.

❑ وسفيان بن عيينة - رحمه اللَّه - يقول: شهدتُ ثمانين موقفًا. وكان - رحمه اللَّه - يقول في كل موقف: اللَّهم لا تجعله آخر العهد منك، فلما كان العام الذي مات فيه، لم يقل شيئًا، وقال: قد استحييت من اللَّه تعالى[١].

❑ والحافظ البرزالي صاحب «التاريخ والمعجم الكبير» مات بخليْص مُحرمًا في ثالث ذي الحجة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث، ومرّ به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته وهو محرم فمات..» الحديث، وفيه: «**فإنه يُبعث ملبيًا**» فكان إذا قرأه يبكي، ويرقُّ قلبه، فمات محرمًا بخليص»[٢].

✍ قولوا لمن لم يكن صادقًا مخلصًا: لا يتعنَّ.

١١ - الإخلاص في طلب الشهادة:

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٦٥).

(٢) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ص(٢١٧) - المكتب الإسلامي.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«من سأل القتل في سبيل اللَّه صادقًا من قلبه، أعطاه اللَّه أجر شهيد، وإن مات على فراشه»**(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من سأل الشهادة بصدق، بلّغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**(٢).

□ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٤٤): «مجازاة على صدق الطلب؛ لأن كلا منهما نوى خيرًا وفعل ما يقدر عليه فاستويا في أصل الأجر، ولا يلزم من استوائهما فيه من هذه الجهة استواؤهما في كيفيته وتفاصيله إذ الأجر على العمل ونيته يزيد على مجرد النية، ولا ريب أن الحاصل للمقتول من ثواب الشهادة تزيد كيفيته وصفاته على الحاصل للناوي الميت على فراشه وإن بلغ منزلة الشهيد فهما وإن استويا في الأجر لكن الأعمال التي قام بها العامل تقتضي أثرًا زائدًا وقربًا خاصًا وهو فضل اللَّه يؤتيه من يشاء.. وفيه ندب سؤال الشهادة بنية صادقة» ا.هـ

١٢ ـ الإخلاص في الصدق:

● عن شداد بن الهاد ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ﷺ فيها شيئًا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاءهم دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم لك النبي ﷺ، فأخذه، فجاء به

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن معاذ، والحاكم في «المستدرك» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ١٦٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٧٧).

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن سهل بن حنيف.

ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق اللَّه يصدقك**» فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ : «**أهو هو؟**»، قالوا: نعم، قال: «**صدق اللَّه فصدقه**»، ثم كفنه النبي ﷺ في جُبّة، ثم قدمه فصلى عليه، فكان مما ظهر من صلاته: «**اللَّهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقُتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك**»(١) .

● وانظر إلى عمرو بن عتبة بن فرقد الصوّام القوّام: خرج ـ رحمه اللَّه ـ في غزاة كان فيها أبوه، فلبس جبة بيضاء، وهو يقول: ما أحسن حمرة الدم على البياض، فسمع أبوه ذلك، فقال: أقسمتُ عليك لتنزلن. قال: فنزل، ثم اعتزل عن الصف، فقام يصلي، فجعل يدعو، فالتفت إليه عتبة فقال لمن معه: هذا عمرو يستشفع عليّ بربه، اركب يا بني إن شئتَ فركب.. ومرّوا بمرج حسن فقال عمرو: ما أحسن هذا المرج، وما أحسن هذا الآن لو أن مناديًا نادى: يا خيل اللَّه اركبي، فما كان أسرع من أن نادى المنادي: يا خيل اللَّه اركبي.. أصيب عمرو بجرح صغير، فقال: واللَّه إنك لصغير، وإن اللَّه عز وجل ليبارك في الصغير، دعوني في مكاني هذا حتى أمسي، فإن أنا عشت فارفعوني، فمات شهيدًا في مكانه ذلك»(٢) .

١٣ ـ الرباط ابتغاء مرضاة اللَّه وإرادة وجهه:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**من رابط يومًا وليلة في سبيل اللَّه كان له**

---

(١) صحيح: رواه النسائي في «الجنائز» ـ الصلاة على الشهداء (٤/ ٣٦٢)، حديث (١٩٥٢)، وعبدالرزاق في «مصنفه» الجهاد ـ باب الصلاة على الشهيد (٥/ ٢٧٦) رقم (٩٥٩٧)، والحاكم في «ذكر شداد بن الهاد» (٣/ ٥٩٥، ٥٩٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ـ الجنائز ـ باب في المرتث (٤/ ١٥، ١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٤١٥).

(٢) «كتاب الجهاد» لعبداللَّه بن المبارك ص(١١٤ ـ ١١٧).

كأجر صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا جرى له مثل ذلك من الأجر، وأُجري عليه الرزق، وأمن الفتّان»[١] .

▭ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٢٢٦): «لأن المرابط ربط نفسه وسجنها وصيّرها حبيسًا للَّه في سبيله لحرب أعدائه، فإذا مات على ذلك فقد ظهر صدق ما في ضميره، فوُقي فتنة القبر»[٢] .

١٤ ـ من جهّز الغُزاة مرضاةً للَّه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«من جهّز غازيًا في سبيل اللَّه، كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئًا»**[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من جهز غازيًا في سبيل اللَّه، فقد غزا، ومَنْ خَلّف غازيًا في سبيل اللَّه في أهله بخير فقد غزا»**.

١٥ ـ من جاهد لتكون كلمة اللَّه هي العليا:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه»**[٤] .

▭ قال المناوي: «يفهم أن من قاتل للدنيا أو للغنيمة أو لإظهار نحو شجاعة فليس في سبيل اللَّه ولا ثواب له، نعم من قاتل للجنة ولم يخطر

---

(١) صحيح: رواه النسائي والحاكم في «المستدرك» عن سلمان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ١٥٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٥٩).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن زيد بن خالد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٧٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٦١٩٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والبخاري ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي عن زيد بن خالد.

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن أبي موسى الأشعري.

شجاعة فليس في سبيل اللَّه ولا ثواب له، نعم من قاتل للجنة ولم يخطر بباله إعلاء كلمة اللَّه فهو كالمقاتل للإعلاء إذ مرجعهما هو ورضا اللَّه واحد»[١] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«ما من مجروح يُجرح في سبيل اللَّه ـ واللَّه أعلم بمن يُجرح في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جُرِح، اللون لون الدم، والريح ريح المسك»**[٢] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«ما من مكلوم يُكلَم في اللَّه، إلا جاء يوم القيامة وكلْمُه يَدمي، اللون لوم الدم، والريح ريح المسك»**[٣] .

*** سعيد بن الحارث والخالدة:**

عن رافع بن عبداللَّه قال: قال لي هشام بن يحيى الكناني: لأحدثنك حديثًا رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني اللَّه عز وجل به فعسى اللَّه أن ينفعك به كما نفعني، قلت: حدثني يا أبا الوليد قال: غزونا أرض الروم سنة ثمان وثمانين وعلينا مسلمة بن عبدالملك وعبداللَّه بن الوليد بن عبدالملك وهي الغزوة التي فتح اللَّه عز وجل فيها الطوانة، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحارث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ١٨٨).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٥٣)، و«صحيح الترغيب» (٢/ ١٨٠).

(٣) رواه البخاري.

إلا أن يكون في جميع الأمور بحيث لا يخلي شيئًا من عبادته، وما رأيته في ليل ولا نهار إلا في حال اجتهاد، فإن لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر اللَّه تعالى ودراسة القرآن، قال هشام: فأدركني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة ونحن محاصرون حصنًا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد في تلك الليلة في شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسي وعجبت من قوة جسمه على ذلك، وعلمت أن اللَّه يؤتي الفضل من يشاء. وأصبح كالاً من التعب فقلت له: يرحمك اللَّه إن لنفسك عليك حقًّا ولعينك عليك حقًّا ولقد علمت أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**»، وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لي: يا أخي إنما هي أنفاس تعدّ وعمر يفنى وأيام تنقضي، وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي، فأبكاني جوابه ودعوت اللَّه عز وجل له بالعون والتثبيت، ثم قلت له: نم قليلاً تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو، فإن حدث شيء كنت نشيطًا فنام إلى جانب الخباء، وتفرق أصحابنا فمنهم من هو في القتال، ومنهم من هو في غير ذلك، وأقمت في موضعي أحرس رحالهم، وأصلح لهم طعامهم، فأنا كذلك إذ سمعت كلامًا في الخباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائمًا، وظننت أن أحدًا دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحدًا غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم وهو يضحك في نومه، فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئًا، ثم ردّها بلطف وهو يضحك، ثم قال: فالليلة ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد، فاحتضنته إلى صدري مدة وهو يلتفت يمينًا وشمالاً حتى سكن وعاد له فهمه، وجعل يهلل ويكبر ويحمد اللَّه تعالى فقلت له يا أخي: ما شأنك؟ فقال: خيرًا يا أبا الوليد، قلت: إني قد رأيت منك شيئًا وسمعت منك كلامًا في نومك فحدّثني بما رأيت فقال:

فعسى اللَّه يجعل لي في ذلك عظة وخيرًا. فحدَّثه عما رأى في منامه من قول رجلين له لم ير قط مثل صورتهما كمالاً وحسنًا يا أبا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى في حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعده اللَّه لك من النعيم.

وظل سعيد يسرد ما رأى من القصور والحور وترحيبهن به، والجواري، حتى انتهى إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون فقالت له: قد طال انتظارنا إياك، فقلت لها: أين أنا؟ قالت في جنة المأوى. فقلت: ومن أنت؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة. قال: فمددت يدي إليها فردتها بلطف، وقالت: أما اليوم فلا. إنك راجع إلى الدنيا، فقلت: ما أحب أن أرجع. فقالت: لا بد من ذلك وستقيم ثلاثًا ثم تفطر عندنا في الليلة الثالثة إن شاء اللَّه تعالى. فقلت: فالليلة الليلة، قالت: إنه كان أمرًا مقضيًا، ثم نهضت عن مجلسها، ووثبت لقيامها فإذا أنا قد استيقظت، قال هشام: فقلت: يا أخي أحدِث للَّه شكرًا فقد كشف لك عن ثواب عملك، فقال لي: هل رأى أحد غيرك مثل ما رأيت مني؟ فقلت: لا. فقال: أسألك باللَّه عز وجل إلا سترت عليّ ما دمت حيًا فقلت: نعم. فقال: ما فعل أصحابنا فقلت: بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومسّ طيبًا وأخذ سلاحه وسار إلي موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل، وانصرف أصحابه وهو فيهم، فقالوا لي: يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم، وكل ذلك ينبو عنه، فقلت في نفسي: لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه، قال: وأفطر على شيء من الطعام وبات ليلته قائمًا وأصبح صائمًا فصنع كصنيعه بالأمس، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثلما ذكروه بالأمس، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد

مضت ليلتان انطلقت معه وقلت: لا بد أن أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يلقي نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شيء وهو يؤثر فيهم الآثار، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعًا وأنا أنظر إليه، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له: هنيئًا لك بما تفطر عليه الليلة يا ليتني كنت معك. فعض شفته السفلى، وأومأ إليّ ببصره وهو يضحك يعني: اكتم أمري حتى أموت.

ثم قال: الحمد للَّه الذي صدقنا وعده. فواللَّه ما تكلم بشيء غيرها، ثم قضى ـ رحمة اللَّه عليه ـ قال هشام: فقلت بأعلى صوتي: يا عباد اللَّه لمثل هذا فليعمل العاملون، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا، فاجتمع الناس إليّ فحدّثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر، وأقبلوا للصلاة عليه، وبلغ ذلك مسلمة بن عبدالملك فقال: يصلي صاحبه الذي عرف من أمره ما عرف قال هشام: فصليت عليه ودفناه في موضعه، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضًا، ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة، وقلوب مشتاقة إلى لقاء اللَّه عز وجل، فما أضحى النهار حتى فتح اللَّه الحصن ببركته رحمه اللَّه تعالى»[1] .

١٦ ـ التوبة مرضاة للَّه عز وجل وابتغاء وجهه:

● قال ﷺ : «**من تاب إلى اللَّه قبل أن يغرغر، قَبِلَ اللَّه منه**»[2] .

---

(١) «فضائل الجهاد المسمى فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق» اختصار الشيخ محمود العالم ص(٨٦ ـ ٩٠) ـ مكتبة القاهرة.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والترمذي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن ابن =

● وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ أن نبي اللّه ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة. انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أُناسًا يعبدون اللّه تعالى فاعبد اللّه معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى اللّه تعالى، وقالت ملائكة العذاب، إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـ أي حكمًا ـ فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة» متفق عليه.

١٧ ـ الإخلاص في الاستغفار:

● عن شداد بن أوس ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها في النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[1].

إن العبد يسير إلى اللّه عز وجل بين مطالعة المنة ومشاهدة عيب

= عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٢).

(١) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري، والنسائي.

إن العبد يسير إلى اللَّه عز وجل بين مطالعة المنة ومشاهدة عيب النفس، وإذا أراد اللَّه بعبده الخير وأن يسلك به سبيل المخلصين بصّره بعيب نفسه.

فإن اعتراف المرء يمحو اقترافه ... كما أن إنكار الذنوب ذنوب

◻ قال المناوي: «من قالها من النهار موقنًا بها» أي: مخلصًا من قلبه مصدقًا بثوابها فمات من يومه ذلك فهو من أهل الجنة أي: ممن استحق دخولها مع السابقين الأولين أو بغير سبق عذاب، وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يقلها... واللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع صحة النية والتوجه والأدب»[1] .

١٨ - الإخلاص في التوكل:

● قال ﷺ : **«إن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفي باللَّه شهيدًا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى باللَّه وكيلاً، قالت صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج موضعها، ثم أتي بها إلى البحر، فقال: اللَّهم إنك تعلم أني تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى باللَّه وكيلاً، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلت: كفي باللَّه شهيدًا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أجد وإني أستودعكها، فرمى بها إلى البحر، حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها**

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ١٢٠).

بالألف دينار، وقال: واللَّه ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي شيئًا؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن اللَّه قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا»[١] .

✍ انظر إلى الإخلاص كيف يأتي بالأعاجيب إخلاص المقرض الذي يعطي المال ويُقرضه لوجه اللَّه عز وجل وإخلاص المدين الذي يرد المال لصاحبه ابتغاء وجه اللَّه الكريم فيُذلل اللَّه البحر حتى يصل المال إلى صاحبه.

* إخلاص الخليلين إبراهيم ومحمد صلى اللَّه عليهما وسلم في التوكل:

وأعلى الناس توكلاً وأخلصهم فيه خليلا الرحمن محمد وإبراهيم صلى اللَّه عليهما وسلم.

● في «صحيح البخاري» عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: «حسبنا اللَّه ونعم الوكيل» قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

* الإخلاص العالي لأم إسماعيل - رضي اللَّه عنها - في توكلها:

● في «صحيح البخاري» عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - جاء إبراهيم بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل، حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثم قفّى[٢]

---

(١) رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة.

(٢) أي: ولّى راجعًا.

إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له: آللَّه أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت.

✍ هذا الإخلاص الرفيع في التوكل في أغلى وأعلى صورة.. امرأة في ضعفها هي ورضيعها في وسط صحراء تتجه إلى اللَّه وتفوض أمرها إليه. وترجمت هذا الإخلاص مرة ثانية في جوابها لجبريل عليه السلام لما قال لها إلى مَن وكلكما؟ قالت: إلى اللَّه، قال: وكلكما إلى خير كَاف.

✍ وكانت زمزم... قصة تروى، تحوي ظلاً وديعًا لطيفًا يُروِّي هجير دنيانا.

*** ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ قال: أبقيت لهم اللَّه ورسوله:**

● قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ: أمرنا رسول اللَّه ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إنْ سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** فقلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول اللَّه ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيْت لهم اللَّه ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا»[1].

فهذا تجرد وانقطاع إلى اللَّه بالكلية ورغبة إليه وقصد عال إلى أكرم وجه ومثل هذا لا يكون إلا لأبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ، سكن قلبه إلى اللَّه ورغب إليه وحده فأعطاه من غناه يقينًا، ومن معرفته توكلاً، ومن عطائه وقسمته رضا، فكان الغني حقًّا، وإن أمسى طاويًا، وأصبح معوزًا.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي والدارمي وابن أبي عاصم وعَبْد بن حميد في «المنتخب».

وقسمته رضا، فكان الغني حقًّا، وإن أمسى طاويًا، وأصبح معوزًا.

١٩ ـ الزهد ابتغاء وجه اللَّه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«من ترك اللباس تواضعًا للَّه، وهو يقدر عليه دعاه اللَّه يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها»**[(١)] .

◻ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٠١): « **«من ترك اللباس»** أي: لبس الثياب الحسنة، وفي رواية ترك ثوب جمال **«تواضعًا للَّه»** أي: لا ليقال: إنه متواضع أو زاهد ونحوه والناقد بصير».

٢٠ ـ الإخلاص في التواضع:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من تواضع للَّه رفعه اللَّه»**[(٢)] .

◻ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٠٨ ـ ١٠٩): «من تواضع لأجل عظمة اللَّه تواضعًا حقيقيًّا وهو كما قال ابن عطاء: ما كان ناشئًا عن شهود عظمة الحق وتجلي صفته فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة في النفس

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم في «المستدرك» في الإيمان واللباس وأقرّه الذهبي في باب الإيمان، وضعّفه في باب اللباس فقال: عبدالرحيم بن ميمون أحد رواته ضعّفه ابن معين اهـ. وأورده ابن الجوزي وأعلّه به، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧١٨)، و«صحيح الجامع» (٦١٤٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية»، وكذا رواه أحمد ومسلم بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال...». قال الحافظ العراقي: رواه ابن ماجه بلفظ: من تواضع للَّه رفعه اللَّه ومن تكبّر وضعه اللَّه؛ وإسناده حسن. وقال ابن حجر في «الفتح»: خرّجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد رفعه بلفظ: «من توضع للَّه رفعه اللَّه حتى يجعله في أعلى عليين» قال: وصححه ابن حبان.

واقتدار ليس بتواضع حقيقي بل هو بالتكبر أشبه. «رفعه اللَّه»؛ لأن من أذلّ نفسه للَّه فيجازيه اللَّه بأحسن ما عمل.

فمن أراد الرفعة فليتواضع للَّه فإن الرفعة لا تقع إلا بقدر النزول؛ ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أسفل الشجرة صعد إلى أعلاها.

٢١ ـ الصبر ابتغاء وجه اللَّه:

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولْئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧].

❑ قال ابن القيم: «الصبر للَّه وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة اللَّه، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض»[١].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «الصبر من آكد المنازل في طريق المحبة، وألزمها للمحبين. وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة، وهو من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبينها»[٢].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: في المفاضلة بين الصبر للَّه والصبر مع اللَّه: «قالت طائفة: الصبر له أكمل؛ فإن ما كان للَّه أكمل مما كان باللَّه، فإن ما كان له غاية، وما كان به فهو وسيلة، والغايات أشرف من الوسائل، فما كان

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٦٢).

بألوهيته أشرف مما تعلّق بربوبيته»[١] .

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «الصبر للَّه غناء»، فإن الصبر للَّه بترك حظوظ النفس ومرادها لمراد اللَّه، وهذا أشق شيء على النفس وأصعبه، فإن قطع المفازة التي بين النفس وبين اللَّه بحيث يسير منها إلى اللَّه شديد جدًّا على النفس، بخلاف السفر إلى الآخرة فإنه سهل كما قال جُنيد: «السير من الدنيا إلى الآخرة سهل ـ يعني: على المؤمن ـ وهجران الخلق في جنب اللَّه شديد، والسير من النفس إلى اللَّه صعب شديد، والصبر مع اللَّه أشد»[٢] .

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**يقول اللَّه تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[٣] .

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون فأخبرها أنه كان عذابًا يبعثه اللَّه تعالى على من يشاء، فجعله اللَّه تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللَّه له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»[٤] .

*** انظر إلى صبر النبيين ابتغاء وجه ربهم، وليس فوقه صبر :**

* صبر نبي اللَّه نوح عليه السلام في الدعوة قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٤]. مع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم،

---

(١) «عدة الصابرين» لابن القيم ص(٧٨) ـ دار ابن الجوزي.

(٢) «عدة الصابرين» ص(٨٤)، وانظر «الرسالة القشيرية» ص(١٨٣).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

«وكان كلما انقرض جيل وصَّوا مَن بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، وصّاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوح أبدًا ما عاش ودائمًا ما بقي»(١) ، «دعاهم بالليل والنهار، دعاهم جهارًا، وجمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة. ومثل هذا الدأب الطويل، والجهد النبيل، والصبر الجميل، تحمل الإعراض والاستكبار والاستهزاء، لا يكون إلا لمن أخلص وجهه للّه، وقصد اللّه ورغب إليه».

❑ ما الذي يجعل الأنبياء يتحملون كل هذا الصبر - وربما كانت الاستجابة قليلة - إن لم يكن الصبر للّه، فما يضرّهم ألا يستجيب لهم أحد.

● قال ﷺ : **«عُرِضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»**(٢) .

* قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** ﴾ [مريم: ٥١]. قرأ نافع وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام في «مخلِصًا».

* وقال تعالى: ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾ [طه: ٨٤].

● قال رسول اللّه ﷺ في حديث ابن عباس الذي مرّ **«عُرِضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفِع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه»**.

وفي حديث مالك بن صعصعة في الإسراء: «... **فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلّمت عليه، فردّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزتُ بكى. قيل له: ما يُبكِيك؟ قال: أبكي لأن**

(١) «قصص الأنبياء» لابن كثير (٧٤، ٧٥).
(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عباس.

غلامًا بُعِث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي»[(١)] .

هذا واللَّه بكاء الرجال ودليل حرقة القلب الذي يسعى للكمال دائمًا.

❑ قال ابن تيمية عن موسى عليه السلام: «قام للَّه تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له وصدع بأمره، وعالج أمة القبط وبني إسرائيل».

* قال تعالى عن إبراهيم وآله صلوات ربي وسلامه عليهم: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ [ص: ٤٦].

❑ قال ابن جرير: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ أي: أنهم كانوا يذكّرون الناس الدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة اللَّه والعمل للدار الآخرة. قال قتادة: بهذه أخلصهم اللَّه، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى اللَّه.

❑ وقال مجاهد: بذكر الآخرة، فليس لهم همٌّ غيرها»[(٢)] .

✍ أخلصهم اللَّه بصفة خاصة، ليذكروا الدار الآخرة، ويتجردوا من كل شيء سواها فهذه ميّزتهم ورفعتهم وهذه جعلتهم عند اللَّه مختارين أخيارًا»[(٣)] .

✍ لقد كان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام نسيج وحده في الإخلاص والتجرّد للَّه عز وجل ومَن يصبر صبره؟! يأمره اللَّه تبارك وتعالى بجعل ولده وزوجه في مكان قفر فيطيع، ويأمره بذبح ولده وهو الشيخ الطاعن في السن فيطيع، ويُلقى في النار فيصبر، وسلم قلبه من كل الأغيار،

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، انظر «فتح الباري» (٧/ ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥١).

(٢) «تفسير الطبري» (١٠/ ١٧٠).

(٣) «الظلال» (٥/ ٣٠٢٢).

وأتى ربه بقلب سليم.

❑ قال ابن عباس - رضي اللَّه عنهما -: ما قام أحد بدين اللَّه كله إلا إبراهيم عليه السلام، قدّم بدنه للنيران، وطعامه للضيفان، وولده للقربان.

*** وعلى الدرب النيّر سار إسماعيل عليه السلام:**

* قال تعالى: **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾** [الصافات: ١٠٢].

✍ صبر فريد لا يتحمله المرء إلا إذا كان للَّه ولا يصبر عليه إلا ابن خليل اللَّه نبي اللَّه إسماعيل عليه السلام.. روعة إيمان وعظمة تسليم ونبل طاعة.. ومنارة عالية للإخلاص للَّه والتجرد.

٢٢ - بناء المساجد لوجه اللَّه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«من بنى مسجداً، يبتغي به وجه اللَّه، بنى اللَّه له مثله في الجنة»**[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من بنى للَّه مسجداً، يُذكر اللَّه فيه، بنى اللَّه له مثله في الجنة»**[٢].

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٩٦): **«يبتغي به وجه اللَّه»** أي: يطلب به رضاه وهو بمعنى حديث الطبراني لا يريد به رياء ولا سمعة وأيًّا ما كان فالمراد الإخلاص، وقد شدّد الأئمة في تحريمه حتى قال ابن الجوزي: من

(١) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري ومسلم، والترمذي وابن ماجه عن عثمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد والنسائي عن عمرو بن عبسة، وابن ماجه عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٠).

كتب اسمه على مسجد بناه فهو بعيد من الإخلاص وقول بعض الشرّاح ومعنى يبتغي به وجه اللَّه يطلب به ذات اللَّه، فإن بناه بقصد الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يقدح في إخلاص الباني وابتغاء وجه اللَّه أمر زائد هو أعلى وأجل من ذلك».

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من بنى للَّه مسجداً، ولو كمَفحص قطاة لبيضها، بنى اللَّه له بيتًا في الجنة»**[١].

❑ قال المناوي: «قال الزركشي: خص القطاة بالذكر دون غيرها؛ لأن العرب تضرب به المثل في الصدق ففيه رمز إلى المحافظة على الإخلاص في بنائه والصدق في إنشائه»[٢].

٢٣ ـ اتباع جنازة المسلم احتسابًا:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من تبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يُصلّى عليها، ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن، فإنه يرجع بقيراط من الأجر»**[٣].

٢٤ ـ الإخلاص في الورع:

✍ الورع رأس الأمر كله وهو خير الدين.

والورع على وجهين: ورع في الظاهر، وورع في الباطن، فورع الظاهر: أن لا يتحرك إلا للَّه، وورع الباطن: هو أن لا تُدخِل قلبك سواه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٢٩)، ومفحصها بقدر ما تحفره لبيضها وترقد عليه.

(٢) «فيض القدير» (٦/٩٦).

(٣) رواه البخاري والنسائي.

قال الهروي: «الورع تَوَقٍّ مُستقصى على حذر، وتحرّج على تعظيم».

قال ابن القيم في «المدارج» (٢/ ٢٣): «يعني أن يتوقى الحرام والشُّبه وما يخاف أن يضرّه أقصى ما يمكنه التوقي. والتوقي: فعل الجوارح، والحذر فعل القلب.

ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشُّبه: إما حذر الوعيد، وإما تعظيم الرب جل جلاله، وإجلالاً له أن يتعرّض لما نهى عنه، فقد يتوقى العبد الشيء لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمور أخرى؛ من إظهار نزاهة، وعزة وتصوّن، أو اعتراض آخر؛ كتوقّي الذين لا يؤمنون بمعاد ولا جنة ولا نار ما يتوقّونه من الفواحش والدناءة تصوّنا عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها، وطلبًا للمحمدة ونحو ذلك».

قال فرات بن مسلم: «كنت أعرض على عمر بن عبدالعزيز كتبي في كل جمعة، فعرضتها عليه، فأخذ منها قرطاسًا قدر أربع أصابع، فكتب فيه حاجة. قال: فقلتُ: غفل أمير المؤمنين، فأرسل من الغد أن جئني بكتبك. قال: فجئت بها، فبعثني في حاجة، فلما جئت قال لي: ما لنا أن ننظر فيها. قلت: إنما نظرت فيها أمس. قال: فاذهب أبعث إليك، فلما فتحتُ كتبي وجدتُ فيها قرطاسًا قدر القرطاس الذي أخذ»(١).

قال عمرو بن عثمان المكي: «المخلصون من الورعين هم الذين تفقّدوا قلوبهم بالأعمال والنيّات، في كل أحوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكونهم، مواظبين للاستقامة المفترضة على طاعة اللّه، وله محافظين، ومن دخول الفساد عليهم مشفقين، فأورثهم اللّه مراقبته، فهناك تنتصب قلوبهم بمداومة المحافظة، لنظر اللّه إليهم ونظره إلى سرائرهم، وعلمه بحركاتهم وسكونهم.

---

(١) «الورع» لابن أبي الدنيا ص(١٢٣).

فهنالك، تقف القلوب بعلم اللَّه فلا تنبعث بخطرة ولا همة، ولا إرادة ولا محبة ولا شهوة إلا حفظوا علم اللَّه بهم في ذلك، فلم تبرز حركات الضمير إلى تحريك الجوارح إلا بالتحصيل والتمييز لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١]. ولقوله سبحانه: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾ [يونس: ٦١]، فإذا انتصبت المراقبة بدوام انتصاب القلوب بها، فهناك يكون تمام الإخلاص، والحيطة في العمل، وهنالك يورثهم اللَّه الحياء، والحياء يعمر القلوب بدوام الطهارة»[(١)].

٢٥ ـ الإخلاص في الدعاء:

* قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥].

❑ قال ابن جرير: تضرعًا: تذللاً واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارًا ومراءاة»[(٢)].

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ادعوا اللَّه وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن اللَّه لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»**[(٣)].

---

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٩٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٢١).

(٣) حسن: رواه الترمذي، والحاكم، قال الحاكم: مستقيم الإسناد تفرّد به صالح المرّي أحد زهاد البصرة وردّه الذهبي فقال: صالح متروك تركه أبو داود، وقال المنذري: تركه أبو داود والنسائي، وقال أحمد: صاحب قصص لا يعرف الحديث، وجرى على منواله الحافظ العراقي ثم تلميذه الحافظ ابن حجر، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٦٤)، و«صحيح الجامع» (٢٤٥).

◻ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/٢٢٨ ـ ٢٢٩): «أي لا يعبأ بسؤال سائل غافل عن الحضور مع مولاه مشغوف بما أهمه من دنياه.

◻قال الكمال بن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية لا إقامةً للعبودية فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الرد وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به فكأنه قال: اعجبوا من حسن صوتي وتحريري، ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القرّاء في هذا الزمان يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال وما ذاك إلا نوع لعب فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدّى سؤاله وطلبه بتحرير النغمة فيه من الخفض والرفع والتطريب والترجيع كالتغني نسب ألبتة إلى قصد السخرية واللعب إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغني فاستبان أن ذلك من مقتضيات الخيبة والحرمان».

◻ عن محمد بن الوليد قال: «مرّ عمر بن عبدالعزيز برجل في يده حصاة يلعب بها، وهو يقول: اللّهم زوّجني من الحور العين، فمال إليه عمر فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصاة وأخلصت إلى اللّه الدعاء»[1].

* الكل محتاج إلى الإخلاص في الدعاء حتى الكافر:

* قال تعالى: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٣].

* وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٦٧].

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/٢١٩).

● وفي حديث سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه - قال: «لمّا كان يوم فتح مكة أمّن رسول اللَّه ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال: «**اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة**» : عكرمة بن أبي جهل، وعبداللَّه بن خطل، ومقْيس بن صُبابة، وعبداللَّه بن سعد بن أبي سرْح» فأما عبداللَّه بن خطل فأُتي وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعد وعمار؛ فسبق سعد عمّارًا فقتله، وأما مقيس بن صبابة، فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة بن أبي جهل فركب البحر؛ فأصابتهم ريح عاصف؛ فقال أهل السفينة [لأهل السفينة][1] : أخلصوا!! فإن آلهتكم لا تغني عنكم ها هنا شيئًا. فقال عكرمة [واللَّه] لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص؛ لا يُنجيني في البر غيره. اللَّهم إن لك عليّ عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه: لآتينّ محمدًا حتى أضع يدي في يده» قال: فنجا فأسلم»[2] .

* دعاء المظلوم والمضطر مستجاب لأنهما فرّغا قلبيهما للَّه:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**»[3] .

---

(١) لعله يقصد بأهل السفينة في الأولى أصحابها وفي الثانية ركابها، والزيادة بين المُعكَّفين من رواية النسائي والبيهقي في «الدلائل».

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩)، والنسائي (٥/ ١٠٥)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٩١)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٣٣٠)، وفي «المشكل» (٢/ ٢٢٥) والحاكم (٣/ ٤٥)، والبيهقي (٧/ ٤٠)، (٨/ ٢٠٧)، وفي «الدلائل» (٥/ ٥٩)، والبزّار في «البحر الزخّار» مسند سعد رقم (٨٥) واللفظ له، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٦/ ١٧٤).

(٣) حسن: رواه أحمد، والبزار، والطيالسي عن أبي هريرة، وقال المنذري والهيثمي: إسناده حسن، وقال العامري البغدادي: صحيح غريب؛ وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧٦٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٣٨٢).

قال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٥٢٧): « [وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه] ولا يقدح ذلك في استجابة دعائه؛ لأنه مضطر، ونشأ من اضطراره صحة التجائه إلى ربه وقطعه قلبه عمّا سواه وللإخلاص عند اللَّه موقع، وقد ضمن إجابة المضطر بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ويحتمل أن يريد بالفاجر الكافر، ويحتمل أن يريد الفاسق».

والشيطان رأس الكفر لما دعا ربه مضطر لم يبق له إلا هي بعد أن خسر كل شيء أجابه اللَّه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٧].

فالمظلوم لا يلهو قلبه عن دعوته لضرورة فاقته، وكذا المضطر فإن دعاءه مستجاب، فليس مع المضطر مجال ليشغل قلبه ويلهو بغير ما اضطر إليه، فهو مخلص لحظة اضطراره مهما كان طغيانه وكفره لأنه فرّغ قلبه للَّه عز وجل كما جاء في حديث رسول اللَّه ﷺ: **«فإن هو قام فصلى، فحمد اللَّه وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهله، وفرّغ قلبه للَّه، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه»**، وتفرغ القلب للَّه هو صرف الاشتغال عما سواه وهو من كمال الإخلاص.

* **وكذا دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب:**

- قال رسول اللَّه ﷺ: **«دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يردُّ»**(١).

قال المناوي: لأنه إلى الإخلاص أقرب».

- وعن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«دعاءُ المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملَك مُوكَّلٌ به، كلما**

---

(١) صحيح: رواه البزار عن عمران بن حصين، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٧٩)، و«الصحيحة» رقم (١٣٣٩).

دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك»[١] .

● وعن أم كرز قالت: قال رسول اللَّه ﷺ : **«دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة، وملك عند رأسه يقول: آمين ولك بمثل ذلك»**[٢] .

❑ قال المناوي: «قال النووي: إن دعوة المسلم في غيبة المدعوّ له وفي السرّ مستجابة؛ لأنها أبلغ في الإخلاص»[٣] . وقال المناوي: «إن دعاء السر أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء»[٤] .

❑ قال أبو عبداللَّه سعيد بن يزيد الساجي: «ينبغي لنا أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا، نخاف أن نكون في أعمالنا مقصّرين، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مخلصين، فإن مَن أصفى العمل فأنت منه على ربح»[٥] .

* إجابة الدعاء موقوفة على الإخلاص:

❑ قال عبدالواحد بن زيد: الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما»[٦] .

وقد مرّ بك حديث النبي ﷺ في البراء بن مالك وأويس القرني مجابي الدعوة الذيْن لو أقسما على اللَّه لأبرهما.

✍ وانظر إلى الإخلاص في الدعاء الذي استجابه اللَّه للمخلصين الصادقين:

● عن ابن المسيب أن رجلاً كان يقع في عليّ وطلحة والزبير، فجعل سعد

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم، وابن ماجه.
(٢) صحيح: رواه أبو بكر في «الغيلانيات» وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٣٩)، و«صحيح الجامع» (٣٣٨١).
(٣، ٤) «فيض القدير» (٣/ ٥٢٧).
(٥) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢١٦).
(٦) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٠٤).

ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى فقام سعد، وصلى ركعتين ودعا، فجاء بُختيّ[١] يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كِركرته والبلاط حتى سحقه، فأنا رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك يا أبا إسحاق! استجيبت دعوتك»[٢].

❏ومرّ بك دعاء عقبة بن نافع عند بناء القيروان.

❏وعن محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني، أن امرأة خببت عليه امرأته، فدعا عليها، فعميت، فأتته فاعترفت وتابت قال: اللَّهم إن كانت صادقة، فاردد بصرها فأبصرت[٣].

❏وقال غيلان بن جرير أن مطرف بن عبداللَّه بن الشخير كان بينه وبين رجل كلام، فكذب عليه، فقال: اللَّهم إن كان كاذبًا فأمته، فخرّ ميّتًا مكانه، قال: فرُفع ذلك إلى زياد فقال: قتلت الرجل: قال: لا، ولكنها دعوة وافقت أجلاً[٤].

❏وانظر إلى إخلاص إمام أهل السنة الإمام أحمد:

قال عباس الدُّوري: حدثنا علي بن أبي فَزَارة جارنا قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسلْهُ أن يدعو لي، فأتيتُ، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء، فسمعت كلام رجل مغضب. فقال: نحن أحوج أن تدعو اللَّه لنا، فوليْت منصرفًا، فخرجت عجوز فقالت: قد تركته يدعو لها، فجئت إلى بيتنا ودَقَقْت الباب، فخرجت

---

(١)البختيّ: الإبل الخراسانية تنتج من بين عربي ودخيل، والكركرة: زور البعير.

(٢)انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٩٢ ـ ١٢٤) ترجمة سعد.

(٣)انظر ترجمته في «السير» (٤/ ٧ ـ ١٤).

(٤)انظر ترجمته في «السير» (٤/ ١٨٧ ـ ١٩٥).

أمي على رجليها تمشي[1] .

❑ ومرّ الحسن بن عيسى وهو نصراني بمجلس عبداللَّه بن المبارك، فسأل عنه ابن المبارك فقيل: هو نصراني، فقال: اللَّهم ارزقه الإسلام، فاستجيب له[2] .

❑ وهذا الإمام المتأله المتعبد أبو القاسم الكناني حمزة بن محمد محدث الديار المصرية جاءه غريب، فقال: إن عسكر أبي تميم - يعني المغاربة - قد وصلوا إلى الإسكندرية فقال: اللَّهم لا تُحيني حتى تُريني الرايات الصفر، فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام[3] .

❑ «قال ابن المبارك: قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليمًا ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة، فلم يزل يقول: الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال: ما لي أراك كئيبًا؟ فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخرّ مغشيًّا عليه»[4] .

٢٦ - الإخلاص في العلم:

❑ قال إبراهيم النخعي: «من ابتغى شيئًا من العلم يبتغي به وجه اللَّه

(١) انظر ترجمته في «السير» (١١/ ١٧٧ - ٣٥٨).
(٢) انظر: «السير» (١٦/ ١٧٩ - ١٨١).
(٣) هم عسكر الفاطميين العبيديين.
(٤) «الإحياء» (١/ ٢٩١).

عز وجل، أتاه اللَّه منه ما يكفيه»[١] .

□ وعن محمد بن يوسف الفريابي قال: «سمعت الثوري يقول: ما عمل أفضل من طلب الحديث، إذا صحت النيّة فيه، قال أحمد: قلت للفريابي: وأي شيء النية؟ قال: تريد به وجه اللَّه والدار الآخرة»[٢] .

□ قال الثوري: «واللَّه لو أعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به إلا ما عند اللَّه، لكنت أنا الذي آتيه في منزله، فأحدثه بما عندي مما أرجو أن ينفعه اللَّه به»[٣] .

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلّمه، فهو في منزلة المجاهد في سبيل اللَّه، ومَن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»**[٤] .

● وعن صفوان بن عسّال المرادي قال: أتيتُ المصطفى ﷺ فقال: **«ما جاء بك؟»** قلت: أنبط العلم - أي: اطلبه وأستخرجه - فقال ﷺ : **«ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع حتى يخرج»**[٥] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه، كان له كأجر حاج، تامًّا حجته»**[٦] .

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٩٢).

(٢، ٣) المصدر السابق (٢/ ٣).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم، وابن حبان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٨٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن حبان، والحاكم في «مستدركه»، قال المنذري: جيد الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٨١)، و«صحيح الجامع» (٥٧٠٢).

(٦) حسن صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد لا بأس به عن أبي أمامة كما قال =

● وقال رسول الله ﷺ : «**مَن خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع**»[١] .

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٧٨): «ما من خارج من بيته في طلب العلم» أي الشرعي يقصد التقرّب إلى الله. قال حجة الإسلام الغزالي: هذا إذا خرج إلى طلب العلم النافع في الدين دون الفضول الذي أكبّ عليه الناس وسمّوه علمًا. والعلم النافع ما يزيد في خوفك من الله، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك وآفات عملك وزهدك في الدنيا فإن دعتك نفسك إلى الخروج في طلب العلم لغير ذلك فاعلم أن الشيطان قد دسّ في قلبك من الداء الدفين وهو حب المال والجاه فإياك أن تغترّ به فتكون ضحكة له ثم يسخر بك».

❑ كان منصور بن المعتمر وثابت البناني يقولان: طلبنا العلم وما لنا فيه نيّة، فرزقنا النيّة الصالحة بعد ذلك؛ لأن العلم يبعث صاحبه على الإخلاص، فيصير يطلبه حتى يحصل له[٢] .

❑ وقال أبو داود الطيالسي ـ رحمه الله ـ: ينبغي للعالم إذا حرّر كتابه أن يكون قصده بذلك نصرة الدين لا مدحه بين الأقران لحسن التأليف[٣] .

❑ عن عون بن عبدالله قال: كان الفقهاء يتواصوْن بينهم بثلاث؛ ـ

= المنذري، وقال العراقي (٢/ ٣١٧): وإسناده جيد، وقال الألباني: حسن صحيح، وقال في «صحيح الترغيب» (١/ ١٤٥): «وأخرجه الحاكم (١/ ٩١) بلفظ: «.. أجر معتمر تام العمرة». وزاد: «ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيرًا أو يعلّمه»؛ فله أجر حاج تام الحجة». وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(١) حسن لغيره: رواه الترمذي عن أنس، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٨): حسن لغيره.

(٢) «تنبيه المغترين» ص(٢٥).

(٣) «تنبيه المغترين» ص(٢٥).

وكتب بذلك بعضهم إلى بعض: من عمل لآخرته كفاه اللَّه دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح اللَّه علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين اللَّه أصلح اللَّه ما بينه وبين الناس[١] .

❑ قال يحيى بن معين: «واللَّه ما رأيت أحدًا يحدّث للَّه غير وكيع، وما رأيت رجلاً أحفظ من وكيع، ووكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه[٢] ».

❑ «قال الشافعي: ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة.

وقال: ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من اللَّه وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيّن اللَّه الحق على لساني أو لسانه»[٣] .

❑ وعن حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس، وأوجر عليه ولا يحمدوني.

❑ وعن سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحدًا يطلب بعلمه ما عند اللَّه تعالى إلا ثلاثة، عطاء وطاووسًا ومجاهدًا[٤] .

❑ عن شعبة قال: ما أقول لكم إن أحدًا طلب الحديث يريد وجه اللَّه تعالى إلا هشامًا الدستوائي، وإن كان يقول: ليتنا ننجو من هذا الحديث كفافًا لا لنا ولا علينا[٥] .

❑ لما ترك بشر الحافي الجلوس لإملاء الحديث قالوا له: ماذا تقول لربك

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٧).
(٢) المصدر السابق (٣/ ١٠٨).
(٣) «تنبيه المغترين» (٣/ ١٢٦).
(٤) «تهذيب الحلية» (٢/ ١٥).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٤٠).

يوم القيامة؟ فقال: أقول يا رب إنك أمرتني فيه بالإخلاص ولم أجد عند نفسي إخلاصًا.

❑ وكان بشر الحافي يقول: واللَّه لقد أدركنا أقوامًا كانوا لا يُعلّمون أحدًا العلم حتى يروّضوا نفسه سنين كثيرة ويظهر لهم صلاح نيته[1].

❑ وانظر إلى شيخ القرّاء حمزة بن حبيب الزيات الذي قال عنه الذهبي في «السير» (٧/ ٩٠): «كان إمامًا قيّما لكتاب اللَّه، قانتًا للَّه، ثخين الورع، رفيع الذكر».

❑ قال حسين الجُعفي: «ربما عطش، فلا يستَسقي، كراهية أن يصادف من قرأ عليه».

*** شيخ الإسلام النووي من سادات المخلصين:**

كان الإمام النووي - رحمه اللَّه تعالى - إذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرس في العلم في المدرسة الأشرفية أو جامع بني أمية يتكدر لذلك، وإذا بلغه أنَّ أحدًا من الأكابر قد عزم على زيارته في يوم درسه لا يدرس العلم ذلك اليوم خوفًا أنْ يراه ذلك الأمير وهو في محفله ودرسه العظيم، ويقول: من علامة المخلص أنْ يتكدر إذا اطلع الناس على محاسن عمله كما يتكدر إذا اطلعوا على مساويه، فإنَّ فرح النفس بذلك معصية، وربما كان الرياء أشد من كثير من المعاصي»[2].

❑ قال المحدث أبو العباس أحمد بن فرح الإشبيلي: «كان الشيخ محيى الدين قد صار إليه ثلاث مراتب، كل مرتبة منها لو كانت لشخص، شُدّت إليه آباط الإبل من أقطار الأرض:

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٣٣).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(٣٢).

المرتبة الأولى: العلم والقيام بوظائفه.

المرتبة الثانية: الزهد في الدنيا وجميع أنواعها.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

صنف النووي ـ رحمه اللَّه ـ كتبًا في الفقه والحديث، عمّ النفع بها، وانتشر في أقطار الأرض ذكرها، وعمره في العلم تعلمًا وتعليمًا وتأليفًا لا يتجاوز خمسًا وعشرين سنة ومؤلفاته المتقنة الرائعة تسير بذكرها الركبان، خذ مثالاً على ذلك كتابه «رياض الصالحين» الذي قال عنه السخاوي: «إنه جليل لا يستغنى عنه»، كم من آلاف بل وملايين انتفعوا بهذا الكتاب مع صغر حجمه، وما هذا إلا لإخلاص النووي ـ ويرحم اللَّه إمام دار الهجرة مالك ابن أنس قالوا له: «ما فائدة موطئك بعد كتاب ابن أبي ذئب» فقال: «ما كان للَّه سيبقى»، وبقي علم النووي؛ لأنه كان للَّه.

◻ عن إياس بن معاوية بن قرة قال: «كنت نازلاً على عمرو بن النعمان بن مقرن، فلما حضر رمضان جاءه رجل بألفي درهم من قِبَل مصعب بن الزبير، فقال: إن الأمير يُقرئك السلام ويقول: إنا لن ندع قارئًا شريفًا إلا وقد وصل إليه منا معروف، فاستعن بهذين[1] على نفقة شهرك هذا، فقال عمرو: اقرأ على الأمير السلام وقل له: واللَّه ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، وردّه عليه»[2].

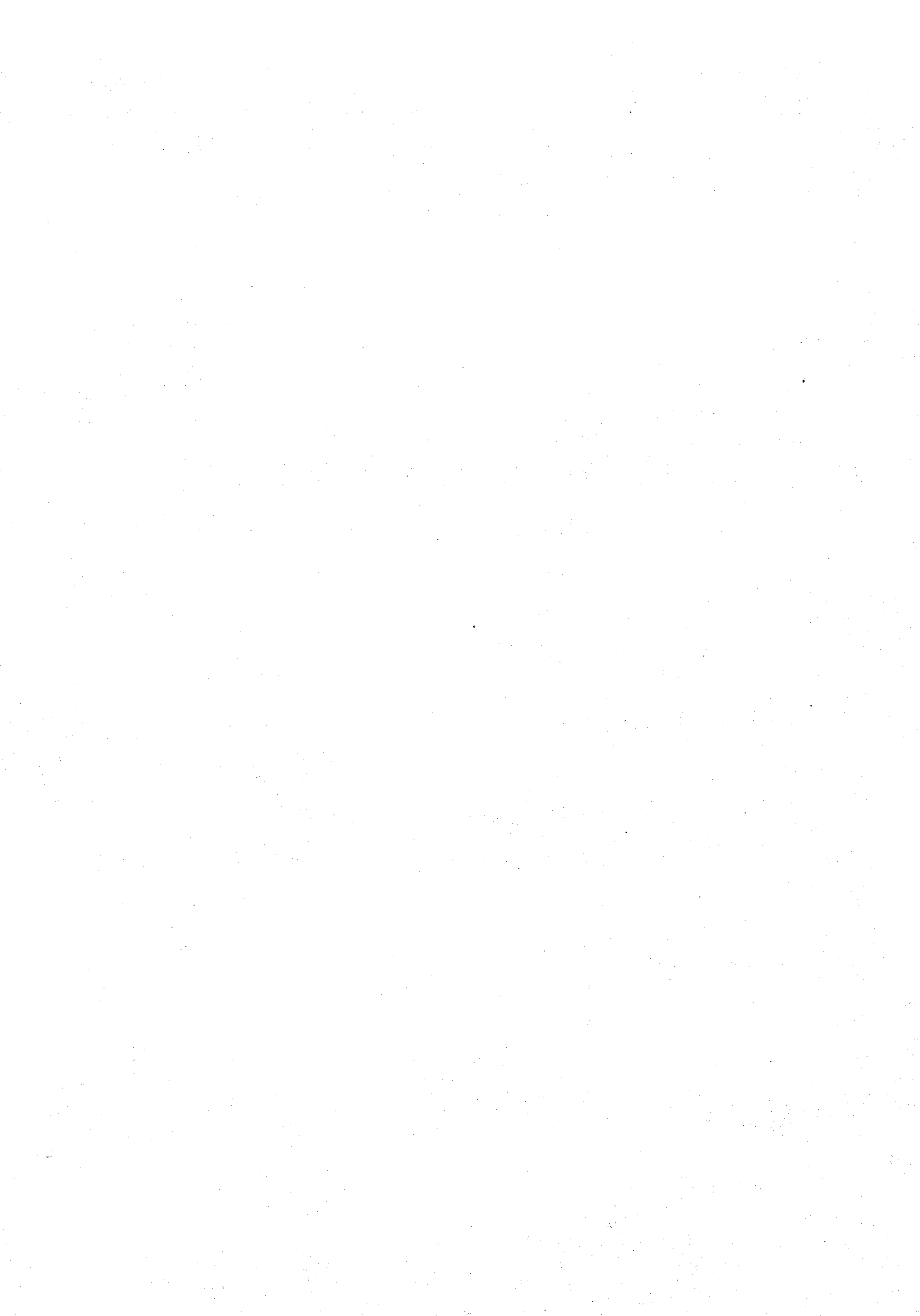
◻ قال الأعمش: إن لي نحو عشرين سنة ما رأيت مخلصًا في علمه إنما صار العلم حرفة للمفاليس»[3].

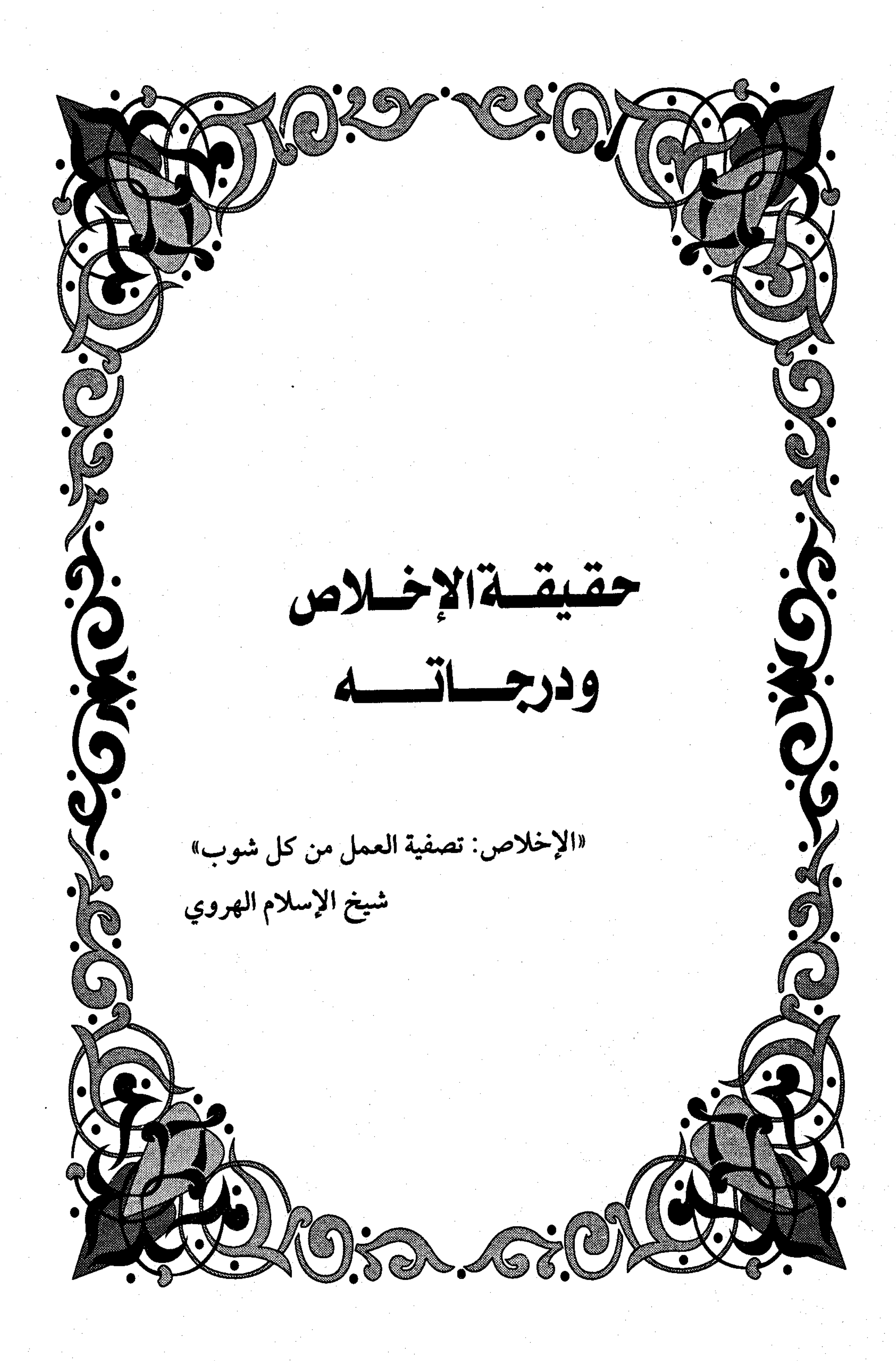
---

(١) أي بهذين الألفين.

(٢) إسناده حسن: رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤٠٠)، (١٠/ ٤٨١) رقم (١٠٠٥٤)، (١١/ ١٢٦) حديث رقم (١٠٦٩٦).

(٣) «تنبيه المغترين».





حقيقة الإخلاص ودرجاته

«الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب»

شيخ الإسلام الهروي



حقيقة الإخلاص ودرجاته

* حقيقة الإخلاص:

❏ قال الهروي ـ رحمه اللَّه ـ: «الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب».

❏ قال ابن القيم: «أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس:ـ

ـ إما طلب التزيّن في قلوب الخلق.

ـ وإما طلب مدحهم والهرب من ذمّهم.

ـ أو طلب تعظيم.

ـ أو طلب أموالهم.

ـ أو خدمتهم أو محبتهم. وقضائهم حوائجه، أو غير من العلل والشوائب التي عَقْد متفرّقاتها: هو إرادة ما سوى اللَّه بعمله، كائنًا ما كان»[1].

فالإخلاص هو تجريد قصد التقرّب إلى اللَّه من جميع الشوائب، ومن كان غرضه محض التقرب إلى اللَّه فهو المخلص.

«فمهما كان الباعث هو التقرب إلى اللَّه تعالى، ولكن انضاف إليه خاطر من الخطرات إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص، وخرج أن يكون خالصًا لوجه اللَّه تعالى، وتطرّق إليه الشرك.

ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب. أو يعتق عبدًا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه، أو يحج ليصح

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٢).

مزاجه بحركة السفر، أو يتخلص من شر يعرض له في بلده، أو ليهرب من عدوّ له في منزله، أو يتبرم بأهله وولده، أو بشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أيامًا. أو ليغزو وليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها. أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله. أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزًا بين العشيرة، أو ليكون عقاره أو ماله محروسًا بعز العلم عن الأطماع. أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث. أو تكفل بخدمة العلماء الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس، أو لينال به رفقًا في الدنيا. أو كتب مصحفًا ليجوّد بالمواظبة على الكتابة خطه. أو حج ماشيًا ليخفف عن نفسه الكراء. أو توضأ ليتنظف أو يتبرد. أو اغتسل لتطيب رائحته. أو روى الحديث ليعرف بعلوّ الإسناد أو اعتكف في المسجد ليخف كراء المسكن. أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرّغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها. أو تصدّق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه. أو يعود مريضًا ليعاد إذا مرض. أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيئًا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار، فمهما كان باعثه هو التقرب إلى اللَّه تعالى، ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات، حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور، فقد خرج عمله عن حدّ الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصًا لوجه اللَّه تعالى وتطرق إليه الشرك. وقد قال تعالى: **«أنا أغنى الشُّركاء عن الشركة»**.

وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة، وحدها فلا يخفى شدّة الأمر على صاحبه فيها، وإنما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور، ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة

المشاركة أو في رتبة المعاونة ـ كما سبق في النية ـ وبالجملة؛ فإما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف، ولكل واحد حكم آخر ـ كما سنذكره ـ وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها ـ قليلها وكثيرها ـ حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه. وهذا لا يتصوّر إلا من محب للَّه مستهتر بغير اللَّه مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضًا، بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة، فلا يشتهي الطعام؛ لأنه طعام بل؛ لأنه يقويه على عبادة اللَّه تعالى، ويتمنى أن لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائد على الضرورة، ويكون قدر الضرورة مطلوبًا عنده؛ لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا اللَّه تعالى. فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته، فلو نام مثلاً حتى يريح نفسه ليتقوّى على العبادة بعده كان نومه عبادة، وكان له درجة المخلصين فيه، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه إلا على الندور، وكما أن من غلب عليه حب اللَّه وحب الآخرة، فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصًا، فالذي يغلب على نفسه: الدنيا والعلوّ والرئاسة ـ وبالجملة غير اللَّه ـ فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة، فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرًا. فإن علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرّد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب، فإذ ذاك يتيسر الإخلاص. وكم من أعمال يعتبر الإنسان فيها ويظنّ أنها خالصة لوجه اللَّه، ويكون فيها مغرورًا لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأوّل

لأني تأخرت يومًا لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني، فعرفت أنّ نظر الناس إليّ في الصف الأول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر. وهذا دقيق غامض قلَّمَا تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له إلا من وفقه اللَّه تعالى، والغافلون يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٤٧ - ٤٨]، وبقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]. وأشد الخلق تعرضًا لهذه الفتنة العلماء، فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء، والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول: غرضكم نشر دين اللَّه ونضال عن الشرع الذي شرعه رسول اللَّه ﷺ. وترى الواعظ يمن على اللَّه تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه، وهو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظًا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه، ولو كان باعثه الدين لشكر اللَّه تعالى إذ كفاه اللَّه تعالى هذا المهم بغيره. ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول: إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود، ولا يدري المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابًا وأعود عليه في الآخـرة من انفراده. وليت شعري لو اغتم عمر - رضي اللَّه عنه - بتصدي أبي بكر - رضي اللَّه تعالى عنه - للإمامة أكان غمه محمودًا أو مذمومًا؟ ولا يستريب ذو دين أن لو كان ذلك لكان مذمومًا؛ لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه

في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل، بل فرح عمر ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ باستقلال من هو أولى منه بالأمر. فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك؟ وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به، وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور، فإن النفس سهلة القياد في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد. وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها، فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾. فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر»[1] .

☐ والإخلاص: «خروج الخلق عن معاملة الرب، والنظر إلى ثواب اللَّه، لا يريد ذلك حب محمدة، وكراهة مذمّة.. لا يمازج عمله رياء، ولا سمعة، ولا إعجاب لأنه خلّصه من الأدناس ومخرج الإخلاص من الرغبة والرهبة للَّه عز وجل في أصول العقود قبل العمل، فإذا هيّجه للعمل رغبة أو رهبة للَّه، واعترضت عليه الآفة فدفعها بقلبه، وكرهها بعمله، فقد أخلص للَّه عز وجل في عمله»[2] .

* * *

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٢) كتاب «القصد والرجوع إلى اللَّه» للمحاسبي ص(٢٥٩ ـ ٢٦٠).

درجات الإخلاص

قال الهروي: وهو على ثلاث درجات:

* **الدرجة الأولى:**

«إخراج رؤية العمل عن العمل، والخلاص من طلب العوض على العمل، والنزول عن الرضى بالعمل»:

قال ابن القيم: «يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات:

(أ) رؤيته، وملاحظته. (ب) وطلب العوض عليه. (جـ) ورضاه به وسكونه إليه. ففي هذه الدرجة يتخلّص من هذه البليّة».

* **إخراج رؤية العمل:**

«فالذي يخلّصه من رؤية عمله: مشاهدته لمنة اللّه عليه، وفضله، وتوفيقه له، وأنه باللّه لا بنفسه، وأنه إنما أوجب عمله مشيئة اللّه لا مشيئته هو، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩].

فهنا ينفعه شهود الجبر، وأنه آلة محضة، وأن فعله كحركات الأشجار، وهبوب الرياح، وأن المحرك له غيره، والفاعل فيه سواه، وأنه ميت ـ والميت لا يفعل شيئًا ـ وأنه لو خُلِّيَ ونفسه لم يكن من فعله الصالح شيء ألبتة. فإن النفس جاهلة ظالمة، طبعها الكسل، وإيثار الشهوات، والبطالة، وهي منبع كل شر، ومأوى كل سوء. وما كان هكذا لم يصدر منه خير ولا هو من شأنه»(١).

فالخير الذي يصدر منها: إنما هو من اللّه وبه، لا من العبد ولا به،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٢ ـ ٩٣).

فاللَّه عز وجل هو خالق أفعال العباد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

* قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١]، فهذا فعل اللَّه بالقلوب المؤمنة وفضله ومنته عليها. وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ الآية [الحجرات: ٧].

* وانظر إلى أهل الجنة بعد أن دخلوها ونزلوا بها وضمنوا أن لا خروج منها ماذا قالوا؟ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤]، فهذا فضل اللَّه على رسوله في تثبيته على الحق، وعصمته من الفتنة.

* وانظر إلى مقالة إسماعيل عليه السلام لما قال له والده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فأرجع الأمر إلى اللَّه عز وجل ومشيئته، فاللَّه عز وجل هو الذي يرزقه الصبر على هذا «فكل خير في العبد فهو مجرد فضل اللَّه ومنّته، وإحسانه ونعمته، وهو المحمود عليه.. فالكل مجرد عطاء اللَّه ونعمته وفضله.

فرؤيه العبد لأعماله وصفاته الخُلُقية في الحقيقة، كرؤيته لصفاته الخِلْقية، من سمعه وبصره، وإدراكه وقته، بل من صحته، وسلامة أعضائه.

فإن الذي منّ عليك بسمعك وبصرك هو الذي مَنّ عليك بإخلاصك ورجائك وخوفك وتلاوتك للقرآن..

والذي يُخلِّص العبد من آفة رؤيته لعمله: معرفه ربه، ومعرفه نفسه وإن العبد يسير إلى اللَّه عز وجل بين مطالعة منّة اللَّه عز وجل ومشاهدة عيب النفس ولذا كان سيد الاستغفار: **«اللَّهم أنتَ ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**.

❑ قال أبو يعقوب السوسي: «متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص».

❑ وقال رويم: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك[1] .

❑ قال ابن الجوزي: «إذا تمّ علم الإنسان؛ لم ير لنفسه عملاً، وإنما يرى إنعام الموفِّق لذلك العمل، الذي يمنع العاقل أن يرى لنفسه عملاً أو يُعجب به، وذلك بأشياء:

منها: أنه وُفِّقَ لذلك العمل: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

ومنها: أنه إذا قيس بالنعم؛ لم يف بمعشار عشرها.

ومنها: أنه إذا لوحظت عظمة المخدوم؛ احتقر كل عمل وتعبّد.

هذا إذا سلم من شائبة وخلص من غفلة.

❑ فإما والغفلات تحيط به؛ فينبغي أن يغلب الحذر من رده، ويخاف العتاب على التقصير فيه، فيشتغل عن النظر فيه.

✍ وتأمل على الفطناء أحوالهم في ذلك:

❑ فالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قالوا: ما عبدناك حق عبادتك.

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٩٨).

□ والخليل عليه السلام يقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾ وما أدلّ[1] بتصبره على النار وتسليمه الولد إلى الذبح.

● ورسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما منكم من ينجيه عمله**». قالوا: ولا أنت؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمته**»[2].

● وأبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول اللَّه؟!

● وعمر ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: لو أن لي طلاع الأرض، لافتديت بها من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر[3].

● وابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: ليتني إذا مت لا أُبعث.

● وعائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ تقول: ليتني كنت نسيًا منسيًا.

وهذا شأن جميع العقلاء، فرضي اللَّه عن الجميع.

ولولا عزّة الفهم ما تكبر متكبر على جنسه، ولكان كل عامل خائفًا محتقرًا لعمله حذرًا من التقصير في شكر ما أنعم عليه.

وفهم هذا المشروح يُنكّس رأس الكبر، ويوجب مساكنة الذل، فإنه أصل عظيم»[4].

* عمر بن عبدالعزيز وعبير من إخلاصه:

□ قال ابن القيم في «الفوائد»: «ذكر ابن سعد في «الطبقات»: عن

---

(١) «أدل بعمله: نظر إليه، ورأى أنه أهل للإكرام بسببه.

(٢) رواه البخاري (٧٥ ـ كتاب المرضى، ١٩ ـ باب تمني المريض الموت (١٠/ ١٢٧/ ٥٦٧٣)، ومسلم ـ كتاب صفات المنافقين ـ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله (٢٨١٦). ونصه: «**لن ينجي أحدًا منكم عملُه**»، قالوا: ولا أنت؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني اللَّه برحمته، ولكن سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدُّلْجة، والقصد القصد تبلغوا**».

(٣) رواه البخاري ـ كتاب فضائل الصحابة ـ مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٩٢).

(٤) «صيد الخاطر» (٦١٧، ٦١٩).

عمر بن عبدالعزيز أنه كان إذا خطب على المنبر فخاف على نفسه العُجب قطعه، وإذا كتب كتابًا فخاف فيه العُجب مزّقه، ويقول: اللَّهم إني أعوذ بك من شر نفسي»[١].

اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو علم يبتغي به مرضاه اللَّه مطالعًا فيه منّة اللَّه عليه به وتوفيقه له فيه، وإنه باللَّه لا بنفسه ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي مَن عليه بذلك هو الذي مَنّ عليه بالقول والفعل.

❏ فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه، لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه وإعانته، فإذا غاب عن تلك الملاحظة وثَبت النفس، وقامت في مقام الدّعوى، فوقع العُجْب، ففسد عليه القول والعمل، فتارة يحول بينه وبين تمامه، ويُقطع عليه، ويكون ذلك رحمة به حتى لا يغيب عن مشاهدة المنة والتوفيق، وتارة يتم له ولكن لا يكون له ثمرة، وإن أثمر أثمر ثمرة ضعيفة غير محصلة للمقصود، وتارة يكون ضرره عليه أعظم من انتفاعه، ويتولد له منه مفاسد شتى بحسب غيبته عن ملاحظة التوفيق والمنة ورؤية نفسه، وأن القول والفعل به.

❏ ومن هذا الموضع يُصلح اللَّه سبحانه أقوال عبده وأعماله، ويُعظم له ثمرتها أو يفسدها عليه ويمنعه ثمرتها، فلا شيء أفسد للأعمال من العُجب ورؤية النفس.

❏ فإذا أراد اللَّه بعبده خيرًا أشهده منّته وتوفيقه وإعانته له في كل ما يقوله ويفعله، فلا يعجب به، ثم أشهده تقصيره فيه وأنه لا يرضى لربه به

---

(١) روى ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٣٣٢) من طريق الضحّاك قال: «رأيت عمر بن عبدالعزيز ذهب به الكلام وهو على المنبر ثم رجع، فقال: أستغفر اللَّه أستغفر اللَّه.

فيتوب إليه ويستغفره، ويستحيي أن يطلب عليه أجرًا، وإذا لم يشهده ذلك وغيّبه عنه فرأى نفسه في العمل، ورآه بعين الكمال والرضا، ولم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضا والمحبة.

فالعارف يعمل العمل لوجهه مشاهدًا فيه منّته وفضله وتوفيقه، معتذرًا منه إليه مستحييًا منه إذْ لم يوفّه حقه، والجاهل يعمل العمل لحظه وهواه ناظرًا فيه إلى نفسه، يمنّ به على ربه، راضيًا بعمله».

(ب) الخلاص من طلب العوض على العمل:

❑ قال ابن القيم في «المدارج» (٢/ ٩٣): «والذي يُخلّصه من طلب العوض على العمل: علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضًا ولا أجرة. إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه، وإحسان إليه، وإنعام عليه، لا معاوضة، إذ الأجرة إنما يستحقها الحر، أو عبد الغير، فأما عبد نفسه فلا».

فإياك وعقيدة أهل الاعتزال، إياك ومَنّ المعتزلة وزبالة أذهانهم، وسوء أدبهم مع ربهم.

❑ بكى محمد بن واسع وقال: وا شوقاه إلى إخواني، فقيل له: أليس قد نشأ شباب يعلمون السنة و...؟ فتفل ثم قال: أفسدهم العجب، ثم قال: «إني رأيت الحارس يحرس طيلة الليل بدانقين، أفيطلب أحدكم الجنة بدانقين؟!».

* قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]. فالباء باء السببية ليست باء العوض والمقابلة، ودخول الجنة محض تفضل ومنّ من اللَّه عز وجل.

ما أبقى مشهد النعمة والذنب للعارف من حسنة يقول: هذه منجيتي

من عذاب السعير ما المعوّل إلا على عفوه ومغفرته، فكل أحد إليها فقير.

ما تساوي أعمالك ـ لو سَلِمَتْ مما يُبطلها ـ أدنى نعمه عليك وأنت مرتهن بشكرها.

□ عن الحسن قال: قال نبي اللَّه داود: **«إلهي لو أن لكل شعرة منِّي لسانين يسبحانك الليل والنهار والدهر، ما وفّيْت حق نعمة واحدة»**[1].

خذ مثلاً: نعمة البصر، والرجل، واليد كما تساوي؟ أقل نعمة لا تهتدي لشكرها العقول ولا تفي بها عبادتك وتكون عنها عوضًا.

وكم تساوي نعمة التوحيد التي أسبغها عليها ظاهرة وباطنة، وإذا دخل اللص ـ وهو الشيطان ـ قلبك وأفسد عليك التوحيد الذي سيؤدي بك إلى الجنة؟ من الذي يرده عليك، وكم تدفع؟ وانظر إلى عمرك ـ لو أنك عشت سبعين سنة، ما يبقى من عمرك، بعد النوم ثماني ساعات يوميًا، وأكلك وشربك، وتنقلك، وزيارتك، وأعمالك المنزلية، وعملك، واتصالاتك الهاتفية.. بإحصائية دقيقة يبقى لك تسع سنوات من عمرك[2] فهل هذه التسع سنوات لو سجدت فيها للَّه على إبر الشوك المحمي، وذرفت الدموع هل تكون عوضًا للجنة.. إن الرجل من أبناء الدنيا يكدح السنين الطوال من عمره ولا يستطيع أن يدخر شيئًا لشراء أقل شقة، فما تساوي الجنة.. أفيطلب أحدكم الجنة بدانقين؟! أنت تخدم بمقتضى العبودية للذي خلقك وسوّاك ورزقك وأنعم عليك بالإسلام وهداك.. نعمة الإسلام ما أوجفنا عليها من خيل ولا ركاب تفضّل بها الكريم وهي أصل كل الأعمال ومفتاح الجنان.. واللَّه واهب الروح وخالق الأجساد فالكل منه.. وكفاك جزاءً على

---

(١) «عدة الصابرين» ص(١٢١).

(٢) فلو حذفت من هذه التسع فترة المراهقة والطفولة فماذا يتبقّى؟

الطاعة أن رضيك لها أهلاً وإذا أردت أن تعبد وتخدم فاعقل مَنْ تخدم ولم تخدم ثم اخدم بعد ذلك فحينئذ تطيب لك الخدمة. قال تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الحجرات: ١٧].

(جـ) النزول عن الرضى بالعمل:

❑ قال ابن القيم: «والذي يُخلّصه من رضاه بعمله وسكونه إليه أمران:

أحدهما: مطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس، ونصيب الشيطان. فقلّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب، وإن قلّ، وللنفس فيه حظ، سئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته؟ فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[1].

فإذا كان هذا التفات طرْفه أو لحظه، فكيف التفات قلبه إلى ما سوى اللَّه؟! هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية.

● وقال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لا يجعل أحدكم للشيطان حظًّا من صلاته، يرى أن حقًّا عليه: أن لا ينصرف إلا عن يمينه» فجعل هذا القدر اليسير النذر حظًّا، ونصيبًا للشيطان من صلاة العبد. فما الظن بما فوقه؟

❑ وأما حظ النفس من العمل: فلا يعرفه إلا أهل البصائر الصادقون.

الثاني: علمه بما يستحقه الرب جل جلاله: من حقوق العبودية، وآدابها الظاهرة والباطنة، وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقلّ من أن يوفيها حقًّا، وأن يرضى بها لربه فالعارف لا يرضى بشيء من عمله لربه، لا

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي عن عائشة.

يرضى نفسه للَّه طرفة عين، ويستحيي من مقابلة اللَّه بعمله.

فسوء ظنه بنفسه وعمله وبغضه لها، وكراهته لأنفاسه وصعودها إلى اللَّه يحول بينه وبين الرضى بعمله، والرضى عن نفسه.

كان بعض السلف يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة، ثم يقبض على لحيته ويهزها. ويقول لنفسه: يا مأوى كل سوء، وهل رضيتك للَّه طرفة عين؟

وقال بعضهم: آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها. ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور»[1].

وصفوة خلق اللَّه نظروا إلى أعمالهم بعين النقص لعلمهم بجلال ربهم وعظمته وسوء ظنهم بأنفسهم انظر إلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وهو يعمل أشرف عمل يرفع القواعد من البيت يقول: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ وكان وهيب بن الورد إذا قرأ هذه الآية يبكي ويقول: «يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن، وأنت مشفق ألا يُتقبّل منك؟!.

* انظر إلى نبي اللَّه نوح عليه السلام بعد ألف سنة إلا خمسين عامًا من الصبر الكريم النبيل في الدعوة إلى اللَّه يقول: ﴿**رب اغفر لي ولوالدي**﴾.

* وبعده خليل الرحمن عليه السلام: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ فيا لأدب النبوة وتواضعها ووجلها وإشفاقها.

* ورسول اللَّه ﷺ وهو الذي أوقف أنفاسه على الدعوة إلى اللَّه عز وجل يخاطبه ربه: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ وكان هذا

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٣ ـ ٩٥).

إعلامًا من اللَّه لنبيه ﷺ بقرب موته، فيأمره ربه أن يميل إلى الاستغفار.

ويعلّمنا رسول اللَّه ﷺ سيد العابدين عقيب الصلوات أن نستغفر اللَّه. . . استغفر اللَّه، استغفر اللَّه.

* ويقول اللَّه عز وجل عن المتهجدين: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] مدّوا الصلاة إلى السحر فلما كان السحر مالوا إلى الاستغفار وكأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم.

❑ يقوم الثوري الليل متهجدًا باكيًا ويقول: اللَّهم إنك تعلم أنه لو كان لي عذر في التخلي عن الناس ما أقمت مع الناس طرفة عين. . اللَّهم إنّ كلاًّ يغدو ويروح وإن حاجة سفيان أن تغفر له ذنبه.

❑ وبعد الحج والتطهر من الذنوب ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

الاستغفار بعد الطاعات شأن الصالحين. . لرؤيتهم تقصيرهم في حق ربهم. . أمثل هذه العبادات تليق بجلال ملك الملوك. . مارضوا أنفسهم وأعمالهم لربهم. . مع الإحسان يخافون المقت لسان حالهم: يا عفوّ عفوك. . عند السكرات عفوك، وعند الممات عفوك، وفي القبور عفوك، وعند الحشر عفوك، وفي عرصات القيامة عفوك، وعند الصراط عفوك ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]. وفي النزول عن الرضى بالعمل ترك للعُجب وإغلاق لهذا الباب وآفاته.

*** العُجب داء الجهلة والغافلين:**

«يكاد أحدهم يُوقن أنه وليّ محبوب ومقبول! وربما توالت عليه ألطاف ظنها كرامات، ونسي الاستدراج الذي لفَّتْ مساكنته الألطاف، وربما احتقر غيره، وظن أن تحِلّته محفوظة به! تغره رُكيعات ينتصب فيها، أو عباده

ينصب بها! وربما ظن أنه قطب الأرض! وإنه لا ينال مقامه بعده أحد.

فاللَّه اللَّه من مساكنة مسكن ومخالفة مقام.. وليكن المتيقظ على انزعاج، محتقراً للكثير من طاعاته، خائفًا على نفسه من تقلباته ونفوذ الأقدار فيه».

فانظر وتلمحَ نفسك وعيبك ونقصك تضرب عُنُق العجب وتذهب كبر[1] الكبر».

❑ قال حذيفة المرعشي: إن لم تخش أن يعذبك اللَّه على أفضل عملك فأنت هالك[2].

❑ وقال مسروق بن عبدالرحمن: «كفى بالمرء علمًا أن يخشى اللَّه، وكفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعمله»[3].

❑ وقال الفضيل بن عياض: أكذب الناس المدلّ بحسناته[4].

❑ «وقال شاه بن شجاع: المعجب بنفسه محجوب عن ربه. وقال: الفضل لأهل الفضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم»[5].

❑ قال يوسف بن الحسين الرازي: «يتولّد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فيما يجري اللَّه لك من الطاعات»[6].

❑ عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: كان أبي يقول: «أي بُنيّ وكيف تعجبك نفسك؟ وأنت لا تشاء أن ترى من عباد اللَّه من هو خير منك

---

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (٢٤٧، ٢٤٩)، وكبر الكبر: عظمه وجلّه.

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٦٤).

(٣) «الحلية» (٢/ ٩٥).

(٤) «تهذيب الحلية» (٢/ ٩).

(٥) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٦٠).

(٦) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٦١).

إلا رأيته، يا بني لا ترى أنك خير من أحد يقول: لا إله إلا اللَّه حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبيّن لك أنك خير منه»[١] .

❑ «وسُئل أبو العباس بن عطاء عن أقرب شيء إلى مقت اللَّه فقال: رؤية النفس وأفعالها، وأشد من ذلك مطالبة الأعواض عن أفعالها»[٢] .

❑ «قال محمد بن واسع: وا صاحباه ذهب أصحابي. قلت: رحمك اللَّه أبا عبداللَّه، أليس قد نشأ شباب يصومون النهار، ويقومون الليل، ويجاهدون في سبيل اللَّه؟ قال: بلى ولكن أخ، وتفل، أفسدهم العُجب»[٣] .

❑ «وقال بشر: العجب أن تستكثر عملك، وتستقل عمل الناس، أو عمل غيرك»[٤] .

❑ وقال كعب الأحبار: إياكم والعُجْب فإنه الذبح والهلاك.

❑ «وقال عبداللَّه الحداد: أحسن العبيد من عدّ تسبيحه وصلاته ويرى أنه لا يستحق به على ربه شيئًا، فلولا فضله ورحمته لعاينت الأنبياء عليهم السلام في مقام الإخلاص، كيف وأجلهم لا وأرفعهم منزله، والقائم بمقام الصدق كيف عجز عنه الرسل يقول: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمة منه وفضل**»، فمن رأى لنفسه بعد هذا حالاً أو مقامًا فهو لبعده عن طرقات المعارف.

❑ وقال أبو محمد الجريري: من توهم أن عملاً من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لن ينجي أحداً منكم عمله**»، فما لا ينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول؟

(١) المصدر السابق (١/ ٥١٧).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٠١).
(٣) «تهذيب الحلية» (١/ ٤١٥).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٩٨).

ومن صحّ اعتماده على فضل اللَّه فذلك الذي يُرجَى له الوصول»[١] .

قال عون بن عبداللَّه: كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلاً على من هو دونك[٢] .

أخي: «إنك إن تضحك وأنت معترف للَّه بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدِلٌّ بعملك، فإن صلاة المُدِلّ لا تصعد فوقه»[٣] .

«أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها؛ لأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه! فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟! وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه!».

النفس الإنسانية لا يطلب العافية إلا من أدرك ما بها من أدواء، والشعور بالنقص أول مراحل الكمال.

وقد قال اللَّه تعالى على لسان أحد أنبيائه المطهرين: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٢].

فإذا وجدت امرأ راضيًا عن نفسه فافقد منه الأمل؛ لأنه ينطوي على ركام من العيوب والنقائص وهو لا يلتمس الخلاص منها بل إنه فاقد الشعور بوضاعتها.

وهيهات لمثل هذا اكتمال أو نجاة.

* لا تركن إلى العمل:

من ظن أن عبادة عدد سنين في الأرض هي الثمن الحقيقي لخلود غير

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٣٧، ٤٣٩).

(٢) «تهذيب الحلية» (٢/ ٩٧).

(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٠٠).

متناه في السماء رجل مجازف ومن ظن أن الطاعات التي تقدم بها، سليمة الأداء نقية اللباب تثبت على النقد والتمحيص فهو رجل مخدوع.

هبك بذلت نفسك، ومالك له

أليس هو خالق هذه النفس؟ أليس هو واهب هذا المال؟

فإذا أدخلك الجنة ـ بعد ـ ألا يكون متفضلاً.

وانظر إلى سلسلة الأعمال التي تؤديها خلال فترة المحيا على هذه الأرض، كما يكتنفها من علل النفس وآفات التقصير؟

إنها لو كانت أعمال غيرك فعُرضت عليك أنت ما قبلتها إلا على إغماض طويل وتجاوز خطير!!

*** لا تنخدع عن حقيقتك:**

أحسن اللَّه بنا أن الخطايا لا تفوح

فإذا المستور منا بين ثوبيه فضوح.

«الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تعلمه منها»

«فأجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس»

«أنت أنت بحقيقتك العارية من غير نقص ولا تزيّد، بالافتقار والنقص»[1].

«الدرجة الثانية: الخجل من العمل، مع بذل المجهود، وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود»:

❐ قال ابن القيم: «هذه ثلاثة أمور «خجله من عمله. وهو شدة حيائه من اللَّه، إذ لم ير ذلك العمل صالحًا له، مع بذل مجهوده فيه.

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: سألت رسول اللَّه ﷺ عن

(١) «الجانب العاطفي من الإسلام» لمحمد الغزالي ص(١٥٤ ـ ١٥٥).

هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يُقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»(١) .

❑ وقال بعضهم: إني لأصلي ركعتين فأقوم عنهما بمنزلة السارق أو الزاني الذي يراه الناس، حياءً من اللَّه عز وجل.

فالمؤمن: جمع إحسانًا في مخافة، وسوء ظنه بنفسه، والمغرور: حسن الظن بنفسه مع إساءته.

الثاني: توفير الجهد باحتمائه من الشهود، أي يأتي بجهد الطاقة في تصحيح العمل، محتميًا عن شهوده منك وبك.

الثالث: أن تحتمي بنور التوفيق الذي ينوّر اللَّه به بصيرة العبد، فترى في ضوء ذلك النور: أن عملك من عين جوده لا بك، ولا منك.

❑ فقد اشتملت هذه الدرجة على خمسة أشياء: عمل، واجتهاد فيه، وخجل، وحياء من اللَّه عز وجل، وصيانة عن شهوده منك، ورؤيته من عين جود اللَّه سبحانه ومنّه(٢) .

«**الدرجة الثالثة: إخلاص العمل بالخلاص من العمل، تدعه يسير سير العلم، وتسير أنت مشاهداً للحكم، حُرًّا من رقّ الرسم**»:

❑ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «قد فسّر الشيخ مراده بإخلاص العمل من العمل بقوله: «تدعه يسير سير العلم، وتسير أنت مشاهداً للحكم».

---

(١) صحيح: رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٧٦٧).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٩٥).

ومعنى كلامه أنك تجعل عملك تابعًا للعلم، موافقًا له، مؤتمًّا به، تسير بسيره، وتقف بوقوفه، وتتحرك بحركته، نازلاً منازله مرتويًا من موارده، ناظرًا إلى الحكم الديني الأمري متقيّدًا به، فعلاً وتركًا وطلبًا وهربًا. ناظرًا إلى ترتب الثواب والعقاب عليه سببًا وكسبًا. ومع ذلك فتسير أنت بقلبك، مشاهدًا للحكم الكوني القضائي، الذي تنطوي فيه الأسباب والمسببات، والحركات والسكنات، ولا يبقى هناك غير محض المشيئة، وتفرّد الرب وحده بالأفعال، ومصدرها عن إرادته ومشيئته، فيكون قائمًا بالأمر والنهي: فعلاً وتركًا، سائر بسيره، وبالقضاء والقدر: إيمانًا وشهودًا وحقيقة. فهو ناظر إلى الحقيقة، قائم بالشريعة.

وهذان الأمران هما عبودية هاتين الآيتين ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩ - ٣٠].

◻ فترك العمل يسير سير العلم: مشهد ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾. وسير صاحبه مشاهدًا للحكم: مشهد: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

◻ وأما قوله: «حُرًّا من رق الرسم» فالحرية التي يشيرون إليها: هي عدم الدخول تحت عبودية الخلق والنفس، والدخول تحت عبودية الحق وحده.

ومرادهم بالرسم: ما سوى اللَّه، فكله رسوم. فإن الرسوم هي الآثار، ورسوم المنازل والديار: هي الآثار التي تبقى بعد سكانها. والمخلوقات بأسرها في منزل الحقيقة رسوم وآثار للقدرة. أي: فتُخلّص نفسك من عبودية كل ما سوى اللَّه.

وتكون بقلبك مع القادر الحق وحده، لا مع آثار قدرته التي هي رسوم، فلا تشتغل بغيره لتشغلها بعبوديته. ولا تطلب بعبوديتك له حالاً ولا مقامًا، ولا مكاشفة، ولا شيئًا سواه.

فهذه أربعة أمور: بذل الجهد، وتحكيم العلم، والنظر إلى الحقيقة، والتخلص من الالتفات إلى غيره، واللَّه الموفق والمعين»[1].

* بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص:

☐ قال الغزالي - رحمه اللَّه -: «اعلم أن الآفات المشوّشة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء، ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال. وأظهر مشوّشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالاً.

فنقول: الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصًا في صلاته؛ ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له: حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك! فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته؛ وهذا هو الرياء الظاهر؛ ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين.

الدرجة الثانية: يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمرّ في صلاته كما كان. فيأتيه في معرض الخير ويقول: أنت متبوع ومقتدي بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت، فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة! وهذا أغمض من الأوّل وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأوّل، وهو

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٦ - ٩٧).

أيضًا عين الرياء ومبطل للإخلاص، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرًا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن يكون نفس غيره أعز عليه من نفسه؟ فهذا محض التلبيس، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس، فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفًا به.

الدرجة الثالثة: وهي أدق مما قبلها؛ أن يجرّب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ، ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعًا زائدًا على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ، ويصلي في الملأ أيضًا كذلك. فهذا أيضًا من الرياء الغامض؛ لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ فلا يكون قد فرق بينهما، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق. بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، فكأنّ نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات! بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلا والملا جميعًا، وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعًا، وهذا من المكايد الخفية للشيطان.

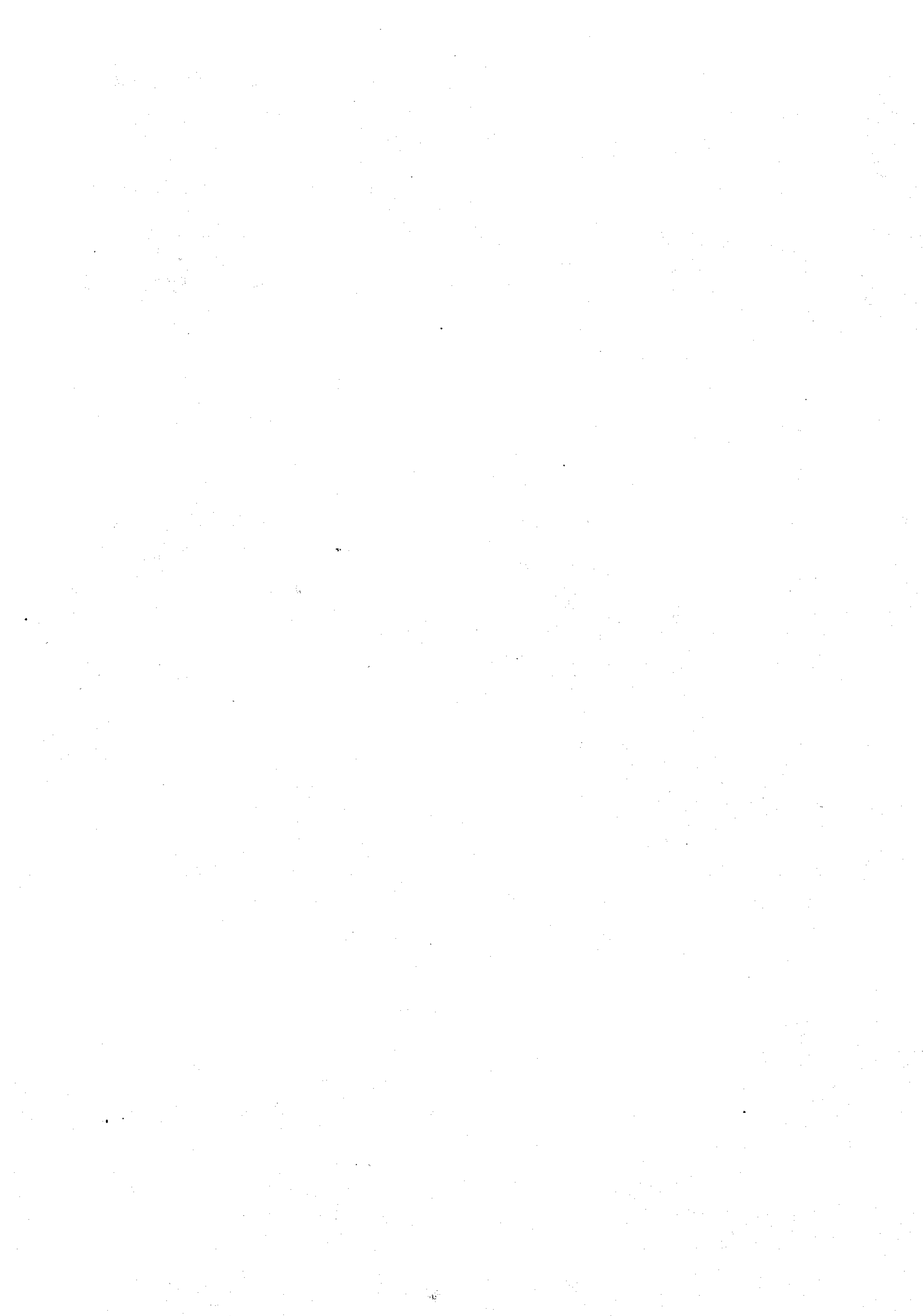
الدرجة الرابعة: وهي أدق وأخفى؛ أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له: اخشع لأجلهم، فإنه قد عرف أنه قد تفطن لذلك فيقول له الشيطان: تفكر في عظمة اللَّه تعالى وجلاله ومن أنت واقف

بين يديه واستحي من أن ينظر اللَّه إلى قلبك وهو غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أنّ ذلك عين الإخلاص وهو عين المكر والخداع، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحاجة حضور غيره، وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببًا فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. كما ورد في الخبر، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بعصمة اللَّه تعالى وتوفيقه وهدايته، وإلا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة اللَّه تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب، فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تتركها، ويكون انبعاث القلب باطنًا لها لأجل تلك الشهوة الخفية، أو مشوبة بها شوبًا يخرج عن حدّ الإخلاص بسببه، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص، بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف، وقد يكون المحرّك الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه، ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الإخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة. فمنها ما يغلب، ومنها ما يقل لكن يسهل دركه.

ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير. وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيراً. ولهذا قيل: ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل، وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها، فإنّ الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموّه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه، وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغرّ الغبي. فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشدّ وأعظم. ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالاً، والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضًا فلا فائدة في التفصيل»[1] .

* * *

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).





علامات الإخلاص

أولاً

إخفاء العمل

«إن اللَّه تعالى يحب العبد التقي النقيّ الخفي»



إخفاءُ العَمل

✍ طوبى للأتقياء الأنقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على اللَّه لأبرّه»**[1] .

● وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رب ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على اللَّه لأبره»**[2] .

هؤلاء النازلون في العالم منزلة القلب في الجسد الذين يحبهم أهل السماء فالعبرة بالقلوب والأديان لا باللباس والمتاع والأبدان.

● عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن أباه سعدًا، كان في غنم له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ باللَّه من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه قال: يا أبت أرضيتَ أن تكون أعرابيًّا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة، فضرب صدر عمر وقال: اسكت، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللَّه عز وجل يحب العبد التقي النقيّ الخفيّ»**[3] .

✍ فطوبى لكل تقي خامل الذكر متفرّغ لعباده ربه، آثر الخمول على الاشتهار، فطريق القوم لا تصلح إلا لمن كُنست بأرواحهم المزابل.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

(٢) صحيح: رواه البزار عن ابن مسعود وكذا رواه الطحاوي، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة. وطمرين تثنية طمر وهو الثوب الخلق.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» ومسلم.

ليس الخمــول بعـار على امرئ ذي كمالِ
فليلةُ القـــدر تخفي وتلك خيــرُ الليالي

✍ ففرّ يا أخي من طنين الشهرة وضجيج الإعلان إن أردت طريق الإخلاص، وكن كالجذر من الشجرة به قوامها وحياتها، ولكنه مستور في باطن الأرض لا تراه العيون، أو كالأساس من البناء، لولاه ما ارتفع جدار، ولا قام بيت، ولكن أحدًا لا يراه[1].

خفي الأساس عن العيون تواضعًا من بعدما رفـع البنـاء مشيدا

● وفي حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: **«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل اللَّه أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السوقة كان في السوقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع لم يشفع له»**[2].

فاخف مكانك واقبل على شانك وعالج بليل.

◻ قال عبداللَّه بن المبارك ـ رحمه اللَّه ـ: كن محبًّا للخمول كراهية الشهرة، ولا تُظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك، هو خروجك من الزهد لأنك تجرّ إلى نفسك الثناء والمدحة، وكان فضالة بن عُبيد يقول: خصال ينفعك اللَّه بهن، إن استطعت أن تعرف ولا تُعرَف فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلم فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلس إليك فافعل[3].

ومن أراد أن يلج ويسلك طريق المخلصين فلا بد أن يخفي عمله ما

---

(١) انظر: «النية والإخلاص» للدكتور القرضاوي ص(٧٤).

(٢) رواه البخاري.

(٣) انظر: «الأتقياء الأخفياء» للدكتور سعيد عبدالعظيم ص(٦) ـ دار الإيمان.

أمكنه فالبصير المخلص الصادق لا يود أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله الصالح.

● عن الزبير بن العوّام ـ رضي اللّه عنه ـ قال: «من استطاع منكم أن يكون له خبئ من عمل صالح فليفعل»[(١)] .

❑ وعن الحسن ـ رحمه اللّه ـ قال: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرٍّ فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم عز وجل، ذلك أن اللّه عز وجل يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وذلك أن اللّه تعالى ذكر عبدًا صالحًا ورضى قوله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣][(٢)] .

❑ قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يظهروا صالح ما يسرّون»[(٣)] .

❑ وعن سفيان بن عيينة قال: «قال أبو حازم: اكتم حسناتك، أشدّ مما تكتم سيئاتك»[(٤)] .

❑ وقال الفضيل بن عياض: خير العلم والعمل ما خفى عن الناس[(٥)] .

❑ وقال بشر الحافي ـ رحمه اللّه ـ: لا ينبغي لأمثالنا أن يُظهر من

(١) رجاله ثقات وإسناده صحيح: أخرجه هناد بن السري في «الزهد»، وكذا وكيع في «الزهد»، وأحمد في «الزهد»، والمروزي في «زيادات الزهد».
(٢) كتاب «الزهد والرقائق» لابن المبارك ـ باب العمل والذكر الخفي.
(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٩٣).
(٤) المصدر اسابق (١/ ٥٢٦).
(٥) «تنبيه المغترين» ص(٣٠).

أعماله الصالحة ذرة فكيف بأعماله التي دخلها الرياء.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك[١].

◻ وقال سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ: كل شيء أظهرته من عملي فلا أُعُدُّه شيئًا، لعجز أمثالنا عن الإخلاص إذا رآه الناس[٢].

◻ وكتب وهيب بن الورد إلى أخ له: «قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة وشرفًا، فاطلب بباطن عملك عند اللَّه منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع الأخرى»[٣].

◻ وعن خالد بن دُرَيْك قال: كان في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت من هذه الأمة؛ كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له حتى يتكلّم فيه، غضب من غضب ورضى من رضى، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده[٤].

◻ قال الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ: «ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين اللَّه تعالى، فإن كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع في الآخرة»[٥].

* وهذي طائفة من أخبارهم في إخفاء أعمالهم:

إخفاء الصلاة:

◻ الربيع بن خثيم تلميذ عبداللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال فيه

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٩٦).
(٢) «تنبيه المغترين» ص(٢٦ ـ ٢٧).
(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٥).
(٤) «تهذيب الحلية» (٢/ ١٧٠).
(٥) «تنبيه المغترين» ص(٣٤).

عبداللَّه بن مسعود: يا أبا يزيد، لو رآك رسول اللَّه ﷺ لأحبَّك، وما رأيتُك إلا ذكرتُ المُخبتين، وكان إذا دخل على عبداللَّه بن مسعود لم يكن عليه إذنٌ لأحد، حتى فرغ كل واحد من صاحبه[1].

ما رُئي الربيع مُتطوِّعًا في مسجد قومه قطُّ إلا مرة واحدة.

وعامر بن عبد قيس: ما رُئي مُتطوِّعًا في المسجد قط[2].

* وقال تعالى: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

❑ قال الحسن: أخفى القوم أعمالاً فأخفى اللَّه تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

❑ وقال محمد بن كعب القرظي: أخفوا للَّه عملاً، وأخفى لهم ثوابًا فلو قدموا عليه قرّت تلك الأعين.

❑ وقال ابن القيم: «تأمّل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس». قال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: الأمر في هذا أجل من أن يُعرف تفسيره.

❑ قال قتادة بن دعامة: «كان يُقال: قلما سهر الليل منافق»[3].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من صلى في ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن صلى في ليلة بمائتي آية فإنه**

---

(١) «الحلية» (٢/١٠٦).

(٢) «الزهد» لأحمد ص(٢٢٣).

(٣) «الحلية» (٢/٣٣٨).

يُكتب من القانتين المخلصين»[١] .

❑ قال أبو تميم بن مالك: كان منصور بن المعتمر إذا صلى الغداة؛ أظهر النشاط لأصحابه، فيُحدِّثهم ويُكثر إليهم، ولعله إنما بات قائمًا على أطرافه، كل ذلك ليُخفي عليهم العمل[٢] .

❑ عن يزيد بن عبدالله بن الشخير أن رجلاً أتى تميمًا الداري فقال: كيف صلاتك بالليل؟ فغضب غضبًا شديدًا فقال: والله لركعة أصليها في جوف الليل في السر أحبّ إليّ من أن أصلي الليل كله ثم أقصّه على الناس»[٣] .

❑ وهذا زيْنُ القراء محمد بن واسع: يقول عنه أبو الطيب موسى بن بشار: صحبتُ محمد بن واسع من مكة إلى البصرة، فكان يُصلِّي الليل أجمع في المحمل جالسًا يومئ برأسه إيماءً، وكان يأمر الحادي يكون خلفه، ويرفع صوته حتى لا يفطن له، وكان ربما عرَّس من الليل فينزل فيصلي، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رَجُلاً رَجُلاً، فيجيء إليه فيقول: الصلاة الصلاة[٤] .

❑ سيِّدُ الفتيان، وفتى العُبَّاد والرُّهبان: السختياني؛ أيوب بن كيسان، يقوم الليل كله، فيُخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة[٥] .

ولكن كيف يُخفي الليلُ بدرًا ساطعًا؟!

أسائل عمن لا أريـــدُ وإنمـا أريـدكمُ من بينـهم بســؤالي

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٣٠٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في مقام احتجاج به.

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١١٤).

(٣) «الزهد» لأحمد ص(٩٩).

(٤) «الحلية» (٢/٣٤٦).

(٥) «الحلية» (٣/٨).

فيعثر ما بين الكلام ورجعــهِ لساني بكم حتى ينـمَّ بحـالي
وأطوي على ما تعلمون جوانحي وأُظهــرُ للعــذّال أني ســالي

رحمك اللَّهَ يا سيِّد الفقهاء؛ لسان حالك يقول:

أُكلِّف القلبَ أن يهوى وأُلزِمُه صبرًا ولك جمــعٌ بين أضدادِ
وأكتمُ الركبَ أوْطاري وأسألُهُ حاجاتِ نفسي لقد أتعبتُ زوَّادي
هل مدلجٌ عنده من مكبرٍ خبر وكيف يعلمُ من حالَ الرائح الغادي

وكان ابن أبي ليلى إذا دخل داخل وهو يُصلي اضطجع على فراشه.

أفدي ظباءَ فـلاةٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبْغَ الحواجيبِ[1]

وطلق بن حبيب العنزي الذي قال عنه أيوب السختياني: ما رأيت أحدًا أعبد من طلق بن حبيب، قال عنه ابن أبي نجيح: لم يكن ببلدنا أحد أحسن مدارة لصلاته من طلق بن حبيب[2] .

وهذا نجيب بني أمية عمر بن عبدالعزيز: كانت له درَّاعةٌ من شَعْرٍ، وغُلٌّ، وكان له بيتٌ في جوف بيت، يُصلِّي فيه، لا يدخل فيه أحدٌ، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط، ولبس تلك الدرَّاعة، ووضع الغلَّ في عُنقه، فلا يزال يُناجي ربه ويبكي، حتى يطلع الفجر[3] .

قال أبو إسحاق كعب الأحبار صاحب الكتب والأسفار: من تعبَّد للَّه ليلة لا يراه أحد يعرفه، خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته[4] .

وأبو سلمة مسعر بن كدام، يقول عنه ابنه محمد: كان أبي لا ينام

(١) «المدهش» لابن الجوزي ص(٤١٥).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٣).
(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩١)، و«الحلية» (٦٣ ـ ٦٤).
(٤) «الحلية» (٥/ ٣٨٣).

حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورْده لفَّ رداءه، ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثبُ كما يِثبُ الرجلُ الذي فُقد منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جداًّ[1] .

❑ وحسان بن أبي سنان، تقول عنه زوجه: كان يجيء فيدخل في فراشي، ثم يُخادعني كما تخادع المرأة صبيَّها، فإذا علم أني نمتُ سلَّ نفسه فخرج، ثم يقوم فيُصلِّي، قالت: فقلتُ له: يا أبا عبداللَّه، كم تُعذِّب نفسك، ارفق بنفسك، فقال: اسكتي، ويحك، فيوشك أن أرقد رقدةً لا أقوم منها زماناً[2] .

❑ وعن الأوزاعي عن حسّان بن عطية قال: صلاة الرجل عند أهله من عمل السر[3] .

❑ وهذا شيخ الإسلام عبداللَّه بن المبارك نورُ مروٍ وجمالُها، ونجمُها وهلالُها، يقول عنه محمد بن أعين ـ وكان صاحبه في أسفاره، وكان كريمًا عليه ـ: كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليُريني أنه ينام، فقلتُ: أنا برمحي في يدي قبضت عليه، ووضعتُ رأسي على الرمح كأني أنام كذلك، قال: فظنَّ أني قد نمتُ، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمُقُه، فلمّا طلع الفجر أيقظني وظنّ أني نائم، وقال: يا محمد، فقلتُ: إني لم أنم. قال: فلما سمعها مني ما رأيتُه بعد ذلك يُكلِّمني ولا ينبسط إليَّ في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يُعجبْه ذلك مني، لما فطنتُ له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلاً

(١) «حلية الأولياء» (٧/٢١٦).

(٢) «الحلية» (٣/١١٧).

(٣) «تهذيب الحلية» (٢/٢٦٦).

أسرَّ بالخير منه[١] .

□ وقال علي بن الحسن بن شقيق: لم أر أحدًا من الناس أقرأ من ابن المبارك ولا أحسن قراءةً، ولا أكثر صلاةً منه، كان يُصلِّي الليل كله في السفر وغيره، وإنما ترك النوم في المحمل؛ لأنه كان يُصلِّي، وكان الناس لا يدرون.

□ وهذا السليم الأسلم المذكور بالسواد الأعظم، الطوسي محمد بن أسلم، قال خادمه أبو عبداللَّه: صحبتُ محمد بن أسلم نيِّفًا وعشرين سنة لم أره يُصلي حيث أراه من التطوع إلا يوم الجمعة، ولا يُسبِّح ولا يقرأ حيث أراه، ولم يكن أحد أعلمَ بسرِّه وعلانيته مني، وسمعتُه يحلف كذا كذا مّرة أن لو قدرتُ أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلتُ، ولكن لا أستطيع ذلك؛ خوفًا من الرياء[٢] .

*** عمر يوليه حرسه لإخلاصه:**

«لما أفضت الخلافة إلى عمر عبدالعزيز ـ رضي اللَّه عنه ـ جاء خالد بن الريان فقام مقام صاحب الحرس، وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبدالملك، فنظر إليه عمر فقال: يا خالد ضع هذا السيف عنك. وقال: اللَّهم إني قد وضعتُ لك خالد بن الريان فلا ترفعه أبدًا.

ثم نظر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن هاجر الأنصاري فقال: يا عمرو واللَّه لتعلمن أن ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام، ولكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد، فرأيتك تحسن الصلاة، وأنت رجل من الأنصار، خذ هذا السيف فقد ولّيتك حرسي[٣] .

---

(١) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٢٦٦، ٢٦٧) ـ الطبعة الهندية.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٢٦)، و«الحلية» (٩/ ٢٤٣).

(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢١١).

◻ عن مطرف بن عبدالله قال: كان يبلغني عن أبي ذر حديث وكنت أشتهي لقاءه، فلقيته، فقلت: يا أبا ذر! كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك، فقال: لله أبوك قد لقيتني فهات، قال: قلت: بلغني أنك تحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة**»، قال: فلا أخالني أكذب على رسول الله، قال: قلت: مَنْ هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: «**رجل غزا في سبيل الله صابراً محتسبًا فقاتل حتى قُتل**، وأنتم تجدونه عندكم في كتاب الله عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ قلت: ومن؟ قال: «**رجل كان له جار سوء يؤذيه، فصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت**[1] » قلت: ومَن؟ قال: «**رجل سافر مع قوم فارتحلوا حتى إذا كان من آخر الليل وقع عليهم الكرى أو النعاس فنزلوا فضربوا برؤوسهم ثم قام فتطهر وصلى**[2] **رهبة لله عز وجل ورغبة فيما عنده**»، قلت: وما الثلاثة الذين يبغضهم الله؟ قال: «**البخيل المنان**[3] ، **والمختال الفخور**[4] ، **وإنكم لتجدون ذلك في كتاب الله عندكم**: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾ قال: فمن الثالث؟ قال: «**التاجر الحلاَّف**[5] ، **أو البائع الحلاّف**»[6] .

---

(١) في رواية ابن المبارك وأحمد: «بموت أو ظعن»، والظعن: أن يرتحل أحدهما من مكانه إلى مكان آخر.

(٢) المعنى: أنهم ساروا من أول الليل، فلما جاء آخره أصابهم الكرى ـ وهو النوم ـ أو النعاس، فنزلوا وناموا، سوى واحد منهم، لم ينم بل قام يصلي. «النهاية» (٤/ ١٧٠)، و«لسان العرب» (١٥/ ٢٢١).

(٣) جمع مع البخل المَنّ بالعطية.

(٤) أي: معجب بنفسه، متكبر على الناس.

(٥) أي: كثير الحلف عند البيع والشراء.

(٦) صحيح: رواه أحمد (١٧٦/٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» [النساء: ٣٦] رقم (٥٣١٣)، وابن أبي شيبة في «الجهاد» (٣٠٢/٥، ٣٠٣)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ٣٢) =

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«ثلاثة يحبهم اللَّه وثلاثة يشنؤهم اللَّه: الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يُقتل أو يُفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون، فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحليهم. والرجل يكون له الجار يُؤذيه جاره، فيصبر على أذاه حتى يفرّق بينهما موت أو ظعن. والذين يشنؤهم: التاجر الحلاّف، والفقير المختال، والبخيل المنان»**[1] .

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«ثلاثة يحبهم اللَّه، ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه للَّه عز وجل، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره اللَّه ويكفيه فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضرّاء وسرّاء»**[2] .

❑ «قال محمد بن الوزير ـ وَصِيّ عبداللَّه بن المبارك ـ كنت مع عبداللَّه

= رقم (٢٠١٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٥٢، ١٥٣) رقم (١٦٣٧)، والحاكم في «الجهاد» (٢/ ٨٨، ٨٩)، والبيهقي (٩/ ١٦٠)، وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال المنذري (٣/ ٣٣٧): «رجاله محتج بهم في الصحيح، وقال الهيثمي (٨/ ١٧١): «رجاله رجال الصحيح». ورواه مع اختلاف في بعض جمله أحمد (٥/ ١٥٣)، والترمذي (٤/ ٦٩٨) رقم (٥٦٨)، والنسائي (٥/ ٨٤)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» ص(٢٠٨) رقم (٨١٣).

(١) **صحيح**: عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» لأحمد في «مسنده» عن أبي ذر. قال الحافظ العراقي: «فيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله. قال: وراه أيضًا أحمد والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد». وقال الألباني: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، وابن المبارك، وابن نصر، وابن أبي شيبة، والطحاوي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٦٩)، و«المشكاة» (١٩٢٢).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» وقال إسناده حسن، وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله ثقات، وحسّنه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب» حديث رقم (٦٢٥).

في المحمل فانتهينا إلى موضع بالليل وكان ثَمَّ خوف قال: فنزل ابن المبارك وركب دابته حتى جاوزنا الموضع فانتهينا إلى نهر فنزل عن دابته وأخذت أنا مقوده، واضطجعت، فجعل يتوضأ ويصلي حتى طلع الفجر، وأنا أنظر إليه، فلما طلع الفجر ناداني. قال: قم فتوضأ، قال: قلت: إني على وضوء فركبه الحزن حيث علمتُ أنا بقيامه، فلم يكلمني حتى انتصف النهار وبلغت المنزل معه[1] .

□ قال المروزي: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل قال: «ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له»[2] .

* **لطيفة:**

كان من هدي نبي الله داود أنه كان ينام سدس الليل الأخير، وهذا هدي نبينا ﷺ حتى يذهب النوم بصفرة الوجه حتى إذا خرج إلى الناس لا يعلم الناس بحاله ويكون هذا أقوى في الإخلاص وأبعد ما يكون عن الرياء فصلوات ربي وسلامه على من حاله أكمل حال وهديه أحسن الهدي.

* **صدقة السر:**

الإسرار بالصدقة يكون أعون للعبد على نقاء القصد وخلوص النيّة، وصفاء العزم وسلامة الطوية قال تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٧١].

● ولله ما أحلى قول نبينا ﷺ في السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلّه

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٤٠).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٤٥، ١٤٦).

يوم لا ظلّ إلا ظلّه: **«ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شمالُه ما تُنفقُ يمينُه»**: قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٧/ ١٢٢): «قال العلماء: وذكر اليمين والشمال مبالغة في الإخفاء والاستتار بالصدقة وضرب المثل بهما لقرب اليمين من الشمال وملازمتها ومعناه لو قُدِّرت الشمال رجلا متيقّظًا لما علم صدقة اليمين لمبالغته في الإخفاء».

ولبيت النبوة القدّحُ المعلّى في ذلك:

❑ فهذا زيْنُ العابدين علي بن الحسين - رحمه اللَّه - يقول عنه أبو حمزة الثمالي: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدَّق به، ويقول: إن صدقة السرِّ تطفئ غضب الرب عزَّ وجلَّ.

❑ وعن شيبة بن نعامة: كان علي بن الحسين يُبَخّلُ، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة.

❑ قال جرير: إنه حين مات وجدوا بظهره آثارًا مما كان يحمل بالليل الجِرَب إلى المساكين.

❑ وقال عمرو بن ثابت: لمّا مات علي بن الحسين فغسَّلوه؛ جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جِرَبَ الدقيق ليلاً على ظهّره، ويُعطيه فقراء أهل المدينة.

❑ وعن محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤتَون به في الليل.

❑ وعن ابن عائشة قال: قال أبي: سمعتُ أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات علي بن الحسين[1] .

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٥ - ١٣٦).

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحرمُ
يكادُ يمسكه عرفانُ راحتِهِ ... عند الحطِيم إذا ما جاء يستلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلُها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

◻ وشيخ الإسلام عبداللَّه بن المبارك، يقول عنه محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرَّقة في خان، فكان شابٌّ يختلف إليه، ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث، فقدم عبداللَّه مرّة فلم يره، فخرج في النفير مُستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشابِّ، فقال: محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدلّ على الغريم، ووزن له عشرة آلاف، وحلَّفه ألا يُخبر أحدًا ما عاش، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرّقة، فقال لي: يا فتى، أين كنت، لم أرك؟ قال: يا أبا عبدالرحمن، كنت محبوسًا بدَيْن. قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى دَيْني ولم أدر، قال: فاحمد اللَّه. ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبداللَّه[1].

◻ قال أبو العالية: «إن خير الصدقة أن تعُطي بيمينك وتُخفيها من شمالك»[2].

◻ قال بشر بن الحارث الحافي: الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد، ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يُعطي سرًا لا يراه إلا اللَّه عز وجل[3].

◻ عن ابن زيد قال: قال ابن المنكدر: استودعني رجل مائة دينار.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٥٩).
(٢) «تهذيب الحلية» (١/ ٣٦٧).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٩١).

فقلت له: أي أخي إن احتجنا إليها أنفقناها حتى نقضيك. قال: نعم! واحتجنا إليها فأنفقناها فأتاني رسوله، فقلت: إنا قد احتجنا إليها. قال: وليس في بيتي شيء! قال: فكنت أدعو: يا رب لا تخرّب أمانتي وأدها. قال: فخرجت فحين وضعت رجلي لأدخل، فإذا رجل يأخذ بمنكبي لا أعرفه، فدفع إليّ صرة فيها مائة دينار، فأدّاها فأصبح الناس لا يدرون من أين ذلك؟ فما علموا من أين ذلك حتى مات عامر وابن المنكدر، فإذا رجل يخبر قال: بعثني بها إليه عامر - يعني ابن عبدالله بن الزبير - فقال: ادفعها إليه ولا تذكرها حتى أموت أنا أو يموت ابن المنكدر. قال: فما ذكرتها حتى ماتا جميعًا[1].

❑ ومحمد بن أسلم الطوسي يقول عنه خادمه: «وكان يصل قومًا ويعطيهم ويكسوهم، فيبعث إليهم ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه إليهم، فيأتيهم هو بالليل، فيذهب به إليهم، ويُخفي نفسه فربما بلى ثيابهم ونفد ما عندهم ولا يدرون من الذي أعطاهم، ولا أعلم منذ صحبته وصل أحدًا بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك[2].

❑ وورث فقيه الآخرة عبدالرحمن بن الحارث خمسين ألفًا، فبعث بها سرًّا إلى إخوانه، وقال: قد كنتُ أسأل لهم الجنة في صَلاتي، فأبخل عليهم بالدنيا!!

❑ والإمام العالم العامل شمس الدين بن المنير البعلي الشافعي يقول عنه نجم الدين الغزي: «كان يجلس في حانوته ببعلبك، وفي كل يوم يضع من كسبه من الدنانير والدراهم والفلوس في أوراق ملفوفة، ويضع الأوراق في مكان عنده، وإذا وقف عليه الفقراء أعطاهم من تلك الأوراق ما يخرج من

(١) المصدر السابق (١/ ٤٩٦).
(٢) المصدر السابق (٣/ ١٧٧).

يده لا ينظر في الورقة المدفوعة ولا في الفقير المدفوع إليه»[١] .

□ ولله در أبي حفص النيسابوري القائل: «ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه».

□ يقول نجم الدين الغزي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري:

«كان ـ رضي الله عنه ـ كثير الصدقة مع إخفائها، وكان له جماعة يرتب لهم من صدقته ما يكفيهم إلى يوم، وإلى جمعة، وإلى شهر، وكان يبالغ في إخفاء ذلك، حتى كان غالب الناس يعتقدون في الشيخ قلّة الصدقة، وكان إذا جاءه سائل بعد أن كفّ بصره يقول لمن عنده من جماعته: هل هنا أحد؟ فإن قال له: لا، أعطاه، وإن قال له: نعم، قال له: قل له يأتينا في غير هذا الوقت»[٢] .

*** إخفاء الصوم:**

□ وعن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: إذا كان صومُ يوم أحدكم، فليدهنْ أو ليمسحْ شفتيه من دهنه، حتى ينظر إليه الناظر، فلا يرى أنه صائم، وإذا صلَّى أحدكم في بيته فليُخف عليه ستره، فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق[٣] .

□ وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فليصبح دهينًا مترجّلا»[٤] .

✍ لله در المخلصين يخفون أعمالهم حتى الصوم. . وهو العبادة التي لا

---

(١) «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» لنجم الدين الغزي (٢/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٢) «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» (١/ ١٩٦ ـ ٢٠٧).

(٣) «الزهد» لهنّاد بن السري ص(٤٤٤).

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا، وابن المبارك في «الزهد والرقائق» موصولاً.

يدخلها الرياء ما لم يخبر بها صاحبها قاصدًا الرياء، قال الإمام أحمد: لا رياء في الصوم.

❑ انظر إلى زين القرّاء محمد بن واسع قال عنه محمد بن بهرام: «كان محمد بن واسع يصوم الدهر يُخفي ذلك»[1].

❑ وصام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خزّازًا، يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدَّق به في الطريق، ويرجع عشيًّا فيُفطر معهم[2]، فيظنُّ أهلُ السوق أنه قد أكل في البيت، ويظنُّ أهله أنه قد أكل في السوق.

ومستخبرٍ عن سرِّ حُبِّي رددتُهُ فأصبح في حُبِّي بغير يقينِ
يقولون خبِّرْنا فأنت حبيبُه وما أنا إن خبَّرتهم بأمينِ

❑ وعمرو بن قيس الملائي: أقام عشرين سنة صائمًا، ما يعلم به أهلُه، يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغدائه، ويصوم، وأهله لا يدرون. وكان إذا حضرته الرقّة، يُحوِّل وجهَه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما أشدّ الزكام»[3].

❑ وعَلَمُ الزهاد أبو محفوظ معروف الكرخي: سُئل: كيف تصوم؟ فغالط السائل وقال: صوم نبينا ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود كذا وكذا، فألحَّ عليه، فقال: أُصبح دهري صائمًا، فمن دعاني أكلتُ، ولم أقل إني صائم[4].

❑ قال إبراهيم بن أدهم: «لا تسأل أخاك عن صيامه، فإن قال: أنا

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٥١).
(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٠٠).
(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٤).
(٤) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٤١).

صائم فرحتْ نفسُه بذلك، وإنْ قال: أنا غير صائم حزنت نفسه، وكلاهما من علامات الرياء، وفي ذلك فضيحة للمسئول واطِّلاع على عوراته من السائل».

وكان إبراهيم ـ رحمه اللَّه ـ إذا دُعي إلى طعام وهو صائم أكل ولم يقل إني صائم.

* إخفاء الذِّكْر وقراءة القرآن:

في حديث السبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله: **«ورجل ذكر اللَّه خاليًا ففاضت عيناه»**.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسرّ بالقرآن كالمسر بالصدقة»**[1].

❑ قال الترمذي عقيب روايته للحديث: «ومعنى هذا الحديث أن الذي يسرُّ بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العُجب؛ لأن الذي يُسرّ بالعمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه من علانيته» ا.هـ

❑ قالت سُرِّية الربيع بن خثيم: كان عملُ الربيع كلُّه سرًّا، إن كان ليجيء الرجل، وقد نشر المصحف؛ فيُغطِّيه بثوبه[2].

❑ قال ابن الجوزي: كان إبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطَّاه[3].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر، والحاكم عن معاذ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٠٥)، و«المشكاة» (٢٢٠٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/١٠٧).

(٣) «المدهش» ص(٤١٥).

❑ وإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، يقول عنه تلميذه أبو بكر المروزي: كنتُ مع أبي عبدالله نحواً من أربعة أشهر بالعسكر، وكان لا يدع قيام الليل وقراءات النهار، فما علمت بختمة ختمها، وكان يُسرُّ بذلك.

قال رجل خراساني للإمام: الحمد لله الذي رأيتُك، فقال له: اقعدْ، أي شيء ذا؟ ومن أنا؟

رحمك الله يا إمام، والله لأنت أولى الناس بقولك: القلانس من السماء تنزل على رؤوس قوم يقولون برؤسهم هكذا وهكذا. والمعنى أنهم لا يُريدون الرئاسة، وهي تقع عليهم.

قال الإمام أحمد: أشتهي ما لا يكون.. أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحد من الناس.

❑ وكان شيخ الإسلام إذا أصبح النهار يخرج إلى الصحراء، ويقول مُتمثِّلاً:

وأخرج مِنْ بين البيــــوت لعلَّني أُحدّث عنك القلبَ بالسر خاليًا

* **إخفاء البكاء:**

❑ قال الثوري: البكاء عشرة أجزاء؛ تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير[1].

✍ لشدّ ما حاسبوا أنفسهم ودَققوا.. حتى الدموع يا أمير المؤمنين في الحديث.

❑ قال سفيان: إذا استكمل العبد الفجور ملك عينيه، يبكي بهما متى يشاء.

---

(١) «الحلية» (٧/ ١١).

هذا العالم العابد، الإمام المُدقق، سفيان الثوري، له مع الفضيل بن عياض ـ طبيب القلوب ـ وقفة يحكيها لنا الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٧/ ٦٤): التقَى سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا، فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظمَ مجلسٍ جلسناه بركةً. قال فضيل: ترجو، لكني أخاف أن يكون أعظمَ مجلسٍ جلسناه علينا شؤمًا، أليس نظرتَ إلى أحسن ما عندك، فتزيَّنتَ به لي، وتزيَّنت لك به، فعبدتَني وعبدتك. قال فبكى سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحياك اللَّه كما أحييتني.

❑ وهذا أيوب السختياني: كان في ثوبه بعضُ الطول لستر الحال، وكان إذا وعظ فرقَّ؛ فَرَقَ من الرياء، فيمسح وجهه ويقول: ما أشدّ الزُّكام!!

أحبس دمعي فيند شاردًا ... كأنني أضبطُ عبدًا آبقَا
ومن محاشاة الرقيب خلتُني ... يوم الرحيل في الهوى منافقا[1]

❑ قال ابن الجوزي: كان ابن سيرين يتحدَّث بالنهار ويضحك، فإذا جاء الليل فكأنه قتل أهل القرية.

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... الليل هزَّتني إليك المضاجعُ
أُقضِّي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهمّ بالليل جامع

❑ كان خوفهم من الرياء يُوجب مدافعة النهار، فإذا خلواْ بالحبيب لم يصبر الشوق.

أحنُّ بأطرافِ النهارِ صبابةً ... وفي الليل يدعوني الهوى فأُجيبُ
وأيامُنا تفنى وشوقي زائدٌ ... كأنَّ زمانَ الشوق ليس يغيبُ

---

(١) «المدهش» ص(٤١٤).

❑ قال الحسن البصري: إن كان الرجل ليجلسُ المجلس، فتجيئه عبرته فيردّها، فإذا خشي أن تسبقه قام[١] .

❑ قال عبدالكريم بن رشيد: كنت في حلقة الحسن، فجعل رجل يبكي وارتفع صوته، فقال الحسن: إن الشيطان ليُبكي هذا الآن[٢] .

❑ وعن عيسى بن زاذان قال: يأتي على الناس زمان؛ يسكن الشيطان في أعين الناس، فمن شاء أن يبكي بكى[٣] .

❑ عن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلَّى في بيته ينشُجُ نشيجًا، ولو جُعلت له الدنيا على أن يفعله وأحدٌ يراه ما فعله[٤] .

❑ يقول زينُ القرّاء محمد بن واسع: لقد أدركتُ رجالاً، كان الرجل يكون رأسُه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالاً، يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعُه على خدِّه، ولا يشعر به الذي إلى جنبه[٥] .

والله إنها لأغرب من الخيال. . . !!

حالت لفقدكمُ أيامُنا فغدتْ سودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا
مَنْ مُبلِغُ الملبسينا عنا بانتزاحهم حزنا مع الدهر لا يبلي ويُبلينا
إن الزمانَ الذي قد كان يُضحكُنا أُنسًا بقربهمُ قد عاد يُبكينا
ليُسقَ عهدُكمُ عهدُ السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينَا

---

(١) «الزهد» لأحمد بن حنبل ص(٢٦٢).
(٢) «الزهد» لأحمد ص(٢٧٣).
(٣) «الزهد» لأحمد ص(٢٧٥).
(٤) «الزهد» لأحمد ص(٣٥٨).
(٥) « حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٧).

□ قال محمد بن واسع: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به[١].

□ قال حمّاد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعوده. قال: فجاء يحيى البكَّاء يستأذن عليه، فقالوا: يا أبا عبداللَّه، هذا أخوك أبو سلمة على الباب. قال: منْ أبو سلمة؟ قالوا: يحيى. قال: منْ يحيى؟ قالوا: يحيى البكَّاء. قال حمَّاد: وقد علم أنه يحيى البكَّاء! فقال: إن شرّ أيامكم يومٌ نسبتم فيه إليه البكاء[٢].

□ قال سفيان بن عُيينة: أصابتني ذات يوم رِقَّةٌ فبكيتُ، فقلتُ في نفسي: لو كان بعض أصحابنا لرقَّ معي، ثم غفوتُ، فأتاني آتٍ في منامي، فرفسني، وقال: يا سفيان، خذْ أجرك ممّنْ أحببتَ أن يراك.

□ عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيراً ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: بأي شيء فضُل هذا الرجل علينا، حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة، إن كان يُصلِّي إنا لنُصلِّي، وإنْ كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحجّ إنا لنحجّ؟! قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشَّى في بيت، إذ طُفِئ السِّراج، فقام بعضنا فأخذ السِّراج، وخرج يستصبح، فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك، ولحيته قد ابتلَّت من الدموع، فقلتُ في نفسي: بهذه الخشية فضُل هذا الرجل علينا، ولعلّه حين فُقد السراج فصار إلى ظُلْمةٍ ذكر القيامة[٣].

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٧).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ١٢١).

❑ وهذا شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي، يقول عنه خادمه أبو عبداللَّه: كان محمد يدخل بيتًا ويُغلق بابه، ويُدخل معه كوزًا من ماء، فلم أدر ما يصنع، حتى سمعتُ ابنًا صغيرًا له يبكي بكاءه، فنهتْه أُمُّه، فقلتُ لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأ القرآن ويبكي، فيسمعه الصبي فيحكيه، فكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه؛ فلا يُرى عليه أثُر البكاء»[١] .

للَّه دَرُّك يا أبا الحسن!!

❑ وكان الفضيل بن عياض يقول: من يدلّني على عابد بكّاء بالليل صوّام بالنهار وأنا أدعو له[٢] .

❑ وعن حماد قال: غلب أيوب البكاء يومًا فقال: الشيخ إذا كبر فج وغلب فوه، فوضع يده على فيه. وقال: الزكمة ربما عرضت[٣] .

❑ وقال معاوية بن قرة: من يدلني على بكّاء بالليل بسّام بالنهار[٤] .

❑ وعن أم عباد امرأة هشام بن حسّان قالت: كنا نزولاً مع محمد بن سيرين في داره، فكنا نسمع بكاءه في الليل وضحكه بالنهار[٥] .

❑ وكان أبو السائب ـ رحمه اللَّه ـ إذا طرقه بكاء في سماع القرآن أو حديث أو نحو ذلك يصرفه التبسم[٦] .

❑ وكان حسّان بن أبي سنان يحضر مسجد مالك بن دينار، فإذا تكلم

---

(١) «الحلية» (٩/ ٢٤٣).
(٢) «تنبيه المغترين» ص(٣١).
(٣) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٣٢).
(٤) المصدر السابق (١/ ٣٩٧).
(٥) المصدر السابق (١/ ٣٩٠).
(٦) «تنبيه المغترين» ص(٢٥).

مالك بكى حسان حتى يبلّ ما بين يديه، لا يُسمع له صوت[١] .

□ وحدّث الحسن يومًا أوْ وعظ، فنحب رجل في مجلسه، فقال الحسن: إن كان للّه فقد شهدتَ نفسك، وإن كان لغير اللّه هلكت.

□ وقال سعيد بن الفضيل مولى بني زهرة: «كان محمد بن واسع نازلاً في العلو وكان قوم يسكنون في داره في السُّفل، فقال: فحدّثني بعضهم قال: كان يبكي عامة الليل لا يكاد يفتر، قال: ثم يصبح فإنما يكشر[٢] في وجوه أصحابه[٣] ».

□ وقال معاوية بن قرة: بكاء القلب خير من بكاء العين.

□ قال شميط بن عجلان: كان سفيان بن عيينة إذا بكى يردّد الدمع في عينه ويقول: إنه أبقى للكمَد[٤] .

* إخْفاء الدعاء:

□ قال ابن المنكدر: إني لَلَيلة حذاء هذا المنبر جوف الليل أدعو، إذا إنسانٌ عند أُسطوانة، مقنِّعٌ رأسَه، فأسمعه يقول: أيْ رب، إن القحط قد اشتدَّ على عبادك، وإني مُقسِمٌ عليك يا رب إلا سقيتَهم! قال: فما كان إلا ساعة، إذا بسحابة قد أقبلت، ثم أرسلها اللّه سبحانه، وكان عزيزًا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحدٌ من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟! فلما سلَّم الإمام تقنَّع وانصرف، فاتبعته، ولم يجلس للقاصّ، حتى أتى دار أنس، فدخل موضعًا، وأخرج مفتاحًا ففتح ثم دخل. قال: ورجعتُ، فلما

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٩).

(٢) يكشر أي: يبتسم.

(٣) «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا ص(١٦٦).

(٤) «تنبيه المغترين» ص(٩٠).

سبَّحت أتيتُه، فإذا أنا أسمع نجرًا في بيته، فسلمتُ، ثم قلتُ: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحًا يعملها! فقلت: كيف أصبحتَ أصلحك اللَّه؟ قال: فاستشهدها وأعظمَها مني، فلما رأيتُ ذلك، قلتُ: إني سمعتُ إقسامك البارحة على اللَّه عز وجل، يا أخي، هل لك في نفقة تغنيك عن هذا، وتُفرِّغُك لما تُريد من الآخرة؟ فقال: لا! ولكن غير ذلك لا تذكرْني لأحد، ولا تذكرْ هذا عند أحد حتى أموت، ولا تأتِني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأْتني شهرتني للناس، فقلتُ: إني أُحبُّ أن ألقاك، قال: القني في المسجد، وكان فارسيًّا. قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل. قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من ذلك الدار، فلم يره ولم يدر أين ذهب، فقال أهل تلك الدار: اللَّه بيننا وبين ابن المنكدر، أخرجَ عنا الرجل الصالح[1].

□ قال عقبة بن عبدالغافر: دعوة في السرّ أفضل من سبعين في العلانية، وإذا عمل العبد في العلانية عملاً حسنًا وعمل في السر مثله قال اللَّه لملائكته: هذا عبدي حقًّا[2].

□ وقال حسان بن عطية: ما سلك عبد واديًا، فرفع يديه فرغب إلى اللَّه حيث لا يراه أحد، إلا ملأ اللَّه ذلك الوادي حسنات، فليعظم ذلك الوادي أو ليصغر.

* الإسرار بالعلم وإخفاؤه:

□ قال أبو العالية: «تعلّمت الكتاب والقرآن فما شعر أهلي، ولا رُوئي في ثوبي مداد قط.

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٢).

(٢) «تهذيب الحلية» (١/ ٣٨٥).

❑ قال الشافعي: وددتُ أنَّ الخلق تعلموا هذا[١] على أن لا يُنسَب إليَّ حرفٌ منه.

❑ وقال عون بن عمارة: سمعتُ هشامًا الدستوائي يقول: واللَّه ما أستطيع أن أقول: إني ذهبتُ يومًا قطُّ أطلبُ الحديث أُريد به وجه اللَّه عز وجل.

❑ قال الذهبي: واللَّه ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم للَّه؛ فنبلوا.. فنسأل اللَّه النجاةَ والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم ولا رأيتُ عالمًا[٢].

❑ والإمام أبو الحسن الماوردي علي بن محمد بن حبيب شيخ الشافعية. قيل: إنه لم يُظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاتُه؛ قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كُلُّها تصنيفي، وإنما لم أُظهرها؛ لأني لم أجد نيَّة خالصة، فإذا عاينتُ الموت ووقعت في النزع؛ فاجعل يدك في يدي، فإن قبضتُ عليها وعصرتُها؛ فاعلم أنه لم يُقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة، وإن بسطتُ يدي ولم أقبض على يدك؛ فاعلم أنها قد قُبِلت، وأني قد ظفرتُ بما كنتُ أرجوه من النيّة.

قال ذلك الشخص: فلمّا قارب الموتَ وضعتُ يدي في يده؛ فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمتُ أنها علامة القبول، فأظهرت كُتُبَه بعده.

قلتُ[٣]: «لعلَّ هذا بالنسبة إلى «الحاوي»، وإلا فقد رأيت من مُصنَّفاته

(١) يقصد علمه.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣).
(٣) أي التاج السبكي صاحب «طبقات الشافعية الكبرى».

غيره كثيرًا، وعليه خطُّه، ومنه ما أكملتُ قراءته عليه في حياته»[1].

* إخفاء الزهد:

هذا عَلَمُ الزُّهّاد أيوب السختياني يقول: ليتقِ اللَّه رجلٌ، فإن زهد فلا يجعلنَّ زهده عذابًا على الناس؛ فلان يُخفي الرجل زهده خيرٌ من أن يُعلنه.

❑ قال حماد: وكان أيوب ممّن يُخفي زُهده؛ دخلنا عليه فإذا هو على فراش مخنس أحمر، فرفعتُه، أو رفعه بعض أصحابنا، فإذا خَصَفَة محشوَّة بليف[2].

❑ وعن ابن عيينة قال: كان هارون بن رباب يخفي الزهد، وكان يلبس الصوف تحت ثيابه.

❑ وعن حماد بن زيد: قال: ذكر أيوب هارون بن رباب فقال: كانُ يسرّ بالزهد هذا الذي قال عنه ابن عيينة: رأيت هارون بن رباب وكأن النور على وجهه[3].

❑ وعن حرملة بن يحيى قال: أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية، وأخرج من كمه رغيف شعير وقال لي: دع يا حرملة ما يقول الناس، هذا طعامي منذ ستين سنة[4].

❑ وعن سفيان الثوري قال: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز دكناء وكساء خز ايرجاني، فجعلت أنظر إليه معجبًا، فقال لي: يا ثوري ما لك تنظر إلينا؟ لعلك تعجب مما رأيت؟ قال: قلت: يا بن رسول اللَّه ليس

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٩).

(٣) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٤٨)، و«السير» (٥/ ٢٦٣).

(٤) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٢٦).

هذا من لباسك ولا لباس آبائك! فقال لي: يا ثوري كان ذلك زمانًا مقفرًا مقترًا، وكانوا يعملون على قدر إقفاره وإقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه عزاليه، ثم حسر عن ردن جبته وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن. فقال لي: يا ثوري لبسنا هذا للّه وهذا لكم، فما كان للّه أخفيناه، وما كان لكم أبديناه[1].

◻ «وكان إبراهيم التيمي يلبس لبس الفتيان، فكان لا يعرف أحد أنه من العلماء إلا أصحابه، وكان يقول: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته»[2].

* الجهـــاد:

◻ عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى الأشعري - رضي اللّه عنه - قال: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه[3]، قال: فنقبت أقدامنا[4]، فنقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسُمِّيت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب على أرجلنا من الخِرَق. قال أبو بردة: فحدّث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك، قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه»[5] رواه البخاري ومسلم.

◻ هذا الصحابي العلاء بن الحضرمي - رضي اللّه عنه -: يخوض البحر

---

(١) «تهذيب الحلية» (١/ ٥١١).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(٢٧).

(٣) اعتقاب المركوب هو أن يركبه واحد بعد واحد، فيركب أحدهم قليلاً، ثم ينزل ثم يركب آخر بالنوبة حتى يأتي على سائرهم. انظر: «الفتح» (٧/ ٤٢١).

(٤) «أي رقّت أقدامنا وتقرّحت من كثرة المشي حفاة. انظر: «النهاية» (٥/ ١٠٢)، و«جامع الأصول» (٨/ ٢٨٣)، و«الفتح» (٧/ ٤٢١).

(٥) أخرجه البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة ذات الرقاع (٧/ ٤١٧) ح (٤١٢٨)، و«صحيح مسلم» - كتاب الجهاد - باب غزوة ذات الرقاع (٣/ ١٤٤٩) ح(١٨١٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» كتاب الجهاد (٥/ ٣٣٠).

على فرسه في يوم دارين، ومعه جيش المسلمين، فما ابتلَّ لهم سرْجٌ.. يجوزون الخليج.. وإنَّ ما بين دارين والساحل مسيرة يوم وليلة لسفر البحر، يقول عفيف بن المنذر:

ألم تر أن اللَّه ذلَّل بحْرَهُ وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شقَّ البحارَ فجاءنا بأعجب من فلْق البحار الأوائل

◘ وكان أبو هريرة - رضي اللَّه عنه - يقول: رأيتُ من العلاء ثلاثة أشياء، لا أزال أُحِبُّه أبدًا: قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم يُريد البحرين، فدعا اللَّه بالدَّهناء، فنبع لهم ماءٌ فارتووا. ونسي رجلٌ منهم بعض متاعه، فردَّ، فلقيه، ولم يجد الماء. ومات ونحن على غير ماء، فأبدى اللَّه لنا سحابةً، فمطرنا، فغسَّلناه، وحفرنا له بسيوفنا ودفناه، ولم نلحد له[1].

◘ وقد أسنده ابن أبي الدنيا عن عبدالملك بن سهم عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء الحضرمي.. فذكره. وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم، يا علّي، يا عظيم، إنا عبيدُك، وفي سبيلك نُقاتل عدوَّك، اسقنا غيثًا نشرب منه ونتوضأ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيبًا غيرنا. وقال في البحر: اجعل لنا سبيلاً إلى عدوِّك. وقال في الموت: اخفِ جثتي، ولا تُطلِع عورتي أحدًا، فلم يُقدَرْ عليه.

◘ وعند البيهقي مرسلاً: قال: فحفرنا له وغسَّلناه ودفناه، فأتى رجلٌ بعد فراغنا من دفنه، فقال: مَنْ هذا؟ فقلنا: هذا خيرُ البشر، هذا ابن الحضرمي، فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين؛ إلى الأرض تقبل الموتى، فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن نُعرِّضه للسباع تأكله، قال: فاجتمعنا على نبشه، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس

---

(١) «السير» (١/ ٢٦٥ - ٢٦٦).

فيه، وإذا اللحد مدُّ البصر نور يتلألأ، قال: فأعدنا التراب إلى اللحد، ثم ارتحلنا[١].

أولئك آبـــائي فجئنـــي بمثلــــهم إذا جمعتنـــا يا جـــريرُ المجـــامعُ

☐ وسيِّدُ فرسان الحديث عبداللَّه بن المبارك.. وما أدراك ما عبداللَّه بن المبارك!!

قال عبدة بن سليمان: كنا في سرية مع عبداللَّه بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفَّان؛ خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة، فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكُمِّه، فأخذتُ بطرف كُمِّه فمددتُه، فإذا هو عبداللَّه بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنِّع علينا[٢].. ممن يُشنِّع!! وكأن في الأمر إظهاراً للمساوئ.. إن كانت هذه مساوئَ، فكيف الحسنات!!

☐ ولهذه القصة أختٌ عند عمر، وبذكر عمر تطيبُ المجالس:

* قضاء حوائج المسلمين:

☐ قال طلحة بن عبيد اللَّه: خرج عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ليلة في سواد الليل، فدخل بيتًا، فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مُقعدة، فقلتُ لها: ما بال هذا الرجل يأتيكي؟ فقالت: إنه يتعاهدُني مدة كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني، ويُخرج عني الأذى، فقلتُ لنفسي: ثكلتْك أُمُّك يا طلحة، أعثرات عمر تَتَّبع؟!![٣].

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ١٦٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١١٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

✍ إخواني: اخفوا الأعمال عن الخلق، وسيظهرها اللَّه، فما من أحد إلا وألبسه اللَّه رداء نيّته:

□ «لما مات الطوسي قالوا لأحمد بن نصر: يا أبا عبداللَّه، صلَّى عليه ألفَ ألفٍ من الناس، وقال بعضهم: ألف ألفٍ ومائة ألفٍ من الناس؛ يقول صالحهم وطالحهم: لم نعرف لهذا الرجل نظيرًا، فقال أحمد بن نصر: يا قوم، أصلِحوا سرائركم بينكم وبين اللَّه، ألا ترون رجلاً دخل بيته بطوس، فأصلح سرَّه بينه وبين الناس، ثم نقله اللَّه إلينا، فأصلح اللَّه على يديه ألف ألفٍ ومائة ألفٍ من الناس»[١].

□ وانظر إلى أبي قريش العابد عبداللَّه بن غالب الحُدّاني الصوّام القوّام: «قال المغيرة بن حبيب: لما برز العدو قال عبداللَّه بن غالب: «على ما آسى من الدنيا فواللَّه ما فيها للبيب جذل، واللَّه لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس[٢] في ظلم الليالي رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنتُ متمنيًا لفراق الدنيا وأهلها، ثم كسر جفن سيفه، وتقدّم فقاتل حتى قُتِل، فلما دُفِن أصابوا من قبره المسك، وكان الناس يأخذون من تراب قبره كأنه المسك، ورآه رجل فيما يرى النائم فقال: يا أبا فراس، ماذا صنعتَ؟ قال: خير الصنيع، قال: إلى ما صرتَ؟ قال: إلى الجنة، قال: بِمَ؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجد، وظمأ الهواجر. قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي تُوجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال له أقضني. قال: اكسب لنفسك خيرًا، لا تخرج عنك الليالي والأيام عُطلا، فإني رأيت الأبرار نالوا البرّ بالبر».

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٢) الكراديس: ملتقى كل عظمْين كبيرين ضخميْن كالركبتين والمرفقين والمنكبيْن.

وكان يصلي في اليوم مائة ركعة»[١] .

✍ أخفوا للَّه الأعمال، فجعلهم اللَّه سادة، ونشر اللَّه عملهم حتى نمّ التراب عنه.

✍ أخي:

نختم بهذا المثل الذي تستعين به على العمل، وتتقوّى به على الفرار من نظر الناس إليك:

«إن الشجرة إذا تبين عروقها انقطعت عن شربها، ولم تحسن فروعها، وجفّ ورقها، ولم تثمر، ولم ينتفع بها؛ وذهب قدر قيمتها. فإذا غاصت عروقها، وغابت عن الناظرين إليها، كثر شربها، وجرى ماؤها، وتزايدات عروقها، واخضّر ورقها، وطاب ثمرها، وجناها صاحبها، وكثر قدر قيمتها، وهكذا يا فتى العمل الصالح له أصول في القلب مغطّاة عن الخلق، زكا في نفسه، وطهر من الأدناس، وكثر الثواب لصاحبه، فإذا بدا شيء من اعتقاد قلبه، ومن أصول علمه، لم يأمن إليه من أبصار الناظرين إليه، ومازجه حب المحمدة.

وكلما أخفى العامل للَّه عمله، زاد في قدر الصدق والإخلاص له عنده، وأُعطي أكثر الثواب.

❑ قلت: ما أخوف ما تخاف عليّ وفي وقت إخمال[٢] عملي، وحيث لا يراني إلاّ ربي؟ قال: أخوف ما أخاف عليك في ذلك الوقت: الإعجاب؛ لأن الرياء غائب عنك في ذلك الوقت، إلا أن تستحسنه بقلبك، وتحب اطلاع الناس على حسن سريرتك، وهم لا يعلمون ذلك منك، وأنت حينئذ الذي لا ينجو من الرياء إذا قبلت ذلك»[٣] .

---

(١) «مختصر قيام الليل» للسمرقندي ص(٢٩).

(٢) إخمال عملي: خفاء عملي.

(٣) كتاب «القصد والرجوع إلى اللَّه» للمحاسبي ص(٢٦٠ ـ ٢٦١) ـ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الكتب العلمية.



الطاعة والمعصية
بين
الإسرار والعلانية



الطاعة والمعصية بين الإسرار والعلانية

✍ ينبغي على المؤمن السالك الطريق إلى اللَّه تعالى: أن يجتهد في إخفاء طاعاته، وستر أعماله الصالحات عن أعين الخلق وآذانهم ما استطاع، مكتفيًا بأن اللَّه تعالى يسمع ويرى، وأن الخلق لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا، وأن رضوان اللَّه تعالى ومثوبته فوق رضا الخلق وثنائهم.

وهذا بالنسبة إلى النوافل والتطوعات، أما الفرائض والأركان، فهذه يجب إظهارها، تعظيمًا لشعائر الإسلام، وإبرازًا لقوة تمسك المسلمين به، ومنعًا للتهمة وإساءة الظن بالمسلم أن يُظن به تضييع ما فرض اللَّه عليه، وضربًا للمثل حتى يقتدي به غيره، ويتشبه به الآخرون، فإن الخير يغري بالخير، والصلاح يدعو إلى الصلاح.

❑ هذا هو الأصل في الفرائض: الإظهار والإعلان، أما الأصل في النوافل فهو الإخفاء والكتمان.

ومع هذا يمكن أن تظهر نوافل الطاعات والصالحات من المسلم من غير قصد لإظهارها مراءاة للناس، وقد يفرح بذلك ويبتهج، فرح الإنسان بكل خير يحققه لنفسه.

أ - وهو فرح محمود إذا كان شكرًا للَّه تعالى على نعمة التوفيق للطاعة، وحسن لطفه سبحانه بإخفاء السيئات وإظهار الحسنات، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨].

❑ ومن أذكار الصالحين: سبحان مَن أظهر الجميل، وستر القبيح!

ب ـ وللتفاؤل بأن يفعل اللَّه تعالى معه ذلك في الآخرة كما فعله في الدنيا، أي يستر مساوئه، ويظهر محاسنه، كما في القول المأثور: «ما ستر اللَّه على عبده في الدنيا إلا وستر عليه في الآخرة».

❑ وفي معناه قال الشاعر:

لقد أحسن اللَّه فيما مضى كذلك يُحسن فيما بقى!

فيكون الفرح الأول فرحًا بالقبول في الحال، من غير ملاحظة للاستقبال، والفرح الثاني التفاتًا إلى حال المآل، وحسن المنال[1].

جـ ـ وقد يكون فرحه بظهور الطاعة؛ لأنه سيكون حافزًا لغيره، ليقتدي به، ويحذو حذوه، فيكثر الصالحون، ويزداد عدد المطيعين للَّه تعالى، ويتسع نطاق الخيرات، والأعمال الصالحات، فيتضاعف الأجر عند اللَّه تعالى.

د ـ وقد يكون فرحه؛ لأن المطلعين على عمله سيحبونه في اللَّه، ويرضون عنه، ويثنون عليه، وبهذا يُثابون على ذلك، ويدخلون في أوثق عرا الإيمان، فقد جاء في الحديث: «**أوثق عرا الإيمان: الحب في اللَّه والبغض في اللَّه**»[2]، وفي حديث أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ المتفق عليه: «**ثلاث مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه**»... الحديث[3].

ويعرف صدق هذا الدعوى ـ دعوى فرحه بإثابة الناس لحبهم له في اللَّه، أو فرحه باقتدائهم به في عمله ـ إذا استوى عنده مدحه ومدح غيره من الصالحين.

---

(١) انظر: شرح كتاب «عين العلم وزين الحلم» للعلامة علي القاري.

(٢) «رواه أحمد وابن أبي شيبة عن البراء، والطيالسي، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والحاكم عن ابن مسعود، والطبراني عن ابن عباس، «صحيح الجامع الصغير» (٢٥٣٩).

(٣) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان» (٢٦).

هـ ـ ومما يُحمد لأجله إظهار العمل الصالح: ترغيب الآخرين فيه، وسن السُّنَّة الحسنة ليُقتدى بها فيُهتدى، وفي «صحيح مسلم» من حديث جرير ابن عبداللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ: «**مَن سنَّ سُنَّة حسنة، فله أجرها وأجر مَن عمل بها إلي يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**».

وقد أُمِرَ الأنبياء والرسل بالإظهار للطاعات؛ لأن اللَّه تعالى جعلهم أسوة لأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومثل الأنبياء: خلفاؤهم وورثتهم من العلماء والدعاة والصلحاء، من كل مَن يُقتدى به.

❑ وقال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين، ولكن في الإظهار أيضًا قد تكون فائدة.

* فلذا أثنى اللَّه على السر والعلانية، فقال تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٧١].

* وقال: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٤].

● وقال عليّ ـ رضي اللَّه عنه ـ: تصدَّقتُ بدرهم في ليل وآخر في نهار، وبدرهم سرًا، وآخر علانية، عملاً بالآية.

وبهذا يكون قد عبد اللَّه في كل الأوقات، وعلى كل الأحوال، وإن كان الإسرار بالصدقة أفضل، وخصوصًا إذا خشي على نفسه الرياء، والفتنة بمحمدة الناس، أو كان في الإسرار رعاية لحرمة الفقير، وحفظ كرامته، لا سيما إن كان من المستورين المتعففين، الذين وصفهم القرآن بقوله: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة: ٢٧٣].

● وفي حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ المتفق عليه عن: «السبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ذكر أحد الأصناف، وهو: «**رجل تصدَّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**».

وهذا هو المقام الأعلى، ولكن إذا أبدى الصدقة، أو أظهر العمل الصالح، لسبب من الأسباب التي ذكرناها من قبل، فلا حرج عليه، والواجب عليه أن يفتش عن دخيلة نفسه، ويحترس من خداعها، فإنها أمَّارة بالسوء، خدَّاعة غرَّارة، وليحذر ما استطاع من الرياء، فربما كان هناك رياء في غاية الخفاء، يتسلل إليه، وهو لا يشعر، فيحبط عمله، وهو يحسب أنه يُحسن صنعًا، وهنا لا بد له من الاستعانة باللَّه جل وعلا، والبراءة من الحَوْل والقوة، واللّجوء إلى حَوْل اللَّه سبحانه وقوته، ومن الدعاء المأثور: «**اللَّهُم إنا نعوذُ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**».

◘ فصَّل القول في هذه المسألة وجلاها العز بن عبدالسلام ـ رحمه اللَّه تعالى ـ، فقد عقد فصلاً في كتابه «قواعد الأحكام» في «تفاوت فضل الإسرار والإعلان بالطاعات»(١) ، قال فيه: «إن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب: أنَّ الطاعات ثلاثة أضرب:

أحدها: ما شرع مجهوراً كالأذان والإقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة والخطب الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الجمعة والجماعات والأعياد والجهاد وعيادة المرضى وتشييع الأموات، فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص، فيأتي به مخلصًا كما شرع، فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهد، لما فيه من المصلحة المتعدية.

---

(١) «قواعد الأحكام» (١/ ١٥٢).

الثاني: ما يكون إسراره خير من إعلانه كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خير من إعلانه.

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى كالصدقات، فإن خاف على نفسه الرياء أو عرف ذلك من عادته كان الإخفاء أفضل من الابداء، لقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٧١].

❑ ومن أمن الرياء فله حالان:

أحدهما: ألا يكون ممن يقتدى به، فإخفاؤها أفضل إذ لا يأمن الرياء عند الإظهار.

والثاني: أن يكون ممن يقتدى به، فالإبداء أولى لما فيه من سدِّ خلة الفقراء مع مصلحة الاقتداء، فيكون قد نفع الفقراء بصدقته وبتسببه إلى تصدق الأغنياء عليهم وقد نفع الأغنياء بتسببه إلى اقتدائهم به في نفع الفقراء».

* كتمان الذنوب:

وإذا كان الشرع قد جاء بالرُخصة في إظهار الطاعات، وخصوصًا الفرائض، بل والنوافل في بعض الأحيان، لتحقيق أهداف ذكرناها، فإنه لم يشرع إظهار المعاصي والإعلان عنها، بل أمر بإخفائها إن وقعت، وكتمانها عن الغير ما استطاع، لا مراءاة للناس، ولا طلبًا لثنائهم، وظهورًا بصورة يحبونها، وإن كان غير صورته الحقيقية.

بل إنما يُحمد كتمان الذنوب، وكراهة إطلاع الناس على العيوب، لعدة أسباب:

أولا: لأننا مأمورون إننا إذا ابتلينا بمعاصي اللَّه أن نستتر بستره سبحانه، ولا نفضح أنفسنا، وفي الحديث: «**اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى اللَّه عنها،**

فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر اللَّه تعالى»[١] .

ومن أجل هذا يكره ظهور المعصية من غيره، كما يكرهها من نفسه، وفي «الصحيح»: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[٢] .

ومفهومه: أن يكره له ما يكره لنفسه.

وثانيًا: للتحامي عن هتك ستره، وظهور أمره، خوفًا من سقوط وقع المعاصي من النفس، وجرأتها عليها، فإن النفس متى ألفت ظهور الذنوب، زاد انهماكها فيها، واسترسلت في شهواتها بارتكابها، ولم تبال باجتنابها.

وهذا الخوف من هتك الستر في الدنيا يتبعه خوف من الهتك في الآخرة، وهو أشد وأخزى؛ ولهذا يقول الطيبون: اللَّهم كما سترتَ علينا في الدنيا، استر علينا في الآخرة، ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد، يوم العرض عليك.

وثالثًا: لئلا يقلده غيره، فيكون سببًا في انتشار معاصي اللَّه في الأرض، وتجرئ الناس عليها، فحسبه أن يتورط هو في المعصية، ويسأل اللَّه التوبة والمغفرة، ولكن لا يظهرها فتشيع وتتسع، فإنها تعدي كما يعدي الأجرب السليم، وتؤذي كما يوذي نافخ الكير جاره، فإذا غرق هو، فهو يكره أن يغرق غيره معه.

ولهذا ينبغي للعاصي أن يخفي معصيته حتى عن أقرب الناس إليه، مثل أهله وولده، وخادمه، حتى لا يتأسوا به.

ورابعًا: ليكون في مظنة العفو والمعافاة من اللَّه تعالى، ولا يدخل في

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٢٤٤) عن ابن عمر، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء»، وصححه ابن السكن.

(٢) متفق عليه: عن أنس «اللؤلؤ والمرجان» (٢٨).

زمرة المتبجحين المجاهرين بالسوء، المتفاخرين بما ارتكبوا من موبقات، وما اصطنعوا من مغامرات، وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح، وقد ستره اللَّه، فيقول: يا فلان؛ عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر اللَّه عنه»**(١) .

وخامسًا: ليكون من أهل الحياء، الذين يمنعهم حياؤهم وسلامة طبعهم من إظهار المعصية، وفي «الصحيحين» عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ: أن رسول اللَّه ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال: **«دعه، فإن الحياء من الإيمان»**(٢) .

● وفيهما عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: **«الإيمان بضع وستون شُعْبَة، والحياء شُعْبَة من الإيمان»**(٣) .

● وفيهما عن عمران بن حصين ـ رضي اللَّه عنه ـ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**(٤) .

وسادسًا: ليدخل في زمرة المشهود لهم من الأُمة بالخير، والناس شهداء اللَّه في الأرض، وكما قيل: ألسنة الخلق أقلام الحق، وكما قال النبي ﷺ للصحابة في جنازة مرَّت فأثنوا عليها خيرًا، فقال: **«وجبت»**، وأخرى أثنوا عليها شرًا، فقال: **«وجبت»**، فقال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ: ما وجبت؟ قال: **«هذا أثنيتم عليه خيرًا، فوجبت له الجنَّة، وهذا أثنيتم عليه شرًا**

---

(١) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان» (١٨٨٣).

(٢) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان» (٢١).

(٣) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان» (٢٢).

(٤) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان» (٢٣).

فوجبت له النار، أنتم شهداء اللَّه في الأرض»[١] .

● وقال ﷺ : **«ما من مسلم يموت يشهد له أهل أربعة أبيات من جيرانه الأدنين: أنهم لا يعلمون إلا خيراً، إلا قال اللَّه: قد قبلتُ علمكم فيه، وغفرتُ له ما لا تعلمون»[٢] .**

وسابعًا: لئلا يتسبب في ذم الناس له، فيقعوا في المعصية بسبب هذا الذم، أو بتجاوزهم الحد، حتى يُذَم بما ليس فيه، أو بأكثر مما فعل، كما هو المعتاد في مثل هذه المواقف، وهو لا يحب أن يُعصى اللَّه تعالى بسببه، ويكفيه ما ابتُلِيَ به من معصية، وهو لهذا يتألم إذا ذم الناس غيره من العصاة كما يتألم لذم نفسه.

وثامنًا: لئلا يتألم بذم الناس إذا اطلعوا على معصيته، فإن الذم مؤلم للقلب، وهذا أمر جبلّي فُطِرَ عليه الإنسان، كما أن الضرب يؤلم الجوارح بالطبع، وربما صار هذا التألم ـ وخصوصًا إذا استمر واشتد ـ مانعًا من الخشوع في العبادة، بسبب الانفعال والتوتر الناشئ عن تألمه.

ولا جُنَاح على المسلم أن يبتعد ويهرب من كل ما يؤلم جسده أو قلبه، فليس هذا بحرام.

وإن كان المقام الأعلى أن تزول عنه رؤية الخلق، فيستوي عنده ذامه ومادحه، لعلمه أن الأمر كله بيد اللَّه تعالى، وأنه هو الضار النافع، وأن العباد كلهم مقهورون تحت سلطانه. روى الترمذي من حديث البراء بن عازب وحسَّنه: أن رجلاً قام فقال: يا رسول اللَّه؛ إن حمدي زَيْن، وإن ذمي شَيْن! فقال ﷺ : **«ذاك اللَّه عَزَّ وجَلَّ»[٣] .**

---

(١) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان» (٥٥٣).

(٢) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: رواه أبو يعلى وابن حبَّان في «صحيحه»، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال «الصحيح» (٣/ ٤)، ورواه الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (١/ ٣٧٨).

(٣) «جامع الترمذي» (٥/ ٣٨٧) ح(٣٢٦٧).

وتاسعًا: لخوفه أن يُقصد بسوء أو أذى إذا ظهرت معصيته، وهذا أمر وراء الذم، فإن الذم مكروه من حيث يشعر القلب بنقصانه، وإن كان ممن يُؤمَن شره، وهنا يخاف شر مَن يطلع على ذنبه، ولا حرج على المسلم أن يجنب نفسه الأذى بتجنب أسبابه ما استطاع.

* * *

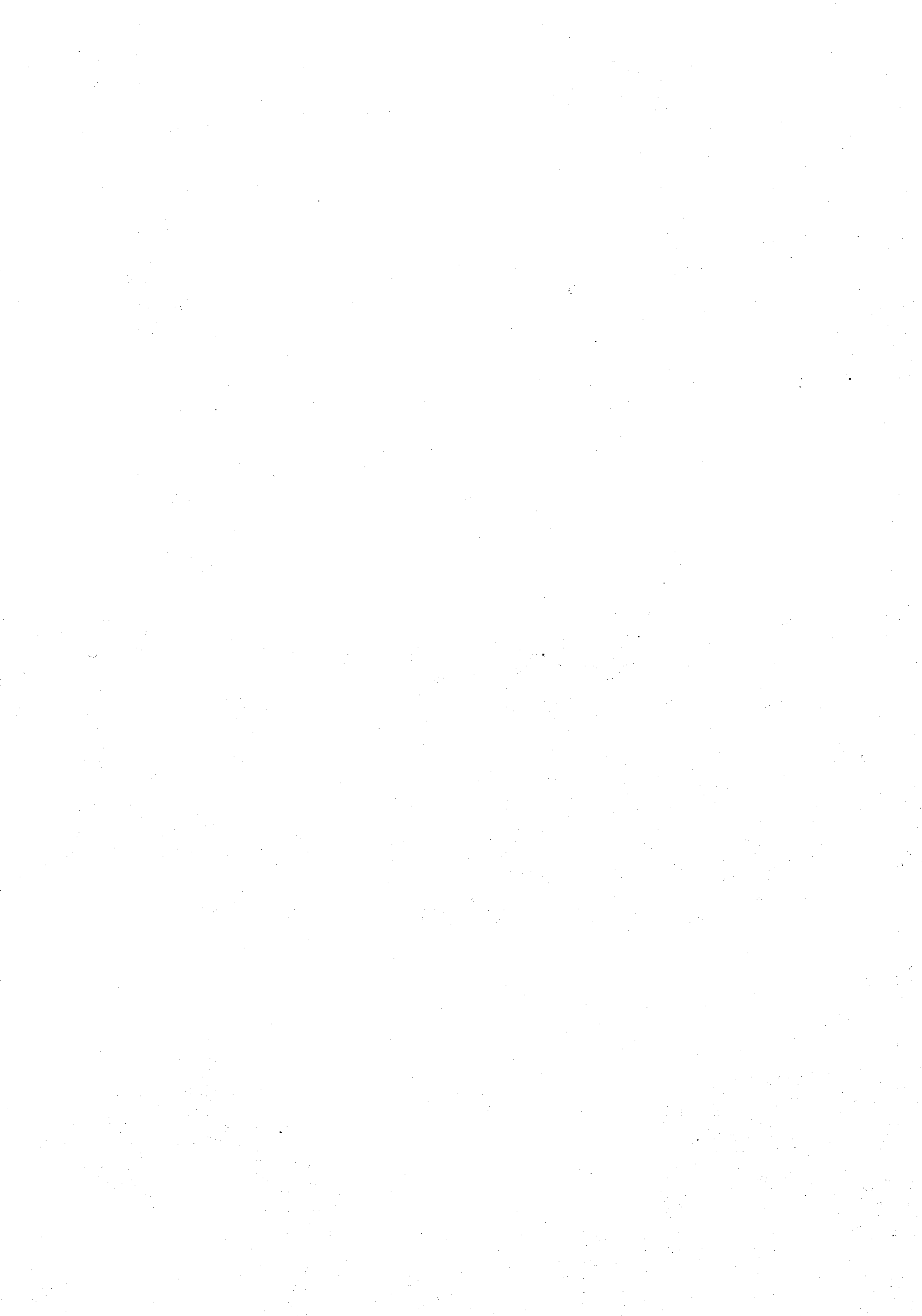




ثانيًا :

الخـــوف من الشـــهـــرة

«كان العلماء إذا علموا عملوا، فإن عملوا شُغلوا، فإن شغلوا فُقِدوا، فإن فُقِدوا طُلِبوا، فإن طُلِبوا هربوا».



الخوف من الشهرة

✍ خوف الإنسان من الشهرة وذيوع الصيت على نفسه ودينه، ويقينه بأن القبول عند اللَّه بالقلوب والسرائر لا بالأجساد والمظاهر، وهذا الذي أدمى قلوب العباد والربانيين خوفًا من فتنة الشهرة وسحر الجاه والصيت.

● «قال علي - رضي اللَّه عنه -: تبذّل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك فتذكر، وتعلم واكتم، واصمت تسلم، تسرّ الأبرار وتغيظ الفجار.

● قال ابن مسعود - رضي اللَّه عنه -: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب، تُعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض.

● وقال - رضي اللَّه عنه -: وددت أني حيث صيد هذا الطير لا يكلمني أحد ولا أكلمه.

❑ قال أيوب السختياني: واللَّه ما صدق اللَّه عبد إلا سرّه أن لا يشعر بمكانه.

❑ وعن خالد بن معدان: أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة.

❑ ورأى طلحة قومًا يمشون معه نحوًا من عشرة، فقال: ذباب طمع وفراش نار.

❑ وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال: هل لكم من حاجة؟ وإلا فما عسى أن يُبقي هذا من قلب المؤمن.

❑ وخرج أيوب السختياني في سفر فشيّعه ناس كثيرون فقال: لولا أني

أعلم أن اللَّه يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من اللَّه عز وجل.

❑ ودخل رجل عليه أكسية على أبي قلابة فقال: إياكم وهذا الحمار الناهق! يشير به إلى طلب الشهرة.

❑ وقال الثوري: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعًا.

وقال رجل لبشر أوصني، فقال: أخمل ذكرك وطيّب مطعمك، وكان حوشب يبكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع.

❑ وقال الثوري: وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء»[1] .

ولما كان المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب، وحب الجاه هو منشأ كل فساد، لذا كان الهرب والخوف من الشهرة من دلائل الإخلاص.

❑ وعن ثابت البناني قال: قال لي محمد بن سيرين: يا أبا محمد لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة[2] .

❑ وقال أيوب السختياني: ما صدق عبد قط أحب الشهرة[3] .

❑ عن معمر قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل، فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير[4] .

❑ وعن الأعمش قال: كان إبراهيم النخعي يتوقّى الشهرة، فكان لا

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦).
(٢) «تهذيب الحلية» (١/ ٣٩٠).
(٣) «الإخلاص» لصالح العصيمي ص(٢٢) دار ابن خزيمة.
(٤) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٣٢).

يجلس إلى الاسطوانة، وكان إذا سُئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسألته، فأقول له في الشيء يُسأل عنه، أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هذا[١] .

❑ قال عاصم: كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام»[٢] .

*** كان العلماء إذا علموا عملوا:**

❑ عن الأوزاعي قال: قدم عطاء الخراساني على هشام فنزل على مكحول، فقال لمكحول: ها هنا أحد يحركنا؟ قال: نعم! يزيد بن ميسرة، فأتوه فقال عطاء: حرِّكنا رحمك اللَّه، قال: نعم! «كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغِلوا، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبوا، فإذا طُلِبوا هربوا». قال: أعد عليّ، فأعاد عليه فرجع عطاء ولم يلق هشامًا.

❑ وعن إبراهيم النخعي والحسن قالا: كفى بالمرء شرًّا أن يُشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصم اللَّه؛ التقوى ها هنا يومئ إلى صدره ثلاث مرات»[٣] .

❑ وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق اللَّه عبدٌ أحب الشهرة[٤] .

❑ وعن ابن المبارك قال: كتب إليّ سفيان الثوري: بثّ واحذر الشهرة.

❑ وقال أبو بكر بن عياش: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية، وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفى بالشهرة بليّة[٥] .

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٨٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٦٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٩٣).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٩٣)، و«تهذيب الحلية» (٢/ ٤٨٦).

(٥) «تهذيب الحلية» (٣/ ٨١).

❑ وقال شيخ الإسلام عبداللَّه بن المبارك: قال لي سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحدًا إلا وقد نهاني عن الشهرة[(١)] .

❑ وقال داود الطائي: فرّ من الناس كما تفرّ من الأسد[(٢)] .

❑ وقال الإمام أحمد: طوبى لمن أخمل اللَّه عز وجل ذكره. وقال: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحد من الناس.

❑ وقال الإمام أحمد: القلانس من السماء تنزل على رءوس قوم يقولون برؤوسهم هكذا»[(٣)] ، والمعنى لا يريدون الرئاسة وهي تقع عليهم.

❑ قال ذو النون: قال بعض العلماء: «ما أخلص العبد للَّه إلا أحب أن يكون في جب، لا يُعرف».

❑ وقال: «من صفة الحكيم حب خمول الذكر، وفيه ذهاب الوحشة وسقوط الأنس لغير اللَّه. فإذا أنس الحكيم بالوحدة فقد اعتقد الإخلاص، حينئذ تحركه الحكمة للحق والصواب.

❑ قال شعبة: ربما أذهب مع أيوب في الحاجة فأريد أن أمشي معه، فلا يدعني، ويخرج فيأخذ ههنا وههنا لئلا يُفْطَنَ له. قال شعبة: قال لي أيوب: ذُكرتُ وما أحب أن أُذكر.

❑ وقال السري: اجتهد في الخمول، فإن أحوالك تشهرك بين أوليائه إذا صحّ مقامك فيها.

❑ وقال ذو النون: «الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس».

❑ وقال يحيى بن معاذ: «شرف المعاد من ثلاث: احتمال الشدائد،

---

(١) «الحلية» (٧/ ٢٣).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٧٧).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي.

وإذلال النفس، وكراهة المعرفة، ومعنى كراهة المعرفة: يكره أن يُعرف في الناس، لا يبتغي معرفة الناس، إنما استئناسه بذكر اللَّه في الخلوة لا مع الناس»[١] .

◻ وقال الحسن البصري: «إن خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى من أمثالنا»[٢] .

◻ وقال ذو النون: «ثلاثة من أعلام الخمول: ترك الكلام لمن يكفيه الكلام، وترك الحرص في إظهار العلم عند القرناء، ووجدان الألم لكراهة الكلام عند المحاورة والموعظة»[٣] .

*** ابن محيريز وكراهته للشهرة:**

وانظر إلى أبي محيريز عبداللَّه بن محيريز الذي قال فيه رجاء بن حيوة: إن كنتُ لأعدُّ بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض.

◻ عن بشير بن صالح قال: دخل ابن محيريز حانوتًا بدانق، وهو يريد أن يشتري ثوبًا، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز، فأحسن بيْعه، فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بديننا.

وكان ابن محيريز يقول: اللَّهم إني أسألك ذكرًا خاملاً.

◻ قال عبداللَّه بن عوف القارئ: لقد رأيتنا برودس، وما في الجيش أحد أكثر صلاة من ابن محيريز في العلانية، ثم أقصر عن ذلك حين شُهر وعُرِف»[٤] .

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٦٧).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(١١٩).

(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٣٩).

(٤) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٠٦، ٢٠٧)، و«تهذيب الحلية» (٢/ ١٦٧، ١٦٨).

«وعن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ورجاء قالا: لبس ابن محيريز ثوبين من نسج أهله فقال له خالد بن دريك: إني أكره أن يزهدوك ويبخلوك. فقال: أعوذ باللَّه أن أزكى نفسي أو أزكي أحدًا، قال: فأمر فاشترى له ثوبين أبيضين مصريين فلبسهما.

❑ وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: يقولون أخبرنا ابن محيريز!! إني أخشى اللَّه أن يصرعني ذلك مصرعًا يسوء.

❑ وعن عمرو بن عبدالملك الكناني قال: صحب ابن محيريز رجلاً في الساقة في أرض الروم فلما أردنا أن نفارقه قال له ابن محيريز: أوصني قال: إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف فافعل، وإن استطعت أن تمشي ولا يمشى إليك فافعل.

❑ عن ابن محيريز قال: صحبت فضالة بن عبيد صاحب رسول اللَّه ﷺ فقلت: أوصني رحمك اللَّه، قال: احفظ عني ثلاث خصال، ينفعك اللَّه بهن، إن استطعت أن تعرف ولا تُعْرَف فافعل، وإن استطعت أن تستمع ولا تتكلم فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلس إليك فافعل.

* زهد الفضيل في الشهرة:

❑ قال الفضيل بن عياض: يا عبداللَّه اخف مكانك، واحفظ لسانك، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك[1].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة، رحم اللَّه عبدًا أخمل ذكره، وبكى على خطيئته قبل أن يرتهن بعمله[2].

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٦).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٨).

* كراهية الفضيل للتحديث مخافة الشهرة:

❑ وقال الفضيل: إني لأسمع صوت حلقة الباب فأكره ذلك قريبًا كان أم بعيدًا، ولوددت أنه طار في الناس أني قد متّ حتى لا أسمع له بذكر، ولا يسمع لي بذكر، وإني لأسمع صوت أصحاب الحديث، فيأخذني البول فرقًا منهم.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول لأصحاب الحديث: لِمَ تُكرهوني على أمر تعلمون أني كاره له؟ لو كنت عبدًا لكم فكرهتكم كان نولكم أن تبيعوني، لو أني أعلم إذا دفعت ردائي هذا لكم ذهبتم عني لدفعته إليكم[1].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: إن قدرت أن لا تُعرف فافعل، وما عليك إن لم يُثْنَ عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت عند اللَّه محمودًا.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: من أحب أن يُذكر لم يُذكر، ومن كرِه أن يُذكر ذُكِر»[2].

* محمد بن يوسف الأصبهاني من سادات المخلصين:

❑ كان محمد بن يوسف الأصبهاني «عروس العبّاد» لا يشتري زاده من خبّاز واحد، قال: لعلهم يعرفوني فيحابوني، فأكون ممن أعيش بديني»[3].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٤).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٧ ـ ٨).

(٣) «الحلية» (٨/ ٢٣١).

* من فضله لا يُعرف:

❑ عن عطاء بن مسلم الحلبي قال: كان محمد بن يوسف الأصبهاني يختلف إليّ عشرين سنة لم أعرفه، يجيء إلى الباب فيقول: رجل غريب يسأل ثم يخرج، حتى رأيته يومًا في المسجد فقيل: هذا محمد بن يوسف الأصبهاني، فقلت: هذا يختلف إليّ عشرين سنة لم أعرفه.

❑ وعن ابن المبارك قال: قلت لابن ادريس: أريد البصرة، فدلني على أفضل رجل بها، فقال: عليك بمحمد بن يوسف الأصبهاني، قلت: فأين يسكن؟ قال: المصيصة ويأتي السواحل، فقدم عبداللَّه بن المبارك المصيصة فسأل عنه فلم يُعرف، فقال عبداللَّه بن المبارك: من فضلك لا تُعرف.

❑ قال محمد بن الجنيد بن عمرو ـ مولى ابن المبارك ـ: ما علمت ابن المبارك أعجبه إنسان قط ممن كان يأتيه إعجابه بمحمد بن يوسف الأصبهاني، كان كالعاشق له.

❑ وكتب محمد بن العلاء بن المسيب من البصرة لمحمد يوسف فقرأه لسعيد بن عبدالغفار: ألا ترى إلى ما كتب به محمد بن العلاء وأعجب؟ فإذا فيه: يا أخي مَن أحبّ اللَّه أحبّ أن لا يعرفه أحد[1].

* نصح محمد بن يوسف لعبدالرحمن بن مهدي:

❑ عن عبدالرحمن بن مهدي قال: حج إبراهيم ابني، فلقى محمد بن يوسف بمكة، فقال له: اقرئ أباك السلام وقل له: هُن، قال: فرجع إبراهيم فأخبرني بقوله، قال: فصرت كذا شهرًا أشبَّهُ برجل مريض، من مقالة محمد، فقلت: رجل مثله عسى أن يكون بلغه عني شيء، أو رأى على

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٥٢ ـ ٥٤).

رؤيا، حتى قدم علينا، قال: فأخذ بيدي وجعل يمشي حتى ظننت أن لا ندرك صلاةالمغرب، فجلسنا فقلت له: يا أبا عبداللَّه أخبرني إبراهيم ابني عنك بكذا، فقال محمد: بلغني أنك جلست تحدّث الناس، فقلت له: إن أحببت حلفت أن لا أحدث بحديث أبدًا، فقال: حدّث الناس وعلّمهم، ولكن انظر إذا اجتمع الناس حولك، كيف يكون قلبك»[1] .

*** عبدالرحمن بن مهدي والخوف من الرياء والشهرة:**

◻ «عن عبدالرحمن بن مهدي قال: قلت لبشر بن منصور: إنا لنجلس مجلس خير وبركة قال: نعم المجلس، قال: قلت له: إنه ربما لم يجلس إليّ فكأني أغتمّ، قال: إن كنت تشتهي أن يجلس إليك؟! اترك هذا المجلس.

◻ قال بشر بن منصور: ما جلست إلى أحد ولا جلس إليّ أحد، فقمت من عنده أو قام من عندي إلا علمت أني لو لم أقعد إليه أو يقعد إليّ كان خيرًا لي»[2] .

◻ «قال عبدالرحمن بن مهدي: كنت أجلس يوم الجمعة في مسجد الجامع فيجلس إليّ الناس فإذا كانوا كثيرًا فرحت، وإذا قلّوا حزنت، فسألت بشر بن منصور فقال: هذا مجلس سوء لا تعد إليه. قال: فما عدت إليه.

◻ وقال عبدالرحمن بن عمر: سمعت عبدالرحمن بن مهدي يومًا وقام من المجلس، وتبعه الناس، فقال: يا قوم لا تطؤوا عقبي ولا تمشوا خلفي، ووقف وقال: حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: إن خفق النعال خلف الأحمق قلّ ما يبُقي من دينه»[3] .

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٥٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٣١).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١١٤ ـ ١١٥).

* الرّباني المخلص : بشر بن الحارث الحافي :

كتب بشر الحارث إلى علي بن حشرم:

«.. واعلم يا علي أنه من ابتلي بالشهرة، ومعرفة الناس فمصيبته جليلة، فجبرها اللَّه لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته، وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها فإنه توليّ ذلك من أوليائه، ومن أراد توفيقه، وارجع إلى أقرب الأمرين بك، إلى إرضاء ربك، ولا ترجعن بقلبك إلى محمدة أهل زمانك ولاذمهم، فإن من كان يتقي ذلك منه قد مات، وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك.

قال بشر بن الحارث: لا أعلم رجلاً أحب أن يُعرف إلا ذهب دينه فافتضح. وقال: ما اتقى اللَّه من أحب الشهرة.

وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس[1] .

* أمير المؤمنين سفيان الثوري يوصي عباد بن عباد : إياك وحب الرياسة :

«كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد فكان في كتابه: «... وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع فيقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجّار القرّاء سُلَّما..

وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله، أو يُسمع من قوله، فإذا ترك ذاك منه عُرِف فيه.

وإياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقدّ

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٩٣، ٩٤).

نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت والسلام»[(١)] .

☐ وقال الثوري: «واللّه ما جلس إلي أكثر من ثلاثة أنفس إلا وتنكرت عليّ نفسي»[(٢)] .

*** أستاذ الأستاذين وشيخ المخلصين صاحب السرائر إبراهيم بن أدهم وخوفه العجيب من الشهرة:**

☐ قال عبدالرحمن بن مهدي: قلت لابن المبارك: إبراهيم بن أدهم ممن سمع؟ قال: قد سمع من الناس، وله فضل في نفسه، صاحب سرائر، وما رأيته يظهر تسبيحًا، ولا شيئًا من الخير، ولا أكل مع قوم قط، إلا كان آخر من يرفع يده[(٣)] ، وكان ـ رحمه اللّه ـ يقول: أعربنا في القول ولحنّا في العمل.

☐ قال سفيان: كان إبراهيم بن أدهم يُشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً، له سرائر، وما رأيته يظهر تسبيحًا ولا شيئًا[(٤)] .

وانظر إلى خبره العجيب وهروبه من الشهرة:

قال إبراهيم بن أدهم: «توجهت إلى طرسوس فعملت بها أيامًا انظر البساتين وأحصد الحصاد، فبينا أنا قاعد على باب البحر إذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له في بستانه، فكنت في بساتين كثيرة، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه ثم صاح: يا ناطور، فقلت: هو ذا أنا،

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٦٧).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(١١٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٩٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٩٠)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ١٣٦).

قال: اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمان، فأخذ الخادم رمّانة فكسرها فوجدها حامضة، فقال لي: يا ناطور أنت في بستاننا منذ كذا وكذا تأكل فاكهتنا وتأكل رمّاننا، لا تعرف الحلو من الحامض؟ قال إبراهيم: قلت واللَّه ما أكلت من فاكهتكم شيئًا، وما أعرف الحلو من الحامض، فأشار الخادم إلى أصحابه فقال: أما تسمعون كلام هذا؟ ثم قال: أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم ما زاد على هذا فانْصَرف.

فلما كان الغد ذكر صفتي في المسجد فعرفني بعض الناس فجاء الخادم ومعه عُنق من الناس، فلما رأيته قد أقبل مع أصحابه اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب.

❑ وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: ما تهنّيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: مُوَسوس، ومن يراني يقول: حمّال.

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ: ما اتقى اللَّه من أحبّ أن يذكره الناس بخير[1] .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: كان العلماء إذا علموا عملوا، فإن عملوا شُغلوا، فإن شُغلوا فقدوا فإن فُقدوا طُلبوا، فإن طُلِبوا هربوا.

❑ عن داود بن الجراح قال: كان إبراهيم بن أدهم ينظر كرمًا في كورة غزة، فجاءه صاحب الكرم ومعه أصحابه، فقال: ائتنا بعنب نأكل، فأتاه بعنب يُقال له: الخافوني، فإذا هو حامض، فقال له صاحب الكرم: من هذا تأكل؟ قال: ما آكل من هذا ولا من غيره، قال: لم؟ قال: لأنك لم تحدّ لي شيئًا من العنب. قال: فأتني برمّان، فأتاه برمّان فإذا هو حامض، فقال: من هذا تأكل؟ قال: لا آكل من هذا ولا مِن غيره، ولكن رأيته أحمر حسنًا

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٥).

فظننت أنه حلو، فقال: لو كنت إبراهيم بن أدهم ما عدا، قال: فلما عَلِم أنهم عرفوه هرب منهم وترك كراه.

❑ وقال إبراهيم: كنت في بعض السواحل، وكانوا يستخدموني ويبعثوني في حوائجهم، وربما يتبعني الصبيان حتى يضربوا ساقي بالحصا، إذ جاء قوم من أصحابي فأحدقوا بي فأكرموني، فلما رأوا أولئك إكرامهم لي أكرموني، فلو رأيتموني والصبيان يرموني بالحصا، وذلك أحلى في قلبي منهم حيث أحدقوا بي»[1] .

«اشتهر ابن أدهم ببلد، فقيل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناس يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوف معهم ويقول: أين إبراهيم بن أدهم؟؟

ضنًّا بأن يعلم الناس الهوى ولمن ... وهبتُ للسرّ فيه لذة العلنِ
عرّض بغيري ودعني في ظنونهمُ ... إنْ قيل مَن بك يُخفي الحق في الظنن[2]

* شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك التقيّ النقيّ:

❑ قال الحسن: كانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعًا في خمسين ذراعًا، كنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة، أو رجلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته في داره يجتمعون في كل يوم حِلَقا يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزلة لا يكاد يخرج منه، ولا يأتيه كثير أحد: فقلت له: يا أبا عبدالرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٧٢).

(٢) «المدهش» لابن الجوزي ص(٤١٥).

من مرو من ذاك الذي تراك تحبه، وأحببت ما ها هنا للذي أراك تكرهه لي، فكنت بمرو لا يكون أمرٌ إلاّ أتوني فيه، ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا في عافية من ذلك.

قال: وكنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم نُعرف ولم نوقّر[1] .

الهرب من الشهرة خوفًا من العُجب

❑ «كان سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: قلّ عالم تكبر حلقة درسه إلا ويطرقه العجب بنفسه. وقد مرّ الحسن البصري على طاوس ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ وهو يملي الحديث في الحرم في حلقة كبيرة فقرب منه وقال له في أذنه: إنْ كانت نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس، فقام طاوس فورًا، وقد مرّ إبراهيم بن أدهم على حلقة بشْر الحافي ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ فأنكر عليه لكبر حلقة درسه، وقال: لو كانت هذه الحلقة لأحد من الصحابة ما أمن على نفسه العجب.

وقد كان سُفيان الثوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لا يترك أحدًا يجلس إليه إلا نحو ثلاثة أنفس ففعل يومًا فرأى الحلقة قد كبرت فقام فزعًا، وقال: أخذنا واللَّه ولم نشعر، واللَّه لو أدرك أمير المؤمنين عُمر ـ رضي اللَّه عنه ـ مثلي وهو جالس في هذا المجلس لأقامه وقال له: مثلك لا يصلح لذلك، وكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ إذا جلس لإملاء الحديث يجلس مرعوبًا خائفًا، وكانت السحابة تمر عليه فيسكت حتى تمر، ويقول: أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها.

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٣٤، ١٣٥).

❑ وقد قيل مرة لسفيان بن عيينة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ألا تجلس فتحدثنا؟ فقال: واللَّه ما أراكم أهلاً لأن أحدثكم، ولا أرى نفسي أهلاً أن تسمعوا مني، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال قائل: افتضحوا فاصطلحوا.

❑ وكان أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: لولا آية في كتاب اللَّه ما حدّثتكم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ الآية [البقرة: ١٥٩]»[١].

❑ «وكان يزيد بن أبي حبيب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إن من فتنة العالم في دينه أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت والاستماع».

وقد قيل للإمام مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ: إنَّ فلانًا كثير العبادة، فقال: نعم ولكنه يتكلم كلام شهر في جمعة، وفي رواية في يوم: وقد كان الشعبي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: جهدنا كل الجهد في إبراهيم التيمي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أنْ يجلس للناس في المسجد ليحدثهم فأبى. وكان إذا دخل المسجد لا يستند إلى سارية ولا إلى جدار.

وكان الفضيل بن عيَّاض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: بذل الدنانير للناس أحبّ إليّ من بذل الحديث لهم وأهون على نفسي اهـ.

وقد كان عبدالرحمن بن أبي ليلى ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول اللَّه ، فما كان منهم ـ رضي اللَّه تعالى عنهم ـ محدث إلا ويودّ أنَّ أخاه كان كفاه الحديث ولا مفت إلا ويودّ أنَّ أخاه كان كفاه الفُتيا.

❑ قال الحسن: التفت عبداللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ يومًا، فرأى الناس يمشون خلفه. فقال: واللَّه لو رأيتم ما أصنع إذا أغلقت بابي من الغفلة

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٧).

عن اللَّه تعالى واشتغالي بالعيال ما تبعني منكم أحد. وقد نظر عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - إلى أُبيّ بن كعب - رضي اللَّه عنه - والناس حوله، فعلاه بالدرّة، وقال: إنها فتنة للمتبوع، وذلة للتابع.

وكان سلمان الفارسي - رضي اللَّه عنه - إذا رأى الناس يمشون خلفه يقول: هذا خير لكم وشر لي، فإنْ شئتم فارجعوا عني. وكان الربيع بن خثيم - رحمه اللَّه تعالى - إذا مشى خلفه أحد يقول: واللَّه لولا أتقي ألسنتكم ما حدثتكم فقيل له: يا أبا مُحمد لعل اللَّه أن ينفع بك وبعلمك الناس؟ فقال: هذا بعيد فإني إذا لم أنتفع أنا بعلمي، فكيف ينتفع به غيري؟ وكان يقول: من أحبّ أنكم تجلسون إليه فلا تجلسوا إليه، كما أن من أحبّ أنكم تقومون له فلا تقوموا له. وكان يحيى بن سعيد - رحمه اللَّه تعالى - يقول لأصحابه: إذا استحلى أحدكم الحديث فلا يحدّث.

وكان الحسن البصري - رحمه اللَّه تعالى - يقول: لقد أدركنا أقوامًا كانت الكلمة من الحكمة تبدو لأحدهم فيكتمها خوف الشهوة، ولو أنه كان نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه، وكان الناس إذا اجتمعوا يكره أحدهم أن يخرج أحسن ما عنده من الكلام. وقد كان عبداللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنهما - يقول: إنَّ للَّه تعالى عبادًا أسكتهم خشية اللَّه تعالى، وإنهم لفصحاء. وقد كان حاتم الأصم - رحمه اللَّه تعالى - يقول: لا يجلس في الجامع إلا جامع للدنيا، وقد قال إسماعيل بن خلف لسُفيان الثوري - رحمهما اللَّه تعالى - يومًا: إني أراك لنشطًا إذا حدثت الناس، يعلو صوتك، وإذا كنت لا تحدث أراك كالميت. فقال له: يا أخي أما علمت أنَّ للكلام فتنة، وواللَّه ما جلس إليّ أكثر من ثلاثة أنفس إلا وتنكرت عليّ نفسي. وقد كان أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - يقول: همة السفهاء الرواية: وهمة العلماء الدراية، وكان إبراهيم النخعيّ - رحمه اللَّه تعالى - يكره القصص:

يعني الوعظ، ويقول: بلغنا أنَّ أمير المؤمنين عليًّا ـ رضي اللَّه عنه ـ دخل مسجد الكوفة فرأى قاصًّا يقص على الناس. فقال: ما هذا؟ قالوا: شخص يحدث: فقال: هذا رجل يقول: اعرفوني أنا فلان.

□ وقد مرَّ إبراهيم بن أدهم على حلقة الأوزاعي ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ فرأى ازدحامًا كثيرًا. فقال: لو كان هذا الازدحام على أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ لعجز عنه فبلغ ذلك الأوزاعي، فترك الجلوس من ذلك اليوم. قال: ولما قدم عيسى بن يُونس ـ رحمه اللَّه تعالى ـ إلى مكة فأحاط به الناس في المسجد الحرام، وازدحموا عليه فمرَّ به الفُضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فدنا منه وقال له: يا أخي انظر إلى قلبك فلعله تغيَّر من كثرة الازدحام عليك فنظر عيسى إلى نفسه ساعة، ثم قام فورًا وترك المجلس من ذلك اليوم، وقد كان سفُيان الثوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إن استطعت أن تكون عالمًا لا يعرفك الناس فافعل، فإنَّ الناس لو عرفوا ما في نفسك لأكلوا لحمك. وقد طلب الناس من سفُيان بن عُيينة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أنْ يجلس يحدثهم فأبى، وقال: ما أنا بأهل أن أحدث، ولا أنتم بأهل أنْ تسمعوا، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا.

□ وقد قيل لعلقمة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ألا تجلس فتحدث الناس فتؤجر على ذلك؟ فقال: أما يرضى المتكلم أن ينجو كفافًا، يعني لا له ولا عليه. قال: ولما ترك بِشر الحافي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الجلوس للحديث قالوا له: ماذا تقول لربك يوم القيامة إذا قال لك: لم تركت تحديث الناس بأحاديث نبيِّي مُحمَّد ؟ فقال: أقول: يا رب إنك أمرتني فيه بالإخلاص، ولم أجده عند نفسي، وقد كان سفُيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ يحدث، فكان إذا وجد لذة في نفسه من حسن كلامه وكبر حلقته مثلاً قام فزعًا مرعوبًا، وترك التحديث وقال: أخذنا والعياذ باللَّه تعالى ولم نشعر.

وكان ميمون بن مهران ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: لا يخلو القاصّ من إحدى ثلاث: إما أن يسمن قوله بما يهزل دينه، وإما أن يعجب بقوله، وإما أن يقول ما لا يفعل»[١] .

◻ قال إبراهيم بن أدهم: ما قرّت عيني يومًا في الدنيا قط إلا مرة، بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام، وكان بي البطن[٢] ، فجرّني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد»[٣] . وإنما قرت عينيه؛ لأن الرجل لم يعرفه، ولم يخرج هو لأنه كان عليلاً أقعده المرض.

* درر لطبيب القلوب الفضيل بن عياض:

◻ قال الفضيل ـ رحمه اللَّه ـ: «لا يترك الشيطان الإنسان، حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يُخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف، فيقول: ما كان أحلى الطواف الليلة، أو يكون صائمًا، فيقول: ما أثقل السحور، وما أشد العطش، فإن استطعت أن لا تكون محدِّثا ولا متكلمًا ولا قارئًا، إن كنت بليغًا؛ قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيُعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغًا ولا حسن الصوت. قالوا: ليس يُحسن يُحدِّث، وليس صوته بحسن؛ أحزنك وشقّ عليك، فتكون مرائيًا، وإذا جلست فتكلمت، ولم تبال من ذمَّك ومن مدحك من اللَّه فتكلَّمْ»[٤] .

* * *

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(١١٨ ـ ١٢٠).

(٢) أي داء ومغص في البطن.

(٣) «الإحياء» (٣/ ٢٤٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٨/ ٩١).

ترك طلب الرئاسة والزهد فيها

. ومن دلائل الإخلاص وعلامات المخلصين الزهد في الرئاسة وترك طلبها.

❑ قال يوسف بن أسباط: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا[1].

❑ وكان أبو القاسم الجوعي يقول: «أصل المحبةالمعرفة، وأصل الطاعة التصديق، وأصل الخوف المراقبة، وأصل المعاصي طول الأمل، وحب الرئاسة أصل كل موقعة»[2].

«وكان الأنطاكي يقول: الرئاسة رأس حب الرياء، ومعشوق النفس، وقرة عين الشيطان.

وكان إبراهيم بن أدهم يقول: كونوا أذنابًا ولا تكونوا رؤوسا؛ فإن الذنب ينجو والرأس يهلك.

❑ «وقال الفضيل بن عياض: ما أحب أحد الرياسة إلاّ أحبّ ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميّز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحدًا غيره بخير، ومن عشق الرياسة فقد تُوُدِّع من صلاحه.

❑ وكان سفيان الثوري يقول: ترك الرياسة، وترك محبة المرأة أمرّ من الصبر»[3].

❑ وقال يحيى بن معاذ: «لا يفلح من شُمَّتْ منه رائحة الرياسة»[4].

❑ وقال شعيب بن حرب: من طلب الرياسة ناطحته الكباش، ومن رضى أن يكون ذنبًا أبى اللَّه إلا أن يجعله رأسًا».

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٥٧).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢١٩).

(٣) المصدر السابق (٦٣ ـ ٦٤).

(٤) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٥٨).

«فمن رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم له فلا تقربنّ منه ولا ترتفق به وإن أرفقك، ولا ترج له فلاحًا»[١] .

* **لله در يزيد بن مرثد القدوة الزاهد في الرئاسة:**

❑ عن الوضين بن عطاء قال: «أراد الوليد بن عبدالملك أن يُولي يزيد ابن مرثد، فلبس فروه قد قلبه، فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجًا، وأخذ بيده رغيفًا وعرقًا، وخرج بلا رداء، ولا قلنسوة، ولا نعل ولا خف، وجعل يمشي في الأسواق، ويأكل الخبز واللحم، فقيل للوليد: إن يزيد بن مرثد قد اختلط[٢] ، وأُخبر بما فعله فتركه»[٣] .

فرضي اللَّه عن هذا البكّاء الموجد يزيد بن مرثد، فقد نفعه اللَّه بإخلاصه، ونفعه التلقّي عن أبي الدرداء، وأبي ذر، ومعاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنهم أجمعين ـ.

وانظر إلى فرار إبراهيم بن أدهم من الرئاسة وهو ابن أصحاب الجاه والرئاسات قال عبدالعزيز بن أبي روّاد: رحم اللَّه إبراهيم بن أدهم، لقد لقيته بخراسان، إذا ركب حضر بين يديه نحوٌ من عشرين شاكري. ولكنه ـ رحمه اللَّه ـ طلب بحبوحة الجنة»[٤] . فترك هذا كله ففرّ من بلده وعمل ناطورًا للبساتين وفي الحصاد ـ رحمه اللَّه ـ.

* * *

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٧٠).

(٢) أي ذهب عقله وجُنّ.

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ١٦٥).

(٤) «الحلية» (٧/ ٣٧١).



اتهام النفس ومقتها

«أدركنا أقوامًا كنا في جنبهم لصوصًا»

«الربيع بن خثيم»



اتهام النفس ومقتها

✍ ومن دلائل الإخلاص وعلامات المخلصين اتهامهم لأنفسهم بالتقصير في حق اللَّه وعدم القيام بآداب العبودية لملك الملوك، بل ومقتهم لأنفسهم ولا يرونها أهلاً لأي فضل قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

❑ هذا الصديق - رضي اللَّه عنه - يمسك لسانه، ويقول: هذا الذي أوردني المهالك، وهذا عمر - رضي اللَّه عنه - يقول: يا حذيفة، هل أنا منهم - يعني من المنافقين - أو سمّاني لك رسول اللَّه ﷺ.

الناســــكون يحـاذرو	ن وما بسيئة ألّموا
كانوا إذا راموا كلامًا	مطلقًا خطموا وزمّوا
إن قيلت الفحشاء أو	ظهرت عموا عنها وصموا
فمضوا وجاء معاشر	بالمنكرات طموا وطموا

❑ كان عامر بن عبد قيس راهب العرب يقول: «أأنا من أهل الجنة؟ أو مثلي يدخل الجنة»[١].

❑ وكان الربيع بن خثيم يبكي حتى يبلّ لحيته فيقول: «أدركنا أقوامًا كنا في جنبهم لصوصًا»[٢].

❑ وكان أبو مسلم الخولاني يُعلّق السوط في مسجده ويقول: «أنا أولى بالسياط من الدواب»[٣].

---

(١) «الحلية» (٢/ ٩٠).

(٢) «الحلية» (٢/ ١٠٨، ١٠٩).

(٣) «الحلية» (٢/ ١٢٧).

❑ عن سهل بن أسلم: كان بكر بن عبداللَّه المزني إذا رأى شيخًا قال: «هذا خير مني عبَدَ اللَّه قبلي، وإذا رأى شابًا قال: هذا خير مني ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب»(١).

وقال: «إن عرض لك إبليس بأن لك فضلاً على أحدٍ من أهل الإسلام فانظر، فإن كان أكبر منك فقل: قد سبقني هذا بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقت هذا بالمعاصي والذنوب، واستوجبت العقوبة فهو خير مني، فإنك لا ترى أحدًا من أهل الإسلام إلا أكبر منك أو أصغر منك»(٢).

❑ وقال إبراهيم التيمي: «ما عرضت عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذبًا»(٣).

❑ قال إبراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بدا ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

وعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب، يقول: احتيج إليّ احتيج إليّ»(٤).

❑ وقال أيوب السختياني: إذا ذكر الصالحون كنتُ عنهم بمعزل.

وقال الحسن البصري: صاحبت أقوامًا كنت بجانبهم كاللص.

وقال مالك بن دينار: إذا ذكر الصالحون فأف لي وتُفّ.

وعن علي بن المديني قال: «كان سفيان إذا سُئل عن شيء يقول: لا

---

(١) «تهذيب الحلية» (١/ ٣٦٩).
(٢) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٧٠، ٣٧١).
(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٨٨).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٩١).

أحسن، فيقولون: من نسأل؟ فيقل: سل العلماء، وسل اللَّه التوفيق.

❑ قال ابن عيينة: كنت أخرج إلى المسجد فأتصفّح الخلق، فإذا رأيت كهولاً ومشيخة، جلست إليهم، فأنا اليوم قد اكتنفتني هؤلاء الصبيان ثم ينشد:

خلتِ الديـــار فسُدْت غير مسوّد ومن الشقاء تفرّدي بالسؤدد»[١]

❑ وقال الفضيل بن عياض: من أراد أن ينظر إلى مراءٍ فلينظر إليّ[٢].

❑ وقال شعيب بن حرب: بينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل يَشُدُّ ثوبي من خلفي فالتفت فإذا بفضيل بن عياض، فقال: لو شفع فيّ وفيك أهل السماء كنا أهلاً أن لا يشفع فينا.

قال شعيب: ولم أكن رأيته قبل ذلك بسنة، قال: فكسرني وتمنيت أني لم أكن رأيته»[٣].

❑ قال الفضيل عن نفسه: «كيف ترى حال من كثرت ذنوبه، وضعف عمله، وفنى عمره، ولم يتزوّد لمعاده، ولم يتأهب للموت، ولم يخضع للموت، ولم يتشمر للموت، ولم يتزين للموت، وتزيّن للدنيا، هيه، وقعد يحدّث - يعني نفسه - واجتمعوا حولك يكتبون عنك، بخ فقد تفرّغت للحديث.

ثم قال: هاه - وتنفس طويلاً - ويحك أنت تحسن تحدّث، أو أنت أهل أن يحمل عنك، استحي يا أحمق بين الحمقان، لولا قلة حيائك وصفاقة وجهك ما جلست تحدث وأنت أنت، أما تعرف نفسك؟ أما تذكر ما كنت،

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٢٨).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(٣٠).

(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٩).

وكيف كنت؟ أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك، ولا سمعوا منك شيئًا أبدًا»[1] .

◘ وأخذ بيد سفيان بن عيينة خارج الحرم وقال له: إن كنت تظن أنه قد صلى إلى هذه القبلة من هو شرٌّ مني ومنك فبئس ما تظن.

◘ وقال للحسين بن زياد: عساك ترى أن في ذلك المسجد - يعني المسجد الحرام - رجلاً شرًّا منك، وإن كنت ترى فيه، فقد ابتليت بعظيم»[2] .

◘ وزين القرّاء محمد بن واسع يقول: «لو كان يوجد للذنوب ريح، ما قدرتم أن تدنو مني من نتن ريحي»[3] .

وكان يقول: إنما هو عفو اللَّه أو النار.

يقول هذا وقد قال جعفر عنه: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى[4] .

◘ وقال السري السقطي: ما أحب أن أموت حيث أعرف، فقيل له: ولم ذاك يا أبا الحسن؟ قال: أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضح[5] .

◘ وقال أيوب السختياني: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

◘ وقال محمد بن أسلم الطوسي: «قد سرتُ في الأرض ودرتُ فيها، فبالذي لا إله إلا هو ما رأيت نفسًا تصلى إلى القبلة شرًّا عندي من نفسي»[6] .

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٨)، و«تهذيب الحلية» (١/ ٤١٣).

(٤) «التهذيب» (١/ ٤١٣).

(٥) «حلية الأولياء» (١٠/ ٩٨، ٩٩).

(٦) «الحلية» (٩/ ٢٤٤).

☐ «وعن جعفر بن برقان قال: بلغني عن يونس بن عبيد فضل وصلاح، فكتبت إليه: يا أخي، اكتب إليّ بما أنت عليه، فكتب إليه: أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه، وأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها وتكره لهم ما تكره لها؛ فإذا هي من ذاك ببعيد، ثم عرضتُ عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير؛ فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم. هذا أمري يا أخي والسلام.

☐ وعن يونس بن عبيد قال: إني لأعد مائة خصلة من خصال البر، ما فيّ منها خصلة واحدة»[١].

☐ وقال داود الطائي: تركتنا الذنوب، وإنا نستحي من كثير من مجالسة الناس[٢].

☐ وكان داود يقول: لو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذلّ لنا لسان بذكر خير أبدًا[٣].

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «سبقني العابدون وقُطِع بي، وا لهفاه».

يقول هذا عن نفسه وابن المبارك يقول عنه: «وهل الأمر إلاّ ما كان عليه داود الطائي»[٤].

☐ وقال شيخ الإسلام عبداللَّه بن المبارك: أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم[٥].

---

(١) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٣٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٦٧).

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٩).

(٤) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٥٤).

(٥) «حلية الأولياء» (٨/ ١٧).

□وهذا ابن السمّاك شيخ الوعاظ:

«بعث هارون الرشيد إلى ابن السمّاك، فدخل وعنده يحيى بن خالد البرمكي، فقال يحيى: إن أمير المؤمنين أرسل إليك، لما بلغه من صلاح حالك في نفسك، وكثرة ذكرك لربك عز وجل، ودعائك للعامة، فقال ابن السماك: أمّا ما بلغ أمير المؤمنين من صلاحنا في أنفسنا، فذلك بستر اللَّه علينا، فلو أطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة، ولا جرى لسان لنا بمدحة، وإني لأخاف أن أكون بالستر مغروراً، وبمدح الناس مفتوناً، وإني لأخاف أن أهلك بهما، وبقلة الشكر عليهما، فدعا بدواة وقرطاس فكتبه إلى الرشيد»(١).

□ وكان الحسن البصري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كثيراً ما يعاتب نفسه ويوبّخها بقوله: «تتكلّمين بكلام الصالحين القانتين العابدين، وتفعلين فعل الفاسقين المرائين، واللَّه ما هذه صفات المخلصين»(٢).

□ وكان عبدالرحمن بن هُرمز الأعرج(٣) ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: «فتشوا أنفسكم فيما هي عليه من القبائح فإنّ كل أحد يحشر غداً مع جنسه، فمن وقع في سائر المعاصي فله مع كل قوم حشر، وكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كثيراً ما يعاقب نفسه ويوبخها ويقول لها: إنَّ المنادي ينادي يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا قوموا، فتقوم يا أعرج معهم، ثم ينادي: يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم، ثم ينادي: يا أهل خطيئة كذا قوموا، فتقوم يا أعرج معهم، فأراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة»(٤).

---

(١)«تهذيب الحلية» (٣/ ٤٨).

(٢)«تنبيه المغترين» ص(٢٤).

(٣)عبدالرحمن بن هرمز من موالي بني هاشم عُرف بالأعرج، قارئ من أهل المدينة، أدرك أبا هريرة وأخذ عنه.

(٤)«تنبيه المغترين» ص(٩١).

* الخوف من النفاق:

◻ عن أبي عثمان اليشكري قال: «سألت أبا رجاء العطاردي قلت: يا أبا رجاء أرأيتَ من أدركت من أصحاب رسول اللَّه ، كانوا يخافون على أنفسهم النفاق؟ قال: أما إني أدركت بحمد اللَّه منهم صدرًا حسنًا ـ قال أبو عثمان: وكان قد أدرك عمر بن الخطاب ـ فقال: نعم شديدًا، نعم شديدًا»[(١)].

◻ وروى البخاري في «صحيحه» عن ابن أبي مُليكة قال: أدركتُ ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إيمانه كإيمان جبريل. وفي رواية أخرى قال: واللَّه لقد أدركت كذا وكذا من أصحاب النبي ، ما مات أحد منهم إلا وهو يخشى النفاق على نفسه.

◻ وقال ميمون بن مهران: ما أقلّ أكياس الناس، لا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أمروا به، وإلى ما قد أكبّوا عليه من الدنيا. فيقول: ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر التي لا همّ لها إلا ما تجعل في أجوافها، حتى إذا بصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال: واللَّه إني لأراني من شرهم بعيدًا»[(٢)].

◻ وقال خلف بن تميم: «سمعت سفيان الثوري بمكة ـ وقد كثر الناس عليه ـ فسمعته يقول: ضاعت الأمة حين احتيج إلى مثلي»[(٣)].

◻ وعن حماد بن زيد قال: «رجعنا من جنازة فدخلنا على عطاء

---

(١) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٠).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٥ ـ ٥٦).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٦٣).

السليمي، فلما رآنا كأنه خاف أن يدخله شيء ـ أي لكثرتنا ـ فقال: اللَّهم لا تمقتنا ـ أو اللَّهم لا تمقتني[١].

❑ وقال حذيفة المرعشي عن نفسه: «ما في الأرض نفس أبغض إليّ منها فكيف أعطيها شهوتها».

❑ وقال حذيفة: لو جاءني رجل فقال لي: واللَّه الذي لا إله إلا هو يا حذيفة ما عملك عمل من يؤمن بيوم الحساب، لقلت له: يا هذا لا تكفّر عن يمينك فإنك لا تحنث»[٢].

❑ وذُكر عند مخلد بن الحسين خُلق من أخلاق الصالحين فقال:

لا تعـرضن بذكرنـــا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد[٣]

❑ وقال مطّرف بن عبداللَّه لمّا وقف بعرفة: «اللَّهم لا تردهم من أجلي»، وقال بكر بن عبداللَّه المزني: ما أشرفه من مقام وأرجاه لولا أني فيهم».

وقال قتادة: قال عيسى ابن مريم: سلوني، فإن قلبي ليّن، وإني صغير في نفسي[٤].

❑ وللَّه در داود الطائي قال: اليأس سبيل أعمالنا هذه ولكن القلوب تحن إلى الرجاء.

* * *

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٢٣).

(٢، ٣) المصدر السابق (٣/ ٦٤).

(٤) «الزهد» لأحمد ص(٥٨).

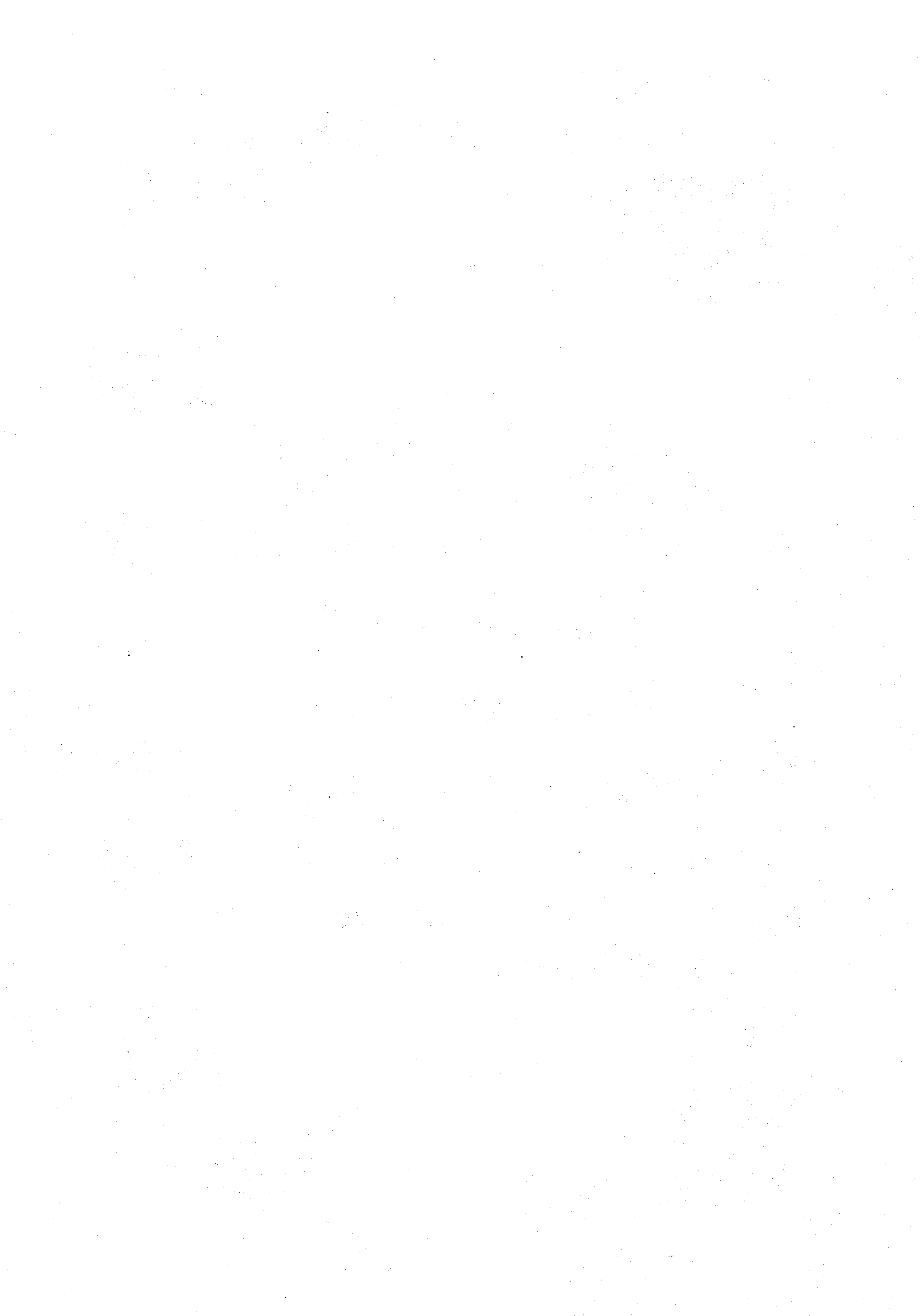


العلامــة الرابعــة

البعد عن السلاطين والأمـراء وأصحاب الرئاسات

«إذا رأيتم العالم يرتاد أبواب الأمراء فاشهدوا أنه لص»

«سعيد بن المسيب ـ سيد التابعين»



البعد عن السلاطين والأمراء وأصحاب الرئاسات

✍ ومن علامات الإخلاص وشيم المخلصين البعد عن مجالس أبناء الدنيا والملوك والسلاطين والأمراء وأصحاب الرئاسات... واللَّه ما أخذت منهم شيئًا إلا وأخذوا من دينك أضعافه.

□ وانظر إلى شيخ الوعاظ وإمامهم ابن الجوزي وكلامه الطيب الرقراق في النهي عن مخالطة السلاطين: «بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة.

وقد صرّح بهذا ابن عمر - رضي اللَّه عنهما -، فقال: واللَّه؛ لا ينال أحد من الدنيا شيئًا؛ إلا نقص من درجاته عند اللَّه؛ وإن كان عنده كريمًا.

والصعود الذي سببه مخالطة السلاطين؛ فبعيد أن يسلم معه الدين؛ فإن وقعت سلامته ظاهرًا؛ فالعاقبة خطرة.

فالصبر عن مخالطة الأمراء - وإن أوجب ضيق العيش من وجه - يُحَصِّل طيب العيش من جهات، ومع التخليط لا يحصل مقصود؛ فمن عزم جزم»[1].

□ «وأنا أقتدي أقوامًا صابروا عطش الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر حتى رُووا يوم الموت من شراب الرِّضى وبقيت أذكارهم تُرْوى فتَرْوي صدى[2] القلوب وتجلو صدأها: هذا الإمام أحمد؛ يحتاج، فيخرج إلى اللقاط، ولا يقبل مال السلطان.

---

(١) «صيد الخاطر» ص(٤٧٣، ٤٧٥).

(٢) صدى القلوب: عطشها.

هذا إبراهيم الحربي؛ يتغذى بالبقل، ويرد على المعتضد ألف دينار.

هذا بشر الحافي؛ يشكو الجوع، فيُقال له: يصنع لك حساء من دقيق؟ فيقول: أخاف أن يقول اللّه لي: هذا الدقيق من أين لك.

بقيت واللّه أذكار القوم، وما كان الصبر إلا غفوة نوم، ومضت لذّات المترخصين وبليت الأبدان ووهن الدين.

فلا ترخِّص لنفسك في تأويل؛ فعمرك في الدنيا قليل!

ومتى ضجّت النفس لقلة صبر؛ فاتل عليها أخبار الزهاد؛ فإنها ترعوي وتستحي وتنكسر إن كانت لها همة أو فيها يقظة»[1] .

❏ قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى أبواب الأمراء فهو لص.

❏ وقد كان الأوزاعي - رحمه اللّه تعالى - يقول: ما من شيء أبغض إلى اللّه من عالم يزور عاملاً من العمال، وكان مكحول - رحمه اللّه تعالى - يقول: من قرأ القرآن وتفقه في الدين، ثم مشى إلى بيت أمير لغير حاجة ضرورية فقد خاض في جهنم بعدد خطاه. وكان حذيفة بن اليمان - رضي اللّه عنه - يقول: إني لأكره للعالم أنْ يقرب من أبواب الأمراء فإنها مواقف الفتن في دار الدنيا. وكان الفُضيل بن عياض - رحمه اللّه تعالى - يقول: كنا نتعلم اجتناب أبواب السلطان كما نتعلم السورة أو الآية من القرآن، وكان ميمون بن مهران - رحمه اللّه تعالى - يقول: صحبة السلطان مخاطرة عظيمة، فإنك إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، فالسلامة أنْ لا تعرفه ولا يعرفك. قال: ولما خالط الزهريّ - رحمه اللّه تعالى - السلطان قام عليه الزهاد وقالوا: قد آنست وحشته، وكان الفُضيل بن عياض - رحمه اللّه تعالى - يقول: من يأتي بالفرائض فقط ولا يدخل على

(١) «صيد الخاطر» ص(٦٢٩، ٦٣٠).

السلطان خير ممن يصوم النهار، ويقوم الليل، ويجاهد ويحج ويدخل على السلطان، وكان سُفيان الثوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إذا رأيتم العالم يأتي القاضي لغير حاجة، فلا تشهدوا فيه بالخير، ولا تسلموا عليه، واتهموه في دينه، وكان الضحاك ابن مزاحم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: مكثت ليلة كاملة أتفكر في كلمة ترضي السلطان، ولم تسخط اللَّه تعالى فلم أجدها، وكان الأصمعي ـ رحمه اللَّه ـ يقول: شرار الأمراء أبعدهم من العلماء، وشرار العلماء أقربهم من الأمراء»[1].

□ وعن ابن شوذب قال: «قسّم أمير من أمراء البصرة على قرّاء أهل البصرة، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل، وأبى محمد بن واسع. فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ قال: فقال: يا أبا بكر سل جلسائي. فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقابًا فأعتقهم، فقال له محمد: أنشدك اللَّه أقلبك الساعة لهو على ما كان عليه قبل أن يجيزك؟ قال: اللَّهم لا! قال: ترى أي شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار، إنما يعبد اللَّه مثل محمد ابن واسع»[2].

□ قال محمد بن واسع: «لقضم القصب وسفّ التراب، خير من الدنوّ من السلطان»[3].

□ وعن حمّاد بن زيد قال: كان أيوب السختياني صديقًا ليزيد بن الوليد فلما ولِّي الخلافة قال: اللَّهم أنسه ذكري»[4].

وعن سندويه الفتال قال: قيل لداود الطائي: أرأيت رجلاً دخل على

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) «تهذيب الحلية» (١/ ٤١٦).

(٣) «تهذيب الحلية» (١/ ٤١٥).

(٤) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٣٢).

هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، قال: أخاف عليه السوط قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه السيف؛ قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه الداء الدفين من العجب[١] .

□ قال الفضيل: لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة، خير له من أن يدنوا إلى هؤلاء ـ يعني السلاطين ـ.

وقال: رجل لا يخالط هؤلاء، ولا يزيد على المكتوبة، أفضل عندنا من رجل يقوم الليل، ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل اللَّه ويخالطهم»[٢] .

□ ودخل سفيان الثوري على الفُضيل بن عيَّاض ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ يومًا فقال له: عظني يا أبا عليّ، فقال له الفُضيل: وبماذا أعظكم معاشر العلماء؟ كنتم سرجًا يُستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة، وكنتم نجومًا يُهتدى بكم في ظلمات الجهل، فصرتم حيرة يأتي أحدكم إلى أبواب هؤلاء الولاة فيجلس على فرشهم ويأكل من طعامهم ويقبل هداياهم، ثم يدخل بعد ذلك إلى المسجد فيجلس فيه ثم يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول اللَّه ﷺ بكذا، واللَّه ما هكذا يطلب العلم، قال: فبكى سُفيان حتى خنقته العبرة وخرج»[٣] .

□ سفيان الثوري. . . ومَن في الناس كسفيان؟! هو اللَّه الإمام:

«عن عصام بن يزيد خير قال: وجهني سفيان وكتب معي إلى المهدي وإلى وزيره أبي عبداللَّه يعقوب بن داود، وأُدخلت عليه فقرأ كلامه فقال: لو جاءنا أبو عبداللَّه لوضعنا أيدينا في يده، وارتدينا برداء واتزرنا بآخر وخرجنا

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٤٦٧).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٧).

(٣) «تنبيه المغترين» ص(٢١).

إلى السوق فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، فإذا توارى عنا مثل أبي عبداللَّه لقد جاء قرّاؤكم الذين هم قرّاؤكم فأمروني ونهوني ووعظوني، وبكوا لي واللَّه وتباكيْت لهم، ثم لم يفجأني من أحدهم إلا أن أخرج من كمه رقعة: ان افعل بي كذا وافعل بي كذا، ففعلت ذلك بهم ومقتهم عليه، وإنما أكتب إليه لأنه طال مهربه»[١].

❏ وقال سفيان: «ليس للسلطان خير من أن لاّ يراك ولا تراه»[٢].

قال الثوري: إن الرجل ليستعير من السلاطين الدابة والسرج أو اللجام فيتغيّر قلبه لهم.

❏ قال ابن المبارك: قيل لسفيان الثوري: لو دخلت عليهم؟ قال: إني أخشى أن يسألني اللَّه عن مقامي ما قلتُ فيه، قيل له: تقول وتتحفّظ، قال: تأمروني أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي؟

قال حيان: وبلغني أنه قال: ليس أخاف ضربهم، ولكني أخاف أن يميلوا عليّ بدنياهم، ثم لا أرى سيئتهم سيئة»[٣].

❏ عن عبدالرحمن بن مهدي قال: قدم سفيان الثوري البصرة والسلطان يطلبه، فصار في بعض البساتين فأجّر نفسه على أن يحفظ ثمارها، فمرّ به بعض العشارين فقال له: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أخبرني أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟ قال: أما رطب البصرة فلم أذقه ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو، فقال: ما أكذبك من شيخ! الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه؟ فرجع إلى العامل فأخبره بما قال ليعجبه، فقال: ثكلتك أمك، أدركه فإن كنت صادقًا

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٩١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٩٢).

(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٩٠).

فإنه سفيان الثوري فخذه لتتقرّب به إلى أمير المؤمنين المهدي، فرجع في طلبه فما قدر عليه[١] .

❑ وعن عطاء بن مسلم قال: لما استُخلِف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل عليه، خلع خاتمه، فرمى به إليه، وقال: يا أبا عبداللَّه، هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده، وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قلت: لعطاء: قال له: يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم. قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك، ولا تعطني حتى أسألك. قال: فغضب، وهمّ به، فقال له كاتبه: أليس قد أمّنته؟ قال: بلى. فلما خرج، حفّ به أصحابه، فقالوا: ما منعك؟ وقد أمرك أن تعمل في الأمة بالكتاب والسنة؟! فاستصغر عقولهم، وخرج هاربًا إلى البصرة[٢] .

❑ قال الثوري: قال لي المهدي: أبا عبداللَّه، أصحبني حتى أسير فيكم سيرة العُمريْن. قال: قلت: أمّا وهؤلاء جلساؤك، فلا. قال: فإنك تكتب إلينا في حوائجك فنقضيها قال سفيان: واللَّه ما كتبت إليك كتابًا قط.

❑ قال يحيى بن يمان: وقال لي سفيان: إن اقتصرت على خبزك وبقلك، لم يستعبدك هؤلاء[٣] .

❑ قال وزير المهدي أبو عبيد اللَّه: ما أعلقنا مخالينا هذه في عنق أحد، إلا قضم منها، إلا الثوري.

❑ قال عبداللَّه بن المبارك: «إن سفيان دخل على أبي جعفر، فقال: حاجتك؟، فقال: حاجتي أن لا تدعوني حتى آتيك»[٤] .

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٢).

(٣) «الحلية» (٦/ ٣٧٨).

(٤) «الجرح والتعديل» (١/ ١١٢).

☐ وعن مفضل بن مهلهل قال: «حججت مع سفيان، فوافينا بمكة الأوزاعي، فاجتمعنا في دار، وكان على الموسم عبد الصمد بن علي، فدقّ داقٌّ الباب، قلنا: من ذا؟ قال: الأمير فقام الثوري، فدخل المخرج، وقام الأوزاعي فتلقّاه، فقال له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا الأوزاعي. قال: حيّاك اللَّه بالسلام، أما إن كتبك كانت تأتينا فتقضى حوائجك، ما فعل سفيان؟ فقلت: دخل المخرج. قال: فدخل الأوزاعي في إثره، فقال: إن هذا الرجل ما قصد إلا قصدك، فخرج سفيان مقطبًا، فقال: سلام عليكم، كيفَ أنتم؟ فقال له عبدالصمد: أتيت أكتب عنك هذه المناسك. قال: أولا أدلّك على ما هو أنفع لك منها؟ قال: وما هو؟ قال: تدع ما أنت فيه. قال: وكيف أصنع بأمير المؤمنين؟ قال: إنْ أردت كفاك اللَّه أبا جعفر...»[1].

☐ رحمك اللَّه يا سفيان، أين من غبار نعلك علماء السوء وقرّاء السوء الذين قال فيهم رسول اللَّه ﷺ: **«أكثر منافقي أمتي قراؤها»**[2].

☐ أين هؤلاء من سفيان الذي قال فيه الشاعر:

جُعلتم فداءٌ للذي صان دينَه ... وقرّبه حتى حوته المضاجعُ
على غير ذنب كان إلا تنزُّهًا ... عن الناس حتى أدركته المصارعُ
بعيدٌ عن أبواب الملوك مُجَانِبًا ... وإن طلبوه لم تنله الأصابعُ

وانظر إلى هذا الموقف لشيخ الإسلام سفيان الثوري وهو يقطر إخلاصًا:

---

(١) «الحلية» (٧/ ٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عمرو، وأحمد والطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر، والطبراني وابن عدي عن عصمه ابن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٠٣).

□ قال عبد الرزّاق: بعث أبو جعفر الخشّابين حين خرج إلى مكة، فقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه، قال: فجاء النّجارون، فصلبوا الخشب، ونُودي سفيان، فإذا رأسه في حجر فضيل بن عياض، ورجلاه في حجر ابن عيينة، فقالوا له: يا أبا عبد اللَّه، اتق اللَّه ولا تشمت بنا الأعداء، قال: فتقدّم إلى الأستار، ثم دخله، ثم أخذه، وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر، قال: فمات قبل أن يدخل مكة، فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئًا»(١) .

□ قال يوسف بن أسباط: «لما مات سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ قال الناس للقرّاء: معاشر القرّاء كلوا الآن الدنيا بالدين، فقد مات الثوري»؛ لأنه ـ رحمه اللَّه ـ كان أكثر الناس حطًّا على القرّاء الذين يأتون أبواب الأمراء.

□ وقال الحسن: لن تزال العلماء في كنف اللَّه تعالى ما لم يمل قرّاؤهم إلى أمرائهم بالمحبة، فإذا مالوا إليهم رفع اللَّه تعالى يده عنهم، وسلّط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب، وقذف في قلوبهم الرعب.

□ وكان الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح قلة ورع العالم، وما أقبح قول الناس: إن العالم الفلاني قدم حاجًا بمال الأمير الفلاني، أو بمال المرأة الفلانية، وقد كان الفضيل بن عياض يقول: كيف تحمدون القرّاء مع غلظ رقابهم ورقة ثيابهم وأكلهم مخ الحنطة، واللَّه إن سفّ الرماد كثير على من يخشى اللَّه ويتقيه.

□ وكان حبيب العجمي ـ رحمه اللَّه ـ يقول: ما كنا نظن أن نعيش إلى زمان صار الشيطان يلعب بالقراء فيه كما يلعب الصبيان بالأكرة»(٢) .

---

(١) «الحلية» (٧/ ٤١ ـ ٤٢).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(١٢٣، ١٢٤).

❑ ورحم اللَّه الفضيل بن عياض القائل: واللَّه لو استأذن عليّ هارون الرشيد ما أذنت له إلا أن أُغلب على ذلك، فكيف بمن يذهب هو إليه من هؤلاء الفقراء؟، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لا يصلح أن يدخل على الأمراء ويخالطهم إلا مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ، وأمّا أمثالنا فلا يصلح له الدخول عليهم لعجزه عن مواجهتهم بالنصح والانكار عليهم فيما يراه من الظلم والجور».

* **ومن علامات الإخلاص:**

العلامة الخامسة: ألا يغتر بمدح الناس، وأن يستوي عنده مدح الناس وذمهم له:

❑ قال ابن القيم في «الفوائد»: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء، والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت، فإذا حدّثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، واقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذي يُسَهِّل عليّ ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح؟

قلتُ: أما ذبح الطمع؛ فيسهله عليك علمك يقينًا أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبيد اللَّه وحده خزائنه لا يملكها غيره، ولا يُؤتي العبد منها شيئًا سواه.

❑ وأما الزهد في الثناء والمدح، فيُسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضرّ ذمه ويشين إلا اللَّه وحده، كما قال ذلك الأعرابي للنبي ﷺ: إن مدحي زين وذمي شين، فقال: «**ذاك اللَّه عز وجل**»[1].

(١) «فوائد الفوائد» لعلي حسن عبدالحميد ص(٤٢١ ـ ٤٢٢).

❑ فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك ذمه، وارغب في مدح مَن كل الزين في مدحه، وكل الشين في ذمه، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب، قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**﴾ [الروم: ٦٠]»[١] .

❑ «وقيل ليحيى بن معاذ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ متى يكون العبد مخلصًا؟ فقال: إذا صار خُلُقه كخلق الرضيع لا يبالي من مدحه أو ذمّه».

❑ وقد قيل لذي النون المصري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: متى يعلم العبد أنه من المخلصين؟ فقال: «إذا بذل المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة عند الناس»[٢] .

❑ وقال محمد بن شاذان: «إياك والطمع في المنزلة عند اللَّه وأنت تحب المنزلة عند الناس»[٣] .

فالمخلص من لا يغرّه المدح عن حقيقته نفسه التي بين جنبيه فهو أدرى بخباياها والتواءاتها، ولا يخدعه بريق المظاهر عن بواطن الضمائر، فيمقت الناس كلهم في جنب اللَّه، ثم يعود إلى نفسه فيكون أشد مقتًا لها؛ لأنه يعلم منها ما لا يعلمه الناس، ويحمد اللَّه عز وجل أنه ليست للذنوب رائحة كما قال محمد بن واسع: لو كانت للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني من نتن رائحتي» ويحمد اللَّه عز وجل الذي ستر عليه من ذنوبه ما لو فاح لضجّت المشام».

---

(١) «فوائد الفوائد» لعلي حسن عبدالحميد ص(٤٢١ ـ ٤٢٢).
(٢) «تنبيه المغترين» ص(٢٤، ٢٥).
(٣) «تنبيه المغترين» ص(٣/ ٤٥٧).

❑ قال ابن عطاء في «حِكَمه»: «الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تعلمه منها، أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس».

❑ قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو من هو: «لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان».

❑ قال ابن عطاء: من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره، فالفضل لمن أكرمك وسترك، ليس لمن مدحك وشكرك.

أحسن اللَّه بنا ... أن الخطايا لا تفوح
فإذا المستور منا ... بين جنبيه فضوح

و«متى آلمك عدم إقبال الناس عليك، أو توجههم بالذم إليك، فارجع إلى علم اللَّه فيك، فإن كان لا ينفعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم.

إذا أحس الإنسان بالتواء العامة عليه، أو بنفرة الآخرين منه، فلينظر كيف صلته باللَّه، فإن كان طيب النفس بها، قرير العين بتوطدها، فلا عليه لو مادت الدنيا تحت قدميه فما سخط العبيد بجانب رضا السيد. أما إذا كانت علاقته باللَّه غامضة واهنة، فليست مصيبته في اضطراب حبله مع العباد وانصراف قلوبهم عنه وحزنه على ذلك، بل مصيبته التي تجلّ عن العزاء في أنه ليس مع اللَّه ما يهدئ حاله ويقرّ باله، وذلك أصل الداء»[1].

*** العلامة السادسة: استواء العمل في القيادة والجندية:**

فشرف عظيم أن تنضوي تحت العمل للَّه كائنًا ما كان هذا العمل، وأيًّا

---

(١) «الجانب العاطفي من الإسلام» للشيخ محمد الغزالي ص(١٦٩، ١٧١).

كان موقعك حامل راية أم في السوقة.. أن تكون عبدًا للَّه لا عبدًا للمنصب والجاه.

● فعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعْط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيلِ اللَّه، أشعث رأسُه، مغبَّرةً قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يُؤذَن له، وإن شفع لم يُشَفّعْ»**[1].

*** خالد بن الوليد وليّ اللَّه وسيفه المسلول وإخلاصه العجيب:**

لما توفى الصديق - رضي اللَّه عنه -، وتولى عمر - رضي اللَّه عنه - الخلافة، فعزل خالدًا - رضي اللَّه عنه - أثناء حصار المسلمين لدمشق، وهو الحصار الذي لم يتم فتح دمشق فيه.

وعند الطبري (٢/ ٥٩٥)، وابن الأثير (٢/ ٨٥): أنّ عزل خالد كان أثناء معركة اليرموك. كتب عمر إلى أبي عبيدة بعزل خالد - رضي اللَّه عنهم أجمعين - فجمع أبو عبيدة الناس وجلس لهم على المنبر، وقام صاحب البريد، فسأل خالدًا من أين أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف، فلم يجبه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئًا، فقام بلال مؤذن رسول اللَّه ﷺ فقال: «إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا»، ونزع عمامته، فلم يمنعه خالد سمعًا وطاعة، ووضع قلنسوته، ثم أقامه فعَقَلَه بعمامته، وقال: «من أين أجزت الأشعث؟ من مالك أجزت أم من إصابة أصبتها؟»، فقال: بل من مالي، فأطلقه، وأعاد قلنسوته، ثم عمّمه بيده وقال: «نسمع ونُطيع لولاتنا، ونفخِّم ونخدم موالينا»[2].

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٢٢)، و«الإصابة» (١/ ٥٠)، و«أسد الغابة» (١/ ٩٧).

ولمّا قاسمه أبو عبيدة بأمر عمر بن الخطاب أمواله قال خالد: «ما أنا بالذي يعصي أمير المؤمنين»(١) .

✍ للَّه دره يُعزل وهو في المعركة، وفي أوج انتصاره فما ترك العزل في نفسه أثرًا، لا فرق عنده أن يكون قائدًا عامًا، أو مرؤوسًا أو رجلاً من المسلمين. هذه واللَّه العظمة الإنسانية والإخلاص في أبهى مشاهده. خالد الذي يستلّ النصر من بين أنياب الروم، وهو ترياق وساوس التجبّر والصلف والبغي عند الروم، وسيف اللَّه المسلول على قوى التعفّن والشرك يُفاجأ بالإقالة!! لقد كان مسلكًا بالغ الروعة والعظمة والجلال.

❑ يقول الأستاذ خالد محمد خالد: «ولا أعرف في حياة خالد كلها موقفًا يُنبئ بإخلاصه العميق وصدقه الوثيق مثل هذا الموقف»(٢) .

❑ نعم يا خالد نعم يا سيدي.. إن دروس الطاعة في الميدان والإخلاص ليست بالشيء الهين. تسمع وتطيع ويعقلك بعمامتك بلال الحبشي.. لا يجرؤ أحد أن يملي هذا الدرس الغالب في التوحيد إلا عمر الفاروق ولا يفهم هذا الدرس أحدٌ سواك.

*** السابعة: ألا يغيّره المنع والعطاء:**

مرّ في الحديث: «**إن أُعطِي رضي، وإن لم يُعط سخِط**». هذا هو عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة.

فبعض العاملين في ميدان الدعوة إذا مسّه أحد إخوانه بكلمة تؤذيه أو جرح شعوره بتصرف يسوءه في نفسه، أو في أحد من خاصته وذويه، سرعان ما يغضب ويتبرّم، ويدع العمل والحركة، ويعتزل ميدان الجهاد

---

(١) الطبري (٢/ ٦٢٥).

(٢) «رجال حول الرسول» ص(٣٢٥).

والدعوة.

والإخلاص للغاية يقتضيه أن يصرّ على دعوته، ويثبت على اتجاهه، مهما أخطأ في حقه المخطئون، أو أسرف المسرفون؛ لأنه يعمل للَّه لا لنفسه ولا لذويه»[١].

* الثامنة: الفرح بكل موهبة وكفاية تبرز في الصف الإسلامي:

اعلم أن أحابيل الشيطان، وسراديبه الملتوية للدخول إلى قلوب العاملين للإسلام كثيرة، يساقط الأدعياء حولها فرائس لحب الذات، وحب الجاه..

أما المخلص المتجرد من حظوظ الدنيا والنفس، فإنه إذا وجد من هو خير منه في تحمّل التبعات، تنحّى له راضيًا وقدّمه طائعًا.

وللَّه در أبي عبيدة بن الجراح - رضي اللَّه عنه - لما قال له خالد بن الوليد بالجابية قُبيل معركة اليرموك: «واللَّه إن كنا نقاتلهم[٢] باللَّه وللَّه، فما أرى أن جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض جميعًا، أنهم تغني عنهم شيئًا»، ثم قال لأبي عبيدة: أتُطيعني فيما آمرك به؟ قال له أبو عبيدة: نعم. قال خالد: فولِّني ما وراء بابك، وخلّني والقوم، فإني لأرجو أن ينصرني اللَّه عليهم». قال: قد فعلت. وهكذا تولى خالد القيادة العامة على جيوش المسلمين في يوم اليرموك». فرضي اللَّه عن الأمين.. السيد.. المخلص أبي عبيدة إن بعض العاملين في المحيط الإسلامي يقاتل دون موقعه القيادي، ولا يتنازل عنه بحال، وكأنه ولاه اللَّه هذا المنصب بوحي.. بل لو كان في سقيفة بني ساعدة لجادل الصديق وظن أنه أهل للخلافة، وأنه أليق بها من الصديق، وأنه لها وأنها وُجدت له. وهذا طرف من الرياء الجليّ بله الخفي، وإن أوهم

---

(١) «النية والإخلاص» ص(٧٨، ٧٩).

(٢) أي: الروم.

نفسه بأنه الأقدر على تيسير دفة الأمور.

□ أخرج أبو نعيم بسنده: أن نارًا خرجت على عهد عمر - رضي اللَّه عنه - فجعل تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غارًا فقال له عمر: لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية».

وفي رواية أخرى: فجاء عمر - رضي اللَّه عنه - إلى تميم الداري فقال: قم إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين من أنا وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه. قال: وتبعتهما فانطلقا إلى النار قال: فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها، وجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير»[1] .

فانظر إلى إخلاص عمر - رضي اللَّه عنه - وإبرازه للمخلصين من أمثال تميم - رحمه اللَّه تعالى -.

*** العلامة التاسعة: الحرص على العمل المتعدى نفعه للغير وإن كانت لذة النفس في عمل مفضول عنه:**

من علامات الإخلاص ودلائله: الحرص على العمل الأرضى للَّه، لا الأرضى للنفس، فيؤثر المخلص العمل الأكثر نفعًا، والأعمق أثرًا، وإن لم يكن له فيه هوى، ولا لذة نشوة.

فقد يتلذذ بصيام نافلة، أو بصلاة الضحى، ولو شغل هذا الوقت بإصلاح ذات البين لكان أولى.

● عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاحُ ذات البين، فإن فساد**

---

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني ص(٥١٠).

ذات البين هي الحالقة»[١].

وقد يجد العبد متعة روحية في الاعتمار في رمضان ويحرص على ذلك أشد الحرص، ولو قيل له: ابذل مالك في سنة لمسلمين من ذوي الأرحام قد حلّت بهم مجاعة، أو للمستضعفين من المجاهدين المسلمين الذين لا يجدون الطعام ولا اللباس لم يفعل.

ويحتاج الرجل إلى الإخلاص وتغليب النفع المتعدي إلى الغير على النفع القاصر، وفهم فقه الأولويات.

*** العاشرة: الصبر على طول الطريق دون التفات إلى النتائج:**

الاستمرار على الطريق، والصبر على قلة الناصر وانتفاش الباطل، وعلى إعراض القلوب عن طريق علاّم الغيوب.. هذا الصبر علامة على الإخلاص، فتفردك في طريق الدعوة علامة الصدق والإخلاص.. ويكفي مثالاً ناصعًا نقيًّا نبي اللَّه نوح كما ذكرنا من قبل.. وأنبياء اللَّه ورسله الذين لاقوا في دعوتهم ما لاقوا فما استوحشوا من طول الطريق، وتركوا نتيجة الدعوة للَّه يهيئ أسبابها، ويحدّد أجلها، وهو يعلم يقينًا أن اللَّه لا يضيّع أهله.

إن استقرار حقيقة الإيمان في قلب رجل واحد حقيق بهذا الجهد من الدعاة الذين يريدون وجه اللَّه..

✍ حين تدلهم الخطوب وحين يوحشك قلة الرفيق فحسبك وجه اللَّه عز وجل منيراً لدربك.. كن على الجادة وإن أبطأ بك السير فإن أمير القوم يرعى القافلة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٩٥).

وخذ قبسًا من نورهم ثم سر به   فنورهم يهديك ليس المشاعلا

❑ ولِلَّه در القائل:

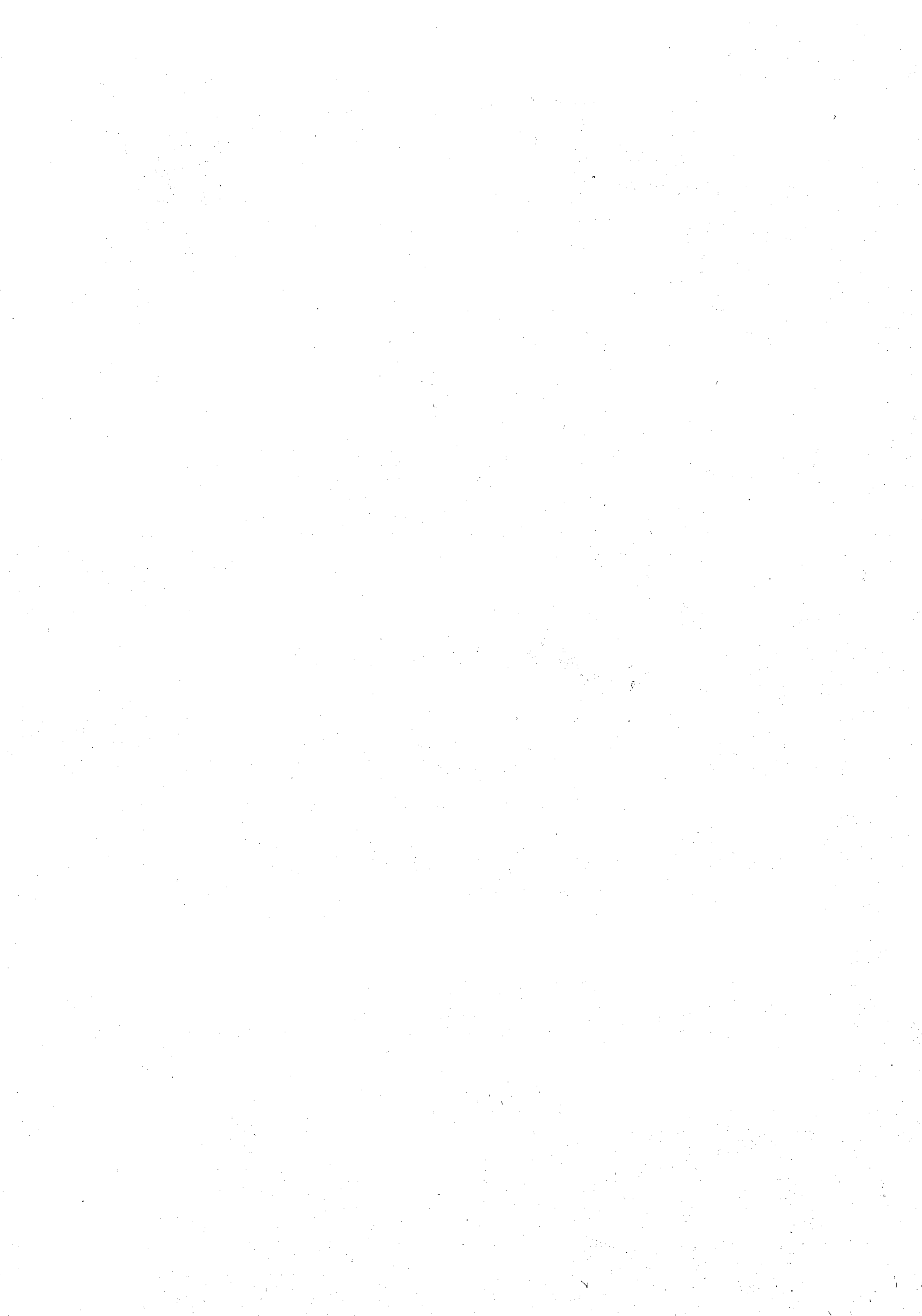
وإن نحن أدلجنا الطريق ولم نجد   ضياءً كفانا نور وجهك هاديا

* * *





ثمـــرات الإخــلاص



ثمرات الإخلاص

١ ـ النصر والكفاية الربانية:

● عن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «**هل تنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم**»[١].

● وقال رسول اللَّه : «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟**»[٢].

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «**ابغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»[٣].

قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٣٥٤): «لأنهم أشد إخلاصًا في الدعاء وأكثر خضوعًا في العبادة لجلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا»، وقال أيضًا: «لخلاء قلوبهم عن التعلق بالدنيا وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن اللَّه فجعلوا همّهم واحدًا فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم، وإذا قام العبد بمنزلة الإخلاص وقام بحق هذا المقام كان اللَّه معه، ومن كان اللَّه معه فمن ذا يخيفه، وماذا يخيفه ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾؟.

لقد انتصر الإسلام بالكُمّل الخُلّص الصادقين من أمثال مصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، والبراء بن مالك، وجليبيب، وذي البجادين،

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠٣٤).

(٢) رواه البخاري عن سعد.

(٣) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم، وابن حبان، والبخاري في «الأدب»، والحاكم في «المستدرك»، وكذا رواه أبو داود والنسائي.

والعلاء الحضرمي، ومحمد بن واسع، وعبداللَّه بن المبارك الذين عمرت قلوبهم بالتجرد والإخلاص للَّه عز وجل..

والإمداد على قدر الاستعداد، والعطية على قدر ما في القلوب من تجريد النية:

* قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠].

● قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ: «فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه اللَّه ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن بما ليس فيه شانه اللَّه».

❑ قال شيخ الإسلام ابن القيم شارحًا هذا الكلمات العطِرَات: «هذا شقيق كلام النبوة، وهو جدير بأن يخرج من مشكاة المحدّث المُلهَم، وهاتان الكلمتان من كنوز العلم، ومَن أحسن الإنفاق منهما نفع غيره، وانتفع غاية الانتفاع: فأما الكلمة الأولى فهي منبع الخير وأصله، والثانية: أصل الشر وفصله، فإن العبد إذا خلصت نيته للَّه تعالى وكان قصده وهمه وعمله لوجهه سبحانه كان اللَّه معه، فإنه سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ورأس التقوى والإحسان خلوص النية للَّه في إقامة الحق، واللَّه سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فمنّ ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان اللَّه مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فيمن يرجو؟ وبمن يثق؟ ومن ينصره من بعده؟

فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه باللَّه واللَّه لم يقم له شيء، ولو كادته السموات والأرض والجبال لكفاه اللَّه مؤنتها، وجعل له فرجًا ومخرجًا، وإنما يُؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد، فمن كان قيامه في باطل لم

يُنصر، وإنْ نُصِر نصراً عارضًا فلا عاقبة له، وهو مذموم مخذول. وإن قام في حق لكن لم يقم فيه للَّه، وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق، أو التوصّل إلى غرض دنيوي، كان هو المقصود أولاً، والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تُضمن له النُّصرة؛ فإن اللَّه إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه، فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين، وإن نُصِر فبحسب ما معه من الحق، فإن اللَّه لا ينصر إلا الحق، وإذا كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما معهم من الصبر، والصبر منصور أبدًا، فإن كان صاحبه محقًّا، كان منصوراً له العاقبة، وإن كان مُبطلاً لم يكن له عاقبة، وإذا قام العبد في الحق للَّه ولكن قام بنفسه وقوته، ولم يقم باللَّه مستعينًا به متوكلاً عليه، مفوّضًا إليه، بريًّا من الحول والقوة إلا به، فله من الخذلان وضعف النصرة بحسب ما قام به من ذلك.

ونكتة المسألة أن تجريد التوحيدين في أمر اللَّه لا يقوم له شيء ألبتة، وصاحبه مُؤيّد منصور، ولو توالت عليه زُمَر الأعداء.

☐ قال الإمام أحمد: حدثنا داود، أنبأنا شعبة، عن واقد بن محمد بن زيد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «من أسخط الناس برضاء اللَّه عز وجل كفاه اللَّه الناس»[1].

٢ ـ تفريج الكروب في الدنيا:

فالقيوم الذي لا ينام لا يتخلّى عن المخلص إذا حلّت بساحته الخطوب، وضاقت عليه المسالك والدروب، فيمد المخلص بعونه، ويكشف ضره.

وما قصة أصحاب الغار منا ببعيد.

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ١٥٩، ١٦٠).

٣ ـ حب أهل السماء للمخلص، ووضع القبول له في الأرض، والصيت الطيّب عند الناس:

● قال رسول اللَّه : «**إذا أحب اللَّه تعالى العبد نادى جبريل: إن اللَّه تعالى يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن اللَّه يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض**».

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «**إذا أحب اللَّه عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحبّه، فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، وإذا أبغض اللَّه عبداً نادى جبريل إني أبغضت فلانًا، فينادي في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض**»[٢].

❏ قال المناوي: «وناهيك بهذا المقام الجليل الذي يلحظ الملأ الأعلى صاحبه بالتبجيل.. ومن ثمرات [هذا] المقام وضع القبول لمن أحبه اللَّه للخاص والعام فلا تكاد تجد أحدًا إلا مائلاً إليه مقبلاً بكليته عليه، وإذا أحب اللَّه عبدًا استنارت جهاته، وأشرقت بنور الهداية ساحاته، وظهرت عليه آثار الإقبال، وصار له سيما من الجمال والجلال، فنظر الخلق إليه بعين المودة والتكريم، ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾»[٣].

سلوا عن مودّات الرجال قلوبكم ... فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «**ما من عبد إلا وله صِيت في السماء، فإن كان صيته في السماء حسنًا، وُضِع في**

---

(١) رواه البخاري ومسلم، ومالك، وأحمد عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٤).

(٣) «فيض القدير» (١/٢٤٦، ٢٤٧).

الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئًا، وُضِع في الأرض»[1] .

من أحبه اللَّه أحبه أهل مملكته، واستغفر له أهلها وعاملوه بأنواع المهابة وصنوف الجلالة ونظروا إليه بعين الود.

وسل قلوب العباد عن محبتها للحسن البصري وإبراهيم بن أدهم، والفضيل وبشر، والثوري، وأحمد بن حنبل.

*** شيخ المخلصين التقي النقي أحمد بن حنبل:**

شيخ الإسلام حقًّا، ريحانة المخلصين أحمد بن حنبل يقول لعمه: يا عم، طوبى لمن أخمل اللَّه عز وجل ذكره[2] .

يقول لتلميذه عبدالوهاب: يا عبدالوهاب أخمِل ذكرك، فإني أنا قد بُلِيتُ بالشهرة.

❑ قال أبو بكر المروذي: واللَّه لو وجدت السبيل إلى الخروج لم أقم في هذه المدينة، ولخرجت منها، حتى لا أُذكر عند هؤلاء ولا يذكروني.

❑ وأحمد بن حنبل المخلص الذي يقول عنه ابنه عبداللَّه: كان أبي إذا خرج في يوم الجمعة لا يدع أحدًا يتبعه، وربما وقف حتى ينصرف الذي يتبعه.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: أريد النزول بمكة، ألقي نفسي في شعب من تلك الشِّعاب حتى لا أُعرف، وقال له أحمد بن محمد المُسيَّبي: إني أحب أن آتيك فأُسلِّمُ عليك، ولكني أخاف أن تكره الرِّجل، فقال: إنا لنكره ذلك.

❑ وقال أبو بكر المروذي: ذكرتُ لأبي عبداللَّه عبدالوهاب على أن

---

(١) صحيح: رواه البزار عن أبي هريرة، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٧٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٣٢).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٣٧٦).

يلتقيا، فقال: أليس قد كره بعضهم اللقاء؟ وقال: يتزين لي وأتزيّن له، كفي بالعزلة علمًا[1] .

□ وانظر رحمك اللَّه إلى إعراضه عن الولايات:

«قال أبو بكر بن الأثرم: أُخبرت أن الشافعي قال لأبي عبداللَّه: يا أبا عبداللَّه، إن أمير المؤمنين ـ يعني محمدًا ـ سألني أن ألتمس له قاضيًا باليمن، وأنت تحب الخروج إلى عبدالرزاق، فقد نلت حاجتك ـ تقضي بالحق، وتنال من عبدالرزاق ما تريد، فقال أبو عبداللَّه للشافعي: يا أبا عبداللَّه، إن سمعتُ منك هذا ثانية لم ترني عندك.

□ وأخبر عبداللَّه بن محمد البلخي أن الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ كان كبيرًا عند محمد بن زبيدة، فذكر له محمد يومًا اغتمامه برجل كامل أمين يصلح للقضاء، صاحب سنة، فقال: قد وجدت رجلاً من حاله كذا وكذا صاحب سنة، كامل، فقيه، صاحب حديث، فقال: مَن هذا؟ فذكر أحمد بن حنبل، قال: فلقيه أحمد وبلغه ما قال، فقال للشافعي: أَخمِل هذا واعفِني، وإلاّ خرجت من البلد فذهبت.

□ وقال صالح بن أحمد: كتب إلى إسحاق بن راهويه: إن الأمير عبداللَّه بن طاهر وجّه إليّ، فدخلتُ إليه وفي يدي كتاب أبي عبداللَّه، فقال: ما هذا الكتاب؟ فقلت: كتاب أحمد بن حنبل، فأخذه وقرأه وقال: إني أحبه وأحب حمزة بن الهيضم البوشنجي؛ لأنهما لم يختلطا بأمر السلطان. قال صالح: وأمسك أبي عن مكاتبه إسحاق بن راهويه لما أدخل كتابه إلى عبداللَّه ابن طاهر وقرأه»[2] .

---

(١) المصدر السابق ص(٣٧٥).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (٣٦١، ٣٦٢).

«وقيل لأبي عبدالله: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيرًا، ثم قال: ومن أنا؟ وما أنا؟

وقال له خراساني: الحمد لله الذي رأيتك، فقال: اقعد، أيّ شيء ذا؟ من أنا.

❑ قال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، وذكر أخلاق الورعين: فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟

وقال: قلت لأبي عبدالله: إن بعض المحدثين قال لي: أبو عبدالله لم يزهد في الدراهم وحدها، وقد زهد في الناس، فقال أبو عبدالله: ومن أنا حتى أزهد في الناس؟ الناس يُريدون يزهدون فيّ»[1] .

❑ ويقول هذا عن نفسه وقد قال عنه شيخه أبو الوليد الطيالسي: لو كان هذا في بني إسرائيل، لكان أحدوثة، وقال عنه شيخه عبدالرحمن بن مهدي: كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا في بطن أمه.

❑ وقال له أبو عاصم النبيل: يا هذا، ما أنصفتنا، قدمت بلدنا فلم تُعرفنا نفسك فنكرمك، ونأتي من حق ما أنت له أهل.

❑ وقال علي بن المديني: أحمد بن حنبل سيدنا.

❑ وقال أبو عبيد: أحمد بن حنبل إمامنا، إني لأتزيّن بذكره.

❑ قال محمد بن مهران الجَمّال في حب أحمد: «إني لأدير قلبي نحو مكة والمدينة فيرجع إليه، وأديره نحو البصرة والكوفة فيرجع إليه، وأديره نحو الشام والجزيرة فيرجع إليه، وأديره نحو خراسان فيرجع إليه، ووجه إليه الخليفة المتوكل ـ الذي أطفأ نيران البدعة، وأوقد مصابيح السنة ـ ليحُمل إليه، فلم يزل يدعو الله عز وجل حتى صرف الله المتوكل عن ذلك.

(١) المصدر السابق ص(٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠).

أحمد بن حنبل الذي ما قبل أُعطيات الخلفاء، ويكره الدنو منهم ويقول: الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة.

□ هذا الإمام المبارك الذي كتب إليه ابن طاهر: أحب أن تصير إليّ، وتُعلمني اليوم الذي تعزم عليه حتى لا يكون عندي أحد، فوجّه إليه: أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره؛ وهذا مما أكره، فجهد أن يصير إليه فأبى.

□ ولما أخذ ابنه صالح من جوائز المتوكل: أمر بسدّ الباب بينه وبينه.

إذا مُيّز الأشياخ يومًا وحُصّلوا   فأحمد من بين المشايخ جوهر
جرى سابقًا في قلبْة الصدق والتقى   كما سبق الطِّرْف[1] الجَوَادُ المضَمَّرُ

□ وعند موته صلى عليه ألف ألف، وعلى السور نحواً من ستين ألف امرأة، قال عبدالوهاب الورّاق: ما بلغنا أن جَمْعًا كان في الجاهلية والإسلام مثله.

✍ فانظر بم اجتمعت القلوب على حب إمام أهل السنة... لاجتماع خصال الخير فيه، ولإخلاصه وتجرده لمولاه.

٤ ـ سكينة القلب وطمأنينته:

* قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

لباس المخلصين السكينة تطمئن بها قلوبهم، وتسكن إليها جوارحهم وتخشع، يسكن إليها الخائف، وتسلي الحزين الضجر بها، بروحها حياة قلوبهم، وبنورها استنارتها، وضياؤها وإشراقها، وبقوتها ثبات القلب وعزمه ونشاطه.

---

(١) الطِّرْف من الخيل: الكريم العتيق.

وبنور الإخلاص يكشف للعبد عن دلائل الإيمان، وحقائق اليقين، ويميز له بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغيّ والرشد، والشك واليقين.

والسكينة توجب كمال يقظته وفطنته، وحضوره وانتباهه من سِنَة الغفلة، وتوجب له الصدق، وصحة المعرفة، وقهر داعي الغيّ والعنت.

وهذه السكينة تحقق له خشوعًا في الخدمة وتعظيمها وإجلالها، وحضوراً فيها يوصله إلى مقام الإحسان بدوام مراقبة الحق سبحانه.

إن القلوب إذا اطمأنت إلى مولاها وسيدها، فيه خاصمت، وإليه حاكمت، وبه صالت، وله عملت، وإليه قصدت ترى كل شيء قائم به، فيجتمع القلب على غاية واحدة هي رضا اللَّه عز وجل، وينحصر همّ القلب في همّ واحد، هو سلوك الطريق الذي يوصّل إلى مرضاته، ووضوح الغاية، واستقامة الطريق إليها يريح الإنسان من البلبلة والاضطراب بين الاتجاهات، وتنازع الرغبات، وتعدد السبل.

* قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا[1] لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

فضرب اللَّه مثلاً للمؤمن الموحد بالعبد الذي له سيد واحد قد سلم كله له، فجعل كل همّه في إرضائه واتباع ما يحبه، وللمشرك بالعبد الذي يملكه أرباب متعاسرون متشاكسون سيئو الملكة فهمّه شعاع، وقلبه أوزاع، فهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق؛ ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه، والمخلص المستريح المستقر على منهج واضح صريح إن قلب المخلص يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى؛ لأن بصره أبدًا معلق بنجم واحد على الأفق فلا

(١) سلمًا: أي خالصًا له لا يشاركه فيه أحد.

يلتوي به الطريق؛ ولأنه يعرف مصدراً واحدًا للحياة والقوة والرزق، ومصدراً واحدًا للنفع والضرّ، والمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلقّ يديه بحبل واحد يشدّ عروته، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ منه بصره، ويخدم سيدًا واحدًا يعرف ماذا يرضيه فيفعله، وماذا يغضبه فيتقيه، وبذلك تتجمّع طاقته وتتوحّد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء.

✍ فالحمد للَّه الذي اختار للمخلصين الراحة والأمن والطمأنينة والسكينة والاستقرار وحررّهم من تعاسة العبودية لغيره، «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة**».

✍ فطوبى لعبد لا يتأله غير مولاه الحق، ولا يضيع أنفاسه في غير مرضاته، ولا يفرّق همّه في غيره، صفت عبوديته للَّه، وخلص وده له، وعمر السرّ بينه وبين ربه، فأصبح وأمسى ولا همّ له غير ربه، قد قطع همّه بربه عنه جميع الهموم، وعطّلت إرادته جميع الإرادات، ونسخت محبته له من قلبه كل محبة لسواه، كما قيل:

لقد كان يسبي القلب في كل ليلة ... ثمانون بل تسعون نفسًا وأرجحُ
يهيم بهذا ثم يألف غيره ... ويسلوهم من فوره حين يصبحُ
وقد كان قلبي ضائعًا قبل حبكم ... فكان بحب الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن خبائك يبرح
حُرِمت منائي منك إن كنت كاذبًا ... وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شيء في الوجود سواكم ... يقرّ به القلب الجريح ويفرح
إذا لعبت أيدي الهوى بمحبكم ... فليس له عن بابكم متزحزح
فإن أدركته غربة عن دياركم ... فحبكم بين الحشا ليس يبرح

وكم مشتر في الخلق قد سام قلبه — فلم يره إلا لحبك يصلحُ
هوى غيركم نار تلظى ومحبس — وحبكم الفردوس بل هو أفسح
فيا ضيم قلب قد تعلق غيركم — ويا رحمة مما يجول ويكدحُ

✍ أخي: كيف يكون عيش من كان اللَّه غايته فشمر سائراً إليه، همه تحصيل مراد اللَّه منه، وكمل أمره بشهود العبودية مع شهود المعبود، ففنى عن عبادة السوى وقصده وإرادته وخشيته ورجائه والتوكل عليه والسكون إليه، فيفني بعبادة ربه ومحبته وخشيته ورجائه والتوكل عليه، وبالسكون إليه عن عبادة غيره وعن محبته، مع شهود الغير ومعاينته.

وإذا نظرت إلى أميري زادني — حبًّا له نظري إلى الأمراء

* قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهي حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان، ومعرفة اللَّه ومحبته، والإنابة إليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها ولا نعيم فوق نعيمه، إلا نعيم الجنة، كما قال بعض الربانيين يقول: «إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا النعيم إنهم لفي عيش طيب».

٥ ـ القوة الروحية:

«الإخلاص يمنح المخلص قوة روحية هائلة، مستمدة من سموّ الغاية التي أخلص بها نفسه، وحرّر لها إرادته، وهو رضا اللَّه ومثوبته.

فإن الطامع في مال أو منصب أو لقب أو زعامة: ضعيف كل الضعف، إذا لاحت له بادرة أمل في تحقيق ما يطمع فيه من دنيا.. ضعيف أمام الذين يملكون إعطاءه ما يطمح إليه.. ضعيف إذا خاف فوات مغنم يرجوه، أما الذي باعها للَّه، فهو موصول بالقوة التي لا تضعف، والقدرة التي لا تعجز،

ولهذا كان في تجرده وإخلاصه أقوى من كل مادية يراها الناس».

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه :

«لما خلق اللَّه الأرض جعلت تميد[1] وتكفأ[2]، فأرساها بالجبال، فاستقرّت فتعجّبت الملائكة من شدة الجبال، فقالت: يا ربنا، هل خلقتَ خلقًا أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالوا: يا رب، فهل خلقت خلقًا أشد من الحديد؟ قال: نعم: النار، قالوا: يا رب، فهل خلقت خلقًا أشد من النار؟ قال: نعم. الماء، قالوا: يا رب، فهل خلقت خلقًا أشد من الماء؟ قال: نعم. الريح، قالوا: يا رب، فهل خلقت خلقًا أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم إذا تصدّق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله»[3].

وهكذا يصوّر لنا هذا الحديث أن القوة الروحية أعظم من كل القوى المادية، وأن قوة الإيمان والإخلاص تفوق قوة الجبال التي تمسك الأرض أن تميد، وقوة الحديد الذي يقطع الجبال، وقوة النار التي تذيب الحديد، وقوة الماء الذي يُطفئ النار، وقوة الريح التي تحرّك الماء، أقوى من ذلك كله قلب ابن آدم حين يُخلص للَّه، فيتصدق بيمينه لا تعلم بها شماله.

إن المخلص للَّه لا يلين للوعد، ولا ينحني للوعيد.. لا يذلّه طمع، ولا يثنيه خوف.. أسوته في ذلك النبي الذي عُرِض عليه الملك والشرف والمال وسائر أعراض الدنيا ليكف عن دعوته، فأبى لأنه عرف غايته فأخلص لها، وعرف ربه فلم يشرك به شيئًا»[4].

---

(١) تميد: تتحرك وتضطرب.

(٢) تكفأ: إذا تمايلت كما تتمايل النخلة، والأصل: تتكفأ.

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذي واللفظ له، وفي سنده سليمان بن أبي سليمان الهاشمي، ولم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وقال ابن حجر في «الفتح» (٢/ ١٧٢): «في مسند أحمد من حديث أنس بإسناد حسن مرفوعًا».

(٤) انظر: «النية والإخلاص» للدكتور يوسف القرضاوي ص(١٠١ ـ ١٠٣) بتصرف.

٦ ـ الدوام والاستمرارية في العمل:

الإخلاص لا يتفكّك ولا يتبعثر، ومن ثم كانت الاستمرارية صفة أساسية في الإخلاص.. بل وهي أيضًا من ثماره.. فإن الذي يعمل لشهوة بطن أو فرج، يكفّ إذا لم يجد ما يشبع شهوته، والذي يعمل أملاً في شهرة أو منصب، يثاقل ويتراخى إذا لاح له أن أمله بعيد المنال، والذي يعمل لوجه الرئيس أو الأمير، ينقطع أو يتوانى إذا عُزِل الرئيس أو مات الأمير.

أما الذي يعمل للَّه فلا ينقطع ولا ينثني ولا يسترخي أبدًا؛ لأن الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول، فوجه اللَّه باق إذا غابت وجوه البشر، أو هلك الخلق كل الخلق ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص: ٨٨].

ولهذا قال الصالحون: ما كان للَّه دام واتصل.. وما كان لغير اللَّه انقطع وانفصل»[1] . ما كان لمصلحة أو مغنم، أو تمليق هوى، أو لتحقيق شهوة انقطع وانفصل.

٧ ـ التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص:

وهذه نعمة بعد نعمة التوحيد لا تعدلها نعمة..

انظر إلى عكرمة بن أبي جهل وإخلاصه كيف مَنّ اللَّه عليه بالإسلام ومصاحبة المخلصين حتى ينادى قبيل موته في معارك الشام: «مَن يُبايع على الموت، ويلقى ربه شهيدًا ـ إن شاء اللَّه ـ جزاء صدقه وإخلاصه».

٨ ـ استجابة الدعاء:

وقد تقدم قصة أصحاب الغار، وغلام الراهب.. وتعال معي إلى هذه الحكاية الثابتة في عناية اللَّه بالمخلصين الربانيين:

---

(١) المصدر السابق ص(١٠٣ ـ ١٠٤).

شيخ الإسلام أبو عثمان الحيري وخبره العجيب:

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٦٥): عن الواعظ القدوة شيخ الإسلام أبي عثمان الحيري: «ذكر الحاكم أخبار أبي عثمان في خمس وعشرين ورقة، وفي غضون ذلك من كلامه في التوكل واليقين والرضا؛ قال الحاكم: وسمعت أبي يقول: لما قتل أحمد بن عبدالله الخُجستاني الذي استولى على البلاد ـ الإمام حيْكان بن الذهلي؛ أخذ في الظلم والعسف، وأمر بحربة رُكزت على رأس المربعة[1] وجمع الأعيان، وحلف: إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة، فقد أحلّوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فخصّ تاجر بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم، فحملها إلى أبي عثمان، وقال: أيها الشيخ، قد حلف هذا كما بلغك، ووالله لا أهتدي إلاّ إلى هذه، قال: تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك؟ قال: نعم، ففرّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكث عندي، ومازال أبو عثمان يتردد بين السكّة والمسجد ليلته حتى أصبح، وأذّن المؤذن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السوق، وانظر ماذا تسمع، فذهب ورجع، ثم قال: لم أر شيئًا، قال: اذهب مرة أخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقّك، لا أقمت ما لم تُفرِّج عن المكروبين، قال: فأتى خادمه الفرغاني يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شُقَّ بطن أحمد بن عبدالله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة.

❑ قلت[2] : «بمثل هذا يُعظَّمُ مشايخ الوقت».

٩ ـ حسن الخاتمة:

● عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله

---

(١) المربعة: خشبية قصيرة يرفع بها العِدل. وقال الأزهري: هي عصا تُحمل بها الأثقال حتى توضع على ظهر الدواب.

(٢) أي: الذهبي.

بعبد خيراً استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟، قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه»[(١)].

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «إذا أراد اللَّه بعبد خيراً طهره قبل موته»، قالوا: وما طهور العبد؟ قال: «عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه»[(٢)].

● وعن أبي عِنَبة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «إذا أراد اللَّه بعبد خيراً عَسَله»، قيل: وما عسله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه»[(٣)].

◻ قال المناوي في «فيض القدير» (١/٢٥٦، ٢٥٧): «أي طيّب ثناءه بين الناس. شبّه ما رزقه اللَّه من العمل الصالح الذي طاب ذكره وفاح نشره بالعسل الذي هو الطعام الصالح الذي يحلو به كل شيء ويصلح كل ما خالطه».

«وتفريغ المحل شرط لنزول غيث الرحمة فمتى لم يفرغ المحل لم

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، قال المناوي في «فيض القدير» (١/٢٥٧): قال الهيثمي ورواه الطبراني من عده طرق، وفي أحدها بقية بن الوليد وقد صرّح بالسماع وبقّية رجاله ثقات. انتهى.
فالحكم عليه بالضعف في غاية الضعف، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، وقال المناوي في «فيض القدير» (١/٢٥٦): قال الهيثمي وفيه بقية مدلس وقد صرّح بالسماع في المسند وبقية رجاله ثقات. انتهى.
ومن ثم رمز المؤلف لحسنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١١١٤)، و«صحيح الجامع» (٣٠٧).

يصادف الغيث محلاً قابلاً للنزول، وهذا كمن أصلح أرضه لقبول الزرع ثم يبذر، فإذا طهر العبد تعرّض لنفحات رياح الرحمة ونزول الغيث في أوانه».

وحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم أراد أن يتوب، فبسبب إخلاصه للَّه تعالى في التوبة، قُبض وهو مقبل على اللَّه تعالى.

١٠ ـ التنعّم في القبر:

● في حديث البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ: «... **ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، [أبشر برضوان من اللَّه، وجنّات فيها نعيم مقيم]، هذا يومك الذي كنت تُوعد. فيقول له: [وأنت فبشرك اللَّه بخير] من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح، [فواللَّه ما علمتك، إلا كنت سريعًا في طاعة اللَّه بطيئًا في معصية اللَّه، فجزاك اللَّه خيرًا]**».

✍ فالعمل الصالح ـ وأحد شروطه الإخلاص ـ سبب للتنعيم في القبر والتبشير بالجنة.

١١ ـ استقامة الحياة وصلاح الأمة:

إن الإخلاص مطلوب لكي تستقيم الأمور في هذه الدنيا، ويصح الصحيح، ويحق الحق، ويبطل الباطل، ويسود الخير، ويقوم العدل، ويزول الظلم والظلام، وتتخلص المجتمعات من آثار الفساد.

✍ إنما تفسد الحياة وتختل موازينها، إذا اختفى الإخلاص، وبرز النفاق وعلا صوت المنافقين، وراجت بضاعتهم. إن هؤلاء لا يُبالون في سبيل شهوات أنفسهم ومصالحهم الآنية المادية الدنيوية العاجلة أن يجعلوا الأقزام عمالقة، والشياطين ملائكة، واللصوص أشرف الناس، وأن يتهموا الشرفاء، ويخونوا الأمناء ويكذبوا على الأبرياء، وأن يجعلوا السراب ماء، والأصدقاء لآلئ.

إذ قيل هذا الماء نار رأيته ... عليها مجوسيًّا عريق المذاهب
وإن قيل هذي النار ماء رأيته ... يردد للينبوع شوق السباسب
وإن قيل هذا القبر فجر رأيته ... أذان مصلٍّ هزّ سمع الكواكبَ
وإن قيل هذا الفجر قبر رأيته ... من الثكل يستجدى دموع النواكب

✍ إن حب الدنيا، وحب مظاهرها الكاذبة، من المال والجاه والمنصب والزعامة والظهور هو الذي صنع الفراعنة والجبابرة، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، هو الذي مكّن لهؤلاء ومهّد لهم في الأرض، هم المنافقون الذين يتَمسّحون بأعقابهم، ويبررون كل تصرفاتهم، ويجعلون كل أقوالهم حِكما ودررا، وكل أعمالهم بطولات وغُررا.

زبد البحر أنت أنت قذى البحر ... وما أنت دُرُّه والجواهرْ
إن تكن قد كَسَوْت من صفحة الماء ... وهوّمت بالعباب الزاخرْ
بعض ريح أتى بوفرك يومًا ... بعض ريح يزيل ذاك الوافِرْ
إن ما ترى تجارة بغي ... ذلّ في عصرها نقاء الحرائر
وخطابٌ علا بثغر كريه ... ثم دانت له جميع المنابر

✍ ولا ينقذ الأمم من الضياع والكساد والفساد، إلا المخلصون الذي يقومون للَّه لا للناس، ويعملون للحق لا للهوى، ويجاهدون لأعلاء كلمة اللَّه، لا لإعلاء كلمة فلان أو علاّن.

إن الخلاص كل الخلاص لا يتحّقق إلا بالإخلاص[1] .

الإخلاص آكد الفرائض على الدعاة إلى اللَّه:

إذا كانت الدعوة إلى اللَّه عز وجل أشرف مقامات التعبد، بها يأخذ الداعي أجر المجاهد والمهاجر في سبيل اللَّه عز وجل، وإذا كان الدعاء إلى

(١) انظر «النية والإخلاص» ص(١١١ ـ ١١٢).

الإسلام أجل مقامات الأمر بالمعروف وأعلاها، فإن الإخلاص فرض لازم على الدعاة يصلح العمل، وينقي النفس، ويقوّي العزم، ويفسح الطريق.

كتب سالم بن عبداللَّه إلى عمر بن عبدالعزيز، فقال: اعلم أن عون اللَّه تعالى للعبد على قدر النيّة، فمن تمّت نيته تم عون اللَّه له، ومن نقصت نيته نقص قدره.

✍ في ميدان الدعوة إلى اللَّه لا يرتفع عمل أبدًا ما لم تصحبه نيّة صالحة، ومالم يقترن بإرادة وجه اللَّه وحده، بل إن التدين الذي تكتنفه الأهواء ضرب من العوج النفسي والالتواء الخُلُقي يثير التقزّز ويستدعي الاشمئزاز.

✍ والإخلاص فريضة على كل عابد، وهو في محرابه الخاص، يتعامل مع ربه فحسب، فإذا اتصل الأمر بالدعاة فهو فريضة آكد، وعقدة أوثق.

✍ واتساع نطاق العمل، واشتباكه مع أحوال الناس، ورضاهم وسخطهم وقوتهم وضعفهم يجعل الداعية أحرص على استدامة ذكر اللَّه ومطالعة وجهه حتى لا يضل الغاية ولا يحيد عن النهج في زحمة هذه الحياة[1].

✍ إن على الداعي إلى اللَّه أن يفتش في زوايا قلبه عن حقيقة نواياه وبواعثه، فإن كان فيها حظ للدنيا أو للشيطان، جاهد أن ينقِّي قلبه من دغله، وأن يجرد نيته للَّه، وأن ينذر نفسه للَّه، كما قالت أم مريم ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [آل عمران: ٣٥].

وهذه الكلمة من الولية النقية التقية توحي بأن سنّة اللَّه ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا من كل شركة، محررًا من كل عبودية لغيره.

---

(١) «مع اللَّه» للشيخ الغزالي ص(١٩٥) ـ دار القلم ـ دمشق.

✍ إن المخلصين من الدعاه يَسْمُون فوق المنافع الذاتية والمصالح الشخصية، وهم وحدهم جند الدعوات، وحملة الرسالات، وورثة النبوات، هم الذين يتجردون للدعوة وينتصرون بالدعوة، وتنصَر بهم، إنهم الذين لا يجرون وراء المطامع، ولا يخطف أبصارهم بريق الشهرة، ولا يجذب قلوبهم سطوة الجاه والنفوذ، فليست الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، لا تزن عندهم جناح بعوضة.

✍ إن تمام همهم وكماله أن يتقبلهم اللَّه في جنده الموقنين، وأن يسلكهم في عباده الصالحين، وأن يجعلهم من حزبه المفلحين.

✍ نعم هم يريدون إقامة صرح الإسلام وحضارته ومجتمعه يسعون إلى ذلك، ويحرصون على تحقيقه، ولكن هدف الأهداف، وغاية الغايات من وراء ذلك كله: رضوان اللَّه عز وجل وابتغاء ما عنده، ومن أجل ذلك يستمرئون المرّ، ويسترخصون كل تضحية ما دامت للَّه.

📖 يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ :

«بيد أنا نلحظ ـ آسفين ـ أن ميدان الدعوة إلى اللَّه غُصّ بأقوام يجعلون وجه ربهم آخر ما يُرعى ويُرغَب، كأن الأمر لا يعدو إلاّ أن يكون حرفة تدرّ ربحًا قليلاً أو كثيرًا.

وفراغ الأفئدة من قصد اللَّه، وانتباهها إلى صلات الناس دليل على أن الإيمان دعوى مكذوبة فكيف يُتصوّر من هؤلاء أن يُعلمّوا الناس الإيمان وأن يدعوهم إلى اللَّه؟!

إن الداعية المرائي يقترف جريمة مزدوجة. إنه في جبين الدين سُبّة متنقلة وآفة جائحة.

وتقهقر الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء.

✍ إن اصطياد الدنيا بالدين مأساة عزّت على الأُساة وليس لها إلا اللَّه.

وضعف الإخلاص يعود إلى قلة المعرفة باللَّه، أو إلى سوء الظن به، وإن كان ضعفاء الإخلاص لا يعترفون بشيء من هذا، ولعلّهم يزعمون لأنفسهم معرفة لا تُسبق وظنًّا لا يُفضَل.

فالأمر عنده ليس دينًا يُتَّبَعُ، وتستضيء به النفس، وتنزل على أحكامه، وإنما المهم الأول والآخر هو انطلاق هذه النفس لإشباع دنياها ومآربها في ظل الدين إن وُجِد، وفي ظل غيره إن عَرَض.

والأدعياء في ميدان الدين مصيبة، تُنَكَّبُ بها تعاليم الدين، وتضطرب حالته، وتنكَّس رايته.

❑ والناس ـ وبينهم الدعاة ـ يَحْيون في جماعات تستشرف للتقدم والمكاثرة وتغريها أسباب المنافسة والانتصار، وتتبعها حشود من الأهل والولد والأتباع. ولهذه الحالات آثار عميقة في توجيه السلوك الإنساني يمنة ويسرة:

فذاك مصاب بجنون العظمة، وذاك بعُقدة الضَّعَة، وذاك بكنز المال، وذاك بكره الآخرين، وذاك بعبادة الذات، وذاك لا يستطيع أن يحيا إلا ذَنَبًا، وذاك لا يستطيع أن يكون إلا رأسًا. . . إلخ.

وهذه العلل الكامنة عوامل فعّالة في انحراف النشاط الفردي والجماعي، وقد تكون السبب الأوحد في انهيار أمم وفناء حضارات، بَلْه القضاء على شخص أو الجور على نفر من الناس.

والدعاة إلى اللَّه يجب ـ وسط هذه العواصف النفسية والتيارات القُلَّب ـ أن يأخذوا طريقهم إلى اللَّه نقيًّا نظيفًا.

فليأخذوا نصيبهم من الدنيا دون تزيُّد ولا جشع ولا استشراف.

فإذا كان ذلك على حساب ذَرّة من رسالتهم؛ فليجعلوه دَبْرَ آذانهم ومواطئ أقدامهم. وليجعلوا علائقهم بالناس على قاعدة الحب في اللَّه والبغض في اللَّه.. فلا يُؤثروا شاردًا لقربه، ولا يُقْصوا صالحًا لوحشة منه

وضيق به.

وعلى الدعاة أن يُنَقِّبُوا في خبايا أنفسهم، فلا يجعلوا للهوى سبيلاً عليهم.

هناك مَن ينقد الآخرين للتشفِّي، وهناك من يَحْمدهم للصداقة.

وهناك من يُجسِّم الصغائر لفلان ويقف خطيبًا ضده، ومَن يُغضي عن العظائم لفلان ويُغلق فمه عنه.

وتلك جميعًا أحوال يشينها الخبث ويشدُّها سوء القصد، ولا شيء فيها للَّه جل شأنه إن العمل الخالص الطيب ـ ولا يقبل اللَّه إلا طيبًا ـ هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض وابتغاء وجه اللَّه، ودون اكثرات برضا أو سخط، ودون تحرٍّ لإجابة رغبة أو كَبْح رغبة.

والمرء قد تغلبه نفسه، وتدس عليه أغراضًا لا تليق به.

وربما انساق ـ عن غير وعي ـ لمواطن تضطرب فيه النيّة، ويختلط فيها التجرد بالأثرة.

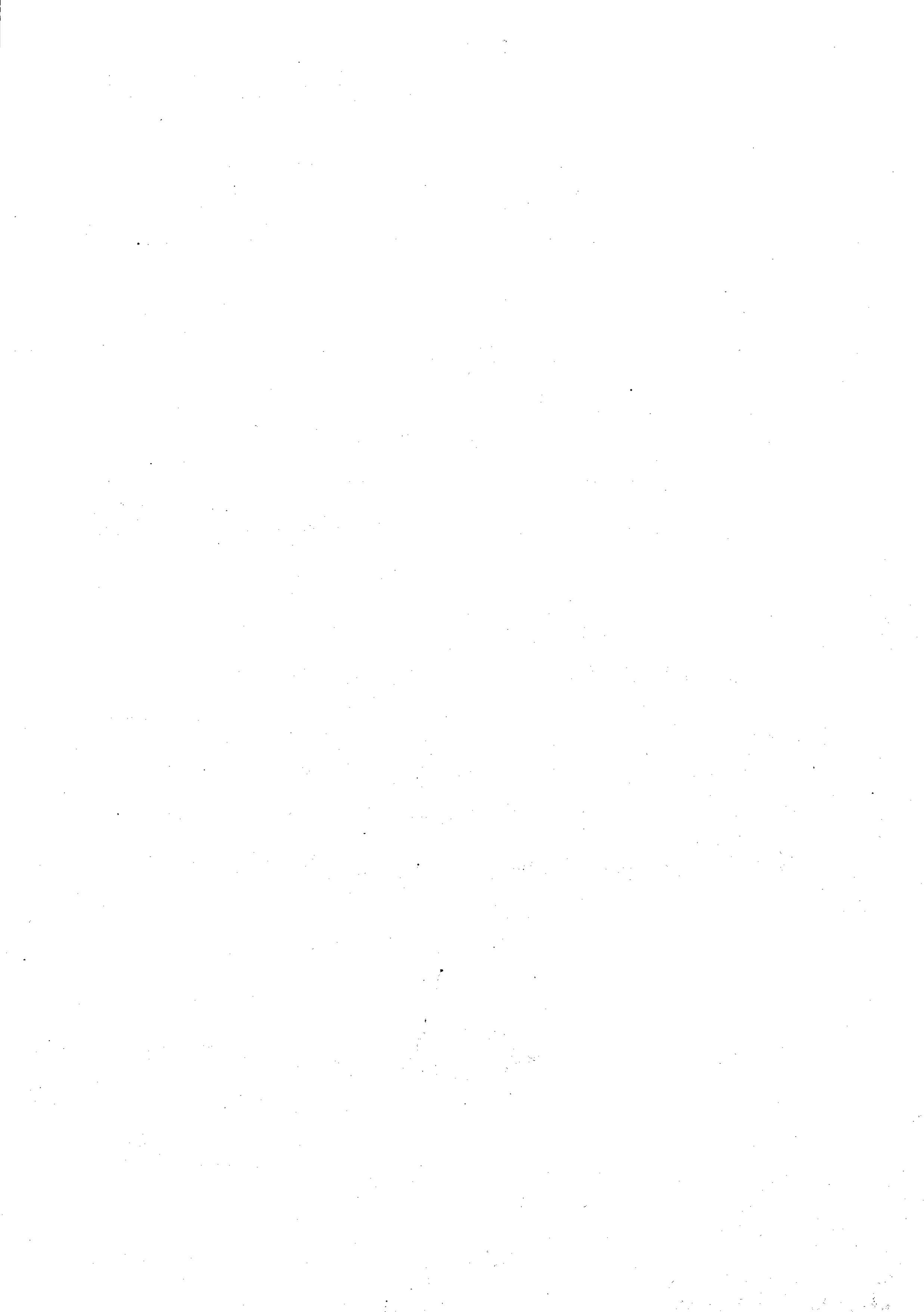
ولكي يعتصم الداعية من هذه اللوثات، ويبرأ إلى اللَّه من عُقباها أرشده النبي ﷺ أن يتوجه إلى اللَّه بهذا الدعاء:

«اللَّهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه»(١).

إن شر ما تصاب به الدعوات الربانية، هم أولئك المحتالون الذين يتخذونها قنطرة إلى مآربهم، وسلّمًا إلى مطامعهم، متوسلين بالقول المعسول، والحماس المفتعل، والملمس الناعم، وباطنهم خراب وأفئدتهم هواء.

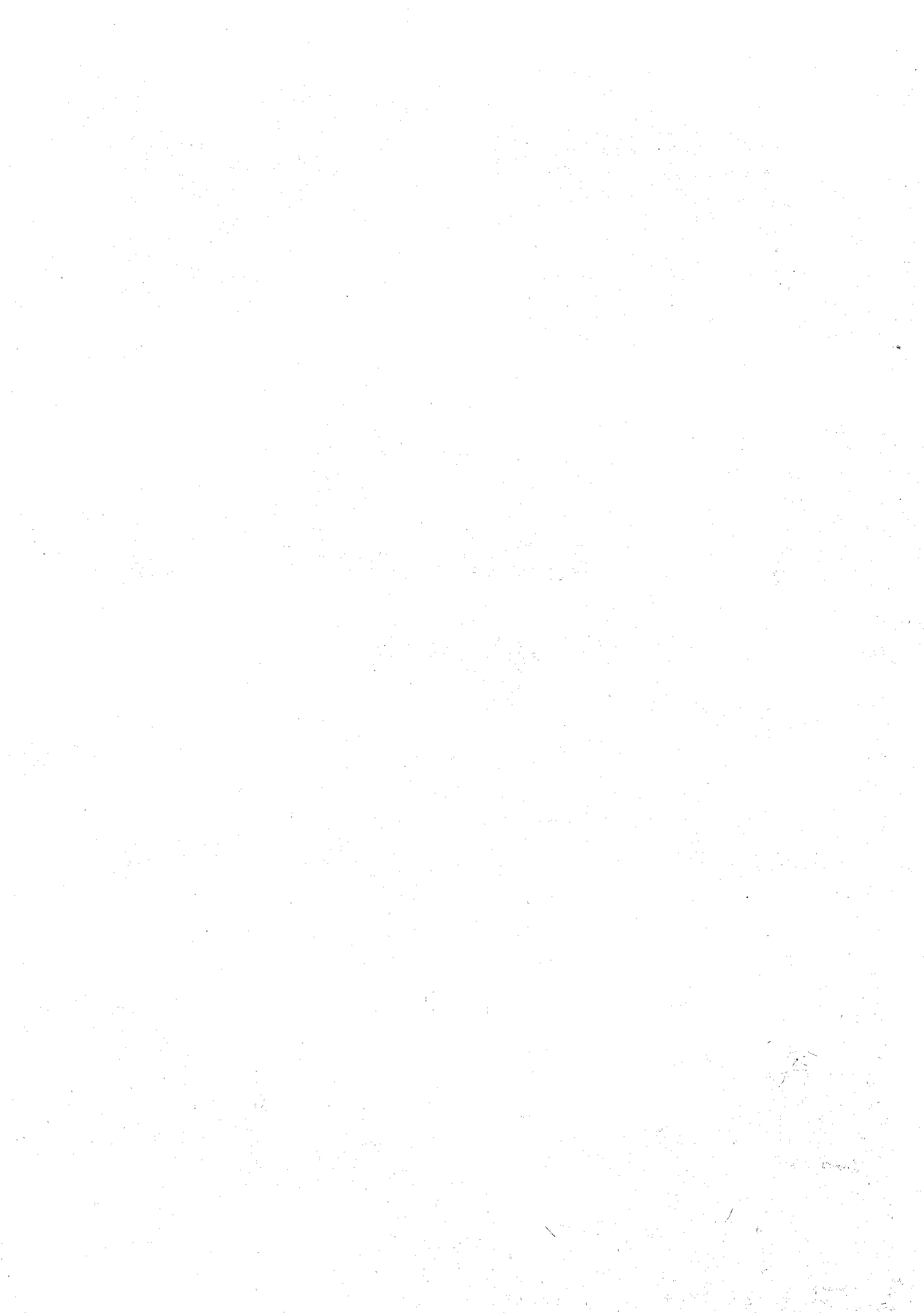
---

(١) «مع اللَّه» للشيخ محمد الغزالي (١٩٥ ـ ٢٠١) ـ دار القلم ـ دمشق.





مفاهيم خاطئة وتصحيحها



مفاهيم خاطئة وتصحيحها

* ما يتوهم أنه رياء وليس كذلك:

١ ـ حمد الناس للرجل على عمل الخير:

● عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قيل لرسول اللَّه ﷺ أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**» رواه مسلم.

٢ ـ نشاط العبد بالعبادة عند رؤية العابدين:

❑ قال المقدسي في «مختصر منهاج القاصدين» ص(٢٣٤): «قد يبيت الرجل مع المتهجدين، فيصلون أكثر الليل، وعادته قيام ساعة، فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط، فربما ظن ظان أن هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق، بل فيه تفصيل، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة اللَّه تعالى، ولكن تعوقه العوائق وتستهويه الغفلة فربما كانت مشاهدة الغير سببًا لزوال الغفلة، ثم قال: «ويختبر أمره بأن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه، فإن رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو للَّه، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء، وقس على هذا».

قلت: كسل المرء عند انفراده آت من باب قوله ﷺ: «**فإنما يأكل الذئب القاصية**»، ونشاطه داخل من باب امتثاله لقوله ﷺ: «**عليكم بالجماعة**».

٣ ـ طلب الإنسان لمنصب يجد أنّه أهلٌ له:

* كقول يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٤].

٤ ـ تحسين وتجميل الثياب والنعل ونحوه:

● ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر»**، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: **«إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»**.

٥ ـ عدم التحدث بالذنوب وكتمانها:

● وهذا واجب شرعًا على كل مسلم ولا يجوز المجاهرة بالمعاصي لقوله ﷺ: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره اللَّه عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر اللَّه»** متفق عليه.

والتحدث بالذنوب فيه مفاسد كثيرة منها التشجيع على ارتكاب المعاصي بين العباد، والاستخفاف بأوامر اللَّه تعالى، ومن ظن أن كتمان ذلك رياء والتحدث بالذنوب إخلاص فهو ممن قد لبّس عليه الشيطان نعوذ باللَّه منه.

٦ ـ اكتساب العبد الشهرة من غير طلبها:

❑ قال المقدسي في «مختصر منهاج القاصدين» ص(٢١٨): «المذموم طلب الإنسان الشهرة وأما وجودها من جهة اللَّه تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء»[1].

❑ قال الغزالي: «اعلم أن المذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة اللَّه سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم. نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم، فإنهم يتعلّقون به فيضعف عنهم فيهلك

---

(١) «الإخلاص» لحسين العوايشة ص(٢٧ ـ ٢٩).

معهم، وأما القويّ فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلّقوا به فينجيهم ويُثاب على ذلك»[١].

*** قصد المُكلّف المصالح التي أقرّ الشارع قصدها بالعبادة لا ينافي الإخلاص وليس من الرياء: (الفرق بين قاعدة الرياء في العبادة وبين قاعدة التشريك فيها):**

لقد فرّق القرافي - رحمه اللَّه تعالى - بين الرياء والتشريك في العبادة وبين هذه المسألة وجلاّها جلاء لم يُسبق إليه. فقال: اعلم أن الرياء شرك وتشريك مع اللَّه تعالى في طاعته، وهو موجب للمعصية والإثم والبطلان في تلك العبادة، كما نصَّ عليه المحاسبي وغيره، ويعضده وما في الحديث الصحيح، أخرج مسلم وغيره أن اللَّه تعالى يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته له أو تركته لشريكي**»، فهذا ظاهر في عدم الاعتداد عند اللَّه تعالى بذلك العمل.

* وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥]، يدلُّ على أنَّ غير المخلص للَّه تعالى غير مأمور به، وما هو غير مأمور به لا يجزئ عن المأمور به، فلا يعتد بهذه العبادة وهو المطلوب».

ثم قال: «وتحقيق هذه القاعدة وسرها وضابطها أن يعمل للعمل المأمور به المتقرب به إلى اللَّه تعالى، ويقصد به وجه اللَّه تعالى، وأن يعظمه الناس أو بعضهم، فيصل إليه نفعهم أن يندفع به ضررهم، فهذا هو قاعدة أحد مسمى الرياء، والقسم الآخر أن يعمل العمل لا يريد به وجه اللَّه ألبتة، بل الناس فقط، ويسمَّى هذا القسم رياء الإخلاص، والأول رياء الشرك».

وبين أن أغراض الرياء ثلاثة: التعظيم، وجلب المصالح، ودفع المضار

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٤٧).

الدنيوية، والأخيران يتفرعان على الأول، فإنه إذا عظم انجلبت إليه المصالح، واندفعت عنه المفاسد.

ثم قال: «هذا الغرض الكلي في الحقيقة، وأما مطلق التشريك كمن يجاهد لتحصيل طاعة اللَّه بالجهاد، وليحصل له المال من الغنيمة، فهذا لا يضره، ولا يحرم عليه بالإجماع؛ لأن اللَّه جعل له هذا في العبادة، ففرق بين جهاده ليقول الناس: هذا شجاع أو ليعظمه الإمام فيكثر عطاؤه من بيت المال، هذا ونحوه رياء حرام، وبين أن يجاهد لتحصيل السبايا والكراع والسلاح من جهة أموال العدو مع أنه قد شرّك، ولا يقال لهذا رياء بسبب أنّ الرياء أن يعمل ليراه غير اللَّه من خلقه والرؤية لا تصح إلا من الخلق، فمن لا يرى ولا يبصر لا يقال في العمل بالنسبة إليه رياء، والمال المأخوذ في الغنيمة ونحوه لا يقال إنّه يرى ويبصر، فلا يصدق على هذه الأغراض لفظ الرياء لعدم الرؤية فيها.

وكذلك من حجّ وشرّك في حجه غرض المتجر، ويكون جلّ قصوده كلّه السفر للتجارة خاصة، ويكون الحج إما مقصودًا مع ذلك، أو غير مقصود، ويقع تابعًا اتفاقًا، فهذا أيضًا لا يقدح في صحة الحج، ولا يوجب إثمًا ولا معصية. وكذلك من صام ليصحَّ جسده، أو ليحصل له زوال مرض من الأمراض التي ينافيها الصوم، ويكون التداوي هو مقصوده أو بعض مقصوده، والصوم مقصود مع ذلك، وأوقع الصوم مع هذه المقاصد، لا يقدح في صومه بل أمر بها صاحب الشرع في قوله: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنّه له وجاء**» أي: قاطع.

فأمر رسول اللَّه ﷺ بالصوم لهذا الغرض، ولو كان ذلك قادحًا لم يأمر به ﷺ في العبادة.

ومن ذلك أن يجدد وضوئه ليحصل له التبرد أو التنظيف.

قال: «وجميع هذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق بل هي لتشريك أمور من المصالح، ليس لها إدراك، ولا تصلح للإدراك، ولا للتعظيم، وذلك لا يقدح في العبادات».

وبعد هذا البيان قال: «فظهر الفرق بين قاعدة الرياء في العبادات وبين قاعدة التشريك فيها غرض آخر غير الخلق مع أن الجميع تشريك، نعم لا يمنع أن هذه الأغراض المخالطة للعبادة قد تنقص الأجر، وأن العبادة إذا تجردت عنها زاد الأجر وعظم الثواب، أما الإثم والبطلان فلا سبيل إليه ومن جهته حصل الفرق»[١]

* تحقيق القول في قصد المكلف المصالح التي أقر الشارع قصدها بالعبادة:

عدم إدراك بعض العلماء للفرق الذي وضحه القرافي أوقعهم في خطأ بيّن سبب إشكالاً عظيمًا، إذ حكموه على العبادات التي قصد بها العابد أمرًا أقره الشارع أو أمرًا يتحقق ضمنًا بالبطلان.

❑ فمن ذلك ما ذكره المؤلف من الصوم للتداوي أو لمن لا يستطيع الزواج، أو الوضوء تبردًا أو تنظفًا، ومن أمثلته انتظار الإمام المأموم بإطالة الركعة أو الركوع، والتجارة في الحج والغنيمة في الغزو.

❑ فقد نصّ ابن حزم - رحمه اللّه - في «المحلّى»[٢] على أنَّ الذي «خلط بنية الطهارة للصلاة نية التبرد، أو غير لك لم تجزه الصلاة بذلك الوضوء، برهان ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فمن مزج بالنيَّة التي أمر بها نيّة لم يؤمر بها فلم يخلص للّه تعالى

---

(١) «الفروق» (٣/ ٢٢).

(٢) «المحلى» (١/ ٧٦، ٧٧).

العبادة بدينه ذلك، وإذا لم يخلص فلم يأت بالوضوء الذي أمره اللَّه تعالى به».

☐ وممن ذهب هذا المذهب القرطبي، قال في «تفسيره»: «من تطهر تبردًا، أو صام محمًا لمعدته، ونوى مع ذلك التقرب، لم يجزه؛ لأنه مزج في نية التقرب نية دنياوية، وليس للَّه إلاّ العمل الخالص كما قال تعالى: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥].

واستدلّ في موضع آخر بآية سورة هود: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾ [هود: ١٥]، على أن من توضأ لتبرد، أو تنظف لا يقع قربة من جهة الصلاة، وهكذا كلّ ما كان في معناه[١] ».

☐ وحكى عدم إجزاء من قصد التبرد مع نيّة رفع الحدث النوويّ[٢] ، والحطاب[٣] ، وضعّفا القول بذلك.

وفي انتظار الإمام المأموم في الركعة والركوع: «قال بعضهم: أخاف أن يكون شركًا، وهو قول محمد بن الحسن[٤] ، وبالغ بعض أصحاب الشافعي فقال: إنه مبطل للصلاة»[٥] .

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ١٨٠)، (٩/ ١٤).

(٢) «المجموع» (١/ ٣٧٥).

(٣) «الحطاب» علي خليل (١/ ٢٣٥).

(٤) هو محمد بن الحسن الشيباني، سمع من أبي حنيفة ومالك والشافعي، والأوزاعي والثوري وأبي يوسف، وكان إمامًا في الفقه والعربية من كتبه: «المبسوط»، «الزيادات»، و«السير»، ولادته بواسط في العراق (١٣١هـ). ووفاته بالري (١٨٩هـ). راجع؛ «وفيات الأعيان» (١/ ٥٧٤).

(٥) «نيل الأوطار» (٣/ ١٤٧).

□ وقال النووي في «المجموع»: «قال أبو حنيفة ومالك والأوزاعي، وأبو يوسف والمزني وداود: لا ينتظر الإمام حال ركوعه القادم كي يدرك الركعة، واحتج لهؤلاء بعموم الأحاديث الصحيحة في الأمر بالتخفيف، وبأن فيه تشريكًا في العبادة...»[1]

ونقل المزني هذا القول عن الشافعي؛ لأن هذا الانتظار يشوب الإخلاص، ويذكر المزني أنه اطلع على رواية أخرى للشافعي يجيز ذلك، ومع هذا فقد رجح الأول[2] .

وفي التجارة في الحج يقول ابن العربي: «وأما ألا يتجر فيه فهو مذهب الفقراء «يقصد الصوفية» ألا تمتزج الدنيا بالآخرة، وهو أعظم للأجر وأخلص في النية». ومع ذلك فإن ابن العربي لم يذهب هذا المذهب، ولم يقل بقولهم، ونصَّ على مخالفته لهم في موضع آخر، قال: «والقصد إلى التجارة في الحج لا يكون شركًا، ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه، خلافًا للفقراء، أن الحج دون تجارة أفضل»[3] .

ولو انتبه هؤلاء العلماء الأعلام إلى القاعدة التي قررها القرافي، وأن هذا التشريك في العبادة لا يدخل في باب الرياء، لما وقعوا في هذا الاشكال الذي أوقع كثيراً من الناس في حيرة واضطراب.

ولقد وردت نصوص كثيرة تخالف ما ذهبوا إليه، ففي الحج يقول تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقد صحَّ عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن الآية نزلت عندما خاف المسلمون من الاتجار في أسواق الجاهلية في مواسم الحج، والحديث في «صحيح

---

(١) «المجموع» (٤/ ١٣٠).

(٢) «مختصر المزني» (١/ ١١٣).

(٣) «أحكام القرآن» (١/ ١١٨)، (١/ ١٣٦).

البخاري». وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ في «سنن أبي داود» بإسناد على شرط البخاري ومسلم: «إن النَّاس في أول الحج كانوا يتبايعون في منى وعرفات وذي المجاز ومواسم الحج، فخافوا البيع وهم حرم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج»[١] .

وقد عقد العز بن عبدالسلام في كتابه «قواعد الأحكام» فصلاً عنون له بقوله: «فصل في بيان أن الإعانة على الأديان وطاعة الرحمن ليست شركًا في عبادة الديّان وطاعة الرحمن»[٢] .

وقد جلّى ـ رحمه اللَّه ـ هذه المسألة فقال: «إن قيل: هل يكون انتظار الإمام المسبوق ليدركه في الركوع شركًا في العبادة أم لا؟ قلت: «القائل العز» ظن بعض العلماء ذلك، وليس كما ظنَّ، بل هو جمع بين قربتين لما فيه من الإعانة على إدراك الركوع وهي قربة أخرى والإعانة على الطاعات من أفضل الوسائل عند اللَّه.. وليس لأحد أن يقول هذا شرك في العبادة بين الخالق والمخلوق، فإن الإعانة على الخير والطاعة لو كانت شركًا ورياء، لكان تبليغ الرسالة وتعليم العلم والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر رياء وشركًا، وهذا لا يقوله أحد؛ لأن الرياء والشرك أن يقصد بإظهار عمله ما لا قربة به إلى اللَّه من نيل أغراض نفسه الدنية، وهو قد أعان على القرب إلى اللَّه، وأرشد عباده إليه. ولو كان هذا شركًا لكان الأذان وتعليم القرآن شركين، وقد جاء في الحديث الصحيح: أنَّ رجلاً صلى منفردًا فقال عليه السلام: «من يتجر على هذا»؟ وروي: «من يتصدق على هذا؟»[٣] . فقام رجل فصلى وراءه

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٥٨).

(٢) «قواعد الأحكام» (١/ ١٥١).

(٣) قال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٣٠): رواه الترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي.

ليفيده فضيلة الاقتداء، ولم يجعله عليه السلام رياء ولا شركًا لما فيه من إفادة الجماعة القربة إلى اللَّه تعالى»[١] .

وبين رحمه اللَّه استحباب الانتظار: «وإذا أحس الإمام بداخل وهو راكع فالمستحب أن ينتظره لينيله فضيلة إدراك الركوع، ولا يكون ذلك شركًا ولارياء، لأنه عليه السلام جعل مثله صدقة واتجارًا، وأمر به في جميع الصلوات، فكيف يكون رياء وشركًا، وهذا شأنه في الشريعة! ولا وجه لكراهية ذلك، ومن أبطل الصلاة به فقد أبعد، فليت شعري ماذا يقول في الانتظار المشروع في صلاة الخوف، هل كان شركًا ورياءً أو عملاً صالحًا للَّه تعالى؟!»[٢] .

● ومما يزيد الأمر وضوحًا أن الرسول ﷺ كان يقصّر الصلاة إذا سمع بكاء صبي مع عزمه في أولها على التطويل، ففي الحديث المتفق عليه أن الرسول ﷺ قال: «**إنّي لأدخل في الصلاة، وأنا أريدُ أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وَجْد أمه لبكائه**»[٣] .

❑ ومالك بن الحويرث[٤] كان يصلي بالناس ما يريد بصلاته إلا أن يعلِّم الناس[٥] .

وعقد المجد ابن تيمية[٦] في كتابه «المنتقى» بابًا قال فيه: «باب إطالة

---

(١) «قواعد الأحكام» (١/ ١٥١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال محقق «صحيح الجامع» (٢/ ٢٢٧٤): «رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه».

(٤) هو مالك بن الحويرث بن حشيش بن عوف أبو سليمان الليثي، صحابي نزل البصرة، وتوفي بها سنة (٧٤هـ)، راجع: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٥)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٣/ ٤).

(٥) «صحيح البخاري»: انظر «فتح الباري» (٢/ ١٦٣).

(٦) هو عبدالسلام بن عبداللَّه بن الخضر جد شيخ الإسلام ابن تيمية فقيه حنبلي أصولي =

الإمام الركعة الأولى، وانتظار من أحس به داخلاً، ليدرك الركعة».

وذكر فيه حديث أبي سعيد: «لقد كانت الصلاة تقام، فيذهب الذاهب إلى البقيع، فيقضي حاجته، ثم يتوضأ، ثم يأتي رسول اللَّه ﷺ في الركعة الأولى مما يطولها»[1].

وذكر حديث عبداللَّه بن أبي أوفى[2]: «أن النبي ﷺ كان يقوم في الركعة الأولى من الصلاة حتى لا يسمع وقع الأقدام»[3]. أفيجوز لعلامة مفسِّر كالقرطبي ـ غفر اللَّه له ـ بعد ذلك أن يقول: «إذا أحسّ برجل داخل في الركوع وهو إمام لم ينتظره؛ لأنه يخرج ركوعه بانتظاره عن كونه خالصًا للَّه تعالى؟!»[4].

الغنيمة في الحرب والتجارة في الحج تنقصان الأجر

ونحن مع قولنا بصحة حج من قصد التجارة في الحجِّ والغنيمة في الحرب إلا أننا نوافق من قال بأن أجر هؤلاء أقل من أجر غيرهم ممن لا يشتغل بشيء من ذلك.

● وهذا القول جاءت النصوص الصحيحة الصريحة التي لا تحتمل التأويل به، ففي الحديث: **«ما من غازية تغزو في سبيل اللَّه فيصيبون الغنيمة إلا**

= محدث، ولد بحران (٥٩٠هـ)، له: «المحرر في الفقه»، و«منتهى الغاية»، توفي سنة (٦٥٢هـ). راجع «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٢٧).

(١) رواه مسلم في «صحيحه» انظره بشرح النووي (٤/ ١٧٣).

(٢) هو عبداللَّه بن أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد بيعة الرضوان، وتوفي سنة (٨٦هـ)، بالكوفة، وهو آخر من توفي بها من الصحابة. راجع: «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٥١)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٢/ ٤١).

(٣) «رواه أبو داود (١/ ٢٩٥).

(٤) «تفسير القرطبي» (٥/ ١٨٠).

تعجلوا ثلثي أجرهم، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم»[١].

● وفي رواية: «**ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم، وما من غازية أو سريَّة تخفق أو تصاب إلا تمَّ أجورهم**»[٢].

فهولاء بنصّ الحديث خارجون بنية خالصة، فقد صرح بأنهم غازون في سبيل اللَّه، وأخبر أن الذين نالوا شيئًا من الغنيمة ينقص أجرهم وثوابهم، ولا يبطل مطلقًا، ذلك أن ما نالوه من غنيمة يعد ثوابًا دنيويًّا عاجلاً، وقد قال أحد الصحابة: «فمنَّا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، ومنا من اينعت له ثمرته، فهو يهد بها».

ولا تعارض بين ما دلَّ عليه حديث مسلم من نقصان أجر الذين غنموا وحديث البخاري ومسلم: «**انتدب اللَّه لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو علي ضامن، أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة**»[٣].

❑ أقول لا تعارض بينهما؛ لأن هذا الحديث دلَّ على أحد أمرين لمن رجع من الغزو سالمًا ولم يقتل: الأجر، أو الغنيمة، وحديث مسلم السابق ذكر حالاً ثالثة، وهي:

الغنيمة والأجر الناقص.

ولا نحتاج إلى تأويل ذلك لأن أحاديث الرسول ﷺ لا يضرب بعضها ببعض، بل يصدّق بعضها بعضا.

وقد فهم كثير من العلماء فهمنا هذا، فهذا الحافظ ابن رجب يقول:

---

(١) «صحيح مسلم» انظر: «مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٥١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر «العدّة» (٥/ ٥٠٥)، و«فتح الباري» (٦/ ٨).

«ان خالط نيّة الجهاد مثلاً نيّة، غير الرياء، مثل أخذ الأجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية»(١).

وعلى ذلك تحمل النصوص الدالة على بطلان أجر من قصد شيئًا من الغنيمة، على أن هؤلاء لم يقصدوا اللَّه بجهادهم، ولم يطلبوا ثوابه وإنما تمحض قصدهم لطلب الدنيا، وذلك كالحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ: **«من غزا في سبيل اللَّه ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى»**(٢).

وقوله ﷺ: **«ولم ينو»** فيه دلالة واضحة على أنَّ هذا هو قصده، ومطلبه، وقد فهم هذا الصحابي الجليل عبداللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - حيث يقول: «إذا أجمع أحدكم الغزو فعوضه اللَّه رزقًا، فلا بأس بذلك؛ وأما من أعطي درهمًا غزا، وإن لم يعط لم يغز، فلا خير في ذلك»(٣).

ومن ذلك الأرزاق التي يأخذها المجاهدون من بيت مال المسلمين لا تبطل أجر الجهاد، فهي حقٌّ للمقاتلين؛ وقد تكلم ابن تيمية - رحمه اللَّه - في هذا الموضوع بكلام نفيس فقال: «الجند ليسوا كالأجراء، وإنما هم جند اللَّه، يقاتلون في سبيل اللَّه عباده، ويأخذون هذه الأرزاق من بيت المال، ليستعينوا بها على الجهاد، وما يأخذونه ليس ملكًا للسلطان، وإنَّما هو مال اللَّه يقسمه ولي الأمر بين المستحقين، فمن جعلهم كالأجراء جعل جهادهم لغير اللَّه.

● وقد جاء في الحديث: **«مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون ما يعطون، مثل أم موسى ترضع ابنها وتأخذ أجرها»**(٤).

---

(١) «الدين الخالص» (٢/ ٢٨٣).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» كذا في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٩)، وانظر «مجمع الفوائد» وتخريجه (٢/ ١٨).

(٣) «الدين الخالص» (٢/ ٢٨٣).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ١٩).

□ وابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ في هذا يفرق: «بين من يكون الدِّين مقصوده والدنيا وسيلة، وبين من تكون الدنيا مقصوده والدين وسيلة، والأشبه أن هذا ليس له في الآخرة من خلاق كما دلت عليه نصوص ليس هذا موضعها»[1]][2] .

ما يُتوهَّم أنه إخلاص وليس كذلك

١ ـ قد يمتزج بالإخلاص شيء من حظوظ النفس، كالذي يُعَلّم ويشتغل بالتدريس ليفرح بلذة الكلام، أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلّم أسبابها، فهذا ليس من تمام الإخلاص للَّه تعالى.

٢ ـ وربماكره العبد الرياء، ولكنه عندما يتذكر أعماله ويثنى عليه، لا يقابل ذلك بالكراهة، بل يشعر بالسرور، ويشعر أن ذلك روّح عنه شيئًا من عناء العبادة، فهذا نوع دقيق من أنواع الشرك الخفيّ.

٣ ـ وقد يقع المرء بالرياء لا بإظهاره بالنطق تعريضًا أو تصريحًا، ولكن بالشمائل، كإظهار النحول، والصفار وخفض الصوت، وآثار الدموع وغلبة النعاس الدالة على طول التهجد.

٤ ـ وقد يختفي المرء بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه إذا رأى الناس أحب أن يبدؤوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وينشطوا في قضاء حوائجه ويسامحوه في المعاملة، ويوسّعوا له في المجلس، فإنْ قصّر في ذلك مقصّر، ثقل ذلك على قلبه كأنّ نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ٢٠).

(٢) هذا البحث برمّته منقول من «مقاصد المكلفين» للشيخ الأشقر ص(٤٥٠ ـ ٤٥٩).

٥ ـ قد يعتاد العبد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف نشط له وسهل عليه[١] .

٦ ـ إعجاب المرء بأعماله ورؤية الإخلاص الشديد فيها.

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**لو لم تكونوا تذنبون، لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك، العُجْب العُجب**»[٢] .

«من شاهد في إخلاصه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص».

٧ ـ ربما تحصل رغبة في استجابة دعوة الداعي إلى الطعام، لمعرفته أن الطعام بالتأكيد كما هو متعارف عليه في هذه الدعوات سيكون طيبًا وأفضل من طعام بيته في ذلك الوقت.

٨ ـ وربما تحصل رغبة في زيارة بعض إخوانه ممن يحبه حبًّا شديدًا في اللَّه تعالى، ولكن في نفسه شهوة خفية من نيّة الزيارة، بأن يستمتع على أصناف الشراب والطعام والحلوى التي تقدّم له.

٩ ـ قد يُدعى العبد لطعام أو يهدى هدية، فيتذكر أنه فعل ذلك بسبب إطعامه السابق للداعي، أو إهدائه الهدية له، ويفوته لحظة استحضار النية كسب مرضاة اللَّه تعالى.

١٠ ـ قد يقدم المرء أصناف الطعام والشراب لإمرئ كان قد دعاهُ من قبل، فيقدم أصناف الطعام ومختلف أنواع الشراب، على ضوء ما قدّم له أخوه أو يزيد، ولربما يهدي لأخيه هدية ثمنها مقارب ـ أو يزيد ـ لهدية أهديت له من أخيه.

---

(١) مع أن هناك نوعًا من الخلق، إنما ينشطون لما جعل اللَّه لجوّ الجماعة من تأثير إيماني وطرد للكسل والعجز وهو النفس. «الإخلاص» لحسين العويشة ص(٧٣).

(٢) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٦٥٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٣٠٣).

١١ ـ قد يحسن المرء أصناف الطعام والشراب عند دعوته لإخوته في اللَّه، ناظرًا لعادات الناس التي تقرِّر بخل من لم يقدِّم من صنف كذا وكذا.

أما إذا خشي حصول مفسدة، وفعل ذلك ليدفعها، فهذا لا ينافي الإخلاص للَّه سبحانه، ولكن ينبغي عليه ألا يستمِّر على هذا الحال[1] .

مفاهيم خاطئة للإخلاص

١ ـ زعمهم أنّ قصد النعيم الأخروي قادح في الإخلاص:

«قد بالغ بعض العلماء والعبّاد في تجريد القصد إلى اللَّه والتقرب إليه، حتى عدّوا طلب الثواب الأخروي الذي وعد اللَّه به عباده الصالحين قادحًا في الإخلاص، وهم وإن لم يقولوا ببطلان الأعمال التي قصد أصحابها الثواب الأخروي ـ إلا أنهم كرّهوا للناس العمل على هذا النحو، ووصفوا العامل رجاء حظّ أخروي بالرعونة، ووسموه بأجير السوء، مما جعل قلوب كثير من الذين يقرؤون كلامهم تحاذر أن تقصد هذا القصد، وتجاهد في ألا تنظر إلى ثواب الأعمال الأخروية.

وقد تناقل العلماء قول رويم في تعريف الإخلاص: «الإخلاص ألا يريد على عمله عوضًا في الدارين، ولا حظًّا من الملكين»[2] .

ووصفت رابعة العدوية الذي يعبد رجاء الجنّة وخوف النّار بأنّه أجير سوء حيث تقول: «ما عبدته خوفًا من ناره، ولا حبًّا في جنّته، فأكون كأجير السوء، بل عبدته حبًّا له وشوقًا إليه»[3] .

❑ ووصف الغزالي العاملين على هذا النحو بالبَلَه، بالإضافة إلى

(١) «الإخلاص» لحسين العوايشة ص(٧٣ ـ ٧٤).
(٢) «المجموع» (١/ ٣٠).
(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣١٠).

الوصف الذي وصفتهم به رابعة العدوية: «العامل لأجل الجنّة عامل لبطنه أو فرجه، كالأجير السوء - ودرجته درجة البله[١] ، وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله، وأما عبادة ذوي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر اللَّه تعالى والفكر فيه حبّا لجماله وجلاله.. وهؤلاء أربع درجة من الالتفات إلي المنكوح والمطعوم في الجنة..»[٢] .

وقرر شيخ الإسلام إسماعيل الهروي أن الرجا أضعف منازل المريدين ووسم العاملين على الرجا بالرعونة في مذهب المتصوفة: «الرجا أضعف منازل المريدين؛ لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة»[٣] .

وإذا نظرنا نظرة عجلى في كتاب ربّنا، وسنة نبيه ﷺ ، وفي سيرة الأنبياء والمرسلين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، فإننا نعلم علمًا قاطعًا أن ما ذهب إليه هؤلاء بعيد عن الصواب، مخالف لما جاءت به نصوص السنَّة والكتاب.

* لقد وصف اللَّه سادات المؤمنين بأنهم كانوا يعبدون اللَّه خائفين راجين: **﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾** [الإسراء: ٥٧].

* وعباد الرحمن الذين نسبهم إلى نفسه وأثنى عليهم في آخر سورة

---

(١) الأبله في الأصل: الرجل الأحمق الذي لا عقل له، ويُطلق ويراد به الذي غلب عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس؛ لأنهم أغفلوا دنياهم، وأقبلوا على آخرتهم «لسان العرب» (١/ ٢٦٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٧٥).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٧).

الفرقان يقولون: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

* والذين وسمهم بأنهم أولو الألباب يقولون: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٤].

* وخليل الرحمن إبراهيم يقول في دعائه: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٥-٨٧].

* وأثنى اللَّه على نبيّه زكريا ويحيى، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

● وجاء صحابي للرسول ﷺ يقول: «أما إني أسأل اللَّه الجنّة، وأعوذ به من النار، لا أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «حَولها نُدَندنْ»[1].

* وقد وصف اللَّه نعيم الجنة، ثم حثَّ على التنافس والتسابق في طلبه، فقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٤)، (٥/ ٧٤)، وأبو داود في كتاب «الصلاة» (١٢٤)، وابن ماجه في «الإقامة» (٢٦) وقال في «الزوائد»: إسناده صحيح.

* وما أكثر ما بيّن القرآن الثواب أو العذاب الأخروي لمن قام بعمل ما، كذلك الرسول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

* وحسبنا أن اللَّه قد عدّ القرآن مبشرًا ونذيرًا: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

* ووصف الرسول ﷺ بذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

❑ فكيف بعد أن ثبت أن دين اللَّه كلّه دعوة إلى العباد كي يطلبوا الجنة، ويهربوا من النار، وأن سادة المؤمنين من الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء كلّهم يطلبون الجنة، ويخافون النار ـ يستقيم قول من زعم أنّ الذي يعبد اللَّه طلبًا للجنة، وخوفًا من النّار كأجير السوء، أو أن العمل على ذلك من الرعونة، وأنه أضعف مراتب المريدين، وكيف يجوز للغزالي ـ غفر اللَّه له ـ أن يقول: «العامل لأجل الجنَّة عامل لبطنه وفرجه، كالأجير السوء ودرجته درجة البله»؟!.

✍ لا واللَّه، بل هؤلاء هم الأخيار الأبرار الأطهار الذين سماهم اللَّه بأولي الألباب، وهم الذين تلقوا علومهم عن اللَّه، وفقهوا عنه، وشمّروا لما دعاهم إليه، فهم أسعد الناس وخير الناس، وحاشاهم أن يكونوا كأجراء السوء، أو أهل رعونة وضعف»[1].

❑ قال ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩٣ ـ ٩٩٥): «طلب الجنة والاستعاذة من النار طريق أنبياء اللَّه ورسله، وجميع

---

(١) انظر: «مقاصد المكلفين» ص(٤٠٣ ـ ٤٠٧).

أوليائه السابقين المقربين، وأصحاب اليمين. . فقد أخبر أنه هو ﷺ ومعاذ - وهم من أفضل الأئمة الراتبين في المدينة في حياة النبي - إنما يدندنون حول الجنة، أفيكون قول أحد فوق قول رسول اللَّه ﷺ ومعاذ، ومن يصلي خلفهما من المهاجرين والأنصار! ولو طلب هذا العبد ما طلب كان في الجنة.

● وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ مرة صلى اللَّه عليه عشراً، ثم سلوا اللَّه لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل اللَّه لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي يوم القيامة»**[1].

✍ فقد أخبر أن الوسيلة - التي لا تصلح إلا لعبد واحد من عباد اللَّه ورجاء أن يكون هو ذلك العبد - هي درجة في الجنة، فهل بقى بعد الوسيلة شيء أعلى منها يكون خارجًا عن الجنة لا يصلح للمخلوقين؟!

● وفي حديث الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر قال ﷺ: **«فيقولون للرب تبارك وتعالى وجدناهم يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك»**. قال: **«فيقول: وما يطلبون؟ قالوا: يطلبون الجنة»**.

✍ فهؤلاء من أفضل أولياء اللَّه كان مطلوبهم الجنة.

❑ والنبي ﷺ لما بايع الأنصار ليلة العقبة، وكان الذين بايعوه من أفضل السابقين الأولين الذين هم أفضل من هؤلاء المشائخ كلهم، قالوا للنبي ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ولأصحابك قال: **«اشترط لنفسي أن تنصروني مما تنصرون منه أنفسكم وأهليكم، وأشترط لأصحابي أن تواسوهم»**، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: **«لكم الجنة»**. قالوا: مدّ يدك فواللَّه لا نقيلك، ولا

---

(١) «البخاري» في الأذان (٦١١)، و«مسلم» في الصلاة (٣٨٤/ ١١)، واللفظ لمسلم.

نستقيلك».

فهؤلاء الذي بايعوه من أعظم خلق اللَّه محبة للَّه ورسوله، وبذلاً لنفوسهم وأموالهم في رضا اللَّه ورسوله، على وجه لا يلحقهم فيه أحد من المتأخرين، قد كان غاية ما طلبوه بذلك الجنة، فلو كان هناك مطلوب أعلى من ذلك لطلبوه»(١).

❑ وآسية زوج فرعون التي كملت من النساء وهي فوق رابعة سألت ربها الجنة، فقالت: ﴿**رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**...﴾ لآية.

❑ ولقد غلط طوائف من المتصوفة والمتفقرة والمتبتلة حين قصروا الجنة على التنعم بالطعام والشرب والنكاح والتمتع بالمخلوق مع أنهم وافقوا السلف والأئمة على إثبات رؤية اللَّه والتنعم بالنظر إليه، وجعلوا يطلبون هذا النعيم وتسمو إليهم همتهم، ويخافون فوته، وصار أحدهم يقول: ما عبدتك شوقًا إلى جنتك، أو خوفًا من نارك، ولكن لأنظر إليك وإجلالاً لك، وأمثال هذه الكلمات، مقصودهم بذلك: هو أعلى من الأكل والشرب والتمتع بالمخلوق، لكن غلطوا في إخراج ذلك من الجنة، فأسقطوا حرمة اسم الجنة، ولزم من ذلك أمور منكرة؛ نظير ما ذكر عن الشبلي أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فصرخ وقال: أين مريد اللَّه؟ فيُحمد منه كونه أراد اللَّه؛ ولكن غلط في ظنه أن الذين أرادوا الآخرة ما أرادوا اللَّه. وقول الآخر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ فقال: فأين النظر إليه؟ والواجب أن يعلم أن كل ما أعده اللَّه للأولياء من نعيم بالنظر إليه وما سوى ذلك، هو في الجنة.

ومعلوم أن تمتعه بالنظر لا يتم إلا بسلامته من النار، وبتنعمه في الجنة،

---

(١) «ابن جرير» (١١/ ٢٧)، و«ابن كثير» (٤/ ١٥٥) ط الشعب.

وما لا يتم المطلوب إلا به فهو مطلوب، فيكون طلبه للنظر طلب للوازمه التي منها النجاة من النار.

والذين قالوا هذه المقالة أثّروا في المسلمين أثرًا سيئًا، فإن القلب إذا خلا من ملاحظة الجنة والنار، ورجاء هذه، والهرب من هذه، فترت عزائمه، وضعفت همته، ووهي باعثه، وكلّما كان أشدّ طلبًا للجنة وعملاً لها، كان الباعث له أقوى، والهمّة أشدّ، والسعي أتمّ.

□ وظنوا أن مسمى النار لا يدخل فيه إلا التعذيب بالمخلوقات فحسب، وقد عبّرت رابعة العدوية عن هذا الفهم بقولها:

كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ خَوفِ نَارٍ ... وَيَرَوْنَ النَّجَاةَ حَظًّا جَزِيلا

أَوْ بِأَنْ يَدْخُلُوا الجِنَانَ فَيَحْظَوْا ... بِنَعِيمٍ وَيَشْرَبُوا سَلْسَبِيلا

لَيْسَ لي فِي الجِنَانِ والنَّارِ حَظٌّ ... أَنَا لا أَبْتَغِي بِحِبي بَدِيلا

□ وهذا ـ كما يقول ابن تيمية ـ قصور وتقصير منهم عن فهم مسمّى الجنة والنار، فكلّ ما أعدّه اللَّه لأوليائه فهو من الجنَّة، والنظر إليه تعالى هو من الجنَّة، ولهذا كان أفضل الخلق يسأل اللَّه الجنَّة، ويعوذ به من النَّار.

● فالجنة دار الرحمة الخالصة، والنار دار العذاب الخالص، وأعظم نعيم يناله أهل الجنة وأعلاه النظر إلى وجهه تعالى، كما في «صحيح مسلم»، أن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند اللَّه موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيّض وجوهنا؟ ألم يثقل موازيننا، ويدخلنا الجنَّة، وينجينا من النَّار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إليه»**(١) .

* وأعظم عذاب في النار هو حرمان أهل النار من هذا النّعيم العظيم:

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه».

﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥][١] .

٢ ـ زعمهم أن تجرّد الإنسان عن إرادته هو الذي يُحقّق الإخلاص :

❑ يرى بعض المتصوفة أن الإخلاص لا يتحقق إلا إذا تجرّد الإنسان عن إرادته فيعرّف الجرجاني المريد بأنه المجرد عن الإرادة، وينقل عن محيى الدين ابن عربي أنه قال في«الفتح المكي»: «المريد من انقطع إلى اللَّه عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته»، وعلَّل مقالته هذه بأن المريد: «يعلم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده اللَّه تعالى، لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق»[٢] .

وفي موضع آخر يعرف الجرجاني المريد بأنه: «المتجرد عن إرادته»، وينقل عن أبي حامد بأنه عرف المريد بقوله: «هو الذي فتح له باب الأسماء، ودخل إلي جملة المتوصلين إلى اللَّه تعالى بالاسم»[٣] .

وذكر الجرجاني مرتبة فوق ذلك عنده، فقد عرَّف المريد بأنه «عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له، فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة»[٤] .

❑ ووضح الغزالي هذا في «الإحياء»، فقال: «النيّة إنما مبدؤها من الإيمان، فالمؤمنون يبدأ لهم من إيمانهم ذكر الطاعة، فتنهض قلوبهم إلى اللَّه من مستقر النفس، فإن قلوبهم من نفوسهم، وذلك النهوض هو النيّة»، ثم بيّن أن أقوامًا لا يحتاجون إلى النيّة؛ لأنهم صاروا إلى حال فوق ذلك، فقال: «وأهل اليقين جاوزوا هذه المنزلة، وصارت قلوبهم مع اللَّه مزايلة

(١) «مقاصد المكلفين» ص(٤٠٧ ـ ٤٠٨).
(٢) «التعريفات» للجرجاني ص(١٨٤).
(٣) المصدر السابق ص(٢٣٤).
(٤) المصدر السابق.

لنفوسهم بالكلية، ففرغوا من أمر النيّة، إذ هي النهوض، فنهوض القلب من معدن الشهوات والعادات إلى اللَّه تعالى بأن يعمل طاعة وهو بنيّة، والذي صار قلبه في الحضرة الأحديَّة مستغرقًا محال أن يقال نهض إلى اللَّه في كذا وهو ناهض بجملته مستغرق في جزيل عظمته، قد رفض ذلك الوطن الذي كان موطنه وارتحل إلى اللَّه»[1].

❑ يقول ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩٢): «قد يغلطون في ظنهم أنهم يعبدون اللَّه بلا حظ ولا إرادة، وأن كل ما يُطلب منه فهو حظ النفس، وتوهّموا أن البشر يعمل بلا إرادة ولا مطلوب ولا محبوب، وهو سوء معرفة بحقيقة الإيمان والدين والآخرة.

وسبب ذلك أن همة أحدهم المتعلقة بمطلوبه ومحبوبه ومعبوده تفنيه عن نفسه، حتى لا يشعر بنفسه وإرادتها، فيظن أنه يفعل لغير مراده».

❑ وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ قدّس اللَّه روحه ـ: «افن عن الخلق بحكم اللَّه، وعن هواك بأمره، وعن إرادتك بفعله، فحينئذ يصلح أن تكون وعاءً لعلم اللَّه»[2].

❑ قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٧٨): «والشيخ عبدالقادر، ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمرًا بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمرًا بترك الهوى والإرادة النفسية، فإن الخطأ في الإرادة من حيث هي إرادة إنما تقع من هذه الجهة، فهو يأمر السالك ألا تكون له إرادة من جهة هواه أصلاً، بل يريد ما يريده الرب عز وجل: إما إرادة شرعية إن تبيّن له ذلك، وإلاّ جرى مع

---

(١) «الإحياء».

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٧٩).

الإرادة القدرية، فهو إما مع أمر الرب، وإما مع خلقه، وهو سبحانه له الخلق والأمر. وهذه طريقه شرعية صحيحة».

وتكلّم مرة ثانية عن كلام الشيخ عبدالقادر السابق ذكره فقال: «قال الشيخ - رضي اللَّه عنه - وعلامة فناء إرادتك بفضل اللَّه أنك لا تريد مرادًا قط، فلا يكن لك غرض، ولا تقف لك حاجة ولا مرام؛ لأنك لا تريد مع إرادة اللَّه سواها، بل يجري فعله فيك فتكون أنت إرادة اللَّه وفعله، ساكن الجوارح، مطمئن الجنان، مشروح الصدر، منوّر الوجه، عامر الباطن، غنيًّا عن الأشياء بخالقها، تقلبك يد القدرة، ويدعوك لسان الأزل، ويعلم رب المُلك ويكسوك نورًا منه والحلل، وينزلك منازل من سلف من أولي العلم الأول، فتكون منكسرًا أبدًا، فلا تثبت فيك شهوة ولا إرادة: كالإناء المتثلم الذي لا يثبت فيه مائع ولا كدر فتفنى عن أخلاق البشرية، فلن يقبل باطنك ساكنًا غير إرادة اللَّه، فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات فيرى ذلك منك في ظاهر العقل والحكم وهو فعل اللَّه تبارك وتعالى حقًّا في العلم فتدخل حينئذ في زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كُسِرت إرادتهم البشرية، وأُزيلت شهواتهم الطبيعية واستوثقت لهم إرادات ربانية وشهوات إضافية. كما قال النبي ﷺ: **«حُبِّب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**، فأضيف ذلك إليه بعد أن خرج منه وزال عنه، قال اللَّه تعالى: **«ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل»**[1].

قلت: هذا المقام هو آخر ما يشير إليه الشيخ عبد القادر - رضي اللَّه عنه - وحقيقته أنه لا يريد كون شئ إلاّ أن يكون مأمورًا بإرادته. فقوله: علامة فناء إرادتك بفعل اللَّه أنك لا تريد مرادًا قط، أي لا تريد مرادًا لم

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «سننه» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٢٤).

تُؤمر بإرادته، فأما ما أمرك اللَّه ورسوله بإرادتك إياه، فإرادته إما واجب وإما مستحب، وترك إرادته هذه إما معصية وإما نقص.

✍ وهذا الموضوع يلتبس على كثير من السالكين، فيظنون أن الطريقة الكاملة ألاّ يكون للعبد إرادة أصلاً، وأن قول أبي يزيد: أريد ألا أريد ـ لما قيل له: ماذا تريد؟ نقص وتناقض؛ لأنه قد أراد، ويحملون كلام المشائخ الذين يمدحون بترك الإرادة على ترك الإرادة مطلقًا، وهذا غلط منهم على الشيوخ المستقيمين وإن كان من الشيوخ من يأمر بترك الإرادة مطلقًا فإن هذا غلط ممن قاله، فإن ذلك ليس بمقدور ولا مأمور.

✍ فإن الحي لابد له من إرادة، فلا يمكن حيًّا إلا أن تكون له إرادة، فإن الإرادة التي يحبها اللَّه ورسوله ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر استحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة، وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركًا لما هو خير منه.

واللَّه تعالى ـ قد وصف الأنبياء والصديقين بهذه الإرادة، فقال تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

✍ وإخلاص الدين هو إرادته وحده بالعبادة.

ومثل هذا كثر في القرآن؛ يأمر اللَّه بإرادته وإرادة ما يأمر به، وينهى

عن إرادة غيره، وإرادة ما نهى عنه.

✍ فهما إرادتان: إرادة يحبها اللَّه ويرضاها، وإرادة لا يحبها اللَّه ولا يرضاها؛ بل إمّا نهى عنها، وإما لم يأمر بها، ولا ينهي عنها.

✍ والناس في الإرادة ثلاثة أقسام:

قوم يريدون ما يهوونه، فهؤلاء عبيد أنفسهم والشيطان.

وقوم يزعمون أنهم فرغوا من الإرادة مطلقًا، ولم يبق لهم مراد إلا ما يقدره الرب، وإن هذا المقام هو أكمل المقامات، ويزعمون أن من قام بهذا فقد قام بالحقيقة، وهي الحقيقة الكونية، وأنه شهد القيومية العامة، ويجعلون الفناء في توحيد الربوبية هو الغاية، وقد يسمون هذا الجمع والفناء والاصطلام، ونحو ذلك. وكثير من الشيوخ زلقوا في هذا الموضع»[1] .

الفناء الحق:

والفناء كلمة لم تأت في الكتاب ولا في السُّنّة وهي تحتمل حقًّا وباطلاً:

والفناء الذي يوجد في كلام الصوفية يُفسَّر بثلاثة أمور:

أحدها: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب، والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك فهذا حق صحيح، وهو محض التوحيد والإخلاص، وهو في الحقيقة عبادة القلب، وتوكله واستعانته، وتألهه وإنابته وتوجهه إلى اللَّه وحده لا شريك له، وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال، وليس لأحد خروج عن هذا، وهذا هو القلب السليم الذي قال اللَّه فيه: ﴿**إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٩]، وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة، وما يتبع ذلك.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢).

وهذا الفناء لا ينافيه البقاء، بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانيًا عن إرادة ما سواه، وإن كان شاعرًا باللَّه وبالسوى، وترجمته قول: لا إله إلا اللَّه... وهذا في الجملة هو أول الدين وآخره»[1] . وهذا حق وهو فناء الكاملين.

الأمر الثاني: «فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فذاك فناء عن الإرادة، وهذا فناء عن الشهادة، ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه، فهذا الفناء فيه نقص، فإن شهود الحقائق على ما هي عليه، وشهود الرب مدبرا، آمرًا بشرائعة، أكمل من شهود وجوده، أو صفة من صفاته، أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك»[2] .

✍ وهذا يحصل لكثير من السالكين، سبب ذلك فرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر اللَّه ومحبته وعبادته وضعفها أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد، إذا قوى هذا الفناء ضعف المحب حتى يضطرب في تمييزه فقد يظن أنه هو محبوبه.

✍ والصحابة وكبار الربانيين لم يظنوا هذا الفناء فضلاً عمن فوقهم من الأنبياء وهم أكمل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانية.

الثالث: الفناء عن وجود السوى: بمعنى أنه يرى أن اللَّه هو الوجود، وأنه لا وجود لسواه، لابه ولا بغيره، وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني، والتلمساني والقونوني... يريدون أنه هو عين الموجودات فهذا كفر وضلال»[3] .

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٩٦).

(٢) المصدر السابق (١٠/١٩٦).

(٣) المصدر السابق (١٠/١٩٨ ـ ١٩٩).

✍ وهذا فناء المنافقين والملحدين.

٣ - زعمهم أن الإخلاص لا يتحقق إلا بالتجرّد عن النزعات والميول الفطرية:

زعم هؤلاء أن الإخلاص لا يتحقق إلا بإخماد الصفات البشرية والتجرد عن النزعات الفطرية، ومجانبة الدواعي النفسية.

❑ قال الحارث المحاسبي: «إنما أُمِر العبّاد بمجاهدة أهوائهم، ولم يؤمروا ألاّ يكون في النفس غريزة تدعوة إلى شهوة»[1].

❑ يقول الشاطبي: «الأوصاف التي طبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطالب برفعها، ولا بإزالة ما غرز في الجبلة منها، فإنّه من تكليف ما لا يطاق، كما لا يطالب بتحسين ما قبح من خلقة جسمه، ولا تكميل ما نقص منها، فإنّ ذلك غير مقدور للإنسان، ومثل هذا لا يقصد الشارع طلبًا له، ولا نهيًا عنه»[2].

✍ وما يصيب العبد من غفلته عن الآخرة حال ملابسته للدنيا فذلك أمر من الصعب أن يتخلص من الإنسان، وقد عانى من هذه الحال حنظلة الأسيدي أحد كتاب الوحي، قال: كنا عند النبي ﷺ فذكّرنا الجّنة والنّار، حتى كأنَّا رأْي عين، فقمت إلى أهلي وولدي، فضحكت، ولعبت، فذكرت الذي كنا فيه فخرجت، فلقيت أبا بكر، فقلت: نافقت يا أبا بكر، فقال: وما ذاك؟، قلت: نكون عند النبي ﷺ يذكرنا الجنة والنار رأي عين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا.

فقال أبو بكر: إنّا لنفعل ذلك، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك،

---

(١) «الرعاية» للمحاسبي ص(٢٠٨).

(٢) «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٧٦).

فقال: «**يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي الطريق، يا حنظلة ساعة وساعة**»[١] .

✍ وقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن التبتل، وقال لعثمان بن مظعون: «**يا عثمان! أرغبت عن سنتي؟ فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق اللَّه يا عثمان! فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصلّ ونم**»[٢] .

● وعن أنس قال: جاء ثلاثة رهط[٣] إلى بيوت أزواج النبي ﷺ - يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا، كأنهم تقالُّوها[٤] ، قالوا: فأين نحن من رسول اللَّه ﷺ وقد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أمّا أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء، ولا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول اللَّه ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللَّه إنّي لأخشاكم للَّه، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٥] .

* * *

---

(١) رواه مسلم والترمذي، وأبو نعيم والطبراني.

(٢) صحيح: رواه أبو داود عن عائشة، وصححه الألباني في «الأرواء» (٥/ ٢٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٩٤٦).

(٣) الرّهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة.

(٤) تقالّوها: كأنهم استقلوا ذلك الفعل لأنفسهم.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك.





حُكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به



حُكْم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

✍ للغزالي بحث نفيس نورده ونورد غيره ممن يخالفه.

❑ يقول - رحمه اللَّه - في «الإحياء» (٣/٣١٨ - ٣١٩):

«هي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال، وإما في المآل.

فالمحرك الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث، والفرض الباعث هو المقصد المنوي، والانبعاث هو القصد والنية.

وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل، إلا أنّ انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكوت بباعثين اجتمعا في فعل واحد قاصراً عنه إلا بالاجتماع؟ وقد يكون أحدهما كافيًا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضداً له ومعاونًا. فيخرج من هذا القسم أربعة أقسام: فلنذكر لكل واحد مثالاً واسمًا.

الأول: فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد، كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه، فلا مزعج له إلا غرض الهرب من السبع، فإنه رأى السبع وعرفه ضاراً فانبعثت إلى الهرب ورغبت فيه، فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث، فيقال: نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام لغيره، وهذه النية تسمى خالصة، ويسمى العمل بموجبها «إخلاصًا» بالإضافة إلى الغرض الباعث، ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وممازجته.

وأما الثاني: فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالإنهاض لو

انفرد. ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيًا في الحمل لو انفرد. ومثاله في غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته، وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة، وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر، وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غني يرغب في قضاء حاجته، وفقير أجنبي فيرغب أيضًا فيه. وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة فكان يترك الطعام حمية، ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة، وقد اجتمعا جميعًا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا «مرافقة للبواعث».

والثالث: أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على إنهاض القدرة، ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل مالا ينفرد أحدهما به، ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب درهمًا فلا يعطيه، ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهمًا فلا يعطيه، ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه، فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر. وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب، ولغرض الثناء، ويكون بحيث لو كان منفردًا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء، ولو كان الطالب فاسقًا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء، ولو اجتمعا أورثا بمجموعهما تحريك القلب. ولنسم هذا الجنس «مشاركة».

والرابع: أن يكون أحد الباعثين مستقلاً لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل، ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل. ومثاله في المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل، ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل، فإنّ ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر

في تخفيفه. ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات، فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس، فصار الفعل أخف علة بسبب مشاهدتهم، وعلم من نفسه أنه لو كان منفردًا خاليًا لم يفتر عن عمله، وعلم أنّ عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه، فهو شوب تطرق إلى النية. ولنسم هذا الجنس «المعاونة».

✍ فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقًا أو شريكًا أو معينًا.

حكم العمل المشوب:

هل كل عمل خالطه قصد الرياء يعدُّ باطلاً؟

لم تتفق نظرة العلماء في هذا الموضوع، فالصنعاني ينظر إلى القصد هل تمحض للرياء أم صاحبه قصد الثواب، وفي الحالة الثانية: هل كانت إرادة الثواب أرجح أو أضعف أو مساوية[1] ؟

✍ وهو بذلك يضع أمامنا أربع صور لا يعطيها حكمًا واحدًا، والصورة الأولى لا أظن أحدًا من العلماء خالف في الحكم عليها بالبطلان، وهي الحالة التي لا يقصد فيها العابد الثواب، إنّما قصده كلّه أن ينال منزلة ومحمدة عند الناس.

✍ وقد سمّى ابن رجب هذا النوع من الرياء بالرياء المحض، وهذا يقع من المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

✍ ويرى ابن رجب أن هذا النوع من الرياء لا يكاد يقع من مؤمن باللّه واليوم الآخر في فرض الصلاة والصوم، وأنه قد يقع في الصدقة الواجبة أوالحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإنّ الإخلاص

(١) «سبل السلام» للصنعاني (٤/ ١٨٥).

فيها عزيز.

ويقول ابن رجب في هذا: «العمل على هذا النحو لا يشك مسلم أنَّه حابط، وأن صاحبه يستحقُّ المقت من اللَّه والعقوبة»[١].

وقد سمى الحارث المحاسبي هذا النوع من الرياء: الرياء الأعظم والأشد، وقد قال فيه: «الوجه الذي هو أشد الرياء وأعظمه، إرادة العبد العباد بطاعة اللَّه عز وجل، لا يريد اللَّه عز وجل بذلك»[٢].

وقال الغزالي في هذا النوع: «أما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعًا، وهو سبب المقت والغضب».

أما الصور الثلاثة الأخرى قصد الرياء مصحوبًا بقصد الثواب، وإنما كانت الصور ثلاثة لأن إرادة الثواب قد تكون أرجح، وقد يكون قصد الرياء أرجح، وقد يتساويان.

والصنعاني هنا يتابع الغزالي في النظر إلى قدر قوة الباعث[٣]: «فإن كان الباعث الديني مساويًا الباعث النفسي تقاوما وتساقطا، وصار العمل لا له ولا عليه. وأن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع، وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب؛ نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء، ولم يمتزج به شائبة التقرب. وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني».

قال الغزالي:

«اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه اللَّه بل امتزج به شوب من

(١) «الدين الخالص» (٢/ ٣٨٢).

(٢) «الرعاية» للمحاسبي ص(١٣٥).

(٣) «الإحياء».

الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أنّ ذلك هل يقتضي ثوابًا أم يقتضى عقابًا، أم لا يقتضى شيئًا أصلاً فلا يكون له ولا عليه؟

✍ أما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعًا وهو سبب المقت والعقاب.

✍ وأما الخالص لوجه اللّه تعالى فهو سبب الثواب. وإنما النظر في المشوب، وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له. وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه.

✍ والذي ينقدح لما فيه - والعلم عند اللّه - أن ينظر إلى قدر قوّة الباعث. فإن كان الباعث الديني مساويًا للباعث النفسي تقاوما وتساقطًا وصار العمل لا له ولا عليه.

✍ وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضرّ ومفض للعقاب. نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرّد للرياء، ولم يمتزج به شائبة التقرّب.

✍ وإن كان قصد التقرّب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني؛ وهذا لقوله تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ** ﴿٧﴾ **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، ولقوله تعالى﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا** ﴾ [النساء: ٤٠]، فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير، بل إن كان غالبًا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة، وإن كان مغلوبًا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد.

✍ وكشف الغطاء عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها. فداعية الرياء من المهلكات، وإنما غذاء هذا المهلك وقوّته العمل على وِفْقه. وداعية الخير من المنجيات وإنما قوّتها بالعمل على وفقها. فإذا اجتمعت

الصفتان في القلب فهما متضادتان، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوّى تلك الصفة، وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرّب فقد قوّى أيضًا تلك الصفة، وأحدهما مهلك والآخر منج، فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما، وكان كالمستضر بالحرارة إذ تناول ما يضره ثم تناول من المّبردات ما يقام قدر قوته، فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما.

✍ وإن كان أحدهما غالبًا لم يخل الغالب عن آثر، فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والأدوية، ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنّة اللَّه تعالى، فكذلك لا يضيع مثقال ذّرة من الخير والشر، ولا ينفك عن تأثيره في إنارة القلب وتسويده، وفي تقريبه من اللَّه أو إبعاده، فإن جاء بما تقرّبه شبرًا مع ما يبعده شبرًا واحدًا فضل له لا محالة شبر، وقد قال النبي ﷺ: **«أتبع السيئة الحسنة تمحها»**، فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه، فإذا اجتمعا جميعًا فلابد وأن يتدافعا بالضرورة. ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجًا ومعه تجارة صحَّ حجّه وأثيب عليه، وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس. نعم يمكن أن يقال: إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص، وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة، ولكن الصواب أن يقال: مهما كان الحج هو المحرّك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع، فلا ينفكّ نفس السفر عن ثواب ما.

وعندي: أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم، وبين جهة لا غنيمة فيها، ويبعد أن يُقال: إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم. بل العدل أن يُقال: إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القويّ هو إعلاء كلمة اللَّه تعالى، وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب. نعم لا يساوي ثوابه من لا يلتفت

قلبه إلى الغنيمة أصلاً؛ فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة.

✍ فإن قلت: فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب، وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ، فنقول: هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا، كقوله: «من هاجر يبتغي شيئًا من الدنيا»، وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام، ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها، وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي، وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه، فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب، ثم إن الإنسان عند الشركة أبدًا في خطر، فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالاً، ولذلك قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ أي: لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط، ويجوز أن يقال أيضًا: منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الغزو. وبعيد أن يقال: من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه إلى مجرد الغزو - وإن لم يكن غنيمة - وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية، والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء - لإعلاء كلمة اللّٰه وللغنيمة - لا ثواب له على غزوه ألبتة، ونعوذ باللّٰه أن يكون الأمر كذلك فإن هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين؛ لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور، فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب، فأما أن يكون في إحباطه فلا. نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى اللّٰه ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي، وذلك مما يخفي غاية الخفاء. فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في

الاحتياط، فلذلك ينبغي أن يكون أبدًا بعد كمال الاجتهاد مترددًا بين الرد والقبول خائفًا أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها. وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر، وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة.

❑ ولذلك قال سفيان ـ رحمه اللَّه ـ : «لا أعتدّ بما ظهر من عملي».

❑ وقال عبد العزيز بن أبي روّاد: «جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال اللَّه تعالى إلا وحاسبت نفسي، فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب اللَّه، ليته لا لي ولا علي».

✍ ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص، ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعًا، وقد حكي أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويحمق في أعماله، فتكلم أبو سعيد في الإخلاص يومًا ـ يريد إخلاص الحركات ـ فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص، فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك، فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص، وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها، فقال أبو سعيد: لا تفعل إذ الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص، فما قلت لك: اترك العمل، وإنما قلت لك: أخلص العمل.

❑ وقد قال الفضيل: «ترك العمل بسبب الخلق رياء، وفعله لأجل الخلق شرك»[1].

✍ هذا خلاصة مذهب الذين اتجهوا للنظر في قوة الدافع.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٣٤ ـ ٣٣٦).

* **الرد على أصحاب هذا المذهب :**

«قد يبدو للوهلة الأولى أن هذا المذهب مذهب قوي، وأنّ ما اعتمدوا عليه أمر منطقي».

ولكننا حين نمعن التأمل فيه نجده غير صواب، فالغزالي ـ رحمه اللَّه ـ ينظر إلى قوة الدافع، فالدافع يستحوذ بالعمل، ونحن نقول: إن قصد الرياء يفسد الإخلاص ويحبط العمل، وإن كان قليلاً، وهذا له أمثلة في الأمور المحسوسة، فهناك قطرة صغيرة من القذارة قد تفسد جو منزل بأكمله، لخبث رائحتها، وقطرة من السم قد تفسد الطعام الكثير، وقد ورد في بعض النصوص أنه لو قدّر أن تسقط قطرة من طينة الخبال ـ عصارة أهل النار التي هي شرابهم ـ في أرضنا هذه فإننا لا نستطيع البقاء، لأنها ستملأ المشارق والمغارب خبثًا.

✍ فالقضية ينبغي أن ينظر إليها من زاوية أخرى، هي أنّ الرياء يفسد الإخلاص؛ وبالتالي يبطل العمل الصالح، وقد دلَّت النصوص على أن الأعمال لا تقبل ما لم تكن خالصة يبتغي بها اللَّه وحده.

✍ وحمل الغزالي لهذه النصوص الدالة على بطلان العمل المشوب بالرياء، على الرياء المحض الذي لم يقصد فيه الثواب أصلاً، بعيد وبعيد جدًا.

فالثلاثة الذين هم أول من يقضي فيهم اللَّه حكمه، وأول من تسعر بهم النار، وهم: المجاهد، وقارئ القرآن، والمنفق، هل يعقل أنهم كانوا لا يقصدون القربة مطلقًا؟!

وقد ورد أكثر من حديث ينص على أن الرياء شرك والمشرك لا يقبل عمله.

✍ وقد عدَّ القرطبي الرياء أحد أقسام الشرك الثلاثة مبطلاً للأعمال،

قال: «ويلي الرتبة[١] الإشراك في العبادة وهو الرياء، وهو أن يفعل شيئًا من العبادات التي أمر اللَّه بفعلها بغيره، وهذا الذي سيقت الآيات والأحاديث لبيان تحريمه، وهو مبطل للأعمال، وهو خفي لا يعرفه كلُّ جاهل غبي»[٢] .

✍ وممن ذهب هذا المذهب الحارث المحاسبي، فهو يعدّه شركًا محبطًا للعمل، يقول في الرعاية: «إرادة العباد بطاعة اللَّه عز وجل وإرادة ثواب اللَّه عز وجل يجتمعان في القلب، والإرادتان: إرادة المخلوقين، وإرادة الثواب، وهو أدنى الرياء، وهو الشرك بالإرادة في العمل؛ لأنه أراد اللَّه والناس، فأشرك في عمله بطلب حمد اللَّه ـ عز وجل ـ وطلب حمد المخلوقين»[٣] .

وأورد الأحاديث الدالة على أن هذا شرك[٤] ، ومنها حديث محمود بن لبيد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**»، قال: «**يقول اللَّه عز وجل لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[٥] .

---

(١) المرتبة الأولى: هي الشرك الأعظم، وأصله اعتقاد شريك للَّه في الألوهية، وهو شرك أهل الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾.
ويليه في الرتبة: اعتقاد شريك للَّه تعالى في الفعل وهو قول من قال إنَّ موجودًا ما غير اللَّه تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهًا كالقدرية مجوس هذه الأمة. وعدّ الرياء في المنزلة الثالثة التالية انظر «تفسير القرطبي» (٥/ ١٨١).

(٢) «تفسير القرطبي» (٥/ ١٨١).

(٣) «الرعاية» للمحاسبي ص(١٣٦).

(٤) انظر «الرعاية» ص(١٣٦) وما بعدها.

(٥) الحديث عزاه التبريزي إلى ابن ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال محقق «المشكاة»: إسناده ضعيف «مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٨٦).

وقال رجل لعبادة بن الصامت: أقاتل في سبيل اللَّه بسيفي أريد اللَّه عز وجل ومحمدة المؤمنين، فقال: لا شيء لك، فسأله ثلاث مرات كل ذلك يرد عليه: «لا شيء لك»، ثم قال في الثالثة: إنّ اللَّه عز وجل يقول: **«أنا أغنى الشركاء عن الشريك، من عمل عملاً وأشرك معي شريكًا، ودعت نصيبي لشريكي»**[1].

● وعن شداد بن أوس قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك»**[2].

● وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟»** فقلنا: بلى يا رسول اللَّه، قال: **«الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزيد في صلاته لما يرى من نظر رجل»**[3].

والثاني: يريد الناس ورب الناس وكلاهما محبط للعمل، وذكر القرطبي أنَّ هذا القول: «نقله الحافظ أبو نعيم في الحلية عن بعض السلف»، واستدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿ **الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الحشر: ٢٣]، فكما أنه كبر عن الزوجة والشريك والولد تكّبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره، فهو تعالى أكبر كبير ومتكبر»[4].

---

(١) هذا الأثر الذي ذكره المحاسبي عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٣٢) إلى ابن أبي حاتم، وقد رواه مسلم مرفوعًا عن أبي هريرة بلفظ: قال تعالى: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»** «مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٨٣).

(٢) رواه أحمد «مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٨٦).

(٣) رواه ابن ماجه «مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٨٧)، وقال محقق «المشكاة»: سند حسن.

(٤) «الأربعين النووية» ص(١٠).

وقد نسب ابن نجيم إلى بعض الأحناف القول بكفر من صلى رياء، وقال بعضهم: لا أجر له، وعليه الوزر. وقال بعضهم: لا أجر له، ولا وزر عليه وهو كأنه لم يصل»[1] .

◻ وقال ابن القيم: وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبًا، فإنه ينزل منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر، فإن اللَّه سبحانه إنما أمر بعبادته خالصة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥]، فمن لم يخلص للَّه في عبادته لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير مأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه. . .»[2] .

شبهة وجوابها:

ولعل من أكثر ما يستوقف الناظر في الحجج التي أوردها الغزالي أنَّه الحاج القاصد للتجارة صحيح حجّة بالنص القرآني، وبالإجماع على ذلك، والغازي الذي ينال الغنيمة ويتطلع إليها لا يخرجه ذلك عن الإخلاص، ولا يبطل عمله، وإن كان قد ينقص ثوابه وأجره.

فالغزالي هنا يرى أن هذا تشريك في الإرادة، وليس بمبطل العمل، وقد غاب عن الغزالي أنَّ هذا التشريك ليس شركًا، ولا يدخل في الرياء. فهذا الذي قصد التجارة في الحج لم يقصد أن يرائي بعمله هذا، وعمله ليس شركًا، إنما قصد أن يحج وأن يتاجر، وقد أباح اللَّه له هذا القصد.

ولم أر من فرق تفريقًا بين الرياء والتشريك في العبادة غير القرافي ـ رحمه اللَّه ـ فقد بيّن هذه المسألة وجلاّها»[2] .

(١) «الأشباه والنظائر» لابن نجيم ص(٣٩).

(٢) «مقاصد المكلفين» ص(٤٤٣ ـ ٤٥٠).

* كلام نفيس لابن رجب:

قال ابن رجب: واعلم أن العمل لغير اللَّه أقسام:

- فتارة يكون رياء محضًا بحيث لا يُراد به سوى مرئيات المخلوقين لغرض دنيوي؛ كحال المنافقين في صلاتهم؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ**﴾ [النساء: ١٤٢]، كذلك وصف اللَّه تعالى الكفار بالرياء المحض في قوله: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ**﴾ [الأنفال: ٤٧].

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتي يتعدَّى نفعها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز.

وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من اللَّه والعقوبة.

- وتارة يكون العمل للَّه ويشاركه الرياء:

فإن شاركه في أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضًا وحبوطه:

● وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه**»[1].

وممَّن رُوي عنه هذا المعنى، أن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلاً: طائفة من السلف، منهم: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، والحسن، وسعيد بن المسيب، وغيرهم.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

ولا نعرف عن السلف في هذا خلافًا، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين.

فإن خالط نيَّته الجهاد مثلاً نيةٌ غير الرياء؛ مثل أخذه أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية.

● وفي «صحيح مسلم» عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة، تعجَّلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئًا، تمَّ لهم أجرهم**»[1].

وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدلُّ على أن من أراد بجهاده عرضًا من الدنيا أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

❑ وقال الإمام أحمد: التاجر والمتسأجر والمُكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

❑ وقال أيضًا فيمن يأخذ جُعلاً على الجهاد: إذا لم يخرج إلا لأجل الدراهم، فلا بأس أن يأخذ كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئًا؛ أخذه.

وكذا روى عن عبدالله بن عمرو، قال: إذا جمع أحدكم على الغزو، فعوَّضه الله رزقًا، فلا بأس بذلك، وأما أنّ أحدكم إن أعطي درهمًا غزا، وإن منع درهمًا مكث، فلا خير في ذلك.

وكذا قال الأوزاعي: إذا كانت نية الغازي على الغزو؛ فلا أرى بأسًا.

وهكذا يقال فيمن أخذ شيئًا في الحجِّ ليحج به إما عن نفسه أو عن غيره.

وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الحمّال وحج الأجير وحج

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٦).

التاجر: هو تامٌّ، لا ينقص من أجورهم شيئًا.

وهذا محمول على أن قصدهم الأصليَّ كان هو الحج دون التكسُّب.

وأما إن كان أصل العمل للَّه، ثم طرأت عليه نية الرياء، فلا يضره، فإن كان خاطرًا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، فإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى. وهو مروي عن الحسن البصري وغيره.

❑ وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوّله، كالصلاة، والصيام، والحج.

فأما ما لا ارتباط فيه، كالقراءة، والذكر، وإنفاق المال، ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية.

❑ وكذلك روي عن سليمان بن داود الهاشمي أنه قال: ربما أحدِّث بحديث ولي فيه نية، فإذا أتيت على بعضه، تغيَّرت نيَّتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج نيات!

ولايرد على هذا الجهاد، فإن الجهاد يلزم بحضور الصف، ولا يجوز تركه حينئذ، فيصير كالحج.

ـ فأما إذا عمل العمل للَّه خالصًا، ثم ألقى اللَّه له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك بفضل ورحمة، واستبشر بذلك، لم يضرَّه ذلك.

● وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه سئُل عن الرجل يعمل العمل للَّه من الخير يحمده الناس عليه؟ فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن». خرجه مسلم[1].

(١) برقم (٢٦٤٢).

ولنقتصر على هذا المقدار من الكلام عن الإخلاص والرياء، فإن فيه كفاية.

❑ وبالجملة، فما أحسن قول سهل بن عبداللَّه: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب.

❑ وقال يوسف بن الحسين الرازي: أعزّ شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر.

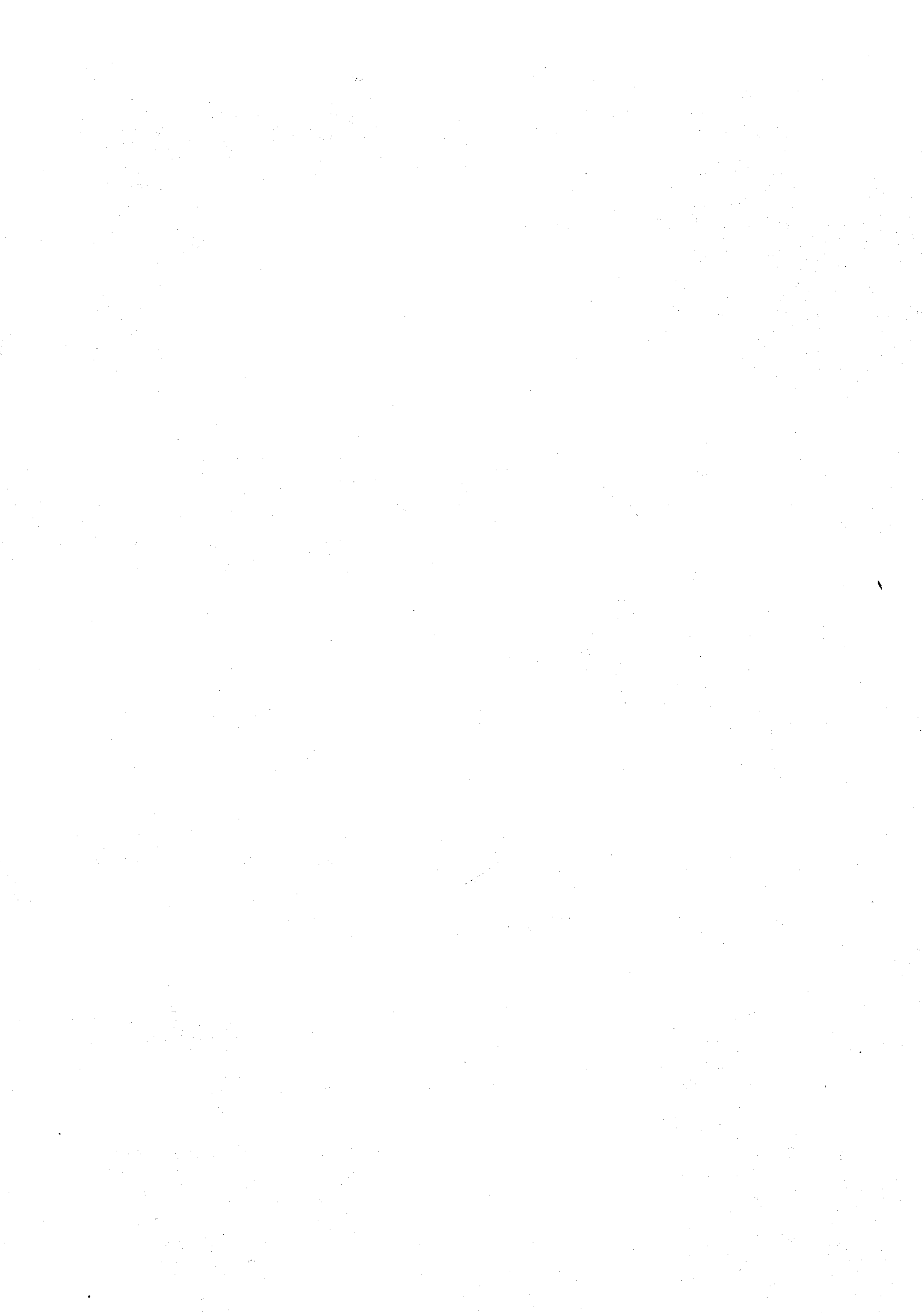
❑ وقال ابن عيينة: كان من دعاء مطرِّف بن عبداللَّه: اللَّهم إني أستغفرك مما تبتُ إليك منه ثم عدتُ فيه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف به لك، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت»[1].

* * *

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٩ ـ ٨٣) طبعة الرسالة.



مـــع المخلصـين



مع المخلصين

✍ قد قصصنا طرفًا من أخبار سادات المخلصين من النبيين والمرسلين: كخليل الرحمن، وموسى ونوح وإسماعيل، وعرّجنا على ذكر كثير من كبار أولياء هذه الأمة في مواضع شتى من جمعنا هذا، وها نحن نفرد على عجالة هذه الصفحات للمخلصين الأخفياء، وبذكر المخلصين الصالحين تنزل الرحمة.

* أهل الكهف:

*قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

قصة الإخلاص والتجرد للَّه والتضحية بكل شيء في سبيل العقيدة، هؤلاء الذين فرّوا بدينهم إلى الكهف وأوقعوا حاجتهم باللَّه عز وجل.. هؤلاء الذين فقهوا عن اللَّه، وعلموا أن الصلة باللَّه أنس ورحمة ولو كانوا في كهف، هؤلاء الذين آثروا دينهم على زخارف الدنيا ومباهجها، فأنزل اللَّه عليهم من رحمته وسكينته ما أنزل.

لقد طوى القرآن اسمهم ورسمهم وطولهم ولونهم وما ضرّهم هذا.. ما ضرّهم ألا يعرفهم الناس بأسمائهم وقد عرفهم ربهم وذكرهم في قرآنه، بل وذكر كلبهم.

هي قصة إسلام لوجه اللَّه تعالى، قصة من يتعامل مع اللَّه ويتجرّد له ويخلص أمره للَّه ويفرّ بدينه من الفتن من شاهق إلى كهف، يخرج من

الواقع السيئ حتى لو أدى ذلك إلى سكنى الكهوف.

* صاحب يس:

هذه «قصة رجل من الأتقياء الأخفياء، جهل قيمته أهل الأرض بينما كان له ذكر وخبر في أهل السماء، هو رجل تابع المرسلين وآمن بهم، وبغضّ النظر عن حرفته وصنعته وعن اسمه ورسمه، وطوله وشكله.. فقد بقيت قصته مثلاً يُحكى»[1].

* مؤمن آل فرعون:

اصطفاه سبحانه واجتباه من وسط ركام الكفر والضياع.. وقد وصفه القرآن بأنه رجل ـ والرجال قليل ـ وبأنه مؤمن، وما من إنسان قد علم الغاية التي من أجلها خُلِق إلاّ ويتمنّ أن يوصف بوصف الإيمان، فعندما تأتي هذه الشهادة من خالق الأرض والسموات، ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وممن أحاط بكل شيء علمًا، فأنعِم بهذا الوصف والثناء، وكعادة القرآن الكريم، فقد طوى عنا اسمه ورسمه وسنّه وطوله وشكله.. مما لا طائل تحته ولا فائدة من معرفته، لتبقى قصته درسًا في إخلاص الأمر للَّه، وعبرة لكل من أراد أن يتاجر مع اللَّه، وعِظة لكل من أراد أن يقيم واجب العبودية، حتى لو خفي اسمه على أهل الأرض يكفيه أن يُعرف في السماء، ويكون من جملة الأتقياء الأخفياء»[2].

* صديق الأمة الأكبر القائل: «قد أسمعتُ من ناجيتُ»:

طار واللَّه صديق الأمة ـ رضي اللَّه عنه ـ بعنانها، وفاز بحبها، وذهب

---

(١) «الأتقياء الأخفياء» لسعيد عبدالعظيم ص(٩٠) ـ دار الإيمان بالأسكندرية.

(٢) المصدر السابق ص(١٠٥).

بفضائلها، وأدرك سوابقها، كانت فضائله وعبادته مستورة بنقاب: **«ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره»**.

● عن أبي قتادة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ يصلي يخفض من صوته، قال: ومرّ بعمر ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يصلي رافعًا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال النبي ﷺ : **«يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تُخفض صوتك»**، قال: «قد أسمعتُ مَن ناجيْت يا رسول اللَّه»، قال: وقال لعمر: **«مررتُ بك وأنت تصلي رافعًا صوتك»**، قال: فقال: يا رسول اللَّه أوقظ الوسْنان وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ : **«يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئًا»**، وقال لعمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: **«اخفض من صوتك شيئًا»**[1].

✍ فكيف يدرك الناس حال وعبادة الصديق الذي يقول: «قد أسمعتُ من ناجيت»؟!،

● وكان ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: لا خير في قول لا يراد به وجه اللَّه تعالى[2].

*** عمر الفاروق ـ رضي اللَّه عنه ـ: ليس الأمر ههنا إنما الأمر ههنا ـ وأشار إلى السماء ـ:**

❑ «عن سالم بن عبداللَّه بن عمر قال: «كان عمر بن الخطاب وعبداللَّه

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود واللفظ له باب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وروى الترمذي نحوه في كتاب الصلاة باب: ما جاء في قراءة الليل (٢/ ٣١٠) وقال حديث غريب. وقال الألباني في «تخريج المشكاة»: إسناده صحيح، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط في التعليق على «شرح السنة» (٤/ ٣١).

(٢) «الحلية» (١/ ٣٦).

ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - لا يُعرف فيهما البرّ حتى يقولا أو يفعلا».

❑ قال الزهري: قلت يا أبا بكر ما تعني بذلك؟ قال: لم يكونا مؤنثَين ولا متماوِتين.

❑ وعن عبيداللَّه بن عبداللَّه بن عتبة بن مسعود قال: كان البرّ لا يُعرف في عمر ولا ابنه حتى يقولا أو يفعلا»[1].

❑ وعن نافع قال: كان أكثرنا لا يعرف لعمر ولا ابنه البرّ حتى يقولا أو يعملا[2].

❑ وعن إسماعيل بن قيس قال: لما قدم عمر الشام، استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين: لو ركبت بِرْذَونًا، يلقاك عظماء الناس ووجوههم. فقال: لا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء، خلّوا جملي.

● إنه عمر - رضي اللَّه عنه - القائل: «حاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا نفوسكم قبل أن توزنوا، أهون عليكم في الحساب غدا، أن تحاسبوا نفوسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٨]»[3].

*** إنه عمر - رضي اللَّه عنه - مجاب الدعوة لإخلاصه:**

● عن حفصة - رضي اللَّه عنها - قالت: سمعت عمر - رضوان اللَّه عليه - يقول: **اللَّهم قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك**. قلت: وأنَّى يكون ذلك؟! قال: **يأتي به اللَّه إذا شاء**»[4].

● وعن سعيد بن المسيب - رحمه اللَّه - أن عمر بن الخطاب - رضوان

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٩١).

(٢) «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص(١٧٠) - دار الكتب العلمية.

(٣) المصدر السابق ص(١٥١).

(٤) المصدر السابق ص (٢١٢)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٣٣١).

اللَّه عليه ـ لما نفر من منى كوّم كومة من بطحاء، وألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يده إلى السماء، ثم قال: «اللَّهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيّع ولا مفرّط»، فما انسلخ ذو الحجة، حتى طُعِن فمات[(١)] .

● وعن أسلم أنه سمع عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: «اللَّهم لا تجعل قتلي على يد عبد قد سجد لك سجدة واحدة، يحاجني بها يوم القيامة»[(٢)] ، واستجاب اللَّه دعاءه.

✍ إنه عمر الذي قال فيه عبداللَّه بن مسعود: إذا ذُكِر الصالحون فحيهلا بعمر بن الخطاب[(٣)] .

● وعن نافع عن عبداللَّه بن عمر: «أن عمر بن الخطاب بعث جيشًا أمّر عليهم رجلاً يُدعي سارية، قال: فبينا عمر يخطب الناس يومًا، قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا ساري الجبل، يا ساري الجبل، قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين: «لقينا عدونا فهمزناهم فإذا بصائح يصيح: يا ساري الجبل، يا ساري الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم اللَّه، فقيل لعمر بن الخطاب: إنك كنت تصيح بذلك»[(٤)] .

---

(١) «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» ص(٢١٠).

(٢) المصدر السابق ص(١٧٢).

(٣) موقوف صحيح: رواه أحمد في «فضائل الصحابة».

(٤) إسنادة جيد حسن: رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» ح(٢٥٣٧).
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٣١) في هذا السند: وهذا إسناد جيد حسن. وأشار إليها ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٩٨)، وقال: وهو إسناد حسن وأورد ابن كثير جملة من طرقه، وقال في «البداية والنهاية» (٧/ ١٣٢): فهذه طرق يشد بعضها بعضا. وسارية هو سارية بن زنيم له صحبة، سيّره عمر على جيش إلى فارس سنة ثلاث وعشرين. وقال الألباني في «تخريج المشكاة» (٣/ ٢٠١): ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن نحوه.

● وعن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ : كنا نحدِّث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه(١) .

* عمران بن الحصين مجاب الدعوة تُسَلّم عليه الملائكة:

✍ للَّه درك يا أبا نجيد.. ما بلغ إخلاصك حتى تسلم عليك الملائكة وتكون مجاب الدعوة:

● عن مطرف بن عبداللَّه قال: قال لي عمران بن حصين: إني أحدثك حديثًا عسى اللَّه أن ينفعك به إن رسول اللَّه ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرّمه، ولقد كان يُسلَّم عليّ ـ يعني الملائكة ـ فلما اكتويت أمسك، فلما تركته عاد إليّ(٢) .

* خال رسول اللَّه ﷺ أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مجاب الدعوة التقي النقي الخفيّ وصاحب العبور العظيم الذي لا مثيل له في التاريخ:

● عن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«اللَّهم استجب له إذا دعاك»**(٣) يعني سعد بن أبي وقاص.

● عن جابر بن سمرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«عُصْبَةٌ من أُمَّتي يفتحون البيت الأبيض، بيت كسرى»**. رواه أحمد ومسلم.

● وروى مسلم عن جابر بن سمرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه

---

(١) رجاله ثقات: أورده اللالكائي في شرح «اعتقاد أهل السنة» (٩/١١٨)، وذكره الهيثمي وعزاه للطبراني في «الأوسط» وحسّن إسناده.

٢) رواه مسلم (١٢٢٦) من عدة طرق.

(٣) صحيح: رواه الترمذي ح(٣٧٥١) وصححه، وابن حبان (الإحسان ح: ٦٩٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٤٩٩) وقال: صحيح الإسناد وأقرّه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية»، وقال الهيثمي في «المجتمع» (٩/١٥٣): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

ﷺ : «لتفتحنّ عصابةٌ من أُمَّتي كنز آل كسرى الذي في الأبيض».

✍ وقد ادخر اللَّه هذا الفتح العظيم لخال رسول اللَّه ﷺ .

أمضى سعد شهرين في القادسية بعد المعركة، وكاتبَ عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ فيما يفعل، فكتب إليه عمر بالمسير إلى «المدائن» عاصمة كسرى. وتحرّك الجيش المنتصِر باتجاه المدائن، وسار المسلمون من نصرٍ إلى نصرٍ في «برس» وفي بابل وفي «بهرسير». وبذلك أصبح جيش المسلمين في الضفة المقابِلة للمدائن، وحاول سعد أن يُؤمِّن عبور جيشه في السفن، فلم يقدر على شيء منها؛ لأن الفرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها[1] . وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزَّبَد لشدَّة جَرَيانه، وموجهُ متلاطِم، وزاد المدُّ فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفي ليلةٍ من ليالي سعد، رأى رؤيا خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت، وقد أقبلتْ من المدّ بأمرٍ عظيم.

* عبور لا مثيل له في التاريخ:

فصدّق الرؤيا، وعزمَ على عبور النهر، فجمع الجيش وقام فيهم خطيبًا، فحمد اللَّه وأثنى عليه، وقال: «إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلُصُون إليه معه، وهم يخلّصون إليكم إذا شاءوا فيُناوشُونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتوا منه، فقد كفاكُمُوهُ أهل الأيام، وعطَّلُوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الأوفق أن تبادروا جهاد العدو بنيّاتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعًا: عزمَ اللَّهُ لنا ولك على الرشد، فافعل»[2] .

(١) «الطبري» (٣/ ١١٩).

(٢) «الطبري» (٣/ ١١٩)، وابن الأثير (٢/ ١٩٨)، و«فتوح الشام» للواقدي (٢/ ١٢٧).

وندب سعد الناس للعبور، ثم قال: «من يبدأ ويحمي لنا الفراض[١] لكيلا يمنعونا من العبور». فانتدب عاصم بن عمرو التميمي، وانتدب معه ستمائة من أهل النّجدات، فعبر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد[٢] مع جيشه بعدهم، ففاجأوا أهل فارس بأمرٍ لم يكن في حسابهم.

سبحان اللَّه!! نهر هادر لا يقلّ عُمق مياهه عن ستة أمتار تخوضه الخيول سباحةً وعلى رأسها الفرسان يقاتلون.

قال لهم سعد وهم يخوضون ليصلوا إلى شاطئ أسبانير: «قولوا: نستعين باللَّه ونتوكل عليه، حسبنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم»[٣] .

لقد اقتحموا دجلة ما يكترثون، وإنهم ليتحدثون أثناء عبورهم النهر الهادر كما يتحدثون في مسيرتهم على الأرض.

نجحت خطة سعد نجاحًا يذهل له المؤرخون، نجاحًا أذهل سعدًا نفسه وأذهل صاحبه ورفيقه في المعركة «سلمان الفارسي». «عامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل، واللَّه لينصرن اللَّه وليّه، وليُظهرنّ اللَّه دينه، وليهزمنّ اللَّه عدوّه، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوبٌ تغلب الحسنات». فقال له سلمان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «الإسلام جديد، ذُلِّلتْ لهم واللَّه البحور، كما ذُلِّلَ لهم البرُّ، أما والذي نفسي بيده ليخرجُنّ منه أفواجًا

---

(١) الفراض: جمع فرضة، وهي ثغور المخاضة من الناحية الأخرى ويُسمّى في المصطلح العسكري «رأس جسر».

(٢) كان أول من أقحم نفسه من أبطال المسلمين حجر بن عدي الصحابي الجليل أو قيس بن مكشوح المرادي وعد ذلك اللالكائي كرامة لهما في «كرامات الأولياء» ص(١٥٢)، فماذا يُقال عن سعد شيخ المخلصين.

(٣) «الطبري» (٤/٤٨).

كما دخلوه أفواجًا. لم تَضِع منهم شكيمةُ فرسٍ»[١] . فطبّقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشاطئ، ولهم فيه أكثر حديثًا منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه ـ كما قال سلمان ـ لم يفقدوا شيئًا، ولم يغرق منهم أحد، إلا رجلاً من بارق يُدعى غرقدة زال عن ظهر فرسٍ له شقراء، قال أبو عثمان النهدي: كأني أنظر إليها تنفض أعرافها عريًا والغريقُ طافٍ، فثنى القعقاع عنانَ فرسه إليه، فأخذه بيده فجرّه حتى عبر، فقال البارقي ـ وكان من أشدّ الناس ـ: عجز الأخواتُ أن يَلدنَ مثلك يا قعقاع. وكان للقعقاع فيهم خؤولة.

* **يوم الجراثيم:**

روى أبو جعفر في «تاريخه»، أن سعدًا لمّا أقحم الناس في دجلة، اقترنوا ـ أي صار لكل رجلٍ قرين يُلازمه أثناء العبور ـ فكان سلمان الفارسي قرين سعد إلى جانبه يُسايره في الماء، فقال سعد: ﴿**ذلك تقدير العزيز العليم**﴾، والماء ـ لشدّة جريانه ـ يطمو بهم، وما يزال فرس يستوي قائمًا، إذا أعيا يُنشِز له تلعةٌ فيستريح عليها كأنه على الأرض، فلم يكن بالمدائن أعجب من ذلك، وذلك يوم الماء، وكان يُدعى يوم الجراثيم. ومن عناية اللَّه تعالى بالجيش المجاهد، أنه لا يعيى فرس أحدٍ أثناء عبور النهر إلا جرثومة يريح عليه.

☐ وعن قيس بن أبي حازم قال: خُضنا دجلة وهي تطفح، فلمّا كُنّا في أكثرها ماءً، لم يزل فارس واقفًا ما يبلغ الماء حزامه، قال المسلمون: ما تنتظرون بهذه النطفة؟ فاقتحم رجلٌ فخاض الناس، فما غرق منهم إنسان، ولا ذهب لهم متاع[٢] .

---

(١) «الطبري» (٤/ ١١).

(٢) «القادسية» لمحمد أحمد بشاميل ص(٧٤٤ ـ ٧٤٦).

تموت المبادئ في مهدها ويبقى لنا المبـــدأُ الخالدُ
مراكبُ أهلِ الهوى أُتخمتْ نُزُولاً ومركبُنـــا صـاعِـدُ
سوانا يَـــلُوذُ بعـرّافـــةٍ وأســـطورةٍ أصلُها فاسـدُ
يحدِّثنا الليـــلُ عن نَفْسِهِ وفيـه على نفســه شاهدُ
إذا عـــدَّد النـــاسُ أربابهم فنحن لنا ربّنـــا الواحدُ[1]

❑ وأثناء العبور لم يذهب لأحدٍ من الجيش شيءٌ، إلا قَدَح كانت له علاقة رثَّة فانقطعت، فذهب به الماء، فقال صاحبه: واللَّه إني لعلى جديلة، ما كان اللَّه ليسلبني قدحي من بين أهل العسكر. فلمّا عبر، قذفتِ الرياحُ والأمواج قدحه فأخذه.

* ما تُقاتلون إلاَّ الجِنَّ:

نظر جنود «يزدجرد» إلى هذه الخيل التي ملأت دجلة، وجعلوا يردِّدون بالفارسية «ديوان آمد» ويقول بعضهم لبعض: «واللَّه ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن».

❑ قال أبو عثمان النهدي: «طُبقت دجلة خيلاً ودوابَّ حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، فخرجتْ بنا خيلُنا إليهم تنفض أعرافها، لها صهيل، فلمّا رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شيء»[2].

وفزع يزدجرد ملك الفرس، وما استطاع أن يخرج من باب قصره المواجه للشاطئ، وكان بينه وبين الشاطئ ثلاثة كيلو مترات.. فدلاه من

(١) قصيدة «موقف» من ديوان «شموخ في زمن الانكسار» للعشماوي ص(٥) ـ طبع مكتبة الأديب بالرياض.
(٢) «الطبري» (٤/ ١٦).

الشرفات الخلفية لقصره الأبيض في زنبيل.. ليفرّ من المدائن ومعه ألف طبّاخ وألف فهّاد وألف بازيار.

إي واللَّه، في زنبيل!! هذه نهاية الطواغيت.

حتى خيولهم أصابها الرعب نصرًا لأنصار اللَّه؛ فقد جاء في «تاريخ الطبري» (٤/ ٥٣): «أن أوائل كتيبة الأهوال بقيادة عاصم أدرك رجالها مؤخرة المجوس، وفيهم فارس منهم يعترض على طريقٍ من طرقها، يحمي مؤخرة أصحابه في فرارهم، وهو يضرب فرسه للإقدام فيُحجم، ثم يضربه للهرب فيتقاعس، حتى لحقه رجل من جيش سعد يُدعى ثقيفًا من بني عدي بن طريف، فضرب عنقه وأخذ ما كان عليه. ودخل سعد المدائن، وانتهى إلى إيوان كسرى، فأقبل يقرأ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥: ٢٨]».

*** عامر بن فهيرة المشروع رشده المرفوع جسده.. استطاب الهُلك فيما يخطب من المُلك:**

✍ بأبي هو وأمي من سيد كريم خدم رسول اللَّه ﷺ في الهجرة في أحلك الظروف ولا يكون هذا إلا لمن بلغ الذروة في الإخلاص.

● عن أسماء بنت أبي بكر - رضي اللَّه عنه - قالت: خرج رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر - رضي اللَّه عنه - فمكثا في الغار ثلاث ليال، وكان يروح عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى غنمًا لأبي بكر ويدلج من عندهما فيصبح من الرعاة في مراعيها، ويروح معهم ويتباطأ في المشي، حتي إذا انصرف بغنمه إليهما، فيظن الرعاة أنه معهم.

● وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: خرج رسول اللَّه ﷺ

وأبوبكر ـ رضي اللَّه عنه ـ، وعامر بن فهيرة، حتى قدموا المدينة، فقُتل عامر يوم بئر معونة، وأسر عمرو بن أمية، فقال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ ـ وأشار إلى قتيل ـ فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة. فقال: لقد رأيته بعد ما قُتِل رُفِع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض.

❑ قال الزهري: بلغني أنهم التمسوا جسد عامر فلم يقدروا عليه، فيرون أن الملائكة دفنته[1].

✍ بأبي هو وأمي خدم فخُدم.. خدم النبي وصاحبه فوارت جثمانه الملائكة.

✍ للَّه دره من سيد آثر البذل والإيثار، وهاجر بدينه يجوب الجبال والقفار، صحّت سريرته.

*** البراء بن مالك الضعيف المتضعّف ذو الطمرين يُقسم على اللَّه فيبرّه:**

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«كم من ضعيف متضعف ذو طمرين لو أقسم على اللَّه عز وجل لأبرّه منهم: البراء بن مالك»**[2].

وإن البراء لقي زحفًا من المشركين وقد أوجف المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء إن رسول اللَّه ﷺ قال: إنك لو أقسمت على اللَّه لأبرّك فأقسم على اللَّه.

فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم فمنحوا أكتافهم. ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجفوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على

---

(١) «الحلية» (١/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٩٢)، وقال: صحيح الإسناد وأقرّه الذهبي، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧)، ورواه الترمذي بمعناه ح(٣٨٥٤)، والبيهقي.

ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيدًا ـ رحمه اللَّه عليه ـ.

*** سفينة مولى رسول اللَّه ﷺ يُكلم الأسد ويصحبه:**

● عن محمد بن المنكدر أن سفينة ـ رضي اللَّه عنه ـ مولى رسول اللَّه ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أُسِر في أرض الروم فانطلق هاربًا يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد فقال: أبا الحارث[1] أنا مولى رسول اللَّه ﷺ كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد له بصبصة حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتًا أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد[2].

*** سعيد بن عامر الجمحي ممن زيّن باطنه والسرائر:**

❑ قال خالد بن معدن: استعمل علينا عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بحمص سعيد بن عامر الجمحي فلما قدم عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه ـ وكان يُقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمّال ـ قالوا: نشكوا أربعا:

لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: عظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام ـ يعني تأخذه موتة ـ قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللَّهم لا تفيل

(١) كنية الأسد.

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/٦٠٦)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للبزار والطبراني، وقال في «مجمع الزوائد» (٩/٣٦٦): رجالهما ثقات. وحسنه الألباني.

رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: واللَّه إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل للَّه عز وجل. قال: وما تشكون؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ بمكة، وقد بضّعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة، فقالوا: أتحبُّ أن محمدًا مكانك؟ فقال: واللَّه ما أحبّ أني في أهلي وولدي وأن محمدًا ﷺ شيك بشوكة، ثم نادى يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن باللَّه العظيم إلا ظننت أن اللَّه عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا، قال: فتصيبني تلك الغنظة. فقال عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: الحمد للَّه الذي لم يفيل فراستي، فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته: الحمد للَّه الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم، فدعا رجلاً من أهل بيته يثق به فصرّرها صررًا، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكن آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهيبة. فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادمًا؟ ما فعل ذلك المال، قال: سيأتيك أحوج ما تكونين»[1] .

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

* **جليبيب وما أدراك ما جليبيب؟!!**

● عن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبًا ـ رضي اللَّه عنه ـ كان امرءًا من الأنصار وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيّم لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: ذات يوم لرجل من الأنصار: «**يا فلان، زوّجني ابنتك**». قال: نعم، ونعمة عين، قال: «**إني لست لنفسي أريدها**» قال: لمن؟ قال: «**لجليبيب**» قال يا رسول اللَّه حتى أستأمر[1] أمها. فأتاها، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ يخطب ابنتك قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول اللَّه ﷺ، قال: إنه ليس لنفسه يريدها، قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: حلقي أجليبيب؟ لا لعمر اللَّه لا أزوّج جليبيبًا. فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويْها من خطبني إليكما؟ قالا: رسول اللَّه ﷺ. قالت: أفتردون على رسول اللَّه ﷺ أمره؟ ادفعوني إلى رسول اللَّه ﷺ فإنه لن يضيعني. فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها فزوّجها جليبيبًا»، قال إسحاق ابن عبداللَّه ابن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: «**اللّهم صبّ عليها الخير صبًّا صبًّا ولا تجعل عيشها كدًّا كدًّا**»[2].

● عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزى له فأفاء اللَّه عليه فقال لأصحابه: «**هل تفقدون لنا من أحد؟**»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا، قال: «**لكني أفقد جليبيبًا فاطلبوه**». فطُلِب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه وقال: «**قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا**

(١) أي: أشاور.

(٢) صحيح: رواه أحمد بسند صحيح.

منه» قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعد النبي ﷺ قال: فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلاً»(١) .

*** عبدالله ذو البجادين ـ رضي الله عنه ـ المواخي للعمرين، الأوّاه التالي، المتجرّد الخالي وضعه رسول الله ﷺ في حفرته وسفح عليه من عبرته:**

كان اسمه عبدالعزّى فسمّاه رسول الله ﷺ ذا البجادين. عبدالله بن عبد نهم المزني عم عبدالله بن مغفل المزني.

□ قال ابن أبي الدنيا في رسالة «الأولياء»: قال رسول الله ﷺ: «**بل أنت عبدالله ذو البجادين، الزمنا وكن معنا**»، فكان يكون مع رسول الله ﷺ وفي حجره قال: فكان إذا قام يصلي من الليل جهر بالدعاء والاستغفار والتمجيد قال: فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله أمراءٍ هو؟ قال: «**دعه فإنه أحد الأوّاهين**». قال: فلما كان غزاة تبوك خرج مع رسول الله ﷺ فمات قال: فقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إذا أنا بنار ليلاً في ناحية العسكر فقلت: ما هذا؟ فانطلقت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ما معهم رابع، قال: فإذا ذو البجادين قد مات ورسول الله ﷺ في القبر وهو يقول: «**دليّا إليّ أخاكما**»، قال: فأضجعه رسول الله ﷺ لشقّه، ثم قال: «**اللّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه، اللّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه، اللّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه**»، قال: فقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: فيا ليتني كنت مكانه في حفرته»(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٢).

(٢) «رسالة الأولياء» من كتاب «مجموعة الرسائل» لابن أبي الدنيا ص(١١٩)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٦٥)، «الإصابة» (٢/ ٣٣٠). قال ابن حجر في «الإصابة»: رواه البغوي =

● وعند ابن سعد: «كان اسمه عبدالعزّى فقال: «**أنت ذو البجادين**»، ثم قال: «**انزل مني قريبًا**»، فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنًا كثيرًا، فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك، قال: ادعُ لي بالشهادة. فربط النبي ﷺ على عضده لِحى سَمُرة، وقال: «**اللَّهم إني أحرّم دمه على الكفار**». فقال: ليس هذا أردت. قال النبي ﷺ: «**إنك إذا خرجت غازيًا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد**». فأقاموا بتبوك أيامًا ثم تُوفي».

● وعن عبداللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: واللَّه لكأني أرى رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبداللَّه ذي البجادين وأبو بكر وعمر ـ رضي اللَّه تعالى عنهم ـ يقول: «**أدليا مني أخاكما**»، وأخذه من قبل القبلة حتى أسنده في لحده، ثم خرج النبي ﷺ وولاّهما العمل، فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعًا يديه يقول: «**اللَّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه**»، وكان ذلك ليلاً فواللَّه لقد رأيتني ولوددت أني مكانه ولقد أسلمت قبله بخمسة عشر سنة»[1] .

وفي رواية أخرى: يقول عبداللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: «يا ليتني كنت صاحب الحفرة»[2] .

❑ قال الإمام ابن الجوزي بأسلوبه الوعظي الجميل:

«كان ذو البجادين يتيمًا، فلمّا عمّه الفقر كفله عمه، فنازعته النفس إلى

= بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا»، وهو كذلك في «السيرة النبوية»، وأخرجه من طريق سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبي وائل عن عبداللَّه بن مسعود وقال: . . فذكره من طريق كثير بن عبداللَّه بن عمرو عن أبيه عن جده، والفريابي في «الذكر» وأحمد.

(١) «الحلية» (١/ ١٢٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٢).

الإسلام، فهم بالنهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقعد على انتظار العم، فانتهى المرض، فصارت الهمة عزيمة، فنفذ الصبر، فناداه صدق الوجد.

الى كم حبسها تشكو المضيقا   اثرها ربما وجدت طريقا

اجلها تطلب القصوى ودعها   سدى يرمي الغروب بها الشروقا

اتعقلها وتقنع بالهوينا   تكون اذن بذلتها خليقا

ولم يشفق على حسب غلام   يكون على ركائبه شفيقا

فقال يا عم: كيف أنتظر سلامتك بإسلامك؟ وما أرى زمن[1] زمنك ينشط، فقال: واللَّه لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك، فصاح لسان الشوق، نظرة من محمد أحب إلي من الدنيا وما فيها، هذا مذهب المحبين، إجماعا من غير خلاف:

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها   تريد أم الدنيا وما في خباياها

لقال تراب من غبار نعالها   ألذ إلي نفسي وأشفى لبلواها

فلما تجرد لطلب الثواب، جرده العم من الثياب، فناولته الأم نجاداً[2]، فقطعه لسفر الوصل، فائتزر وارتدى، وغدا في هيئة «رب أشعث أغبر»:

سنة الأحباب واحدة   فإذا أحببت فاستنن

فنادى صائح الجهاد، في جيش العسرة، فتبع ساقة الأحباب على ساق، والمحب لا يرى طول الطريق، إنما يتلمح المقصد.

ألا أبلغ اللَّه الحمى من يريده   وبلغ أكناف الحمى من يريدها

فحمل جلدة فوق جلده، إلى أن نزل منزل التلف، فنزل الرسول في حفرته، يمهد له اللحد، لمأمور، إذا رأيت لي طالبًا، فكن له خادمًا»، وجعل

---

(١) مريض.

(٢) بِجَاد: كساء مخطّط.

يقول: اللَّهم، إني أمسيت راضيًا عنه، فارض عنه، فصاح ابن مسعود، ليتني كنت صاحب الحفرة.

كذاك الفخـــر يا همم الرجـــال   تعالى فانظـــري كيـف التعـــالي

* أبو ضمرة بن العيص الزرقي المهاجر إلى اللَّه الذي وقع أجره على اللَّه:

● عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة بن العيص الزرقي، الذي كان مصاب البصر، وكان بمكة، فلما نزلت: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، فقلت: إني لغني، وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ، فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

* القرّاء السبعون المتهجدون شهداء بئر معونة الذين رضي عنهم ربهم:

✍ هؤلاء السادة الذين لم تكلمهم الدنيا.. عبروا الدنيا راضين عن اللَّه مرضيًّا عنهم، لم يتدنسوا بزهرة الدنيا افتتانا، ولحقوا بمولاهم الذي أولاهم السلامة.. امتنانًا، المخلصون التي تبتلوا لربهم في الدياجي سجّدًا وقيامًا.

● عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن رعلاً وذكوان وعصية أتو النبي ﷺ فاستمدوه على قومهم، فأمدّهم بسبعين رجلاً من الأنصار كان يدعون القراء يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، فلما بلغوا بئر معونة غدروا بهم فقتلوهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقنت شهرًا في صلاة الصبح يدعو اللَّه

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٩٥).

(٢) إسناده صحيح: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٥٨٩٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٤) طبعة أولاد الشيخ.

على رعل وذكوان وعصية، فقرأنا بهم قرآنًا، ثم إن ذلك رفع ونسى ﴿**بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**﴾[1] .

● وعن ثابت البناني قال: ذكر أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ سبعين رجلاً من الأنصار كانوا إذا جنّهم الليل آووا إلى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها فكانت تصبح معلقة بحجر رسول اللَّه ﷺ ، فلما أصيب خبيب بعثهم رسول اللَّه ﷺ فكان فيهم خالي حرام بن ملحان فأتْوا على حي من بني سليم، فقال حرام لأميرهم ألا أخبر هؤلاء أنا لسنا إياهم نريد فيخلّوا وجوهنا؟ قالوا: نعم، فأتاهم فقال لهم ذلك، فاستقبله رجل برمح فأنفذه به، فلما وجد حرام مسّ الرمح في جوفه قال: اللَّه أكبر فزت ورب الكعبة، فانطووا عليهم فما بقي منهم مخبر، فما رأيت رسول اللَّه ﷺ وجد على سرية وجده عليهم، لقد رأيت رسول اللَّه ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم».

● وروى البخاري عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «لما طُعِن حرام بن مالك[2] يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فُزت ورب الكعبة».

* الولي الكبير مجاب الدعوة الخولاني أبو مسلم عبداللَّه بن ثوب حكيم الأمة وممثلها، ومديم الخدمة ومحررها:

من سادات التابعين، ومن الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد، قال فيه كعب: إن حكيم هذه الأمة أبو مسلم الخولاني روى الحافظ السلفي بإسناده

---

(١) انظر «مسند أحمد»، والبخاري «فتح الباري» (٧/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

(٢) وكان خاله.

عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب لما ادّعى النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني، فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال: ما أسمع.

قال: أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟ قال: نعم. فردّد ذلك عليه. فأمر بنار عظيمة فأججّت فألقى فيها أبا مسلم فلم تضرّه، فقيل: انفه عنك، وإلا أفسد عليك من تبعك، فأمره بالرحيل.

فأتى أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول اللَّه ﷺ واستخلف أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ فقام إليه. فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل اليمن. قال: فلعلّك الذي حرّقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبداللَّه بن ثوب. قال: نشدتك اللَّه أنت هو؟ قال: اللَّهم نعم، فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر، فقال: الحمد للَّه الذي لم يُمتني، حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن»[١].

◻ قال النووي: هذا من أجلّ الكرامات، وأنفس الأحوال الباهرات[٢].

◻ وعن عبدالملك بن عمير قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا استسقى سقي[٣].

---

(١) انظر «الحلية» (٢/١٢٨)، و«طبقات ابن سعد» (٧/٤٤٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/٧)، و«بستان العارفين» للنووي. وذكرها اللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٨١)، وضعف المحقق سندها، ورواها أبو نعيم من طريق آخر (٢/١٢٨)، وذكرها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/٢٠٨) بدون سند.

(٢) «شرح بستان العارفين» ص(١٩١، ١٩٢).

(٣) سنده لا بأس به: رواه اللالكائي في«كرامات أولياء اللَّه» ص(١٨٥)، وابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (١١٣).

▫ وعن حميد بن هلال أن أبا موسى الخولاني انتهى إلي دجلة وهي ترمي بالخشب من مدّها، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون شيئًا فندعو اللَّه تعالى»[1] .

* التقي النقي الخفيّ أبو الأسود يزيد بن الأسود الجرشي:

▫ عن سليم بن عامر الخبائري أن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطّى الناس، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه. فقال معاوية: اللَّهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا، اللَّهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي يا يزيد ارفع يديك إلى اللَّه عز وجل.

فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس وهب لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم[2] .

▫ عن علي بن أبي جملة قال: أصاب الناس قحط بدمشق، وعلى الناس الضحاك بن قيس الفهري، فخرج بالناس يستسقي، فقال: أين يزيد ابن الأسود الجُرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ عزمتُ عليه إن كان يسمع كلامي إلاّ قام فقام. وعليه برنُس فاستقبل الناس بوجهه ورفع جانبي برنسه على عاتقيه، ثم

---

(١) «كرامات أولياء اللَّه» ص(١٨٥)، وقال البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٤): هذا إسناد صحيح.

(٢) «كرامات أولياء اللَّه» ص(١٩٠ ـ ١٩١).

رفع يديه، ثم قال: اللَّهم يا ربّ إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم.

قال: فانصرف الناس وهم يخوضون الماء. فقال: اللَّهم إنه قد شهرني فأرحني منه. قال: فما أتت عليه جمعة حتى قتل الضحاك»[1].

*** أبو معاوية الأسود:**

◻ قال أبو حمزة نصير بن الفرج الأسلمي وكان خادم أبي معاوية الأسود: «كان أبو معاوية الأسود قد ذهب بصره، فكان إذا أراد أن يقرأ فينشر المصحف رجع إليه بصره، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره»[2].

أعماهم عن الدنيا وأفردهم لذكره وفرغهم لخدمته، يصدق في أبي معاوية قول القائل:

فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلـــم أنظـر به حتـى أراكـــا

◻ وكان إذا رآه أحدهم يقول له: اكتم حتى أموت.

*** حيوة بن شريح:**

◻ قال ابن المبارك: ما وُصف لي أحد رأيته إلاّ كانت رؤيته دون صفته إلا حيوة، فإن رؤيته كانت أكبر من صفته». وقال ابن وهب: «يُعرف بالإجابة»، وقال ابن حبّان: «وكان مستجاب الدعوة».

*** راهب العرب عامر بن قيس:**

◻ عن أبي العلاء بن عبداللَّه بن الشخير: أن عامرًا كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه، فلا يلقى أحدًا من المساكين يسأله إلا أعطاه، فإذا

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٩٩٣).

(٢) رجاله ثقات: رواه اللالكائي في «كرامات أولياء اللَّه» ص(٢٣٥).

دخل على أهله رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواءً كما أعطيها»[١].

قال الإمام ابن جرير الطبري في «تاريخه» في حوادث سنة ١٦ من الهجرة: «لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض ـ الغنائم ـ أقبل رجل بحُقٍّ[٢] له مملوء من الجوهر والتحف فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما واللَّه لولا اللَّه ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا واللَّه لا أخبركم فتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد اللَّه وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسألهم عنه، قالوا: هذا عامر بن عبد قيس»[٣].

* أشج بني أمية عمر بن عبدالعزيز صاحب السرائر وسيد المخلصين في عصره:

«كان لعمر بن عبدالعزيز سفط، فيه درّاعة من شعر وغل، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه أحد، فإذا كان في آخر الليل، فتح ذلك السفط، ولبس تلك الدرّاعة، ووضع الغل في عنقه فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر، ثم يعيده في السفط.

ولما مات كان استودع مولى له سفطًا يكون عنده. فجاؤه فقالوا: السفط الذي كان استودعك عمر. فقال: ما لكم فيه خير. فأبوا، حتى رفعوا ذلك

(١) رجاله ثقات: رواه أحمد في «الزهد» ص(٢٧٤)، وابن المبارك في «الزهد» ص(٢٩٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/١٠٣)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ٢١٠)، واللالكائي في «كرامات أولياء اللَّه» ص(٢٠٥).

(٢) وعاء كبير.

(٣) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٤/ ١٧٦).

إلى يزيد بن عبدالملك، فدعا بالسفط، ودعا بني أمية، وقال: حبركم هذا قد وجدنا له سفطًا وديعة قد استودعها. فدعا به، فجاؤا به ففتحوه، فإذا فيه مقطعات من مسح كان يلبسها بالليل.

❑ وأوصى ـ رحمه اللَّه ـ بصندوق مقفل أن يُطرح في البحر، فقيل لزوجته: أي شيء كان فيه؟ قالت: جامعة وأطمار كان يطرح نفسه فيها بالليل»[1] .

نجيب بني أمية، ومجدد المائة الأولى الذي قال فيه الإمام أحمد: إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبدالعزيز، ويذكر محاسنه وينشرها، فاعلم أن من وراء ذلك خيرًا، إن شاء اللَّه[2] .

❑ عمر بن عبدالعزيز الذي قال عنه ميمون بن مهران: «كان عمر يعلّم العلماء»[3] .

❑ وقال عبيداللَّه بن عبداللَّه: «كانت العلماء عند عمر بن عبدالعزيز تلامذة»[4] .

❑ قال عمر: «إني لأدع كثيرًا من الكلام مخافة المباهاة»[5] .

وكانت إذا أعجبته خطبة قطعها.

❑ قال سفيان بن عيينة: «إذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا أعجبك الكلام فاسكت»[6] .

* إمام دار الهجرة: مالك بن أنس:

❑ قال ابن المبارك: «ما رأيت رجلاً ارتفع مثل مالك بن أنس، ليس له

---

(١) «مناقب عمر بن عبدالعزيز» لابن الجوزي ص(٢١٠، ١١) ـ دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر السابق ص(٧٤).

(٣، ٤، ٥) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٤٠).

(٦) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٣٢).

كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون سريرة»[١] .

❑ فللَّه در ابن الجوزي إذ يقول: «من أصلح سريرته؛ فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فاللَّه اللَّه في السرائر؛ فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر»[٢] .

وكم عبقت كل القلوب بنشر طيب مالك بن أنس.

*** أبو نصر المحب المدني المبتلى مجاب الدعوة:**

❑ عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: أجدبت المدينة فاشتد حال أهلها وتكشف قوم مستورون وخرجوا يدعون فمررت يومًا بسوق الطعام وما فيه حبة حنطة ولا شعير فإذا أبو نصر جالس منكس رأسه، فقلت له: يا أبا نصر أما ترى ما فيه أهل حرم رسول اللَّه ﷺ قال: بلى.

فقلت: أفلا تدعو اللَّه تعالى علّه يفرّج ما هم فيه!

قال: بلى وحوّل وجهه إلى القبلة وقال: اجلس عن يميني. قال: فجلست عن يمينه. فانكب فعفّر وجهه في التراب، ثم رفع رأسه، فقال: يا فارج الهمّ يا كاشف الضر مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد وآل محمد وفرّج ما أصبح فيه أهل حرم نبيك. ثم غلب فذهب وقمت من عنده.

قال: فواللَّه ما خرجت من السوق حتى رأيت قد تغطت فرفعت رأسي، فإذا رجل جراد أرى سوادهن في الهواء فمازلن يسقطن إلى جنبي وأنا واقف أنظر حتى ملأ ما بين المدينة فاستغنى كل قوم بما في دارهم من

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٥٩).

(٢) «صيد الخاطر» ص(٣٥٥).

جراد محشو الأجواف فطبخوا وملحوا من قدر على الزيت وملأ الناس الحباب والجرار والقواصر وألقوه في جوابيوتهم. ثم نهض في أعراض المدينة لم يخرج منها إلى غيرها فما مرّت بنا ثلاث حتى جاءت عشر سفائن ودخلت.. فإذا هي دخلت في الوقت الذي دعا فيه أبو نصر فرجع السعر إلى أرخص ما كان، ورجعت حال الناس إلى أحسن ما كانت.

قال: فأتيت أبا نصر وهو في مسجد رسول اللَّه ﷺ فقلت: يا أبا نصر أما ترى إلى بركات دعائك، قال: لا إله إلا اللَّه هذه رحمة اللَّه التي وسعت كل شيء[1].

* **مجاب الدعوات أبو محمد حبيب العجمي أو الفارسي:**

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «لو أن اللَّه دعاني يوم القيامة، فقال: يا حبيب، فقلت: لبيك، فقال: جئني بصلاة يوم أو صيام يوم أو ركعة أو سجدة أو تسبيحة اتّقيت عليها من إبليس أن يكون طعن فيها طعنة فأفسدها، ما استطعت، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يخلو في بيته ويقول: من لم تقرّ عينه بك فلا قرّت، ومن لم يأنس بك فلا أنِس.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: لا قرة عين لمن لم تقرّ عينه بك، ولا فرح لمن لم يفرح بك. وعزتك إنك لتعلم أني أحبك.

❑ وعن السري بن يحيى قال: اشترى أبو محمد حبيب طعامًا في مجاعة أصابت الناس فقسمه على المساكين، ثم خاط أكيسة فجعلها تحت فراشه، ثم دعا اللَّه فجاء أصحاب الطعام يتقاضونه فأخرج تلك الأكيسة، فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها، فإذا هي حقوقهم فدفعها إليهم.

---

(١) «كرامات أولياء اللَّه» ص(١٧٥ ـ ١٧٦).

❑ وعن حماد قال: شهدت حبيبًا الفارسي يومًا فجاءته امرأة، فقالت: يا أبا محمد، كأنها طلبت منه شيئًا. فقال لها: كم لك من العيال؟ فقالت: كذا وكذا؟ فقام حبيب أبو محمد إلى وضوئه فتوضأ ثم جاء إلى مصلاه فصلّى بخضوع وسكون.

فلما فرغ قال: يا رب إن الناس يحسنون ظنهم بي وذاك من ستْرك عليّ فلا تُخلِف ظنهم بي، ثم رفع حصيره فإذا بخمسين درهمًا فأعطاها إياها. ثم قال: يا حمّاد اكتم ما رأيت حياتي.

❑ قال يونس: جاء رجل إلى أبي محمد فشكا إليه ديْنًا عليه، فقال: اذهب فاستقرض وأنا أضمن، فأتى رجلاً فأقرضه خمس مائة درهم وضمنها أبو محمد. ثم جاء الرجل فقال: يا أبا محمد دراهمي، فقد أضرّ بي حبسها. فقال: نعم غدًا. فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا اللَّه تعالى. وجاء الرجل فقال له: اذهب فإن وجدت في المسجد شيئًا فخذه، فذهب فإذا في المسجد صُرَّة فيها خمس مائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمس مائة فرجع إليه فقال: يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد. فقال: اذهب فهي لك، من وزنها وزنها راجحة.

❑ قال ابن حبان: عن حبيب العجمي: «كان عابدًا فاضلاً ورعًا تقيًّا من المجابين الدعوة».

❑ وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت حبيبًا يقول: أتانا سائل وقد عجنت عمرة وذهبت تجيء بنار تخبزه، فقلت للسائل: خذ العجين فاحتمله. فجاءت عمرة فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا به يخبزونه. قال: فلما أكثرت عليّ أخبرتها فقالت: سبحان اللَّه لا بد لنا من شيء نأكله، قال: فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزًا ولحمًا. فقالت عمرة: ما أسرع ما

ردّوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحمًا.

❑ كان قبل أن يفرّق الصدقة على المساكين يثني على اللَّه هذا الثناء الجميل:

سبحانك وحنانيك، خلقتَ فسويت، وقدّرت فهديت، وأعطيت فأغنيت، وأقنيْت وعافيْت، وعفوتَ وأعطيت، فلك الحمد على ما أعطيت حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، حمدًا لا ينقطع أولاه، ولا ينفد أخراه، حمدًا أنت منتهاه؛ فتكون الجنة عقباه، أنت الكريم الأعلى، وأنت جزيل العطاء، وأنت أهل النعماء، وأنت وليّ الحسنات، وأنت خليل إبراهيم، لا يحفيك سائل، ولا ينقصك نائل، ولا يبلغ مدحك قول قائل، سجد وجهي لوجهك الكريم.. ثم يخرّ فيسجد، ثم يفرّق الصدقة.

❑ قال عبدالواحد بن زيد: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد. فجاء رجل فكلّم مالكًا فأغلظ في قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك ومَنْ يغشاك لتكثر غاشيتُك، وتصرف وجوه الناس إليك. قال: فبكى مالك، وقال: واللَّه ما أردت هذا. قال: بلى واللَّه لقد أردت هذا. فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له. فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء، ثم قال: اللَّهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت. قال: فسقط واللَّه الرجل على وجهه ميتًا فحُمل إلى أهله على سرير، وكان يقال: إن أبا محمد مستجاب الدعوة.

❑ جعل ـ رحمه اللَّه ـ يقول عند الموت: أريد أن أزور سيدي ومولاي وما رأيته قط.. أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة، ثم أوقف بين يدي اللَّه فأخاف أن يقول لي: يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبّحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء. فماذا أقول وليس

لي حيلة، أقول: يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي.

◻ قال عبدالواحد: هذا عبداللَّه ستين سنة مشتغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط فأي شيء حالنا؟ وا غوثاه باللَّه[1].

* الإمام أبو نصر بشر بن الحارث الحافي:

◻ قال الحسين بن محمد البغدادي سمعت أبي يقول: زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليًا، فما زادني على كلمة قال: ما اتقى اللَّه من أحبّ الشهرة. وعن أحمد بن نصر قال: كنا قعودًا قدّام بشر نفسْين، قال: فجاء الثالث فقام فدخل.

◻ وعن أحمد بن الفتح قال: سمعتُ بشرًا يقول: بعث إليّ عاصم بن عليّ بأبي زكريا الصفّار فقال: يا أبا نصر إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول: قد اشتد شوقي إليك حتى لقد كدتُ أن آتيك من غير إذن فعلمت كراهيتك لمجيء الرجال، فإن رأيت أن تأذن لي فآتيك لأسلم عليك، فلعلّ اللَّه أن ينفعني برؤيتك. قال: فقلتُ له: قد فهمتُ رسالة الشيخ فأبلغه السلام وقل له: لا تأتني فإن في مجيئك إليّ شهرة عليّ وعليك.

◻ وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة، ما أقبح بمثلي يُظنُّ فيّ ظنٌّ وأنا على خلافه، إنما ينبغي لي أن أكون أكثر مما يُظنّ بي، إني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب.

◻ وقال أحمد بن الصلت: سمعت بشر بن الحارث يقول: غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

◻ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: ربما رفعتُ يدي في الدعاء فأردّها. أقول إنما

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٨٢٤ ـ ٨٢٧)، و«تهذيب الحلية» (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

يفعل هذا من له عند اللَّه وجه.

وقال: من ابتلى بالشهرة، ومعرفة الناس فمصيبته جليلة. وقال: لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه فافتضح. وقال: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس[١].

❑ وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلّم، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.

✍ إنه بشر أستاذ الأستاذين في الزهد والروع.

الذي قال فيه أحمد بن حنبل: آه يا آل بشر، لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قِبَلِكم[٢].

❑ عن أحمد بن عبداللَّه بن خالد قال: سُئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع. فقال: أنا؟ أستغفر اللَّه لا يحلّ لي أن أتكلم في مسألة في الورع، أنا آكل من غلّة بغداد، لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنه كان لا يأكل من غلّة بغداد ولا من طعام السواد، يصلح أن يتكلم في الورع[٣].

إنه بشر الذي قال فيه الإمام أحمد: «واللَّه إن بين أظهركم رجلاً ما هو عندي بدون عامر بن عبداللَّه ـ يعني بشر بن الحارث[٤].

بشر الذي يقول: إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة ما صفا لي درهمه، وهو القائل: ما شبعت منذ خمسين سنة.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٥١١، ٥١٣)، و«تهذيب الحلية» (٣/ ٩٣، ٩٤).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٩٩).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٥١٤، ٥١٥).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٥١٤).

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الجوع يُصفّي الفؤاد ويورث العلم الدقيق» فتعال فانظر إلى دقيق العلم الذي ورثّه اللَّه بشرًا لإخلاصه: قال سكون النفس إلى المدح، وقبول المدح لها، أشد عليها من المعاصي.

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «يكون الرجل مرائيًا في حياته، مرائيًا بعد موته. قيل: كيف يكون مرائيًا بعد موته؟ قال: يحب أن يكثر الناس على جنازته»[1].

✍ ومثل هذا الكلام لا يكون إلا من بشر الحافي طبيب القلوب..

✍ وهذه كرامة تدل على إخلاصه ونقاء قلبه وطهارته وغوصه على دقيق المعاني:

❑ قال منصور الصياد: مرّ بي بشر بن الحارث الحافي يوم الجمعة وهو منصرف من الصلاة فقال: ما لي أراك في هذا الوقت؟ قلت: ما في البيت دقيق ولا خبز ولا شيء يباع. فقال: اللَّه المستعان؛ احمل شبكتك وتعال إلى الخندق؛ فحملتُها وذهبتُ معه، فلما انتهينا إلى الخندق، قال لي: توضّأ وصلّ ركعتين، ففعلت، فقال: سمِّ اللَّه تعالى وألق الشبكة فسمّيت وألقيتها، فوقع فيها شيء ثقيل، فجعلتُ أجرّه فشقّ عليّ؛ فقلت له: ساعدني فإني أخاف أن تنقطع الشبكة، فجاء وجرّها معي، فخرجت سمكة عظيمة لم أر مثلها سِمنا وعِظَما وفراهة. فقال: خذها وبعها واشتر بثمنها ما يُصلح عيالك، فحملتها فاستقبلني رجل فاشتراها، فابتعت لأهلي ما يحتاجون إليه، فلما أكلتُ وأكلوا ذكرت الشيخ فقلت: أهدي له شيئًا، فأخذت رقاقتين وجعلت عليهما من الحلوى، وأتيتُ إليه فطرقتُ الباب، فقال: مَن؟ قلت: أبو نصر [منصور]، قال: افتح وضع ما معك في الدهليز وادخلْ، فدخلتُ

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥١٥).

وحدثته بما صنعتُ فقال: الحمد للَّه على ذلك. فقلت: إني هيأت للبيت شيئًا وقد أكلُوا وأكلتُ ومعي رقاقتان فيهما حلوى. قال: يا منصور! لو أطعمْنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة! اذهبْ كُلْه أنت وعيالك[(١)] .

❑ للَّه درك يا أبا نصر يا من أحيا اللَّه قلبك وجعلك ممن يشتري نفسه بكل شيء ولا يبيعها بشيء.. للَّه درك فأنت القائل: «بحسبك أن أقوامًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن أقوامًا أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم»[(٢)] .

وكرامتك وكلماتك تحيي القلوب «لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة».

كلمات تُشبِع بمعانيها شِبَعًا ليس من هذه الدنيا، كأنها تُطعمنا ثمرة من ثمار الجنة، نرددها لأنفسنا، ونتأمل ما تَفْتُق الشهوات على الناس، فالبلاء إنما يصيبنا من أننا نفسّر الدنيا على طولها وعرضها بكلمات معدودة، فإذا استقر في أنفسنا لفظ من ألفاظ هذه الشهوات، استقرّت به في النفس كل معانيه من المعاصي والذنوب، وأخذت شياطين هذه المعاني تحومُ على قلوبنا، فنصبح مهيّئين لهذه الشياطين، عاملين لها، ثم عاملين معها، فتُدخلنا مداخل السوء في هذه الحياة، وتُقحمنا في الورطة بعد الورطة، وفي الهلكة بعد الهلكة.

وما هذه الشياطين إلا كالذباب والبعوض والهوام، لا تحوم إلا على رائحة تجذبها، فإن لم تجد في النفس ما تجتمع عليه، تفرّقت ولم تجتمع، وإذا ألّت الواحدة منها بعد الواحدة لم تثبت، فلو أننا طردنا من أنفسنا الكلمات التي أفسدت علينا رؤية الدنيا كما خُلِقت، لكان للدنيا في أنفسنا شكل آخر أحسن وأجمل من شكلها، ولكانت لنا أعمال أخرى أحسن وأطهر من أعمالنا.

(١) «كرامات أولياء اللَّه» ص(٢٢٢ ـ ٢٢٣).
(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٥١٥).

فالشيخ لم يكن في نفسه معنًى لكلمة «التلذّذ»، وبطرده من نفسه هذا اللفظ الواحد، طرد معاني الشر كلها، وصلح له دينه، وخلصت نفسه للخير ومعاني الخير.

◻ ولله در القائل: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات». فالشياطين تنجذب إلى المعاني، والمعاني يُوجدها اللفظ المستقرُّ في القلب استقرار غرض أو شهوة أو طمع، فإذا خلا القلب من هذه المعاني، فقد أمِن منازعتها له وشَغْلَها إياه، فيصبح فوقها لا بينها، ومتى صار القلب فوق الشهوات ولم يجد من ألفاظها ما يُعميه ويعترض نظره إلى الحقائق، انكشفت له هذه الحقائق فانكشف له الملكوت، فإذا وقع بعد في واحدة من اللذات، استعلت الأشياء عليه فحجبته، وعاد بينها أو تحتها، وعَمِي عَمَى اللذة، والحجاب على البصر كأنه تعليق العمى على البصر لولا حجاب اللذات، لكان للإنسان نظرة ملائكية يعترض بها المرائين ينظر في وجوههم، ويرى عليها وُحولاً وأقذاراً كالتي في نعالهم أو أقذر أو أقبح، ولعلّه كان لا يرى وجوه طالبي الشهرة الكاذبة إلا كالأحذية العتيقة.

◻ وانظر إلى جنازة المخلص بشر الحافي السيد الإمام:

«قال يحيى بن عبدالحميد الحماني: رأيت أبا نصر التمّار وعلي بن المديني في جنازة بشر بن الحارث يصيحان: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة، وذلك أن بشراً خرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يُجعل في القبر إلا في الليل، وكان نهاراً صائفًا، ولم يستقر في قبره إلى العتمة»[1] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/٥١٦).

* الولي الكبير عمرو بن قيس الملائي:

☐ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «ثلاث من رؤوس التواضع؛ أن تبدأ بالسلام على مَن لقيت، وأن ترضى بالمجلس الدون من الشرف، وأن لا تحب الرياء والسمعة والمدحة في عمل اللَّه»[١].

☐ وعن إسحاق بن خلف قال: كان عمرو بن قيس إذا بكى حوّل وجهه إلى الحائط، ويقول لأصحابه: إن هذا زكام[٢].

☐ وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «حديث أرقّق به قلبي، وأتبلّغ به إلى ربي، أحبّ إليّ من خمسين قضية من قضايا شريح».

✍ للَّه دره ما أفقهه فمراد اللَّه من الناس صلاح قلوبهم ورقتها.

☐ «قال العجلي: ثقة من كبار الكوفيين متعبِّد، وكان سفيان يأتيه يُسلِّم عليه يَتبرك به.

وقال عبدالرزاق: كان سفيان إذا ذكره قال: حسبك به شيخًا.

وقال الحكم بن بشير بن سلمان: رأيت سفيان يجيء إلى عمرو بن قيس يجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه، أظنه يحتسب في ذلك.

وقال عبدالرحمن بن مهدي: «نظر الثوري إلى حمّاد بن سلمة فقال: يا أبا سلمة أشبهك بشيخ صالح. قال: ومَن هو؟ قال: عمرو بن قيس الملائي»[٣].

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ١٥٤).

(٢) «تهذيب الحلية» (٢/ ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٢٩٧).

(٣) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المزي (٢٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) ـ مؤسسة الرسالة.

☐ وقال إسحاق بن خلف: «أقام عمرو بن قيس الملائي عشرين سنة صائمًا ما يعلم به أهله، يأخذ غذاءه ويغدو إلى الحانوت فيتصدّق بغذائه ويصوم، وأهله لا يدرون»(١) .

☐ وقال محمد بن زيد الرفاعي: سمعتُ من لا أحصي كثرة يقول: مات عمرو بن قيس بناحية فارس، فاجتمع على جنازته ما لا يحصى، فلما دُفِن نظروا فلم يجدوا أحدًا.

☐ وقال أبو خالد الأحمر: لما مات عمرو بن قيس الملائي رأوا الصحراء مملوءة رجالاً عليهم ثياب بيض، فلما صُلّي عليه ودفن لم نر في الصحراء أحدًا فبلغ ذلك أبا جعفر، فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى: ما منعكما أن تذكرا هذا الرجل؟ فقالا: كان يسألنا أن لا نذكره لك(٢) .

* التقي النقي الخفي ذو الصيت البالغ في النسك والتعبد كُرز بن وبرة:

☐ عن أبي حفص السائح عن أبي بشر قال: كان كرز بن وبرة من أعبد الناس، وكان قد امتنع عن الطعام، حتى لم يوجد عليه من اللحم، إلا بمقدار ما يوجد على العصفور، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينًا ولا شمالاً، وكان من المحبين المخبتين للَّه، قد وله من ذلك، فربما كُلّم فيجيب بعد مدة من شدة تعلق قلبه باللَّه واشتياقه إليه.

☐ قال الذهبي في ترجمة كرز: «هكذا كان زهّاد السلف وعبّادهم أصحاب خوف وخشوع، وتعبد وقنوع، لا يدخلون في الدنيا وشهواتها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والمحو، والاصطلام، والاتحاد، وأشباه ذلك، مما لا يسوّغه كبار العلماء»(٣) .

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٩٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٩٩)، و«كرامات أولياء اللَّه» ص(١٩٧).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٨٤ ـ ٨٦)، و«حلية الأولياء» (٣/ ٢٩).

❑ عن فضيل بن غزوان: كان كرز يصلي حتى ترم قدماه، فيحفر الحفيرة - يعني: تحت رجليه.

❑ وقال أبو المكتب: صحبت كرزًا إلى مكة، فاحتبس يومًا وقت الرحيل، فانبثوا في طلبه، فأصبته في وَهْدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فقال لي: اكتم هذا واستحلفني[1] .

❑ رحمه اللَّه من زاهد قدوة أنشد فيه ابن شبرمة:

لو شئت كنت ككرز في تعبد — أو كابن طارق حول البيت في الحرم

قد حال دون لذيذ العيش خوفهما — وسارعا في طلاب الفوز والكرم

«دخل - رحمه اللَّه - على ابن شبرمة يعوده وهو مبرسم فتفل في أذنه فبرئ»[2] .

❑ قال أبو نعيم فيه: «له الصيت البليغ والمكان الرفيع في النسك والتعبد»[3] .

* قصة عبداللَّه بن المبارك مع العبد الأسود:

❑ عن عبداللَّه بن المبارك قال: «كنت بمكة فأصابهم قحط، فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يسقوا، وإلى جانبي أسود منهوك، فقال: اللَّهم اللَّهم قد دعوك فلم تجبهم، إني أقسم عليك أن تسقينا.

قال: فواللَّه ما لبثنا أن سقينا.

قال: فانصرف الأسود واتبعته حتى دخل دارًا في الحنّاطين فعلّمتها، فلما أصبحت أخذت دنانير وأتيت الدار فإذا رجل على باب الدار فقلت:

(١) «الحلية» (٣/ ٢٩).

(٢) «كرامات أولياء اللَّه» (٢٤٨).

(٣) «الحلية» (٥/ ٧٩).

أردت رب هذه الدار. قال: أنا.

قلت: مملوك لك أردت شراءه.

فقال: لي أربعة عشر مملوكًا أخرجهم إليك.

قال: فلم يكن فيهم. فقلت له: بقي شيء؟

فقال لي: غلام مريض، فأخرجه فإذا هو الأسود.

فقلت: بعنيه.

فقال: هو لك يا أبا عبدالرحمن، فأعطيته الأربعة عشر دينارًا، وأخذت المملوك، فلما صرنا إلى بعض الطريق قال: يا مولاي أي شيء تصنع بي وأنا مريض؟

فقلتُ له: لما رأيته عشية أمس.

قال: فاتكأ على الحائط فقال: اللَّهم لا تشهر بي فاقبضني إليك.

قال: فخرّ ميتًا فانحشر عليه أهل مكة»[1].

* شيخ المخلصين علي بن عبدالحميد الغضائري:

□ قال محمد بن الحسن اليقطيني، ومحمد بن إبراهيم: «سمعنا عليّ ابن عبدالحميد الغضائري يقول: دققتُ على السري بن مُغلِّس بابه فسمعته يقول: اللَّهم من شغلني عنك فاشغله بك عني.

فكان من بركة دعائه أني حججت من حلب ماشيًا على قدميّ أربعين عامًا»[2].

* * *

(١) أورده اللالكائي في «كرامات أولياء اللَّه» ص(١٨٠)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٢٦٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/٢٠١٧).

*** شيخ الإسلام الحسن بن علي البربهاري: صاحب السرائر الذي نمّ عليها قبره عند موته:**

❑ قال عنه ابن الجوزي: «جمع العلم والزهد وصحب المروذي، وسهلاً التستري، وتنزّه عن ميراث أبيه لأمر كرهه عن سبعين ألف درهم، وكان البربهاري شديدًا على أهل البدع، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه، وكان ينزل بباب محوّل، فانتقل إلى الجانب الشرقي واستتر عند أخت توزون فبقي نحوًا من شهر، ثم أخذه قيام الدم فمات، فقالت المرأة لخادمها: انظر من يغسله، وغلّقت الأبواب حتى لا يعلم أحد، فجاء الغاسل فغسله ووقف يصلي عليه وحده، فاطلّعت فإذا الدار ممتلئة رجالاً بثياب بيض وخضر، فاستدعت الخادم وقالت: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي رأيتِ ما رأيتُ؟ قالت: نعم. قال: هذه مفاتيح الباب وهو مغلق، فقالت: ادفنوه في بيتي، وإذا مت فادفنوني عنده.

وقرأت بخط شيخنا أبي الحسن، ابن الزاغوني قال: كُشف قبر أبي محمد البربهاري وهو صحيح لم يرم، وظهر من قبره روائح الطيب حتى ملأت مدينة السلام»[1] .

✍ أخفوا للَّه العمل فأظهر اللَّه نشرًا من جزائهم، وظهر عاجل بشراهم طيبًا يملأ دار السلام.

*** شيخ الإسلام أبو عمر المقدسي: الرباني المخلص عديم النظير:**

❑ قال عنه الحافظ الضياء: كان لا يترك قيام الليل من وقت شُبُوبيته، وإذا رافق ناسًا في السفر ناموا وحرسهم يصلي.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٦١٨ ـ ٦١٩).

❑ قال الذهبي: «كان قدوة صالحًا، عابدًا قانتًا للَّه، ربانيًّا خاشعًا، مخلصًا عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قلّ أن ترى العيون مثله»[(١)].

* الإمام الزاهد، مجاب الدعوة: العماد المقدسي:

❑ قال عنه الضياء المقدسي: «كان إذا دعا كأنّ القلب يشهد بإجابة دعائه، من كثرة ابتهاله وإخلاصه».

ومن دعائه: «اللَّهم اغفر لأقسانا قلبًا، وأكبرنا ذنبًا، وأثقلنا ظهرًا»[(٢)].

* شيخ الإسلام ابن تيمية الرباني المتبتل:

❑ قال الشيخ أبو الحسن الندوي: «لا يستطيع أي إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها ما لم يشعر بلذتها ويذوق طعمها، وما لم تحتل العبادة محل الدواء والقوة، ويصل إلى درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرة ولروحه مسرة، أما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطلعون على أحواله بأنه كان له القدح المُعَلّى في هذه الثروة الغالية، وكان له ذوق خاص في العبادة والمناجاة والخلوة، وكان شديد الشغف بهذه الناحية، عظيم الانهماك فيها». جاء في «الكواكب الدرية»: «وكان في ليله منفردًا عن الناس كلهم خاليًا بربه، ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة». ويقول العلامة الذهبي: «لم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه»، ويقول أيضًا: «وله أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية»[(٣)] ا.هـ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/٦ ـ ٧).

(٢) انظر ترجمته في «السير» (٢٢/٤٧ ـ ٥٢).

(٣) ««الحافظ ابن تيمية» لأبي الحسن الندوي.

❑ وقال عنه الذهبي: «نشأ ـ رحمه اللَّه ـ في تصون تام وعفاف وتأله وتعبّد».

❑ وقال بعض قدماء أصحابه: «برًّا بأمه ورعا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوّامًا قوّامًا، يذكر اللَّه في كل أمر وفي كل حال».

❑ قال عنه الشيخ الجوحي: كم له في حنادس الخطب والخلق نيام حتى الضحى من قيام.

❑ وقال عنه الحافظ البرزالي: «كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا من انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال باللَّه تعالى والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى اللَّه تعالى، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس يفسّر القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدق نيّته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى اللَّه خلق كثير».

❑ قال الحافظ ابن عبدالهادي عنه: «كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: ربما طالعتُ على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل اللَّه الفهم، وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة، ونحوها، وأمرِّغ وجهي في التراب، وأسأل اللَّه تعالى وأقول: يا معلِّم إبراهيم فهِّمني.

*** صاحبة الشّكال وابنها الصوّام القوّام نختم بها رحلتنا مع المخلصين ونهديها للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة من أشباه الرجال الذين نُكبت بهم أمتنا:**

❑ حكاية أبي قدامة مع المرأة التي ضفرت شعرها شكالاً للفرس في سبيل اللَّه مشهورة، حكاها جماعة منهم أحمد بن الجوزي الدمشقي في كتابه المسمى «بسوق العروس وأنس النفوس».

فحكى أنه كان بمدينة رسول اللَّه ﷺ رجل يقال له: أبو قدامة الشامي، وكان قد حبب اللَّه إليه الجهاد في سبيل اللَّه تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يومًا في مسجد رسول اللَّه ﷺ يتحدث مع أصحابه، فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد قال: نعم، إني دخلت في بعض السنين الرقة[1] أطلب جملاً أشتريه ليحمل سلاحي، فبينا أنا يومًا جالس، إذ دخلت علي امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رزقت من الشعر ما لم يرزقه غيري من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالاً للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت في بلاد الكفر وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة، فإذا احتجت إليه وإلا فَادْفَعْه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل اللَّه فأنا امرأة أرملة[2] كان لي زوج وعصبة[3] كلهم قتلوا في سبيل اللَّه ولو كان علي جهاد لجاهدت قال: وناولتني الشكال.

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قتل خلف لي غلامًا من أحسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي عن القوس، وهو قوّام بالليل صوّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى اللَّه عز وجل، وأنا

---

(١) الرقة: بفتح أوله وثانيه، وتشديده، مدينة مشهورة على الفرات. انظر: «معجم البلدان» (٣/٥٨ - ٥٩).

(٢) يقال للمرأة التي لا زوج لها: أرملة، لافتقارها إلى من ينفق عليها، قال الزهري: لا يقال لها: أرملة، إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة، فليست بأرملة. انظر: «المصباح» ص(٢٣٩).

(٣) العصبة من الرجال: نحو العشرة، أو إلى الأربعين. انظر: «المصباح» ص(٤١٣).

أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمني ما طلبت من الثواب، قال: فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: القه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئنَّ قلبي، قال: فطرحته في رحلي وخرجت من الرقة ومعي أصحابي، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبدالملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف علي قليلاً يرحمك اللَّه فوقفت وقلت لأصحابي: تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا بالفارس قد دنا مني وعانقني، وقال: الحمد للَّه الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائبًا، قلت: حبيبي أسفر لي عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة قلت: حبيبي لك والد؟ قال لا، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي؛ لأنه استشهد فلعل اللَّه أن يرزقني الشهادة كما رزق أبي، قلت: حبيبي لك والدة؟ قال: نعم، قلت: اذهب إليها واستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد؛ لأن الجنة تحت ظلال السيوف، وتحت أقدام الأمهات.

قال: يا أبا قدامة أما تعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال، وأنا إن شاء اللَّه الشهيد ابن الشهيد، سألتك باللَّه لا تحرمني الغزو معك في سبيل اللَّه، فإني حافظ لكتاب اللَّه، عارف بسنة رسول اللَّه ﷺ، عارف بالفروسية والرمي، وما خلفت ورائي أفرس مني، فلا تحقرني لصغر سني، وإن أمي قد أقسمت عليَّ لا أرجع، وقالت: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك للَّه واطلب مجاورة اللَّه ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين في الجنة، فإذا رزقك اللَّه الشهادة فاشفع فيَّ، فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى

السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانة قلبي، وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه.

قال: فلما سمعت كلام الغلام، بكيت بكاء شديدًا أسفًا على حسنه، وجمال شبابه، ورحمة لقلب والدته، وعجبًا من صبرها عنه، فقال: يا عم مم بكاؤك؟ إن كنت تبكي لصغر سني، فإن اللَّه يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه، قلت: لم أبك لصغر سنك، ولكن أبكي لقلب والدتك، كيف تكون بعدك، قال: فسرنا ونزلنا تلك الليلة، فلما كان الغداة رحلنا، والغلام لا يفتر من ذكر اللَّه تعالى، فتأملته، فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلاً، وصار كلما سار يقوى عزمه، ويزداد نشاطه، ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قال: فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعامًا لإفطارنا، وكنا صيامًا فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينا هو نائم إذ تبسم في نومه، فقلت لأصحابي: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه؟ فلما استيقظ، قلت: حبيبي رأيتك الساعة تبتسم في منامك ضاحكًا قال: رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني، قلت: ما هي؟ قال: رأيت كأني في روضة خضراء أنيقة، فبينما أنا أجول فيها، إذ رأيت قصراً من فضة شُرَفه من الدر والجوهر، وأبوابه من الذهب، وستوره مرخية، وإذا جواري يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار، فلما رأينني، قلن لي: مرحبًا بك، فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن، فقالت: لا تعجل ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض: هذا زوج المرضية، فقلن لي: تقدم يرحمك اللَّه، فتقدمت أمامي، فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن اللَّه ثبت علي بصري لذهب،

وذهب عقلي، من حسن الغرفة وبهاء الجارية، قال: فلما رأتني الجارية، قالت مرحبًا وأهلاً وسهلاً يا ولي اللَّه وحبيبه، أنت لي وأنا لك، فأردت أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلاً لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا[1] ، وإن الميعاد بيني وبينك غدًا عند صلاة الظهر، فأبشر، قال أبو قدامة: فقلت له حبيبي رأيت خيرًا وخيرًا يكون.

ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادي ينادي يا خيل اللَّه اركبي[2] ، وبالجنة أبشري: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾ [التوبة: ٤١]، فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكُفْر ـ خذله اللَّه ـ قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام، فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالاً وجندل أبطالاً، فلما رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبي ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب، فقال يا عم: ألم تسمع قول اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ [الأنفال: ١٥]، أتريد أن أدخل النار؟.

فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان، إذا القتلى لا يحصون عددًا، فجعلت أجول بفرسي بين القتلى، ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء.

فبينا أنا أجول بين القتلى، إذ أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، باللَّه ابعثوا لي عمي

---

(١) خنا خنوًا: أفحش. «القاموس المحيط» (٤/ ٣٢٦)، الطبعة الثالثة، المطبعة المصرية.

(٢) هذا على حذف المضاف، أراد: يا فرسان خيل اللَّه اركبي. «النهاية» (٢/ ٩٤).

أبا قدامة، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس[1] الدواب، فقلت: ها أنا أبو قدامة، قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه، ومسحت التراب والدم عن محاسنه، وقلت: يا حبيبي لا تنس عمك أبا قدامة اجعله في شفاعتك يوم القيامة، فقال: مثلك لا يُنسى، تمسح وجهي بثوبك؟ ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى اللَّه تعالى به، يا عم هذه الحور التي وصفتها لك قائمة على رأسي، تنتظر خروج روحي، وتقول لي: عجل فأنا مشتاقة إليك.

باللَّه يا عم إن ردك اللَّه سالمًا، فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة، وتسلمها إليها، لتعلم أني لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها: إن اللَّه قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أخت صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني، وإنها ودعتني عند مخرجي هذا، وقالت لي: باللَّه يا أخي لا تبطئ عنا، فإذا لقيتها فاقرأ عليها مني السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: اللَّه خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هذا ما وعدنا اللَّه ورسوله، وصدق اللَّه ورسوله، ثم خرجت روحه، فكفنّاه في ثيابه، وواريناه ـ رضي اللَّه عنه ـ وعنا.

❑ قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله، وهي

(١) الدوس: الوطأ بالرجل ـ «القاموس المحيط» (٢/ ٢١٧) ط ٣.

قائمة بالباب، وكل من مر بها تقول: يا عم من أين جئت؟ فيقول: من الغزاة، فتقول: أما رجع معكم أخي؟ فيقولون: لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها، فقالت لي: يا عم من أين جئت؟ قلت: من الغزو، قالت: أما رجع معكم أخي، ثم بكت وقالت: ما بالي أرى الناس يرجعون، وأخي لم يرجع، فغلبتني العَبرة، ثم تجلدت خشية على الجارية.

ثم قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة المنزل: كلمي أبا قدامة فإنه على الباب، فسمعت المرأة كلامي، فخرجت إلي وقد تغير لونها، فسلمت عليها، فردت السلام، وقالت: أمبشرًا أنت يا أبا قدامة أم معزيًا؟، قلت: بيني لي البشارة من التعزية رحمك اللَّه، قالت: إن كان ولدي رجع سالمًا فأنت معز، وإن كان قتل في سبيل اللَّه فأنت مبشر، فقلت: أبشري فقد قبل اللَّه هديتك، فبكت وقالت: قبلها؟ قلت: نعم، فقالت: الحمد للَّه الذي جعله ذخيرة لي يوم القيامة.

قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام؟ قالت: هي التي كانت تكلمك الساعة، فتقدمت إلي، فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: اللَّه خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت وخرت على وجهها مغشيًّا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة، فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه، وودعتها، وانصرفت حزينًا على الغلام والجارية، ومتعجبًا من صبر أمهما[1].

* * *

(١) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس (١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٩) ـ دار البشائر الإسلامية.

* وا شوقاه إلى أرباب الإخلاص:

✍ وبهذه الصفحة تنتهي رحلتنا مع أرباب الإخلاص الذين كانوا زينة الدنيا:

بانوا وخُلِّفت أبكي في ديارهمُ ... قل للديار سقاكِ الرائح الغادي

❐ ولله در القائل عنهم:

واليومَ أصبحتُ أبكي بعدَ بُعدِهم ... لما تَنَاءَوْا نأتْ عني مسرَّاتِي

وغاب مُذْ غاب عن عيني جمالُهُمو ... راحي وروحي وريحاني وراحاتي

ولا صفا بعدهم عيشي بمنهلةٍ ... ومذْ تولَّوْا تولى طيبُ لذاتي

يا سادة ملكوا قلبي بلُطْفِهِمُو ... ما ضرهم لو أعادوا لي أُوَيْقاتي

هُمْ مرادي وهم سُؤْلي وهُمْ أملي ... وهُمْ نهاية مقصودي وغاياتي

وهم سروري وهم سمعي وهم بصري ... وهم نعيمي وروضاتي وجنَّاتي

وهم حياتي وهم أُنْسي وهم شرفي ... وذِكْرُهم لم يَزَلْ في القلب جلواتي

فأصبحوا في الثرى تبلى وجوهُهُم ... تحت التراب فيا عِظمَ المصيباتِ

والهفَ قلبي على من كل يجمعُنا ... على فنون المعاني والإشاراتِ

فارقتُ من كان يرويني برؤيته ... إذا تبدَّي بَدَا سِرُّ العباداتِ

يروى الأحاديث عن سكان كاظمةٍ ... فيطربُ الكونُ من طيب الرواياتِ

ويُطنِبُ الذكْرَ في إحسانِ حُسْنِهِمُ ... فيرقصُ القلب شوقًا نحو ساداتِ

* * *

(١) من قصيدة المتيم عبدالله بن خضر الرومي ـ «العقود الدرية» للحافظ ابن عبدالهادي (٤٧٣ ـ ٧٤٥).



الطريق

إلى

الإخلاص



الطريق إلى الإخلاص

✍ الإخلاص مرتقى صعب، وهو أشرف الغايات والمقاصد.. وهناك بواعث للإخلاص.. أمور تعين العبد على إخلاص القصد للّه رب العالمين منها:

١ - العلم بالإخلاص والرياء:

لا يعرف الرياء إلا مخلص.. ولا بد للسالك إلى اللّه أن يعرف ماهية الإخلاص، وفضله، وثمراته، ودرجاته، وما يتوهم أنه إخلاص وليس كذلك..

ولا بد للعبد أن يعرف الرياء وأبوابه، وأنواعه وأسبابه وعلاماته وويلاته، والخفي منه والجلي.

٢ - معرفة أسماء اللّه وصفاته والتعبد للّه بهذه الأسماء والصفات ومعرفة التوحيد:

متى علم العبد أن له ربًّا له الملك كله وله الحمد كله وبيده الأمر كله، قلوب العباد إليه مفضية، الغيب عنده شهادة والسر عنده علانية، يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم السر وأخفى ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ راقبه واستحيا من مخالفته.

❑ قال عامر بن عبدقيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت اللّه تعالى أقرب إليه مني.

وقال الجنيد: اعلم أنه عز وجل يقرب من قلوب عباده على حسب ما

يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك.

حاضر في القلب يعمرهُ   لست أنساه فأذكرهُ
فهو مولايَ ومعتمدي   ونصيبي منه أوْفَرُهُ

❑ قال محمد بن علي الترمذي: «اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه».

فيراقب الإنسان مواقع رضا الرب، ومساخطه في كل حركة، فانيًا عن مراده من ربه ـ مهما علا ـ بمراد ربه منه.

قلوب المخلصين لها عيون   ترى ما لا يراه الناظرونا
وأجنحة تطير بغير ريش   إلى ملكوت رب العالمينا
فتسقيها شراب الصدق صِرفًا   وتشرب من كؤوس العارفينا

❑ ومما يسهل الإخلاص معرفة عظمة ملك الملوك وأن قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأنه يدبر أمر الممالك يأمر وينهي يعز ويذل، وأنه يقلب قلوب الخلائق، فقلب من ترائيه بيد من تعصيه. وأنه ينادي على باب عزته: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، ويصاح على محجة حجته ﴿لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وأنه ليس أضعف من مخلوق هو بيد طالبه، وليس أعز من الخالق الذي طِلبته بيده، فمن أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تخلص له، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن إجابته وأن كل شيء منه العوض، وليس من اللَّه عوض.

لكل شيء إذا فارقته عِـوَض   وليس للّه إن فارقت مِن عوض

✍ خلقك لنفسه فلا تلعب، وتكفل لك برزقك فلا تتعب، فاطلبه تجده، فإن وجدته وجدت كل شيء، وإن فاتك، فاتك كل شيء، وهو خير

لك من كل شيء.

✍ وتعلم أن اللَّه بيده النفع والضر فلم تخشَ غيره؟! وتكون عبدًا لسواه، وغيره هم العبيد المربوبون الأقزام المفاليس.. أحقر من بعوضة في ملك اللَّه، فهم أعلم بما يخرج من بطونهم، والنحلة أعلم بما يخرج من بطنها.. كل إنسان إذا خفته تهرب منه أما اللَّه عز وجل فإنك إذا خفته تهرب إليه.

تصدُّ وتنأي عن حبيبك دائمًا فأين عن الأحباب ويحك تهرب

✍ يستحي العبد أن يقرع أبواب العبيد وأبوابهم مغلقة، وباب سيده ومولاه مفتوح لمن دعاه.. أليست الدنيا والآخرة والكرم والفضل والجود بيده.. كيف ينقص ملك هو قيّمه؟.. أبخيل هو فيبخله عبده؟!!

✍ ومن كان في كنفِ المِلك القوي العزيز القهار ذو العرش المجيد كيف يصرف همه إلى من أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بين هذا وذاك يحمل العذرة.. جده البعيد تراب ذليل، وأبوه القريب ماء مهين، وهو خرج من مجرى البول مرتين.

أنف يسيل وأذن كلها سهك والعين مرمصة والثغر ملعوبُ

يا بن التراب ومأكول التراب غدًا قصّر فإنك مأكول ومشروب

* وعلى الطرف الآخر تسمع قول الملك: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر: ٣٦].

وأمام نداوة التوحيد وحلاوة الإيمان وأريج الأسماء والصفات تبدّد ظلمات الرياء وحجبه وغشاوته.

* * *

٣ ـ الاستعانة باللَّه العلي القدير، والانطراح على عتبة العبودية، والتعوذ من الرياء وويلاته:

يعلم العبد أن الدعاء هو العبادة، وأنه يسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضا المطمئن، والثقة واليقين، يعيش منها العبد في جناب رضيٍّ وقربى نديّة، وملاذ أمين وقرار مكين، وهو يدعو سيد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير، يلوذ بجنابه ويأتيه بذله وضعفه وانكسار قلبه، يسأله أن يدله على طريق المخلصين، وأن يباعد بينه وبين المرائين، ويسأله أن يعرفه حقيقة أمره وضعفه وهوانه، يسأله أن يصفي عمله من شوائب الرياء، وإرادة المخلوقين.

✍ يتعوذ من الرياء كما علمنا رسـول اللَّه ﷺ عن أبي علي ـ رجل من بني كاهل ـ قال: خطبنا أبو موسى الأشعري، فقال: «يا أيها الناس! اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل». فقام إليه عبداللَّه بن حَزَن، وقيس بن المضارب؛ فقالا: «واللَّه لتخرُجَنَّ مما قلت، أو لنأتينّ عمر مأذونًا لنا أو غير مأذون». فقال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول اللَّه ﷺ ذات يوم، فقال: «**يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل**».

فقال: مَن شاء اللَّه أن يقول: كيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول اللَّه؟ قال: «**قولوا: اللَّهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»[1].

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٣)، والطبراني، ورواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح، وأبو علي وثّقه ابن حبان، قال المنذري: ولم أر أحدًا خرجه. انظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٢١ ـ ١٢٢) ح(٣٦)، و«صحيح الجامع» (٣/ ٢٣٣). وله شاهد من حديث أبي بكر وله طريقان، والحديث حسن بطريقيه، ولبعضه شواهد عن عائشة في «الحلية» (٨/ ٣٦٨)، وعن ابن عباس في «الحلية» (٣/ ٣٦)، فالحديث صحيح بشواهده.

٤ ـ التفكر في زوال الدنيا وسرعة فنائها:

الدنيا عدوة للَّه عز وجل، بغرورها ضلّ من ضلّ، وبمكرها زلّ من زلّ، وحبها رأس الخطايا والسيئات.

* قال تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد: ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** ﴾ [الكهف: ٤٥ ـ ٤٦].

* وقال تعالى: ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾.

● وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند اللَّه جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[٢].

✍ إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات، والهوام والوحوش والأنعام، والذين يقفون عند الحياة الدنيا بما فيها من نقص وهبوط، ويرضونها ويستغرقون فيها، فلا ينكرون فيها نقصا؛ ولا يدركون أنها لا تصلح أن تكون نهاية البشر، فإنها تهبط بهم ثم تهبط؛ لأنهم لا يرفعون رؤوسهم إلى قمة، ولا يتطلعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حديث صحيح: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

رؤوسهم وأبصارهم دائمًا إلى هذه الأرض وما عليها.

● عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ مرّ بالسوق والناس كنفتيه[١] فمرّ بجدي أسك[٢] ميت فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: **«أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟»**، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثم قال: **«أتحبون أنه لكم؟»**، قالوا: واللَّه لو كان حيًّا كان عيبًا أنه أسك فكيف وهو ميت؟، فقال: **«فواللَّه للدنيا أهون على اللَّه من هذا عليكم»**[٣].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه تعالى جعل ما يخرج من بني آدم مثلاً للدنيا»**[٤].

● وقال ﷺ: **«إن اللَّه ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً، وضرب مطعم ابن آدم للدنيا، وإن قزّحه[٥] وملّحه[٦]»**[٧].

● وقال ﷺ: **«إن اللَّه تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً، وما بقي منها إلا القليل، كالثغب شُرِب صفوه، وبقي كدره»**[٨].

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال، قال رسول اللَّه ﷺ: **«يؤتى**

---

(١) أي: عن جانبيه.

(٢) صغير الأذن.

(٣) رواه مسلم.

(٤) حسن: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن الضحاك ابن سفيان، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٢)، و«صحيح الجامع» (١٧٣٩).

(٥) أي: حسّنه، بإلقاء القزح والتوابل فيه.

(٦) أي: أصلحه بإلقاء الملح فيه.

(٧) حسن: رواه ابن المبارك، والبيهقي في «الشعب» عن أبي، وكذا رواه ابن حبان، والطبراني وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٨٢)، و«صحيح الجامع» (١٧٧٨).

(٨) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك»، والديلمي عن ابن مسعود، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٢٥)، و«صحيح الجامع» (١٧٣٧).

بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة واحدة، ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيُقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله ما مرّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» رواه مسلم.

✍ بعد هذا كله هل يفرح عاقل بالدنيا والرئاسة والجاه والمنزلة وأن يشار إليها بالأصابع؟ وإن ملك ما ملك، فإنه ينافس في أقل من جناح بعوضة، من علم هذا أخلص قصده لله عز وجل ولا يبيع ما عند الله بالدنيا، ولا يرائي المخلوقين من أجلها، بل والله لو علم قدرها وكانت كلها بملذاتها تحت قدميه لرفع قدميه عنها تقززًا.

٥ ـ الخوف من سوء الخاتمة وعذاب القبر:

إذا علم المرء أن النفس قد يخرج ولا يعود، وأن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي الله عز وجل، وأن الموت نازل به لا محالة، وأنه يحشر ويبعث على نيته فيخشى أن يفضحه رياؤه وميراثه يوم موته.

- قال ﷺ: «**يبعث الناس على نيّاتهم**».
- وقال ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**».

وفي القبر يأتي الرياء والعمل الخبيث ممثلاً في رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول للمرائي: أبشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشّرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فجزاك الله شرًّا، وأما المخلص فيأتيه إخلاصه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه

يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فجزاك اللَّه خيرًا.

✍ كفى المخلص جزاءً على إخلاصه أن رضيه له أهلاً، أما المرائي فنقول له:

وقل للذي قد غــاب يكفي عقوبة ... مغيبك عن ذا الشأن لو كنت واعيًا

٦ - وضع الآخرة نصب عينيه كأنه يعاينها، فيطالع نعيم المخلصين، وذل وهوان المرائين:

✍ من علم ما في اليوم العقيم القمطرير من ذل ونعيم سار في درب المخلصين.. ولو تدبر المرائي أن فضوح الآخرة هو الفضوح، وأن المرائي ينادى به على رؤوس الأشهاد ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾ [هود: ١٨]، وأن اللَّه يُسمّع به مسامع خلقه ويصغره ويحقره يوم القيامة، وأن عمله سيكون هباءً منثورًا هان عليه ترك الرياء اليوم.

✍ إن للعبد موقفًا بين يدي سيده ليس بينه وبين ترجمان، فيا طيب لقاء المخلص بربه.

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا ... سريرة حب يــوم تبــدو الســرائر

❑ لساه حاله يقول:

وقد صمتُ عن لذات دهري كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطـــرُ صيامي

مَنْ يصُــم عــن مفطــرات ... فصيـــامي عــن ســواكـــا

٧ - التفكر في نعيم الجنة ورفعة المخلصين فيها:

✍ من علم نعيم الجنة وعلو رفعة المخلصين فيها دقّق في أعماله وفتش وطرد عنها الرياء، فأي نعيم يعدل أن يحرّم الرجل على النار.. ويُنال هذا بإخلاص تهليلة واحدة.. هؤلاء الذين أخفوا للَّه أعمالهم أخفى اللَّه لهم الجزاء فلا تعلم نفس ملك مقرب ولا نبي مرسل ما ادخر اللَّه لهم من الجزاء

النفيس: أفيرغب عاقل عن جوار رب العالمين إلى جوار المرائين الكذابين؟!

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً فيقول لهم أهلوهم: واللَّه لقد ازددتم حسنًا وجمالاً. فيقولون: وأنتم واللَّه لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً»**[١].

✍ كيف يرغب المرء عن نعيم ما خطر على قلب بشر، وإن كان المرء يرائي في الدنيا من أجل الجاه والمنزلة الرفيعة فالآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً.

● قال ﷺ: **«الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة، وأوسطها، وفوقه عرش الرحمن، ومنها يتفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس»**[٢].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الجنة بناؤها لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم»**[٣].

● وعن سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»**[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن معاذ، والحاكم في «المستدرك» عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة، وابن عساكر عن أبي عبيدة بن الجراح، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٢٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٣١٢١).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١١٦).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢١٢٧).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**».

✍ فمن أراد اللَّه والجاه والشرف العظيم، فلا يبيع نفسه بالحقير التافه، وهناك أمامه الجنة والخلود، إنما خلقنا لنحيا مع الخالق في دار غرسها الرحمن بيده.

٨ ـ تذكر النار مصير أهل الرياء والبوار:

أي قدر للمرائي حين يكون أول من تسعَّر به النار أيرضى الرجل أن يكون وقودًا للنيران، ولباسه القطران، وطعامه الزقوم والغسلين والضريع بعد الشرف والصيت الكاذب في الدنيا تكون عاقبته الأغلال والسعير والمقامع والأنكال.

أهل الرياء طعامهم من نار، ولباسهم من نار، ومهادهم من نار، أكلوا من النار، وشربوا من النار، ومشوا على النار، بيوتهم من نار، فيا ذلهم، ويا سوء منقلبهم حين يكون الشيطان خطيبهم، حين يحجبون عن ربهم ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: ٣٧].

أنت القتيل بكل من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

٩ ـ الخوف من مقت اللَّه وغضبه والسقوط من عينه، والخوف من حبوط العمل:

إذا هاجت الرغبة إلى حب الحمد والمدح فليضع نصب عينيه حاجة الناس وفقرهم، فمن عرف فقر الناس وضعفهم استراح، كما قال بعض السلف: «جاهد نفسك في دفع أسباب الرياء عنك، واحرص أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان، فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم، وعلمهم بها أو غفلتهم عنها، واقنع بعلم اللَّه وحده».

✍ ومما يعين على الإخلاص خوف العبد من مقت اللَّه إذا اطلع على قلبه وهو منطو على الرياء يجول في حنادسه، وإرادة وجه اللَّه عز وجل بقاء بلا فناء، ولذة بلا عناء، وسرور بلا حزن، وغنى بلا فقر، وكمال بلا نقصان، وعزّ بلا ذل.

✍ والعاقل يعلم أن فراره من ذم اللَّه، ومقته أولى من الفرار من ذم الناس؛ لأن ذمّه شين، كما قال رجل لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه إن مدحي زين وذمي شين، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذاك اللَّه**»(١).

لا تبغين جاهًا وجاهك ساقط عند الإله وكن للمقت حذّارًا

✍ أتخشى الناس واللَّه أحق أن تخشاه؟! فالمخلص لا يزول عنه خوفه على العمل، فكم من رجل يظن أنه أصلح قربانه يضرب به وجهه يوم القيامة. . . فالمخلص وَجِلٌ، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠].

● قال عمر بن الخطاب لحذيفة ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «نشدتك باللَّه هل سمّاني لك رسول اللَّه منهم؟ ـ يعني من المنافقين ـ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحدًا»(٢).

● وقال أبو الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ: «اللَّهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق». قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: «أن ترى البدن خاشعًا، والقلب ليس بخاشع»(٣).

وقال: لئن أستيقن أن اللَّه تقبّل لي صلاة واحدة أحبّ إليّ من الدنيا

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٨٨)، (٦/ ٣٩٤) من حديث الأقرع ابن حابس، وكذا رواه الترمذي وحسّنه (٣٢٦٣).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ١٩)، و«صفات المنافقين» لابن القيم ص(٣٦).

(٣) «صفات المنافقين» ص(٣٦).

وما فيها، إن اللَّه يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١] [المائدة: ٢٧].

● وقال الحسن: «ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق»[٢].

● وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ما منهم رجل إلا ودّ أن أخاه كفاه»[٣].

✍ يا قبح من سقط من عين اللَّه، وركب الأخطار والصعاب، ولزم الطرق لكل باب، وافتدى بالأشلاء والرقاب، إرضاءً لأربابه الذئاب، وإسعادًا لمعبوداته السراب من غير نظر لعاقبة أو حساب أو حياء من اللَّه رب الأرباب[٤].

١٠ ـ الحرص على إخفاء الأعمال، والمداومة على قيام الليل وصيام النافلة:

فقيام الليل والصيام تدريب عملي على الإخلاص، كما سبق من قول قتادة: كان يقال قلما سهر الليل منافق، وقول الإمام أحمد: «لا رياء في الصوم».

١١ ـ ترك الطمع مما في أيدي الناس، واليأس منه:

فمفاتيح خزائن كل شيء بيد اللَّه عز وجل فالزم سدته:

لا تركنن لمخلوق عى طمعٍ ... فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة ... إلا بإذن الذي سوّاك من طين
فلا تصاحب قويًّا تستعزّ به ... وكن عفيفًا وعظِّم حرمة الدين

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٤١).

(٢) صحيح: وصله أبو جعفر الفريابي في كتاب «صفة المنافقين»، انظر «الفتح» (١/ ١١١).

(٣) الدارمي في «سننه»، وابن المبارك في «الزهد» (٤٩).

(٤) «الإخلاص» لأحمد سيد هوى ص(٣٥) ـ مؤسسة قرطبة.

واســترزق اللّه مما في خزائنـــه فإن رزقـك بين الكاف والنـــون

١٢ ـ العزلة والخُلوة:

الخلوة مهر بكر الفكر، وسلم معراج الهمة. حريم العزلة مصون من عيب غيث عبث. إذا خلت دار الخلوة عن الصور تفرّغ القلب لملاحظة المعاني.

أوحشـــتني خلـــواتي بك من كـــل أنيس
وتفـــرّدت فعاينتـــك بالغـــيب جلـــيسي
ودعاني الوجد والحب إلى المعـــنى النفـــيس
فبدا لي أن مهر الحب أنفـــاس النفـــوسِ
فكتبت العهد للحب على طرس الرسِيـــسِ

✍ الأنس بالإنس ربق، والمخالطة توجب التخليط، وأيسر تأثيرها تشتيت الهمّ.

أقل ما في سقوط الذئب في غنم إن لم يصب بعضها أن ينفر الغنمُ

قطع العلائق أصل الأصول. فرّغ لي بيتًا أسكنه، تأملوا إلى الفرس إذا قدم إلى الماء الصافي كيف يضرب بيديه فيه حتى يتكدر؟ أتدرون لم؟ لأنه يرى صورة نفسه في الماءالصافي وصورة غيره فيكدره حتى لا تتبين فيه الصور، فيتهني بالشرب. لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق»[١] .

❏ كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته.

❏ وقال الإمام أحمد: أشتهي ما لا يكون. . أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحد من الناس.

---

(١) «المدهش» لابن الجوزي ص(٤٤٢ ـ ٤٤٣).

❑ وقال ذو النون: «إذا أنس الحكيم بالوحدة فقد اعتقد الإخلاص، حينئذ تحرّكه الحكمة للحق والصواب».

وقال: «الاستيناس بالناس من علامة الإفلاس».

❑ وقال يحيى بن معاذ: «الوحدة منية الصديقين والأنس بالناس وحشتهم».

❑ وقال ابن مسعود: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سُرُج الليل، جُدد القلوب، خُلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض»[1] .

❑ قال ابن الجوزي: «في اليواقيت الجوزية»: المؤمن على طهارة اليوم من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

غير أنه لما خالطه أوساخ الهوى تدنّست ثياب معاملته، وليس لها تنظيف إلا بماء العلم في بيت العزلة.

العزلة رأس الحمية عن الدنيا، تخيط عين باز الهوى، فيألف العِظام عن الطيران، والعزلة صحراء خالية عن بقاع، ياسرعة إبصار الهلال فيها لذي بصر.

قلّ غرس خلوة إلا وعليها ثمرة الأنس.

أيها المبتدئ عليك بالعزلة، فإنها أصل العمل، تضم شتات قلبك، وتحفظ ما لفقت من خصال يقظتك، فإن حالك كمرقعة بالنية، إن تحركت فيها تمزّقت، إذا جرى القدر باجتماع العقل واليقين في بيت الفكر أخذ في توبيخ الآمّارة، فإن كان زمن المرض قد انقضى أثَّرَ اللوم ثوران العزيمة إلى قطع القواطع، فحينئذ تكتب النفس بكفّ الهجر طلاق الهوى وتتجلبب

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ١٨٢).

الزهد، فتستوحش من أهل الدنيا شغلاً بصحبة «**أنا جليس من ذكرني**»[١].

✍ **أخي**: «على المرء أن يحترز عن مجالسة صاحب السوء؛ ليقصي ولاية شياطين الجن والإنس من صحن قلبه، فيصفَّى عن لوثة شيطانية» كما قال الغزالي[٢].

❑ قال ابن الجوزي: «من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه؛ فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان.

وقد جرّبت على نفسي مرارًا أن أحصرها في بيت العزلة، فتجتمع هي، ويُضاف إلى ذلك النظر في سير السلف، فأرى العزلة حِميَّة، والنظر في سير القوم دواء، واستعمال الدواء مع الحِمْية عن التخليط نافع.

فإذا فسحت لنفسي في مجالسة الناس ولقائهم؛ تشتّت القلب المجتمع، ووقع الذهول عمّا كنت أراعيه، وانتقش في القلب ما قد رأته العين، وفي الضمير ما تسمعه الأذن، وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا، وإذا جمهور المخالطين أرباب غفلة، والطبع بمجالستهم يسرق من طباعهم.

فإذا عدتُ أطلبُ القلب؛ لم أجده، وأروم ذاك الحضور فأفقده، فيبقى فؤادي في غمار ذلك اللقاء للناس أيامًا حتى يسلو الهوى.

فالزم خلوتك! وراع ما بقيت النفس! وإذا قلقت النفس مشتاقة إلى لقاء الخلق؛ فاعلم أنها بعد كَدِرة؛ فرَضِّها، ليصير لقاؤهم عندها مكروهًا.. ولو كان عندها شغل بالخالق؛ لما أحبت الزحمة؛ كما أن الذي يخلو بحبيبه لا يؤثر حضور غيره.. ولو أنها عشقت طريق اليمن؛ لم تلتفت إلى الشام»[٣].

---

(١) «اليواقيت الجوزية» لابن الجوزي ص(١٢٨، ١٢٩).

(٢) «أيها الولد المحب» للغزالي ص(١٣٠).

(٣) «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص(٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧).

١٣ ـ صحبة المخلصين:

● قال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة**» رواه البخاري.

صاحب أهل الإخلاص وصافهم، واستفِد من أخلاقهم وأوصافهم، واسكن معهم بالتأدب في دارهم، وإن عاتبوك فاصبر ودارهم، إن لم يكن لك مكنة البذر، ولم تطق مراعاة الزرع، فقف في رفقة ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ**﴾.

إن صدقت في طلابهم فانهض وبادر، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر. هم القوم لا يشقى جليسهم نواياهم للثواب خزائن، وعزائمهم للأجور مدائن وصحبتهم تعيد أمجادًا ماضية، وتقوّم أوضاعًا حالية، وتصحح أفكارًا بالية.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أولياء اللَّه الذين إذا رئوا ذكر اللَّه تعالى**»[١].

□ قال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدتُ من قلبي قسوة، غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع، كان كأنه ثكلى»[٢].

□ وقال الفضيل بن عياض: «نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب».

□ وقال عبداللَّه بن المبارك: «إذا نظرت إلى الفضيل جدّد لي الحزن ومَقَتُّ نفسي، ثم بكى»[٣].

---

(١) حسن: رواه الحكيم عن ابن عباس والطبراني في «الكبير»، والمروزي، وأبو نعيم، والضياء وابن المبارك، عن سعيد بن جبير مرسلاً، وحسّنه الألباني في رقم (١٧٣٢)، و«السلسلة» رقم (٢٥٥٤).

(٢) «السير» (٦/ ١٢٠).

(٣) «السير» (٨/ ٤٣٨).

◻ سفيان الثوري وهو من هو يحتاج إلى وعظ الفضيل وصحبته وتنبيهه إياه على دقيق الرياء فكيف بمن لا يساوي غبار نعل الثوري؟!

✍ يا من قد ضاع يوسف قلبه جزْ بخيم القوم، لعلك تجد ريح يوسف.

«فيا أطروش الهوى، صاحب من يسمع، .. يا أعمى البصيرة، امش مع من يبصر، تشبه بالصالحين تُعَدُّ في الجملة؛ هذا الطاووس يحب البساتين فهو يوافق الأشجار، إذا ألقت ورقها ألقى ريشه، فإذا اكتست اكتسى، لو سرت في حزب المتقين لعرفوا لك حق الصحبة، يا من كان لهم رفيقًا فأصبح لا يعرف لهم طريقًا، اطلب اليوم أخبارهم، واتبع في السلوك آثارهم، فإن وقعت ببعضهم حملك إلى أرضهم»[1].

محتْ بعدكم تلك العيونَ دموعها ... فهل من عيونٍ بعدها نستعيرها

رحلنا وفي سِرِّ الفؤاد ضمائرٌ ... إذا هبَّ نجديّ الصّبا يستثيرها

ترفَّقْ رفيقي هل بدت نار أرضهم ... أم الوجد يذكى ناره ويثيرها

سقى اللَّه أيامًا مضت ولياليا ... تضوّع ريّاها وفاح عبيرُها

✍ يا من كثر تردده إلى المجلس، ولم يزل بعيدًا عن إخلاص القوم، لا تضجر فللدوام أثر، جالس المخلصين يتعدّ إليك إخلاصهم؛ فتأثير الصحبة لا يخفى، أما ترى دودَ البقول أخضر، لا تلتفت إلاّ إلى من دلّك على اللَّه وعلى الطريق الموصلة إليه... اسلكوا جادة القوم لعلّ مشاعلهم تلوح بكم، تعلّقوا بغبارهم لعلّ الحادي يُنوِّه بكم، صَوِّتوا بأرباب الإخلاص والمعاني عسى يقف بعض الساقة لكم، اصحب أهل الإخلاص فإن الواو والراء والدال لا تشم منه رائحة الورد.

✍ أخي: اصحب من يحملك في سيرك إلى اللَّه.

---

(١) المدهش.

١٤ ـ قراءة تراجم أهل الإخلاص والمعاني:

لله در بشر بن الحارث الحافي إذ يقول: «كم من أناسٍ موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأناس أحياء تموت القلوب برؤيتهم»

ومن عجب أني أَحِنُّ إليهمُ وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النَّويَ قلبي وهم بين أضلعي

ولله در القائل:

حالت لفقدكم أيامنا فغدتْ سودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا
ليُسق عهدكمُ عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

ماذا يفعل الرجل منا وقد تبدّل الزمان وأهله.. إن البعد ـ ولو قليلاً ـ عن الطيبين المخلصين وذكرهم موت لا يطيقه عاقل.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتمُ عنا وتزهق بالأشواق أرواحنا منا
بعادكم موت وقربكم حيا ولو غبتم عنا ولو نفسًا متنا
نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

تزوج عثمان بن أبي العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب فقال: «والله ما نكحتها رغبة مالٍ ولا ولد، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل عمر»[١].

تعلّلا أن حُرمنا طيب رؤيته من فاته العين هدّ الشوق بالأثر

فإن أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتبعثها إلى التأسّي بذوي التضحيات والعزمات لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف الغايات.

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(١١٨، ١١٩)، ورجاله ثقات.

✍ و«الحكايات جند من جنود اللَّه تعالى يثبت اللَّه بها قلوب أوليائه».

❑ قال أبو حنيفة ـ رحمه اللَّه ـ: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبّ إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم».

❑ وقال مالك بن دينار: الحكايات تحف الجنة.

❑ وقال آخر: استكثروا من الحكايات فإنها درر، وربما كانت فيها الدرة اليتيمة.

وذكرك في المسامع خير هادٍ يُكرَّرُ في الجموع فلا يُمَلُّ

✍ ولسنا نريد بذكر التراجم قصصًا وحكايات، دون علم نافع وعمل كبني إسرائيل. قال عنهم رسول اللَّه ﷺ: **«إن بني إسرائيل لما هلكوا قصّوا»**[1] . أي: لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص، وعوّلوا عليها قاله المناوي.

✍ إنما نريد فهم العلماء الربانيين العاملين للكتاب والسنة.. أناس سيط الحق بدمائهم، وامتزح حب القرآن والسنة بلحومهم، وكان الاتباع أحب إليهم من سواد أعينهم فكانوا قدوة في العلم والعمل.

✍ وقراءة سير نبغاء العلماء الصلحاء، والوقوف على أخبار الرجال العظماء، والتملِّي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدّين خير مهماز لرفع الهمم، وشد العزائم، وسمو المقاصد، وإنارة القلوب، وإخلاص النيات[2] .

✍ ومطالعة التراجم، وسَبْر مواطن العِظة في حياة العظماء، وسيلة

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء، وأبو نعيم في «الحلية»، والأشبيلي في الأحكام عن خبّاب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٤١).

(٢) صفحات من «صبر العلماء» لأبي غدة ص(١٧ ـ ١٨).

هامة من وسائل التربية بعد أن ندر وجود المخلصين، فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة.

ما في الخيام أخو وجد يريحك إن بثثته بعض شأن الحبِّ فاغتربِ

قال نُعيم بن حماد: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟، فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه[1].

ونعوذ باللَّه من سيرة هؤلاء الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم صاحب ورع، ولا أهل إخلاص ومعانٍ، ولا أصحاب سرائر، فاللَّه اللَّه عليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تراجمهم، ومعرفة أخبارهم والتعرف على أحوالهم، ففي هذا رؤية لهم.

فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلّي أرى الديار بسمعي

١٥ ـ محاسبة النفس ومجاهدتها، ومخالفة الهوى:

مما يدفع الرياء والهوى ويبعده أن يحاسب المرء نفسه، يحاسبها قبل أن يقدم على العمل، وينظر في همه وقصده، فالمرء إذا نفى الخطرات قبل أن تتمكّن من القلب سهل عليه دفعها، ذلك أن بداية الأفعال من الخطرات، فالخطرة النفسية، والهم القلبي قد يقويان حتى يصبحا وسواس، والوسوسة تصير إرادة، والإرادة الجازمة لا بد أن تكون فعلاً.

قال الحسن: «كان أحدهم إذا أراد يتصدق بصدقة تثبّت؛ فإن كانت للَّه أمضاها، وقال: رحم اللَّه عبدًا وقف عند همه، فليس يعمل عبد حتى يهمّ، فإن كان للَّه مضى، وإن كان لغيره تأخّر». والتثبت في الخطرات إنما يكون بعرض همه وخطراته على الكتاب والسنة، فيجعلهما دليله.

ويعاتبها إذا رأى فيها ميلاً إلى المخلوقين: «يا نفس تعلقت بما في أيدي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٨٢).

المخلوقين، وركنت إلى ثناء العاجزين وحمد المحدِّثين وشكر التائهين ومدح المخدوعين، لم تجعلين ربك أهون الناظرين، لم عظّمت أقدار المخلوقين، ونسيت قول ربك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

✍ يا نفس لم تنزلين البشر فوق أقدارهم، وتتجاوزين في التعامل معهم حدودهم وأطوارهم؟

أترغبين فيمن تقلقله بقة، وتنتنه عرقة، وتميته شرقة؟

«أتُفتنين بمن القبر مقرُّه، وبيت الدود مستقره، وإلى اللَّه مقره؟!».

ثم تلي المحاسبة المجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

◻ قال الجنيد: لنهدينهم سبل الإخلاص.

ولا يضع أحد قدمه على طريق الإخلاص وهو مستسلم لأهواء نفسه وحبها للجاه والظهور، وطموحها إلى الشهرة والرياسة والثناء، إنما يسلك الطريق من اصطحب معه إرادة قوية، وتصميمًا على المجاهدة. والإرادة هي الأساس، والمجاهدة هي المحور.

✍ حاسب نفسك، فإن رمقت نفسها بعين العُجْب، فذكِّرها بخساسة الأصل. «اللَّهم دُلّنا على قهر نفوسنا التي هي أقرب أعدائنا إلينا، وأكثرهم نكاية فينا».

✍ يا هذا بدِّل اهتمامك لك باهتمامك بك، اسرق منك لك فالعمر قصير.

✍ يا هذا طَهِّر قلبك من الشوائب فالإخلاص لا يُلقى إلا في قلب طاهر، أما رأيت الزارع يتخيَّر الأرض الطيبة ويسقيها ويرويها ثم يثيرها

ويقلبها، وكلما رأى حجراً ألقاه، وكلما شاهد ما يؤذى نحّاه، ثم يلقى عليها البذر، ويتعاهدها من طوارق الأذى؛ وكذلك الحق عز وجل إذا أراد عبداً لوداده حصد من قلبه شوك الشرك، وطهّره من أوساخ الرياء والشك، ثم يسقيه ماء التوبة والإنابة ويثيره بسحاب الخوف والإخلاص، فيستوي باطنه وظاهره في التقى ثم يلقى فيه بذر الهدى فيثمر حب المحبة، فحينئذ تجد المعرفة وطنًا ظاهرًا وقوتًا طاهرًا، فتسكب لب القلب، ويثبت به سلطانها في رستاق البذر، فيسري من بركاتها إلى العين ما يفضها عن سوى المحبوب، فما زالت تلك النفس الطاهرة بستانها الخلوة، وحلواها الأنس، وعين أملها ناظرة إلى سبيلها؛ فإن صعد حافظاها فالصحيفة نقية، وإن أقبل الموت وجدها من الغش والرياء خلية، فيا طوبى لها إذا نوديت يوم القيامة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

❑ قال السري السقطي: لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

❑ وقال محمد بن أحمد بن سالم البصري: من صبر على مخالفة نفسه أوصله اللَّه إلى مقام أنسه.

* مخالفة الهوى مؤدية إلى الإخلاص:

فالهوى كما قال ابن عباس «إله معبود» وأكثر الناس تحركهم أهواؤهم، فيكون الهوى هو الباعث على العمل، وهو في الوقت نفسه الغاية التي يسعى صاحب الهوى إلى تحقيقها، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، فصاحب الهوى متعبد لهواه، حبًّا وخوفًا، ورجاء ورضا وسخطا، وتعظيمًا وذلا؛ إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، فهو آثر عنده، وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى على ذلك مضاد للإخلاص ومناف له، ولا يجتمع في قلب إخلاص وهوى،

فالمخلص متوجه إلى اللَّه بكليته، وصاحب الهوى يدور حول نفسه، كما يدور الحمار برحاه. ونعني بالهوى: المذموم من جملة الشهوات دون المحمود، ولابد من جهاد الهوى ومخالفته، وقهره وهذا هو الملك الكبير، والنعيم الحاضر، والحرية التامة.

* وجهاد الهوى يكون:

أ - **بتحويل الاتجاه إلى الشهوات المباحة**، وأن نأخذ محبوبات النفس من الطريق الذي أحله الشارع. قال ابن تيمية في قول اللَّه تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٨]: «سياق الكلام يدل على أنه ضعيف عن ترك الشهوات، فلا بد له من شهوة مباحة يستغنى بها عن المحرمة، ولهذا قال طاوس: ضعيف في قلة صبره عن النساء»[١] .

ب - **وتقوية الإرادة**: وهذا لا يتأتيّ إلا بعلم وبصيرة ومعرفة بالحلال والحرام وهو في هذا يحتاج إلى عزيمة قوية وإرادة صلبة بتبصير الإنسان مغبة اتباع الهوى في الدنيا والآخرة فيقوى داعي الإخلاص، ويضعف داعي الهوى. والإكثار من العمل الصالح يقوّي الإرادة ويزكي النفس.

❑ يقول الغزالي: «الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة، حتى إذا صار ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان، حدث منها للنفس هيئة راسخة، تقتضي تلك الأفعال وتقاضاها بحيث يصيرله بالعبادة كالطبع، فيخفف ما يستثقله من الخير».

جـ - **إحياء واعظ اللَّه في قلوبنا**: المتتبع لآيات الكتاب والسنة يعلم علم اليقين

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٧٢).

أن في أعماقنا وازعًا يدفعنا إلى الخير ويزجرنا عن الشر قد يطمس هذا الوازع فلا يظهر إلا في آماد متباعدة، وقد يلحّ على صاحبه ويقلقه.

✍ ولا عبرة بما قاله زكي مبارك من أن الضمير لا وجود له في ذاته.

* ومما يقوي الضمير في نفس المسلم ويُحييه أن يربط العبد قلبه بربه خوفًا وطمعًا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١][1].

١٦ - لا سبيل للشيطان على المخلصين، فكن في حرز منه وحصن حصين:

الشيطان أس البلايا ومنبع الشرك والرياء، ولكن لا سبيل له على المخلصين، هم منه في حرز أمين، وحتى يكون ما بيننا وبينه أبعد مما بين الخافقين، يتخذ الإنسان من الأسباب والوسائل التي ينفر منها الشيطان وهي كثيرة منها:

١ - عند قولك: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة:

والدليل على ذلك ما ورد في «الصحيحين» عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: (وذكره)، وقال: **«كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»**.

٢ - قراءة آية الكرسي عندما تأوي إلى الفراش، لحديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنه أتاه آت يحثو من الصدقة - وكان قد جعله النبي ﷺ عليها - ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول اللَّه

---

(١) «مقاصد المكلفين».

ﷺ قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك اللَّه بهن - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من اللَّه حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال: «**صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان**» أخرجه البخاري.

٣ - إذا رأى ما يكره ونفث عن يساره ثلاث مرات وتعوذ باللَّه من شر ما رأى. قال أبو سلمة بن عبدالرحمن سمعت أبي قتادة بن ربعي - رضي اللَّه عنه - يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الرؤيا من اللَّه، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليتعوذ باللَّه من شرها فإنها لن تضره إن شاء اللَّه**»، قال أبو سلمة: إن كنت لأرى الرؤيا هي أثقل علي من الجبل، فلما سمعت بهذا الحديث، فما كنت أباليها، وفي رواية: قال: إن كنت أرى الرؤيا تهمني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة من اللَّه، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث إلا من يحب. وإن رأى ما يكره فلا يحدث به، وليتفل عن يساره - ثلاثًا - وليتعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم من شر ما رأى، فإنها لن تضره**» متفق عليه.

٤ - عند الخروج من البيت وقولك: «بسم اللَّه، توكلت على اللَّه، لا حول ولا قوة إلا باللَّه تعالى». قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قال - إذا خرج من بيته -: «بسم اللَّه، توكلت على اللَّه، لا حول ولا قوة إلا باللَّه تعالى - يقال له: كفيت، ووقيت، وهديت وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هديَ وكفي ووقي**»[١].

---

(١) صحيح: «الكلم الطيب».

٥ ـ ذكر اللَّه سبحانه وتعالى عند دخولك المنزل وعند الطعام.

● عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر اللَّه تعالى عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر اللَّه تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر اللَّه تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**» رواه مسلم.

٦ ـ عند دخولك المسجد وقولك: «أعوذ باللَّه العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».

● عن عبداللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ باللَّه العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»، قال: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم[1].

٧ ـ عند نداء الأذان لما رواه أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، فإذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، فيقول. اذكر كذا، اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى**»[2] متفق عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود وصححه شيخنا الألباني في كتابه «صحيح أبي داود» برقم (٤٨٥) وحسنه النووي وابن حجر.

(٢) يشرع النداء بالأذان لطرد الشيطان في أي وقت من الأوقات ولغير وقت الصلاة لما رواه مسلم عن أبي سهيل بن أبي صالح قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا أو صاحب لنا، فناداه مناد من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئًا فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة فإنني سمعت أبا هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان إذا نودي بالصلاة أدبر».

٨ ـ عند الاستعاذة منه لقول اللَّه تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [فصلت: ٣٦].

٩ ـ عند قولك في الصلاة: «أعوذ باللَّه منك، ألعنك بلعنة اللَّه ثلاثًا»، لما رواه أبو الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قام رسول اللَّه ﷺ يصلي فسمعناه يقول: «**أعوذ باللَّه منك**»، ثم قال: «**ألعنك بلعنة اللَّه ثلاثًا**»، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا له: يا رسول اللَّه سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: «**إن عدو اللَّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ باللَّه منك، ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة اللَّه التامة، ثلاث مرات فلم يستأخر، ثم أردت أخذه، واللَّه لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**» أخرجه مسلم.

● في حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص قلت: يا رسول اللَّه أن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي؟ فقال ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ باللَّه منه واتفل عن يسارك ثلاثًا**»، ففعلت ذلك فأذهبه اللَّه عني. أخرجه مسلم.

١٠ ـ إذا وجد العبد في نفسه شيئًا وقال: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» عن أبي زميل قلت لابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: ما شيء أجده في نفسي ـ يعني شيئًا من شك ـ فقال لي: «إذا وجدت في نفسك شيئًا من ذلك فقل: «وذكره»[(١)].

١١ ـ عند وقوع المصيبة بك وقولك: قدر اللَّه وما شاء فعل، لما رواه أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المؤمن القوي خير**

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود، وحسّنه الألباني في «الكلم الطيب» (١٣٥).

وأحب إلى اللَّه تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن باللَّه عز وجل، ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللَّه وما شاء اللَّه فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» أخرجه مسلم.

١٢ - في حالة قولك عند الجماع: «بسم اللَّه اللَّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، ورد عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم اللَّه، اللَّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فقضي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً» متفق عليه.

١٣ - عند قولك في حالة الغضب: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم.

● عن سليمان بن صرد قال: كنت جالسًا مع رسول اللَّه ﷺ ورجلان يستبان، وأحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد» متفق عليه.

١٤ - عند قولك: بسم اللَّه. عن أبي المليح، عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان، فقال: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم اللَّه فإنك إذا قلت ذلك، تصاغر حتى يكون مثل الذباب»[(١)].

عند دعائك بالبركة لما يعجبك، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا

---

(١) سنده صحيح: أخرجه أبو داود، والنسائي في «اليوم والليلة» وابن مردويه في «تفسيره» وأخرجه أحمد، وصححه الألباني في «الكلم الطيب» برقم (٢٣٧).

(٢) «الكلم الطيب» ص(١٢٤) برقم (٢٤٣).

رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله، فليبرك عليه فإن العين حق»[٢] .

١٥ ـ عند قراءتك المعوذتين: فعن أبي سعيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذهما وترك ما سواهما»[١] .

١٦ ـ عند سجود التلاوة: عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»**[٢] .

١٧ ـ عند قراءتك لسورة البقرة:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابراً، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»** رواه مسلم.

١٨ ـ عند قراءة القرآن:

● خرج رسول اللَّه ﷺ ليلة فإذا هو بأبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ يصلي، يخفض من صوته، ومر بعمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يصلي رافعًا صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال: **«يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك»**، قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول اللَّه، وقال لعمر: **«مررت بك وأنت تصلي رافعًا صوتك»**، فقال: يا رسول اللَّه أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ : **«يا أبا بكر ارفع صوتك شيئًا»**، وقال لعمر: **«اخفض من صوتك شيئًا»**[٣] .

---

(١) سنده صحيح: رواه الترمذي وقال حديث حسن، ورواه النسائي وابن ماجه بسند صحيح.

(٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه.

(٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

١٩ ـ عند تحريك السبابة في الصلاة ـ فقد ثبت أن رسول اللَّه ﷺ، كان يحرك أصبعه يدعو بها[١]، ويقول ﷺ: «**لهي أشد على الشيطان من الحديد يعني السبابة**»[٢]، وسئل الإمام أحمد هل يشير الرجل بأصبعه في الصلاة؟ قال: نعم، شديدًا»[٣، ٤].

٢٠ ـ عند وقت التنزل الإلهي وساعات الإجابة وبعد فهذا طريق إلى الإخلاص وعلاج من الرياء فتمسك به ما استطعت وسل مولاك العون.

* * *

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن الجارود في «المنتقى» وغيرهم، وهو في «صفة صلاة النبي» ص(١٦٩) لشيخنا الألباني.

(٢) رواه أحمد وغيره وهو في «صفة الصلاة» ص(١٧١).

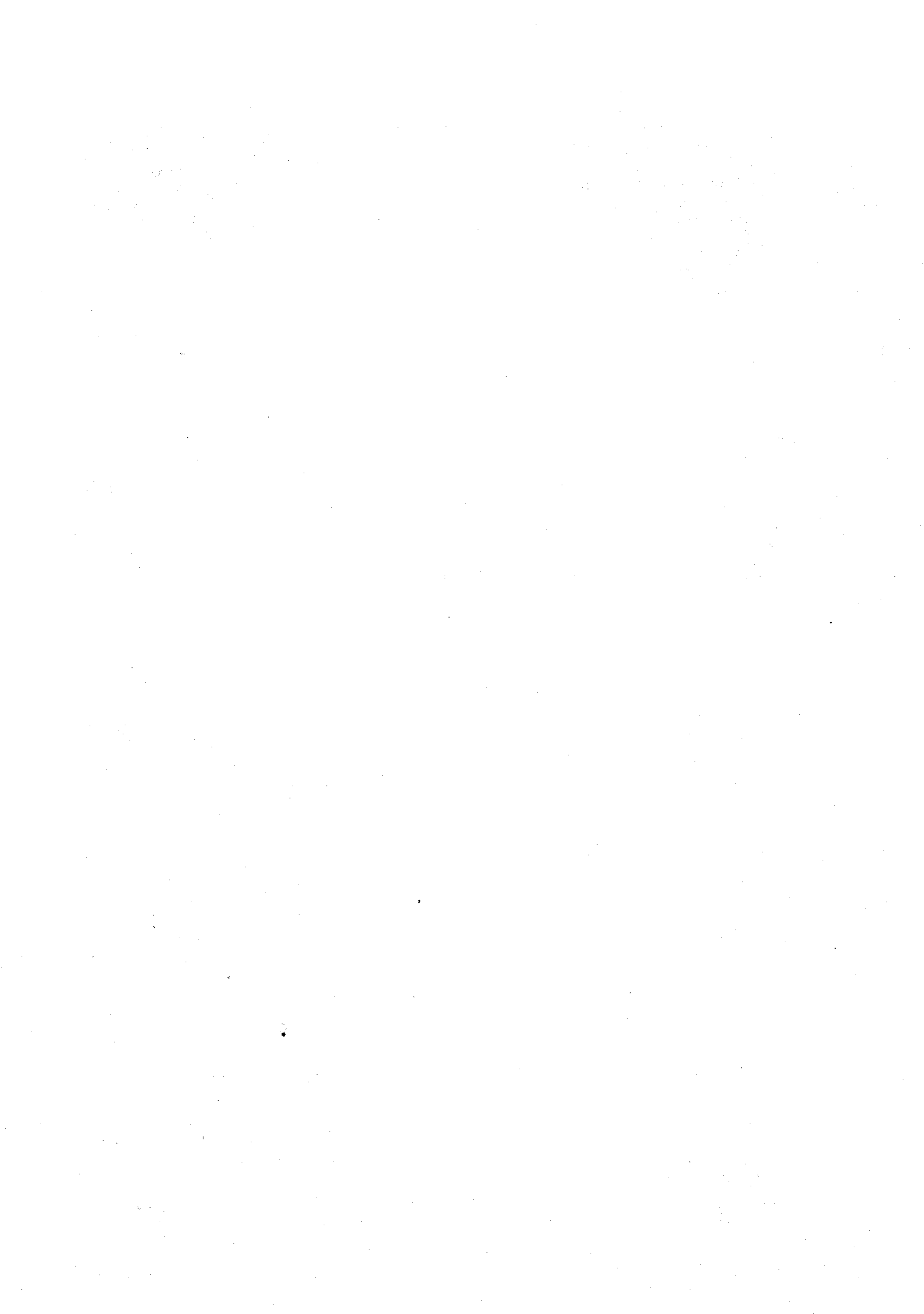
(٣) ذكره ابن هانئ في «مسائله عن الإمام أحمد».

(٤) هذا البحث: «ما ينفر منه الشيطان» من كتاب «الإخلاص» لحسين العوايشة ص(٥٩ - ٦٥).



ذم

الريـــــاء



ذمّ الرياءِ

«من علم شدة حاجته إلى صافي الحسنات غداً في القيامة، غلب على قلبه حذر الرياء، وتصحيح الإخلاص بعلمه حتى يوافى يوم القيامة بالخالص المقبول، إذ علم أنه لا يخلص إلى اللَّه جل ثناؤه إلا ما خلص منه ولا يقبل يوم القيامة إلا ما كان صافيًا لوجهه، لا تشوبه إرادة شيء بغيره»[1] .

❑ قال أبو الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ: «إن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان» أي: متى تأتيه؟ ومن أين تأتيه؟، وصدق ـ رحمه اللَّه ـ : إذا فقه العبد عن اللَّه عز وجل أنه لا يقبل إلا ما خلص وصفا من الأعمال لوجهه دون خلقه، وأن نفسه وعدوه يدعوانه إلى ما يحبط عمله، حذر واستدل بالعلم، فعلم حين تأتيه النزعة أَمِن قِبل الرياء أو غيره.

❑ قال الحسن البصري: «لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يُفسد عليه عمله، فلا غنى للعبد عن معرفة ما أُمِرنا باتقائه من الرياء، إذْ وُصِف بالخفاء في الحديث أنه أخفى من دبيب النمل.

فما خفي لم يُعرف إلا بشدة التفقد ونفاذ البصيرة، بمعرفته له حين يعرض، وإلا لم ينفع التفقد لما لا يعرف، فبالخوف والحذر يتفقد العبد الرياء، وبمعرفته يبصره حين يعرض، فلا غنى بك عن معرفة الرياء»[2] .

❑ قال أبو سليمان الداراني: التوقي عن العمل أشد من العمل، وقد مرّ بك قول سفيان الثوري «مازلت أرائي وأنا لا أشعر إلى أن جالست أبا هاشم، فأخذت منه ترك الرياء».

❑ وقال أبو يزيد: «إن في الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون إلى أن

---

(١) «الرعاية لحقوق اللَّه» ص(١٥٥).

(٢) المصدر السابق ص(١٦٠).

تطلبوا المعاصي»[١] .

☐ قال الغزالي: «إن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب العبادات. واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها، فحدّ الرياء هو إرادة العباد بطاعة اللَّه، فالمرائي هو العابد والمرائَن هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها، والرياء هو قصده إظهار ذلك، والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو: البدن، والزي، والقول، والعمل، والأتباع والأشياء الخارجة. وكذلك أهل الدنيا يراؤون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات»[٢] .

*** ذم الرياء وبيان ويْلاته:**

الرياء حرام، والمرائي عند اللَّه ممقوت: المرائون قوم يحتالون للدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر، يلبسون للناس مسوك الضأن، قلوبهم قلوب الذئاب، أعلَى اللَّه يجترئون وبه يغترون؟!.

☐ قال القرطي: «تدبرتها في القرآن، فإذا هم المنافقون ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [البقرة: ٢٠٤]، ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ**﴾ [الحج: ١١]»[٣] ، فعياذا باللَّه من قوم مخصبة ألسنتهم، مجدبة قلوبهم.

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٤٧).

(٢) «الإحياء» (٣/ ٢٦٣).

(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٥٧).

* قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٦].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

❑ قال مجاهد: هم أهل الرياء.

❑ والمُرائي يطلب حظ النفس من عملها في الدنيا. والمرائي يطلب بعمل بينه وبين اللَّه سوى وجه اللَّه الكريم والدار الآخرة.

والرياء قناع خدّاع، يحجب وجهًا كالحًا، ونفسًا لئيمة وقلبًا صدئًا صلدًا، والرياء طلاء رقيق، يخفي سوءات بعضها فوق بعض، والرياء زيف كاسد في سوق تجارة.

*** وتعال معي لنتعرف على ويلات الرياء:**

١ - المراؤون هم أول من تُسعّر بهم النار:

لو لم يكن للمرائي من الخزي إلا هذا لكفاه صارفًا له عن الرياء.

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لأن يقال: فلان جريءٌ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِيَ به في النار.**

ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليُقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثُم أُمِر به

فسُحِب على وجهه حتى أُلقِيَ في النار.

ورجل وسّع اللَّه عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحبٌّ أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقالَ: هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِيَ في النار»[1] .

ورواه الترمذي وحسّنه، وابن حبّان في «صحيحه» عن الوليد بن الوليد أبي عثمان المديني، أن عُقبة بن مسلم حدّثه، أن شُفَيًّا الأصبحي حدّثه:

أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة، قال: فدنوْتُ منه، حتى قعدتُ بين يديه؛ وهو يحدِّث الناس، فلما سكت وخلا، قلتُ له: أسألك بحق وبحق، لمّا حدثتني حديثًا سمعتَه من رسول اللَّه ﷺ وعقلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعلُ، لأحدثنك حديثًا حدَّثنيه رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ[2] أبو هريرة نشغة فمكثنا قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، فقال: أفعلُ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ أنا وهو في البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خارًّا على وجهه، فأسندته طويلاً، ثم أفاق، فقال: حدثني رسول اللَّه ﷺ : **«إن اللَّه تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، ينزل[3] إلى العباد، ليقضيَ بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يُدعى به رجل**

---

(١) أخرجه مسلم (١٣/ ٥٠ ـ ٥١)، والنسائي (٦/ ٢٣ ـ ٢٤)، وأحمد (٢/ ٣٢٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) نشغ: أي شهق حتى كاد يغشى عليه أسفًا أو خوفًا.

(٣) النزول هنا نزول حقيقي كما يليق بجلاله وكماله، وهو صفة فعل للَّه عز وجل، فإياك أن تتأوّله فتضل.

جمع القرآن، ورجل قُتِل في سبيل اللَّه، ورجل كثير المال، فيقول اللَّه عز وجل للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما علمتَ؟ قال: كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول اللَّه عز وجل له: كذبتَ، وتقول له الملائكة: كذبتَ، ويقول اللَّه تبارك وتعالى: بل أردتَ أن يُقال: فلان قارئ وقد قيل ذلك.

ويُوتى بصاحب المال، فيقول اللَّه عز وجل: ألم أُوْسع عليك حتى لم أدَعْك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب؛ قال: فماذا عملتَ فيما آتيتُك؟ قال: كنتُ أصل الرحم، وأتصدّق. فيقول اللَّه له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، ويقول اللَّه تبارك وتعالى: بل أردتَ أن يُقال: فلان جواد، وقد قيل ذلك.

ويُؤتى بالذي قُتِل في سبيل اللَّه، فيقول اللَّه له: فيماذا قُتلتَ؟ فيقول: أي ربِّ! أمرتَ بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قتلتُ، فيقول اللَّه له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك»، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على ركبتي، فقال: **«يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تُسعَّرُ بهم النار يوم القيامة»**.

□ قال الوليد أبو عثمان المديني: وأخبرني عقبة أن شُفَيًّا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا، قال أبو عثمان: وحدّثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيّافًا لمعاوية قال: فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة. فقال معاوية: قد فُعِل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقيَ من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدًا، حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ. ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه، وقال: صدق اللَّه ورسوله: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» نحو هذا لم يختلف إلا في حرف أو في حرفين.

✍ فانظر كيف فعل هذا الحديث بأبي هريرة ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ.

٢ ـ الرياء يورث الذِّلة والصَّغار في الدنيا والآخرة:

□ قال الحسن البصري عن العصاة ومنهم المرائين: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم. أبى الله إلا أن يذل من عصاه».

فلا يغرّنك ما ترى من المرائين من هالات كاذبة، ومظاهر فارغة، ورئاسات جوفاء:

● فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمّع، سمّع الله به ومن راءى راءى الله به»**[1].

● وعن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به، ومن شاق، شق الله عليه يوم القيامة»**[2].

● وعن أبي هند الداري؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«من قام مقام رياء وسمعة، راءى الله به يوم القيامة وسَمَّعَ»**[3].

● وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، وابن ماجة.

(٣) صحيح: رواه أحمد بإسناد جيد كما قال المنذري، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١١٧).

ﷺ يقول: «**من سمّع الناس بعمله؛ سَمّع اللَّه مسامع خلقه، وصغَّره وحقّره**»[١].

✍ من سمّع: أي: أظهر عمله رياء؛ أظهر اللَّه نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد.

● وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من قام مقام رياءٍ راءى اللَّه به، ومن قام مقام سمعة سَمّع اللَّه به**»[٢].

● وعن معاذ بن جبل عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمّع اللَّه به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»[٣].

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «من راءى بشيء في الدنيا من عمله، وكَلَه اللَّه إليه يوم القيامة، وقال: انظر هل يُغني عنك شيئًا؟»[٤].

٣ ـ حرمان الأجر في الآخرة:

● عن أبيّ بن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» بأسانيد أحدها صحيح، وأحمد (٦٥٠٩، ٦٩٨٦، ٧٠٨٥) طبعة شاكر، والبيهقي، وصححه المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب» (١/١١٧).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني بإسناد حسنه المنذري، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١/١١٨)، صحيح لغيره.

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني بإسناد حسّنه المنذري، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١/١١٨)، صحيح لغيره.

(٤) **صحيح موقوف**: رواه البيهقي موقوفًا، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/١١٨).

«بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب»(١).

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قال اللَّه عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»(٢).

● وعن أبي سعيد بن أبي فضالة ـ وكان من الصحابة ـ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إذا جمع اللَّه الأولين والآخرين ليوم القيامة ـ ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمله للَّه أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن اللَّه أغنى الأغنياء عن الشرك»(٣).

٤ ـ الرياء يُبطِل العمل ويمحقه:

* قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

هذا القلب الصلد المغطى بالرِّياء، مثله كمثل صفوان عليه تراب.. إنه حجر لا خصب فيه ولا ليونة.. يغطيه تراب خفيف، يحجب صلادته عن العين المخدوعة، كما يحجب الرياء صلادة القلب الخالي من الإيمان.. وذهب المطر الغزير بالتراب القليل، فانكشفت عورته، وظهر جدبه وقساوته،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه ـ واللفظ له ـ وابن خزيمة في «صحيحه»، والبيهقي، وقال المنذري: رواة ابن ماجه ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٢١).

(٣) حسن: رواه الترمذي في «التفسير» من جامعه، وقال: حديث حسن، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» والبيهقي، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٢٠).

فلم ينبت زرعه، ولم يثمر ثمره؛ لأنها أشجار خبيثة اجتُثَّت من فوق الأرض، ما لها من قرار.. كالذي يرائي لم يثمر خيراً، ولم يعقب مثوبة بل أتى كبيرة تنتظر سوء المنقلب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى اللَّه بقلب سليم.

* هذه هي نهاية الرِّياء، تمحق آثار العمل الصالح محقًا، في وقت لا يملك صاحبه قوة ولا عونًا، ولا يستطيع لذلك ردًا.. وتأمل قول اللَّه جل ثناؤه: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٦].

❐ هذا العمل الصالح في أصله واحة وارفة الظلال، وجنة فينانة ذات رَوْح وظل، وخير وبركة، وزكاة ونماء.. فمن ذا الذي يَوَدُّ أن تكون له هذه الجنان، ثم يرسل عليها الرِّياء، فيمحقها محقًا؛ كأنها لم تغنَ بالأمس.

ومتى؟ في أشد ساعاتِه عجزًا عن إنقاذها، وحاجته إلى ظِلِّها، يوم لا ظِلَّ إلا ظله ـ سبحانه وتعالى.

● قال ﷺ: «**إنَّ أخوفَ ما أخافَ عليكم الشرك الأصغر**»؛ قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه؟ قال: «**الرياء، يقول اللَّه يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[1].

فحينئذ يقلب المرائي كفيه على ما أنفق رئاء الناس، وكذلك يريه اللَّه أعماله حسرات وزفرات.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩)، وابن أبي الدنيا، والبيهقي في «الزهد»، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥)، وصححه الألباني

□ «فاحذر أخا الإيمان الرياء، فإنه شر بلاء، يذر الأعمال هباء»[١] .

٥ ـ الرياء فتنة عظيمة أخطر على المسلمين من فتنة المسيح الدجّال :

فتنة المسيح الدجال أعظم فتنة من يوم أن خلق اللَّه السموات والأرض. وخطرها عظيم، ولكن فتنة الرياء أخطر.

● عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟»**، فقلنا: بلى يا رسول اللَّه! قال: **«الشرك الخفيّ؛ أن يقوم الرجل فيصلي، فيزيِّنُ صلاته لما يرى من نظر رجل»**[٢] .

٦ ـ الرياء هو شرك السرائر، وهو الشرك الخفيّ:

● عن محمود بن لبيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خرج النبي ﷺ فقال: **«يا أيها الناس! إياكم وشرك السرائر»**، قالوا: يا رسول اللَّه! وما شرك السرائر؟ قال: **«يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»**[٣] .

وهو الشرك الخفي كما مرّ في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ.

● وعن يعلى بن شداد عن أبيه قال: «كنا نعدُّ الرياء في زمن النبي ﷺ الشرك الأصغر»[٤] .

---

(١) «الرياء» لسليم الهلالي ص(٤٦ ـ ٤٨).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، والبيهقي، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١١٩).

(٣) **حسن**: رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١١٩).

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٩) وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، وكذا رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٢١).

٧ ـ الرياء أشد فتكًا من الذئب في الغنم:

● قال ﷺ: **«ما ذِئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنم بأفسَدَ من حرصِ المرءِ على المال والشرف لدينه»** (١)

هذا المثال الذي ضربه الرسول ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وهما اللَّذان يُحَرِّكان الرِّياء في النفس، ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين باتا في الغنم، قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان ويفترسان ما طاب لهما، ولن ينجو من شرهما إلا القليل، بل أقل من القليل، وكذلك الرِّياء.. فالحذرَ الحذرَ.

٨ ـ الرياء يورّث زيادة الضلال:

* قال تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: ٩ ـ ١٠].

٩ ـ الرياء سبب هزائم الأمة:

● سبق حديث رسول اللَّه ﷺ: **«إنما ينصر اللَّه هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»**. مثلما نصر اللَّه المسلمين والمخلصين يوم بدر، أذلّ اللَّه أئمة الكفر والرياء الذين خرجوا متبطرين طاغين يوم بدر، خرجت قريش بخيلها وخيلائها، وعددها، ورَجلها ورِجالها، لترد ماء بدر، وتعزف وتسمع بها العرب، فلم تزل تهابها، وتحسب حسابها، فكانت العاقبة

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والطيالسي (١٠ ٢٢ ـ منحة المعبود)، والدارمي (٢/ ٣٠٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢٥٨)، وغيرهم.
قلت: صححه الترمذي، وهو كما قال. وزكريا بن أبي زائدة، وإن كان مدلسًا، فقد صرح بالتحديث عند البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٥٠).

الوخيمة، سيئة المآل. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وحتى تعي الأمة الغافلة المتغافلة ما حدث في الخامس من يونيو تقول ابنة موسى دايان في كتابها «جندي من إسرائيل»: «كانت فرائصنا ترتعد من الخوف في «الجبهة الجنوبية»: ـ أي المصرية ـ فتلى حاخام وتلى علينا نصوصًا من التوراة فاستحال خوفنا أمنًا، بينما كانت إذاعات العدو تردد: قاتل وأم كلثوم معك في المعركة، قاتل وعبدالحليم معك في المعركة، قاتل أعداء الربيع، قاتل أعداء الحياة».

وألفـاظ يتيه بهـا قـرود ... وليس لها معان أو دلالةْ
سيـادته هـوانٌ في هـوان ... وقد رفعت معاليه السفالةْ
سعـادته شقـاء في شقـاء ... سمحاته يعيش مع الضلالةْ
فخـامته هـزيل ليس يـدري ... بأن الناس قد فضحوا هزاله
ودولـته يعيـش على الأمـاني ... ويخشى أن تفاجئهُ الإقالةْ

✍ وانظر ما فعل دجّال العراق وأكبر مرائيها في الحرب التي جرّ إليها قومه، وكانوا في غنى عنها: «عاصفة الصحراء» أو«المجد للعذراء».

أكبر حرب من جانب واحد في التاريخ: ١٤٩ قتيلاً، و٥١٣ جريحًا بين الحلفاء مقابل أكثر من مائة ألف جريح وقتيل بين العراقيين»[1] ، طوابير الأسرى التي فاقت وغطَّت على طوابير ١٩٦٧، الجندي العراقي يقبِّل حذاء الجندي الأمريكي، «أكثر من مائة ألف أسير يلّوحون بالمناديل والسراويل وكل شيء أبيض، بعضهم حاول عبثًا الاستسلام لطائرة أتوماتيكية بلا طيارR P V . . ودبابة أمريكية يقودها جندي واحد غرزت في الرمل، وتقدمت العربات

---

(١) جريدة النيوزويك (١/ ٤/ ١٩٩١).

العراقيات فأخرجتها من الرمال واستسلموا لقائدها»[١] .

«ولا شك أن طوابير الأسرى العراقيين ستكون أكثر إذلالاً للعرب مما حدث للمصريين في ١٩٦٧م»[٢] مع أن صحيفة الجمهورية العراقية وعدت قراءها: «أنه لن يبقى من الجيش الأمريكي إلا حفنة من أشباه المجانين يروون للأجيال ما جرّه عليهم عدوان بوش»[٣] .

هل تتوقع القدس نصراً على يد أبي عمّار الذي هو بألف وجه مستعار. . لا هم له إلا تقبيل بيريز وشارون ورابين وهم يأنفون من ذلك. . بل اشترطوا عند لقائهم به الواحد منهم تلو الآخر ألا يعانقهم عرفات. . عرفات الذي يرسل إلى أمريكا رغبته في إرسال جنود من الشرطة الفلسطينية لقتال المسلمين الأفغان. . عرفات الذي يقول رابين ابن عمي - رابين قائد شجاع. . هل تتوقع الأمة نصراً على يد المنافقين المرائين الذين ذرفوا الدموع على رابين.

✍ يوم أن ينتهي النفاق والرياء والدجل من الكبار العلمانيين. . ويوم أن تعود الأمة إلى دينها وإخلاصها ستنتصر، وإلا فلا.

١٠ - الرياء والمظهرية الجوفاء سبب لضياع الأمة:

صنعت الزعامات في أمتنا على عين الصليبية العالمية واليهودية، وصيغت الأمجاد الكاذبة للمرائين المنافقين الذين ابتليت بهم الأمة. . ورب أشعث أغبر شسع نعله أفضل من كل هذه الزعامات الكاذبة.

وخذ مثالاً على ذلك سعد زغلول المقامر كما اعترف هو في مذكراته. . نصبوه زعيمًا لثورة ١٩١٩م. . وكان ماسونيًّا.

«وقد كتبت المصور يوم وفاة سعد زغلول تقول: وقد شارك البناؤن

(١) مجلة التايم (١١/٣/١٩٩١).

(٢) اندبندنت (١/٢٤).

(٣) «الجنازة حارة» لمحمد جلال كشك ص(٤٥٤).

الأحرار الماسون في تشييع جنازة الزعيم الكبير، وكان ـ رحمه اللَّه ـ قطبًا من أقطاب الماسونية.

ونشرت المقطم يوم الجمعة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧م: (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم ـ فقدت الماسونية المصرية ـ بفقد سعد العظيم الخالد عضوًا كبيرًا وفضلاً كثيرًا، وذخرًا وفيرًا كانت تعتزّ بفضله، وستقام حفلة جنائز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد» ا.هـ. والأمر لا يدعو للعجب فهو قبل موته كان يقول: خسرنا كل شيء، وكسبنا صداقة الإنجليز.

وقد بيّن جورج كيرك مؤلف كتاب «موجز تاريخ الشرق الأوسط» أن القومية العربية وُلِدت في دار المندوب السامي البريطاني، وأظهر كيف أقامت أمريكا زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية وما حدث من انقلابات من أجل ذلك»[1].

● عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرّ رجل على رسول اللَّه ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: **«ما رأيك في هذا؟»** فقال: رجل من أشراف الناس، هذا ـ واللَّه ـ حريٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفّع. قال: فسكت رسول اللَّه ﷺ. ثم مرّ رجل، فقال له رسول اللَّه ﷺ: **«ما رأيك في هذا؟»**، فقال: يا رسول اللَّه! هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حرِيٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا»**[2].

إن صناعة المشاهير المزيفين من الدجالين والمرائين وإضفاء الهالة عليهم ليكونوا قدوة للناس إنما تتولاه في الأعم الأغلب دوائر مشبوهة.

(١) الشهرة أو عالم الأضواء» لسعيد عبدالعظيم ص(١٥٠) ـ مكتبة الفرقان.
(٢) «البخاري» ـ كتاب الرقاق ـ باب فضل الفقر.

خذ مثلاً: هذه الضجة المفتعلة حول من سموها «بسندريلا الشاشة العربية» التي لن يجود الزمان بمثلها أبدًا.

هذه المرأة التي شغلت الناس بوجهها وحركات عينيها ورقصها ورشاقة جسدها، ولعبت بعقول الكثيرين، وهي تلميذة صلاح جاهين اليساري الناصري، اعتنقت الفكر الشيوعي على يد زوجها السابق.. ثم ماذا كانت العاقبة في الدنيا.. الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا.

المرأة التي بثت المرح تموت بالاكتئاب.. ووجهها العلامة البارزة فيها تصاب بترهل عضلاته وسوء منظره.. شلل نصفي.. ومن لعبت بعقول الكثيرين باستعراضها تصاب بشرخ في العمود الفقري.. ولا يظلم ربك أحدًا.

يا سوءة العمر في تاريخ أمتكم لقد بدت منكم للعين سوءاتُ

❑ ونختم ردًّا على المرائين الذين صيغت لهم الأمجاد الكاذبة، وكانت لهم الأبواق الكاذبة، والأفواه الناعرة بأقوال المخلصين الذين ترك اللَّه لهم لسان صدق في الآخرين:

● لما أتى أمير المؤمنين عمر لتسلم مفاتيح القدس في ثيابه المرقّعة، قال له أبو عبيدة: «تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه! ما يسرّني أن أهل البلد استشرفوك». فضربه عمر في صدره وقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام، فإن ابتغينا العزّة في غيره أذّلنا اللَّه».

ويوم تاهت منا هذه المعاني بدجل المرائين أشباه الرجال تاهت الأرض من تحت أقدامنا وأذلنا اللَّه.

أقسام الرياء وأنواعه

١ - الرياء بالبدن:

أما أهل الدين، فيكون فيهم بإظهار النحول والصفار، لِيُرُوا الناس

بذلك أنهم أنضاءُ عبادة، قد غلبُهم خوفُ الدار الآخرة.

ويُرُوا الناس شَعَثَ شُعورِهم؛ ليُظهروا لهم أنهم مستغرقون في همِّ الدين.

وقد يكون الرِّياء بخفض الصوت، وإغارة العينين، وذبول الشفتين؛ لِيَدُلُوا أنهم مواظبون على الصوم، وقِسْ على ذلك.

وأما أهل الدُّنيا فيظهرونَ السِّمَنَ، وصفاءَ اللونِ، وانتصابَ القامةِ، وحُسن الوجه، ونظافة البدن.

٢ ـ الرياء بالهيئة والزيّ:

أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس، وإطراق الرأس في المشي، والهدوء في الحركة، وإبقاء وإظهار أثر السجود على الوجه.

وغلظ الثياب وتشميرها إلى قريب من الساق، وتقصير الأكمام.

ومن ذلك لبس المرقعات، ولبس الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال من العلم ليوهم أنه من أهل العلم.

والمراؤون بالزي على طبقات: فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا، ولو كلف أن يلبس ثوبًا وسطًا نظيفًا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح، وذلك لخوفه أن يقول الناس: قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا. وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاة، وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار، ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا، فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها، ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء

ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين، وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفًا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء، ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الأبيض والمقصب المعلم ـ وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم ـ لعظم ذلك عليهم خوفًا من أن يقول أهل الصلاح: قد رغبوا في زي أهل الدنيا. وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى ما دونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحًا خيفة من المذمة.

وأما أهل الدنيا؛ فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة، وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتدّ عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة.

٣ ـ الرياء بالقول:

ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار، لأجل الاستعمال في المحاورة وإظهارًا لغزارة العلم ودلالة على شدّة العناية بأحوال السلف الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن، وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على ما يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه، والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوّته في علم الدين. والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب.

٤ ـ الرياء بالعمل:

كمراءاة المصلي بطول القيام ومدّ الظهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس. وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين، وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وبإطعام الطعام، وبالإخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام، حتى أن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفًا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فإذا رآه عاد إلى خشوعه، ولم يحضره ذكر اللَّه حتى يكون يجدّد الخشوع له، بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء، ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس، فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه، فإنه صار في خلوته أيضًا مرائيًا، فإنه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من اللَّه وحياءً منه.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

٥ ـ المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين:

«كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا من العلماء؛ ليقال: إن فلانًا قد زار فلانًا، أو عابدًا من العباد؛ ليقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه، أو ملكًا من الملوك أو عاملاً من عمال السلطان؛ ليقال: إنهم يتبركون به

لعظم رتبته في الدين. وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخًا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته، فيقول لغيره: من لقيت من الشيوخ؟ وأنا قد لقيت فلانًا وفلانًا، ودرت البلاد وخدمت الشيوخ، وما يجري مجراه، فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد، ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه، فكم من عابد اعتزل إلى قُلّة جبل مدّة مديدة، وإنما اختبأ من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق، ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة لتشوش قلبه، ولم يقنع بعلم اللَّه ببراءة ساحته، بل يشتدّ لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم، مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرّد الجاه ـ فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه ـ فإنه نوع قدرة وكمال في الحال، وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال، ولكن أكثر الناس جهال، ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس من ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد. ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه. ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة، ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام، وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالأسباب التي ذكرناها، فهذه حقيقة الرياء، وما به يقع الرياء»[1] .

*** أبواب الرياء ودرجاته:**

أبواب الرياء عدّة، وهي تتفاوت فيما بينها؛ لأنه درجات:

١ ـ أن يكون مراد العبد غير اللَّه، ويُريد أن يعرف الناس أنه يفعل ذلك:

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) بتصرف.

كالذي يصلي أمام الناس وبينهم، فإذا انفرد لم يصل، فهذا صنف من النفاق، وتشكُّك في الإيمان.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

● وقال ﷺ: **«تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قامَ، فنقرها أربعًا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلاً»**(١).

٢ ـ أن يكون مراد العبد للَّه، فإذا اطلع عليه الناس نشط في العبادة وزيَّنها:

عن محمود بن لبيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خرج النبي ﷺ فقال: **«يا أيها الناس! إياكم وشرك السرائر»**، قالوا: يا رسول اللَّه! وما شرك السرائر؟، قال: **«يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»**.

✍ وهذا رياء بأوصاف العبادة لا بأصلها، وهو من الرياء المحظور؛ لأنه فيه تعظيم الخلق.

*** الرياء بأوصاف العبادة:**

إن كان الرياء لا في أصل العبادة، بل في وصفها كالذي يدخل في الصلاة يريد أن يقصر القراءة فيها والركوع والسجود فيطلع عليه الناس، فيطيل ذلك كله لرؤية النّاس له ونظرهم، فهذا أمر اختلف فيه العلماء من السلف الصالح، وقد حكى هذا الخلاف الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك؛ وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ ١٢٣) من حديث أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(٢) «تيسير العزيز الحميد» ص(٤٦٧).

وممن قال بذلك السمرقندي، فهو يرى أن ما فعله من أجل ربّ الناس مقبول، وما فعله من أجل الناس مردود، وسئل العز بن عبدالسلام عمن صلى وطول صلاته من أجل الناس، فقال: أرجو ألا يحبط عمله[1].

✍ ونقل ابن نجيم عن بعض الأحناف أنه يرى: أن من افتتح الصلاة خالصًا للَّه تعالى، ثم دخل في قلبه الرياء، فهو على ما افتتح[2].

وممن قرر هذه المسألة على هذا النحو ابن القيم[3].

✍ إلا أنه ينبغي أن يكون واضحًا أن ثواب هذا العامل على هذا النحو غير تام، بل فيه نقصان بسبب ريائه، ولا يبعد أن يكون على خطر عظيم.

أما عكس هذه المسألة وهو أن يكون الباعث الأول لغير اللَّه، ثم يعرض له قلب النية للَّه، فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته، ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلاّ بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة، وإلا لم تجب كمن أحرم لغير اللَّه، ثم قلب نيته للَّه عند الوقوف والطواف، «أعلام الموقعين» (٢/ ١٦١)، هذا ما قرره ابن القيم، إلا أن بعض العلماء يرى أن الصلاة لا تنعقد أصلاً، وآخرون يرون في مثل الصلاة أنه يلغي كل شيء صلاة إلا التحريم، وآخرون قالوا: يصح؛ لأن النظر إلى الخواتيم كما لو ابتدأنا بالإخلاص وصحبه الرياء من بعده.

❑ قال الغزالي: والقولان الأخيران خارجان عن قياس الفقه. انظر «سبل السلام» (٤/ ١٨٦).

٣ ـ أن يدخل العبد في الشيء للَّه، ويخرج منه للَّه، فعرف بذلك ومدح، فسكن إلى مدح الخلق، وسُرَّ به، وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة،

---

(١) «شرح الأربعين النووية» ص(١٠).

(٢) «الأشباه والنظائر» لابن نجيم ص(٣٩).

(٣) «أعلام الموقعين» (٢/ ١٦١).

ومَنَّى النفس بأن يحمدوه، ويُجِلُّوه وينال ما يريده.

✍ فهذا السرور يدل على رياء خفي؛ لأن قلبه مغمور فرحًا باطلاعهم عليه، ولولا التفات القلب إلى الناس، لما ظهر سروره عند اطلاع الناس.

وضروب هذا الرياء الخفي كثيرة، وشوائبه خطيرة، ومتى أدرك الإنسان من نفسه تفرقة بين أن يُطلع على عبادته أو لا يطلع، ففيه شعبة من الرياء.

*** أستاذ الأستاذين الغزالي يفصّل درجات الرياء:**

🕮 قال الغزالي في «الإحياء»: اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض، واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه. وأركانه ثلاثة: المراءى به، والمراءى لأجله، ونفس قصد الرياء.

*** الركن الأول:** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردًا دون إرادة عبادة اللَّه تعالى والثواب، وإما أن يكون مع إرادة الثواب؛ فإن كان كذلك لا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة، فتكون الدرجات أربعًا:

الأولى: وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلاً، كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس، فهذا جرّد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند اللَّه تعالى. وكذلك من يخرج الصدقة خوفًا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب، ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء.

الثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضًا ولكن قصدًا ضعيفًا، بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله، ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل، فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم.

الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل واحد منهما خاليًا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة، أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل؛ فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجوا أن يسلم رأسًا برأس لا له ولا عليه، أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب، وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم، وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص.

الرابعة: أن يكون إطلاع الناس مرجحًا ومقويًا لنشاطه، ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه، والعلم عند اللَّه أنه لا يحبط أصل الثواب؛ ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء، ويثاب على مقدار قصد الثواب، وأما قوله ﷺ: «**يقول اللَّه تعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك**»، فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح.

* **الركن الثاني**: المراءى به، وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات، وإلى الرياء بأوصافها.

القسم الأول وهو الأغلظ: الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات:

الأولى: الرياء بأصل الإيمان، وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة، وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الإسلام، وهو الذي ذكره اللَّه تعالى في كتابه في مواضع شتى، كقوله عز وجل: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون: ١]، أي: في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم.

* وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ**

عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

* وقال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

✍ والآيات فيهم كثيرة، وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض؛ وذلك مما يقل في زماننا، ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنًا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلاً إلى قول الملحدة، أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام ميلاً إلى أهل الإباحة، أو يعتقد كفرًا أو بدعة وهو يظهر خلافه، فهؤلاء من المنافقين والمرائين المخلدين في النار، وليس وراء هذا الرياء رياء، وحال هؤلاء أشد حالاً من الكفار المجاهرين؛ فإنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر.

الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين، وهذا أيضًا عظيم عند اللَّه، ولكنه دون الأول بكثير. ومثاله: أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفًا من ذمه، واللَّه يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها، أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر، وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها، أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة، ولكن خوفًا من الناس، أو يغزو أو يحج كذلك.

فهذا مراء معه أصل الإيمان باللَّه يعتقد أنه لا معبود سواه، ولو كلف أن يعبد غير اللَّه أو يسجد لغيره لم يفعل، ولكنه يترك العبادات للكسل

وينشط عند إطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق، وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب اللَّه، ورغبته في محمدتهم أشدّ من رغبته في ثواب اللَّه، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت، وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد.

الثالثة: أن لا يرائي بالإيمان، ولا بالفرائض، ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب، ثم يبعثه الرياء على فعلها، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت، وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس. فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفًا من المذمة أو طلبًا للمحمدة، ويعلم اللَّه تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض. فهذا أيضًا عظيم ولكنه دون ما قبله، فإن الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق. هذا أيضًا قد فعل ذلك واتقى ذمّ الخلق دون ذم الخالق، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب اللَّه، وأما هذا فلم يفعل ذلك؛ لأنه لم يخف عقابًا على ترك النافلة لو تركها، وكأنه على شطر من الأول وعقابه نصف عقابه. فهذا هو الرياء بأصول العبادات.

* **القسم الثاني**: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهو أيضا على ثلاث درجات:

الأولى: أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة، كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة، فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود، وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين، وقد قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل، أي: أنه ليس يبالي باطلاع اللَّه عليه في الخلوة، فإذا اطلع عليه آدمي أحسنت

الصلاة، ومن جلس بين يدي إنسان متربعًا أو متكئًا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديمًا للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة. وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة. وكذلك الذي يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء، فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيّد خوفًا من مذمته، وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالاً لعبادة الصوم خوفًا من المذمة، فهذا أيضًا من الرياء المحظور؛ لأن فيه تقديمًا للمخلوقين على الخالق، ولكنه دون الرياء بأصول التطوّعات.

فإن قال المرائي: إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة، فإنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة، وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية؟ فيقال له: هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس، وليس الأمر كذلك، فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك، فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك أكثر، وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلاً وولاية يتقلدها، فيهديها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان الملك وحده، وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفًا من مذمة غلمانه، وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر.

نعم للمرائي فيه حالتان: إحداهما: أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعًا. والثانية: أن يقول: ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود، ولو خففت كانت صلاتي عند اللَّه ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم، فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابًا، فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل

المذمة، فهذا فيه أدنى نظر. والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص، فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراءاة بطاعة اللَّه فإن ذلك استهزاء كما سبق.

الدرجة الثانية: أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه، ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته، كالتطويل في الركوع والسجود، ومدّ القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السور المعتادة، وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت، وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة. وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه.

الثالثة: أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى يمين الإمام، وما يجري مجراه. وكل ذلك مما يعلم اللَّه منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى يحرم بالصلاة؟ فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يراءى به وبعضه أشدّ من بعض. والكل مذموم.

* **الركن الثالث**: المراءى لأجله، فإن للمرائي مقصودًا لا محالة، وإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة، وله أيضًا ثلاث درجات:

الأولى: وهي أشدّها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية، كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا، أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها، أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها، أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها، أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي. وقد يظهر

بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع، وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير، وإنما قصده التحبب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور، وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير، وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن، وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة أو غلام. وهؤلاء أبغض المرائين إلى اللَّه تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلمًا إلى معصيته واتخذوها آلة ومتجراً، وبضاعة لهم في فسقهم، ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها، ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة، واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال؛ ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى.

الثانية: أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة، كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال، ويرغب في نكاح النساء، فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة، وكالذي يرغب أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته. فهذا رياء محظور؛ لأنه طلب بطاعة اللَّه متاع الدنيا، ولكنه دون الأول، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه.

الثالثة: أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح، ولكن يظهر عبادته خوفًا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلاً فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال: إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، وكذلك إن سبق إلى الضحك، أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع

ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن، ويقول: ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه، واللَّه يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك، وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير. وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام، ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئًا من ذلك، وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفًا من أن يعلم الناس أنه غير صائم، فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله، أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول: لي عذر، وهو جمع بين خبيثين، فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء، وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيًا فيريد أن يقال إنه ساتر لعبادته، ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرًا تصريحًا أو تعريضًا، بأن يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم، أو يقول: أفطرت تطييبًا لقلب فلان، ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بشربه كي لا يظن به أن يعتذر رياءً، ولكنه يصبر، ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضًا؛ مثل أن يقول: إن فلانًا محب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدًّا من تطييب قلبه. ومثل أن يقول: إن أمي ضعيفة القلب مشفقة عليّ تظن أني لو صمت يومًا مرضت فلا تدعني أصوم، فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن. أما المخلص فإنه لا يبالي كيف نظر الخلق إليه، فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم اللَّه ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم اللَّه فيكون ملبسًا، وإن كان له رغبة في الصوم للَّه قنع بعلم اللَّه تعالى ولم يشرك فيه غيره، وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور ـ وسيأتي شرح ذلك وشروطه ـ.

فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت اللَّه وغضبه، وهو من أشد المهلكات وإن من شدّته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر، يزل فيه فحول العلماء فضلاً عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب واللَّه أعلم.

* **بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل:**

اعلم أن الرياء جلي وخفي، فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه، وأخفى منه قليلاً هو ما لا يحمل على العمل بمجرده، إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه اللَّه، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان، وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضًا، ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب، ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات، وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروّح ذلك عن قلبه شدة العبادة، وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس، فلقد كان الرياء مستكنًا، في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور، ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتًا وغذاءً للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرّك على نفسه حركة خفية، فيتقاضى تقاضيًا خفيًا أن يتكلف سببًا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضًا، وإن كان لا يدعو إلى التصريح، وقد يخفي فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضًا وتصريحًا ولكن بالشمائل، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس

الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد، وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدؤوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء أن يوسعوا له في المكان، فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه، ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم اللَّه، ولم يكن خاليًا عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل، وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصدِّيقون.

❑ لم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم، كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم اللَّه في القيامة بإخلاصهم على ملأ من الخلق، إذ علموا أن اللَّه لا يقبل في القيامة إلا الخالص، وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة، وإنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده، ويشتغل الصدّيقون بأنفسهم فيقول كل واحد: نفسي نفسي! فضلاً عن غيرهم فكانوا كزوّار بيت اللَّه إذا توجهوا إلى مكة فإنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم أن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج، والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي إلا الخالص من النقد، فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزوّدونه له من التقوى.

❑ فإذن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر، ومهما أدرك من نفسه

تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء، فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم، أو الصبيان الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا، فلو كان مخلصًا قانعًا بعلم اللَّه لاستحقر العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم، وعلى أنّ العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين، فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي»[1] .

أسباب الرياء

«اعلم أيها العبد أن أصل الرياء حبُّ الجاه، والجاه هو قيام المنزلة في قلوب الناس، وهو اعتقاد القلوب نعتًا من نعوت الكمال في هذا الشخص؛ إما لعلم، أو عبادة، أو نسب، أو قوة، أو حسن منظر، أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالاً، فيقدر ما يعتقدون له من ذلك، تُذعِن قلوبهم لطاعته، ومدحه وخدمته وتوقيره.

ومَن غَلَبَ على قلبه حُبُّ هذا صار مقصور الهمِّ على مراعاة الخلق، مشغوفًا بالتردُّد إليهم، والمراءاة لهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله متلفتًا إلى ما يُعَظِّمُ منزلته لديهم، وذلك بذرُ النفاق، وأصلُ الفساد؛ لأن من طلب هذه المنزلة في قلوب العباد، اضطُرَّ أن ينافقهم بإظهار ما هو خال عنه، ويجر إلى المراءاة بالعبادات، واقتحام المحظورات، والتوصل إلى اقتناص القلوب.

وهذا باب غامض، لا يعرفه إلا العلماء باللَّه، العارفون به، المحبون له، وإذا فُصِّلَ رجع إلى ثلاثة أصول:

الأول: حُبُّ لذَّة الحمد.

الثاني: الفِرارُ من الذَّمِّ.

---

(١) «الإحياء» (٣/ ٢٦٥ ـ ٢٧١).

الثالث: الطمعُ فيما في أيدي الناس.

● ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل حَمِيَّةً، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياءً، فأيُّ ذلك في سبيل اللَّه؟ قال ﷺ: **«مَن قاتَلَ لِتكونَ كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه»**.

❑ فمعنى قول السائل: «يقاتل شجاعة»، أي: لِيُذْكَرَ ويُحمد.

ومعنى قوله: «يقاتل حميَّة»، أي: يأنف عن القهر، ويَفِرُّ من الذَّمِّ.

ومعنى قوله: «يقاتل رياءً»، أي: ليُرى مكانه.

وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب التي تُحرِّكُ إلى الرِّياء[1].

❑ قال المحاسبي في «الرعاية لحقوق اللَّه»: «الذي يهيج الرياء في القلب ثلاثة عقود في ضمير النفس: حب المحمدة، وخوف المذمة والضّعة في الدنيا، والطمع فيما في أيدي الناس».

* خوف المذمة والطمع لما في أيدي الناس:

❑ سُئل المحاسبي: كيف يخاف المذمّة؟

قال: كالرجل يحضر العدو فيحضر للقتال، فيتقدمه قوم هم أشجع منه، فيصيروا في نُحور العدو، ولا يقوى هو على ذلك، فلا يمكنه طلب الحمد ممن حضر إذا وقف مع العامة في الصف وساواهم، وقد تقدَّم الخاصة في نحور عدوهم، فييأس من أن يقول عنه من معه في الصف: ما أشجعه وهو مثله[2]، وهم يرون من تقدمهم وتقدمه.

---

(١) «الرياء» لسليم الهلالي ص(٢١ ـ ٢٣).

(٢) أي: جبان مثله.

فإذا يئس من الحمد، وكان ممن لا يريد أن يقف في الصف جبنًا، أو غير ذلك، وأراد أن ينحاز عن الصف، خاف أن يقولوا: ما أجبنه، فيحبس نفسه معهم، لئلا يولي فيذموه على الجبن وقلة الرغبة في ثواب اللَّه عز وجل.

وكذلك من تخلف عن الصف الأول في القتال فلم يمكنه طلب الحمد على الشجاعة، وأراد الإنصراف لقلة رغبته في الأجر، أو لجبن يمنعه من الانصراف، أن يُذم بالجبن ويسمى به، فصار حبسه نفسه في ذلك الموقف خوفًا أن يذم، ولولا ذلك لانصرف؛ لأنه إذا خاف الهزيمة، أو رأى كثرة القتل، أحب أن يتنحى عن الصف، أو يفرّ من العسكر والسرية، فإذا خاف أن يقال: جبن حبس نفسه على المقام.

وكالرجل يكون مع القوم، فيتصدق كل واحد منهم بالدينار وبالدرهم، أو الشيء الكثير، ولا تسخو نفسه أن يتصدق بمثل ما تصدقوا، ويكره ألا يتصدق بشيء فيبخل، فيتصدق بالشيء اليسير لئلا يُبَخّل[1] ، وقد ييأس أن يحمد إذ فاته القومُ بما أعطَوْا.

أو كرجل يكون معه الرجل يطيل الصلاة بالليل أو بالنهار، ولا يقوى على صلاة من معه، ويكره أن يُكسِّله[2] من معه فلا يطمع أن يحمد، إذ فاقوه في الصلاة، فصلى الركعتين أو الركعات كراهية أن يكسل، فيجزع من أن ينظر إليه الناس بعين الكسل ولا يجدَ للمحمدة موضعًا.

وكالرجل يترك بعض ما يجهله من دينه، ولا يسأل عنه كراهية أن يقال: هو جاهل بهذا إلى اليوم، أو يجهل مثل هذا.

وقد يحمله خوفُ المذمة على الكذب، حتى يدعى أنه قد كتب من العلم ما لم يكتب.

---

(١) أي: لئلا يسميه الناس بخيلاً.

(٢) لئلا يسميه الناس كسولاً.

وقد يحمله خوف المذمة على الكذب على أن يفتي بغير علم، وقد علم أنه لا يحسن ما يُسأل عنه، وأن الواجب عليه أن لا يفتي في ذلك، وأولى به أن يقول: لا أدري، فتجزع نفسه أن يذم بجهل ذلك.

وأشياء كثيرة من هذا الباب.

وكذلك يدع اكتساب الحلال كراهية الذم.

وكذلك يدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كراهية ذم من يأمره وينهاه.

قلت: فالطمع لما في أيدي الناس كيف هو؟

قال: يحب أن يراه من يرجو منه البر، فيعطيه على عمله، فيصله ويبره، أو يطلع عليه فيفرح باطلاعه ليبره ويصله.

فإن اطلع على ذنبه اغتم له ما لا يغتم باطلاع غيره ممن لا يطمع فيما عنده، وإن اطلع على طاعته ارتاح قلبه لاطلاعه ما لا يرتاح لاطلاع غيره ممن لا يطمع فيما عنده، وأشياء كثيرة من ذلك.

وكذلك من يبايعه، فيربحه أو يبايعه ويؤخره عليه ويحب حمده أن رآه على خير وارتاح قلبه، فيحب أن يتصحح عنده بالورع وحفظ المنطق والوفاء بالموعد، ليثق به ولا يجوزه إلى غيره.

وكذلك الصانع عند من يسلم إليه العمل، والأجير عند من يستأجره أو يوكله بضيعته، أو تجارته، أو عمله، يحب الصحة عنده ويرائيه بالورع.

❑ قلت: قد فهمتُ هذين، فأما حب المحمدة فهو أبين في النفس وأجلى من أن أحتاج إلى تفسيره لي، فقد تبين لي أن هذه الثلاث خلال هي التي تهيج الرياء وتبعث على قبول خطرات العدو، فما الذي كانت هذه الثلاث خلال منه؟ فإنه لا ينبغي إلا أن يكون لها أصل عنه تشعبت وتفرقت.

قال: أما أصل هذه الثلاث خلال الذي منه تشعبت وتفرقت هكذا فهو معرفة النفس بلذة ما تنال من الحمد والبر، وما يدخل عليها من ضرر الذم وغمه، فلما عظمت المعرفة بذلك انبعث العبد على اعتقادة هذه الخلال الثلاث.

لأنه لما عرف أنه إن حمده الناس عظموا قدره، فبدأوه إذا لقوه بالسلام والبشر والإعظام، والهيبة والتوسعة له في المجلس، والتكرمة له بتشريفه وقبول الشهادة، وتصديق الحديث وحسن الظن به حتى يوجه الذنب منه إلى الخير.

فكيف بالخير إذا كان منه؟ وقبول أمره والانتهاء عما نهى عنه، والرئاسة واستماعه الثناء الحسن الذي يلتذ به السمع وتستريح إليه النفس. فهذه معرفة ما ينال من حمد العباد.

وأما الطمع فمعرفته: بأن برّه الناس بما يظهر من طاعة ربه فإنه يوصلُ بالأموال وتهدى إليه الهدايا، وتقضى له الحوائج ويسارع إلى إقراضه المال، ويوسع عليه في طلب الدين وما أشبه ذلك.

قلت: فخوف المذمة؟

قال: أما خوف المذمة فمعرفته أن من ذمه الناس يكذّب صدقُه، ويُساء به الظن في الخير، فكيف في الشر؟

ترد عليه شهادته ويرد عليه قوله، ويقصى مجلسه، ويعرض عنه، ويُحفى في السلام ويرد بغير قضاء حاجة، ويستحيى من صحبته والتحذير منه إن أشير في أمره في خطبة أو شهادة، ولا يؤمن على مال ولا حرمه. وربما وضع عليه ذنب غيره. ويحمل عليه لغيره. وربما كان مظلومًا.

«فلما عرف عظيم قدر هذه الخلال في الخير، في الطمع والحمد، وفي الضرر في الذم، اعتقد حب حمدهم وخوف مذمتهم، والطمع لما في

أيديهم، فورثته المعرفة بذلك الرغبة، وغلبت على قلبه، فأهاجت دواعي هذه الثلاث الخلال إلى الرياء، واعترض العدو وبالدعاء بالرياء بالعمل والعلم، لما عرف من عظيم رغبته فيهن»[1] .

*** الحرص على طلب الجاه؛ والترهيب من طلب العلم لغير اللَّه:**

والحرص على طلب الجاه يقع على ضربين:

أحدهما: طلب الجاه بالولاية والسلطان والمال.

الآخر: طلب الجاه بالأمور الدينية؛ كالعلم والعمل والزهد.

❐ قال الفضيل: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار خير لي من أن أطلبها بعمل الآخرة.

✍ **أخي**: إن في الدنيا جنة لم يشم رائحتها إلا المخلصون، وهي معرفة اللَّه، ومحبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه وخشيته وطاعته، والعلم النافع والعمل الصالح يدلان عليها، فمن دلَّه علمه وعمله على دخول هذه الجنة في الدنيا، ورث الفردوس الأعلى في الأخرة، ومن لم يجد رائحتها، ولم يعرف سبيلها لم يشم عُرف الجنة يوم القيامة.

● قال ﷺ: **«من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه اللَّه؛ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا في الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**[2] .

● وقال ﷺ: **«لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به**

---

(١) «الرعاية» ص(١٦٩ ـ ١٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٣٣٨)، وغيرهم.
من طريق فليح بن سليمان، عن عبداللَّه بن عبدالرحمن بن معمر أبي طوالة، عن سعيد ابن يسار عن أبي هريرة به.
قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لأن فليح بن سليمان صدوق سيئ الحفظ. لكن تابعه أبو سليمان الخزاعي عند ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٩٠) فصحّ الحديث.

السفهاء، ولا لتحيزوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من ابتغى العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو تُقبِل أفئدة الناس إليه، فإلى النار»[٢] .

● وقال ﷺ : «من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار»[٣] .

● وقال ﷺ :«من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله اللَّه في النار»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله اللَّه جهنم»[٥] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٩٠) ـ موارد، والحاكم (١/ ٨٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٨٧) وغيرهم من طريق ابن أبي مريم: أنبأنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به.
قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لأن ابن جريج وأبا الزبير مدلسان، وقد عنعنا.
ولكن للحديث شواهد؛ منها: حديث أبي هريرة: أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٨٨)، وإسناده حسن. وزاد: «ولكن تعلَّموه لوجه اللَّه والدار الآخرة».
فالحديث صحيح بمجموعها، واللَّه أعلم.

(٢) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن كعب بن مالك، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٣٠)، و«تخريج المشكاة» (٢٢٥).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٤)، و«صحيح الجامع» (٦٣٨٢).

(٤) حسن: رواه الترمذي عن كعب بن مالك، وحسّنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٢٥)، و«صحيح الجامع» (٦٣٨٢).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «تخريج اقتضاء العلم» (١٠٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٦١٥٨).

* **زلّ حمار العلم في الطين:**

انظر إلى العلماء الربانيين، وإلى كلمات سفيان وابن المبارك لتعرف علّو كعبهما.

✍ كتب سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ إلى عباد بن عبَّاد ـ رحمه اللَّه ـ فقال:

«أما بعد: فإنك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القَدَم ما ليس لنا فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم، وقلة صبر، وقلة أعوان الخير، وفساد من الناس وكدر من الدنيا؟

✍ فعليك بالأمر الأول، والتمسك به، وعليك بالخمول؛ فإن هذا زمن الخمول، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

✍ وإياك والأمراء أن تدنوا منهم، وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع، فيُقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة؛ فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلمًا.

وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك، ولا تنافسهم فيه.

✍ وإياك أن تكون كمن يحبُّ أن يُعْمَل بقوله، أو ينشر قوله، أو يسمع من قوله؛ فإذا ترك ذاك منه عُرف فيه.

✍ وإياك وحب الرئاسة؛ فإن الرجل تكون الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسلام»[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

□ ولله در ابن المبارك ـ رحمه الله ـ القائل[1] :

يا جـاعِلَ العِـلْمَ لهُ بـازيًا
يصْطـادُ أمْـوالَ المسـاكِينِ
احْتَـلْتَ للدُّنْيـا ولَذَّاتهـا
بحيـلَةٍ تَـذْهَبُ بالـدِّيـنِ
فصرْتَ مَجنـونًا بِها بَعْـدَمـا
كنـتَ دواءً للمجـانِـينِ
أينَ رواياتِـكَ في سَـرْدِهـا
عن ابن عـونٍ وابن سـيرينِ
أينَ رواياتـك فيمـا مَضَى
في تَـرْكِ أبـوابِ السَّلاطِينِ
إنْ قُلْتَ أُكْرِهْتُ فماذا كذا
زَلَّ حِمـارُ العلمِ في الطِّينِ

* **العلم لعرض من الدنيا :**

□ وقال أبو مسلم الخولاني: كثير من الناس يعيش الناس بعلمهم، ويهلكون في نفوسهم ـ يعني بالعجب ورؤية النفس.

□ وكان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ يقول: «لا تكن ممن يجمع علم العلماء ويفعل أفعال السفهاء».

□ وكان وهيب بن الورد ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: «لو أن العلماء إذا

(١) انظر «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٦٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١١ ـ ٤١٢).

لم يعملوا بعلمهم، قالوا للناس: خذوا علمنا ولا تقتدوا بنا في ترك الأعمال الصالحة لتنجُوا كان ذلك خيراً، ولكنهم لبّسوا على الناس وادّعوا العمل، فجرّوا الناس إلى أعمالهم الخبيثة»[1].

✍ معشر العلماء: لقد أزريتم العلم وأذهبتم قدره.

❑ قال محمد بن سرين ـ رحمه اللَّه ـ: «قد ذهب العلماء ولم يبق من علمهم إلا غبرات في أوعية سوء».

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«أكثر منافقي أمتي قرّاؤها»**.

❑ وكان يحيى بن معاذ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: «إنّ العالم إذا لم يكن زاهدًا، فهو عقوبة لأهل زمانه وفتنة. وكان يقول: يا أهل العلم! قد صارت بيوتكم كسروية، وأخلاقكم شيطانية فأين المحمدية؟»

❑ وقد كان الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: «لن تهلك أمة إلا من جهة علمائها السوء، جلسوا على طريق الرحمن فقطعوا الطريق على عباد اللَّه بأعمالهم الخبيثة». فهؤلاء قطاع الطريق إلى الدار الآخرة.

❑ وكان سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «العالم طبيب الدين ما لم يجلب الدنيا بعلمه؛ فإذا جلب الدنيا بعلمه، فقد جلب الداء إلى نفسه، وإذا جلب الداء إلى نفسه فكيف يطبُّ غيره؟».

❑ وقد قيل للشعبي ـ رحمه اللَّه ـ أفتنا أيها العالم، فقال: «لا تقولوا لمثلي عالم؛ فإن العالم هو الذي تقطعت مفاصله من خشية اللَّه تعالى».

❑ وكان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «من علامة من يطلب العلم للَّه تعالى أن يتخلق بالزهد والورع والخشية من اللَّه، ويحتمل الأذى من الناس».

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(١١٩ ـ ١٢٠).

❑ وكان أبو الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: «إني أخاف أن يقال لي: يا عويمر ماذا صنعت فيما علمت؟».

معاشر العلماء: إن كنتم علماء حكماء فلا تجعلوا أسماعكم غرابيل تمسك النخالة، وترسل الطحين.

* قال الأعمش: إنّ لي نحو عشرين سنة ما رأيت مخلصًا في علمه، إنما صار العلم حرفة للمفاليس.

❑ وكان شعبة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: ما رأيت أحدًا طلب الحديث خالصًا إلا هشام الدستوائي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

❑ وكان أبو حازم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: قد رضي علماء زماننا هذا بالكلام، وتركوا العمل. وقد كان السلف يفعلون ولا يقولون؛ ثم صار الذين بعدهم يفعلون ويقولون، ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون، وسيأتي زمان أهله لا يقولون ولا يفعلون.

❑ وقد كان أبو عبدالرحمن السلمي يقول: لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات، فلا ينتقلون من عشر حتى يعملوا بها.

❑ وكان سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ يقول: من علامة من يطلب العلم للَّه تعالى أن يتخلّق بالزهد والورع والخشية من اللَّه، ويحتمل الأذى من الناس.

❑ وكان كعب الأحبار يقول: يكون في آخر الزمان علماء يتغايرون على القرب من الأمراء كتغاير الرجال على النساء، أولئك شرار الخلق عند اللَّه.

❑ وكان ابن السّماك يقول لعلماء زمانه: كم من مذكّر باللَّه تعالى منكم وهو له ناس، وكم من مخوّف من اللَّه تعالى منكم وهو جريء على معاصيه، وكم من مقَرّب إلى اللَّه تعالى وهو بعيد منه، وكم من داعٍ إلى اللَّه وهو فارّ منه.

❑ وكان بشر بن الحارث يقول: ما رأيت أحدًا في زماننا هذا أوتي

العلم إلاّ أكل بدينه ما عدا أربعة: إبراهيم بن أدهم، ووهيب بن الورد، وسليمان بن الخوّاص، ويوسف بن أسباط.

❑ وكان الثوري يقول: من أبكاه علمه فهو العالم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا**﴾ [الأسراء: ١٠٧].

* وقال تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾[(١)] [مريم: ٥٨).

❑ كان وهب بن منبه يقول: كان في بني إسرائيل قرّاء فسقة، وسيكون في هذه الأمة أمثالهم.

❑ وقال عبداللَّه بن المبارك: من دخل النار بالمعاصي الظاهرة أخف ممن دخلها بالرياء.

❑ وقال الثوري ـ رحمه اللَّه ـ: «اعلموا أن من يدخل النار تفسُّقًا أخف ممن يدخلها تبدّعًا، وأخف ممن يدخلها تقربًا وهو مراء بعلمه وعمله».

❑ وقد كان حبيب العجمي يقول: ما كنا نظن أن نعيش إلى زمان صار الشيطان يلعب بالقرّاء فيه كما يلعب الصبيان بالأكرة.

❑ وكان عبدالعزيز بن أبي روّاد يقول: كان فسقة الجاهلية أكثر حياء من قرّاء زمننا.

❑ وقد كان سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «واللَّه إني لأخشى إذا قيل يوم القيامة: أين القرّاء الفسقة؟ أن يقال: وهذا منهم فخذوه.

❑ وكان سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ يقول: احذروا القرّاء، واحذروني معهم، فإني لو خالفت أكثرهم ودّاً إليّ في رُمّانة، فقلت: هي حامضة، وقال هو: بل حلوة لا آمن أن يسعى في قتلي عند سلطان جائر.

(١) «تنبيه المغترين» (١٢١ ـ ١٢٣).

❑ وقد قال رجل لحماد بن زيد ـ رحمه اللَّه ـ :أوصني، فقال له: إياك أن تجعل لك اسمًا مع القراء في صحيفة.

❑ قال يوسف بن أسباط: لما مات سفيان الثوري، قال الناس للقرّاء: «معاشر القرّاء كلوا الآن الدنيا بالدين، فقد مات الثوري»، لكونه - رحمه اللَّه ـ كان أشد الناس حطًّا على القرّاء.

❑ وكان الحسن البصري ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لن تزال العلماء في كنف اللَّه تعالى ما لم يمل قرّاؤهم إلى أمرائهم بالمحبة؛ فإذا مالوا إليهم رفع اللَّه يده عنهم، وسلّط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب، وقذف في قلوبهم الرعب.

✍ وكان فرقد السبخي لم يزل يلبس الكساء، فقال له الحسن البصري: أتحب أن لك فضلاً على الناس بكسائك هذا، إنه قد ورد أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية»[1] .

❑ قال الفضيل بن عياض: كيف تحمدون القرّاء مع غلظ رقابهم ورقة ثيابهم وأكلهم مخ الحنطة، واللَّه إن سفّ الرماد كثير على من يخشى اللَّه ويتقيه.

❑ وقد قيل مرة لمالك بن دينار: ما لنا نراك تعرض عن الشاب القارئ الناسك؟ فقال: إنما أعرض عنه لكثرة تجريبي للقرّاء.

هذا فيمن لم يرد اللَّه بعلمه. أما من يرد اللَّه بعلمه ويعمل به ويدعو، فهذا الذي يُدعى في ملكوت السموات عظيمًا.

كان ابن وهب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: سألت الإمام مالكًا ـ رضي اللَّه عنه ـ عن الراسخين في العلم من هم؟ فقال: هم العاملون بالعلم،

(١) «تنبيه المغترين» (١٢٢ ـ ١٢٤).

وليس شيء أعز من العلم؛ لأن صاحبه يحكم به على الملوك. وقد قيل لابن المبارك ـ رحمه اللَّه ـ من الناس عندك؟ فقال: العلماء العاملون المخلصون. قيل له: فمن الملوك؟ قال: الزهاد في الدنيا. قيل له: فمن السّفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم. وكان الحسن البصري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: العلماء سرج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره، ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم.

❏ كان الشعبي ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «من آداب العلماء إذا علموا أن يعملوا؛ فإن عملوا شُغِلوا بذلك عن الناس، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، وإذا فُقِدُوا طُلِبوا، وإذا طُلِبوا هربوا خوفًا على دينهم من الفتن»[1].

❏ قال صالح المري ـ رحمه اللَّه ـ: احذروا عالم الدنيا أن تجالسوه فإنه يفتنكم بزخرفة كلامه، ومدحه للعلم وأهله من غير عمل به.

❏ وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: «لو صحّت النية في العلم لم يكن عمل أفضل منه، ولكنهم تعلّموه لغير العمل به، وجعلوه شبكة لصيد الدنيا»[2].

❏ وقد كان منصور بن المعتمر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول لعلماء زمانه: «إنكم لستم علماء، وإنما أنتم متلذذون بالعلم يسمع أحدكم المسألة ويحكيها للناس، ولو أنكم عملتم بعلمكم لتجرّعتم المرارات والغصص، ولحثكم علمكم على التورّع حتى لا يجد أحدكم رغيفًا يأكله»[3].

❏ وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لولا نقص دخل على

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٨).
(٢) المصدر السابق ص(٣١).
(٣) المصدر السابق ص(٣٢).

أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس، ولكنهم اتخذوا علمهم حرفة ومعاشًا، ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض.

❏ كان عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: «أخوف ما أخاف على هذه الأمة من عالم باللسان جاهل القلب.

❏ قال الإمام أحمد: عزيز علينا أن تذيب الدنيا أكباد قوم وعت قلوبهم القرآن.

❏ وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إني لأبكي على العالم إذا رأيت الدنيا تلعب به ولوكان لأهل القرآن. والحديث صبر على الزهد في الدنيا ما تمندل بهم الناس، واسوأتاه من أن يُقال: فلان العالم أو العابد قد قدم حاجًّا في نفقة فلان التاجر.

❏ وكان يحيى بن معاذ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إذا طُلِبَ العالم ذهب بهاؤه.

❏ وكان الحسن البصري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم، وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة فيتقربون بذلك عند أبناء الدنيا.

❏ وكان عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه في دينه، فإن كل محب يخوض فيما أحب.

❏ وقال حاتم الأصم: إن من أشقى الناس يوم القيامة عالمًا عمل الناس بعلمه وهو لم يعمل به، إن أهون ما يُصنع بالعالم إذا طلب الدنيا بعلمه أن يُحرم لذيذ المناجاة للَّه عز وجل[١].

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٩).

❑ قال الفضيل بن عياض: إذا رأيتم العالم أو العابد ينشرح لذكره بالصلاح عند الأمراء وأبناء الدنيا فاعلموا أنه مراء[1] .

❑ وكان صالح المري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: من ادعى الإخلاص في العلم، فليعرض على نفسه إذا وصفه الناس بالجهل والرياء، فإن انشرح صدره لذلك فهو صادق، وإن انقبض من ذلك فهو مراء.

❑ وقال الفضيل بن عياض: من علامة المرائين بعلمهم أن يكون علمهم كالجبال، وعملهم كالذر.

❑ وكان الربيع بن خثيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: كيف يصح للعالم أن يرائي بعلمه، وهو يعلم من نفسه أنه تعلّمه لغير اللَّه وذلك حابط من أصله، فكيف يرى نفسه على الناس بما هو حابط؟![2] .

* * *

(١) المصدر السابق ص(٣١).
(٢) المصدر السابق ص(٣٢).





مــع الــريــاء

علاماته - ترك العمل لأجل الناس

دقيقــه - جَلِيّــه



من الرياء

علاماته ـ ترك العمل لأجل الناس دقيقه ـ جَلِيّه

*** من علامات المرائي :**

١ ـ تأخير العبادة عن مواقيتها دون عذر شرعيّ:

* قال سبحانه وتعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [الماعون: ٤ ـ ٧].

٢ ـ القيامُ بالعبادةِ بخمولٍ ونفسٍ خبيثةٍ:

* قال جلَّ ثناؤه: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء: ١٤٢].

إن المرائين لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء اللّه، والوقوف بين يديه، ومناجاته.. إنهم قوم يراؤون الناس، ومن ثَمَّ يقومون كُسالى، كالذي يؤدي عملاً ثقيلاً.. إنما يتذكَّرونَ الناس، فصارت حركاتُهم كلها تُوافق الناس، فإذا رأوا الناس ينظرون إليهم، نشطوا في العبادة، وزيَّنوها، وبهرجوها؛ لأنهم أمام مَن يتوجَّهون إليه، والقلب يستحضر من ملأه حبًّا.. فلذلك لا يذكرون اللّه إلا قليلاً:

● قال ﷺ : **«ليس صلاة أثقل على المُنافِقينَ من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمونَ ما فِيهما لأتَوْهُما ولو حَبواً»**(١) .

❑ وقال ابن القيم ـ رحمه اللّه ـ عن المرائين في «مدراج السالكين»: قام

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٤١) «الفتح»، ومسلم (٥/ ١٥٤) «نووي»، وغيرهما من حديث أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ.

بهم ـ واللَّه ـ الرياء، وهو أقبح مقام قامه الإنسان، وقعدبهم الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلاً: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

❑ يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه، ويشهد اللَّه على ما في قلبه من كذبه ومينْه، فتراه عند الحق نائمًا، وفي الباطل على الأقدام، فخذ وصفهم من قول القدوس السلام ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

❑ وقد كان أمير المؤمنين عليّ ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ يقول: إنَّ للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، ويصلي النوافل جالسًا، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد في العمل إذا مدحوه كما ينقص منه إذا ذموه[١].

❑ وعن عبداللَّه الرازي قال: لما تغيّر الحال على أبي عثمان الحيري وقت وفاته مزّق ابنه أبو بكر قميصًا كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر، رياء باطن في القلب[٢].

❑ قال بكر عبداللَّه المزني ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: من علامة المرائي بعلمه أن يرغّب الناس في العلم، ويذكر لهم ما فيه من الفضائل، ثم إن شاوره أحد من القرّاء على أحد من أقرانه لا يرغّبه فيه كل الترغيب»[٣].

❑ وقال الفضيل: المؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل، كلام المؤمن حِكم، وصمته تفكر، ونظره عبره، وعمله برّ،

---

(١) «التنبيه» ص(٢٦).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٦٤).

(٣) «تنبيه المغترين» ص(٣٢).

وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة[1] .

ترك العمل لأجل الناس رياء

□ قال السيد الجليل الفضيل: «العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك اللَّه منهما».

ومعنى ترك العمل لأجل الناس أن لا يحب أن يعمل إلا في محل يحمده الناس فيه، فإن لم يجد من يحمده ترك العمل وكسل عنه.

قد يعالج بعض الناس خطأ فيقعون في خطأ مثله أو أشد منه، وتلك مشكلة عانى منها الناس قديمًا وحديثًا.

أمر اللَّه بالعبادة مخلصين له الدين، وفي النفس نوازع تدعونا إلى الميل عن صراط الإخلاص، فلما رأى الناس هذا اتجهوا اتجاهات مختلفة. فريق رام مجاهدة الرياء، حتى يقتلع جذوره، فلا يبقى في نفسه ميل إلى الرياء، ولا خاطر يدعو إليه، وهؤلاء طلبوا عظيمًا وراموا مستحيلاً «فالناس لم يؤمروا أن يخرجوا وساوس إبليس أن تعترض في صدورهم، ولم يؤمروا بأن يغيروا خلقهم وطباعهم، حتى تصير لا تنازع إلى معنى من زينة الدنيا من رياء ولا غيره، حتى تكون طبائعهم الحمد فيها مكروه والذم فيها محبوب»[2] ، لم يؤمر العباد بذلك أبدًا، فهذا أمر غير مقدور، واللَّه لا يكلّف نفسًا إلا وسعها، والجهود التي تبذل في غير مكانها جهود ضائعة، لا تعود على صاحبها بفائدة.

ونحن نلاحظ أن بعض الأمور التي دعانا اللَّه إليها مكروهة للنفوس: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وبعض الأمور التي نهينا

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/١٦).

(٢) «الرعاية» (٢٠٧).

عنها محبوبة للنفوس: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقد يطلب الإنسان شيئًا من هذه الزينة التي حببت إليه من طريق حرام، وفي الحديث: «حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشهوات».

فحبُّ المعاصي من الرياء والشهوات لا إثم فيه، وكراهية فعل بعض المأمورات لا إثم فيه، وقد وضح ابن عبدالسلام هذه المسألة فقال: «وليس حب الرياء ولا غيره من جميع المعاصي معصية، فإن أطلق عليه اسم الرياء كان ذلك مجازاً من تسمية السبب باسم المسبب، وكل شيء حرمه اللَّه تعالى فلا يأثم مشتهيه بشهوته، وإنَّما بعزمه عليه وإرادته، ثم بملابسته، وكل ما تكرهه الطباع وتنفر منه القلوب والأسماع من الخيور والشرور، فلا إثم على كراهيته، ولا النفور منه، وإنَّما الإثم على فعله، إن كان قبيحًا، أو تركه إن كان حسنًا، فشهوة الرياء والشكر وقهر الأقران وإضرار الأعداء لا إثم فيها، لخروجها عن قدرة المكلف، ولتعذر الانفكاك والانفصال عنها، ومن استعمل شيئًا من المحبوبات في غير بابه فقد أخطأ وزل»[1].

الفريق الثاني: عمل عكس ما عمله هؤلاء، فعندما يدعى إلى فعل خير أو يسأل حاجة أو تدعوه النفس إلى عمل خير يعرض في نفسه عارض الرياء، فيخشى من هذا الخاطر أن يكون، فيعرض عن العمل خوف الرياء، وهذا هرب من شرٍّ ووقع فيما هو أشدّ منه أو مثله، وقد تنبه العلماء الأعلام إلى هذا المزلق الخطر فحذروا منه.

□ يقول القاضي عياض: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك»[2]، يقول النووي معلّقًا على كلام القاضي: «ومعنى كلامه ـ

(١) «قواعد الأحكام» (١/١٤٨).
(٢) «الرسالة القشيرية» ص(٩).

رحمه اللَّه تعالى ـ: أن من عزم على عبادة، وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مراء؛ لأنه ترك العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبه أو عالمًا يقتدى به فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل»[(١)] .

وترك العمل خوفًا من الرياء حبالة من حبالات إبليس كما يقول ابن حزم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «لإبليس في ذم الرياء حباله، وذلك أنه رب ممتنع من فعل خير أن يظن به الرياء»، ولذلك ينصح من طرقه مثل هذا ألا يتلفت إليه، وأن يمضي فيه إغاظة للشيطان: «فإذا طرقك منه مثل هذا فامض على فعلك، فهو شديد الألم عليه»[(٢)] .

ولو فعل إنسان هذا لأوشك إذا علم الشيطان بذلك أن يعترض له عند كل عمل بالخطرات بالرياء فيدع كل طاعة»[(٣،٤)] .

(١) «شرح الأربعين النووية» ص(١١).
(٢) «الأخلاق والسير» ص(١٦).
(٣) قريب من هذه المسألة ما يقع لبعض الناس الذين ليس لهم عادة في العبادة والتهجد، وقراءة القرآن في الليل أو في أطراف النهار، فإذا صحب قومًا هذا شأنهم انبعث إلى العبادة، ونشط، وقد يظن بعض الناس أن هذا رياء، وهذا ليس على إطلاقه كما يقول ابن قدامة، بل فيه تفصيل، ذلك أن المؤمن يرغب في عبادة ربه، ولكن تحول دون ذلك عوائق، وتستهويه الغفلة، فربما كانت مشاهدة الغير سببًا لزوال الغفلة، واندفاع العوائق؛ فإن الإنسان إذا كان في منزله تمكن من النوم على فراش وطيء، وتمتع بزوجته، فإذا بات في مكان غريب اندفعت عنه الشواغل، وحصلت له أسباب تبعث على الخير، منها مشاهدة العابدين، ففي مثل هذه الأحوال ينتدب الشيطان للصد عن الطاعة، ويقول: إذا عملت غير عادتك كنت مرائيًا، فلا ينبغي أن يلتفت إليه؛ وإنما ينبغي أن يتلفت إلى قصده الباطن ولا يلتفت إلى وساوس الشيطان.
وبين لنا ابن قدامة سبيلاً يختبر هذا وأمثاله فيه نفسه، وذلك بأن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه، فإذا رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو للَّه، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء، وقس على هذا «مختصر منهاج القاصدين» ص(٢٣٤).
(٤) «مقاصد المكلفين» ص(٤٦٠ ـ ٤٦٤).

✍ جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية توضيح وبيان لعبارة الفضيل (١/ ٥٣٢): «إن قول الفضيل إن ترك العمل من أجل الناس رياء ليس على إطلاقه... بل المعول على ذلك على النية مع العناية بتحري موافقة الشريعة في جميع الأعمال؛ فإذا وقع للإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه لئلا يظن به ما يضره فليس هذا من الرياء بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به، أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي» ا.هـ باختصار.

❑ يقول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ : «ومن كان له وردٌ مشروعٌ من صلاة الضحى، أو قيام ليل، أو غير ذلك؛ فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس، إذا علم اللَّه من قلبه أنه يفعله سرًّا للَّه مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص.. ـ إلى أن قال ـ «ومن نهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياءٌ، فنهيه مردودٌ عليه من وجوه:

أحدهما: أن الأعمال المشروعة لا ينهى عنها خوفًا من الرياء، بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها. فالفساد في ترك إظهار المشروع أعظم من الفساد في إظهاره رياءً.

الثاني: لأن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس، ولا أن أشق بطونهم»**.

الثالث: إن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشر والفساد ينكرون على أهل الخير والدين، إذا رأوا من يظهر أمرًا مشروعًا، قالوا: هذا مراءٍ، فيترك أهلُ الصدق إظهار الأمور المشروعة حذرًا من لمزهم، فيتعطل الخيرُ.

الرابع: إن مثل هذا من شعائر المنافقين، وهو الطعن على من يظهر الأعمال المشروعة، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾أهـ. [التوبة: ٧٩](١) .

وقد تمادى أصحاب هذا المسلك في هذا الانحراف، حتى وصل بهم الحدُّ إلى قصد ذم الناس ولومهم، وسموا بـ«الملامية» وهم الذين يفعلون ما يُلامون عليه، ويقولون نحن متبعون في الباطن، أرادوا بذلك مقابلة المرائين، فردوا باطلهم بباطل آخر، وهدى اللَّه أهل السلوك من أهل السنة والجماعة إلى التزام الصراط المستقيم فكانوا وسطًا بين المرائين والملامية»(٢) .

❑ قال ابن تيمية: «الملامية» الذين كانوا يخفون حسناتهم، ويظهرون ما لا يُظَنُّ بصاحبه الصلاح من زي الأغنياء، ولبس العمامة، فهذا قريب وصاحب مأجور على نيته؛ ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة، ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات، وزعموا أن ذلك دخول منهم في «الملاميات»، ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم من اللَّه في الدنيا والآخرة، وتجب عقوبتهم جميعهم، ومنعهم من هذا الشعار الملعون، كما يجب ذلك في كل معلن ببدعة أو فجور»(٣) .

* عذر أقبح من ذنب:

❑ قال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص(٤٦٧، ٤٦٨): «كان علي

---

(١) «الفتاوى» (٢٣/ ١٧٤، ١٧٥) باختصار.

(٢) «الإخلاص والشرك الأصغر» لعبدالعزيز عبداللطيف ص(١٩ ـ ٢٠) ـ دار الوطن للنشر.

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٥/ ١٦٤).

ابن بابويه من الصوفية فاشترى يومًا من الأيام قطعة لحم، فأحبَّ أن يحمله إلى البيت، فاستحيا من أهل السوق فعلّق اللحم في عنقه وحمله إلى بيته.
قلت: وا عجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع، وذلك أمر لا يمكن، ولا هو مراد الشرع، وقد ركز في الطباع أن الإنسان لا يحب أن يُرى إلا متجملاً في ثيابه وأنه يستحيي من العُرْي وكشف الرأس. والشرع لا ينكر عليه هذا.

وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح في الشرع والعقل، فهو إسقاط مروءة لا رياضة، كما لو حمل نعليه على رأسه».

وقال: «وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية، فاقتحموا الذنوب فقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين.

وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها، فقيل له: لِمَ لَمْ تعزل؟ فقال: بلغني أن العزل مكروه. فقيل له: وما بلغك أن الزنا حرام؟!. وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند اللَّه سبحانه ونسُوا أن المسلمين شهداء اللَّه في الأرض»[1].

❑ **ثم ذكر من قصصهم**: «حمل أبو الحسين النوري ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له، وجلس على قنطرة وجعل يرمي واحدًا واحدًا منها إلى الماء ويقول: جئت تريدين أن تخدعيني منك بمثل هذا»[2] !!!.

و«مات للشبلي ابن ولد، كان اسمه عليًّا، فجزّت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها، فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا؟ فقال: جزّت هذه شعرها على مفقود، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود[3] ؟!!!!

---

(١) «تلبيس إبليس» ص(٤٦٨) ـ طبع المكتب الإسلامي.
(٢) المصدر السابق ص(٤٧٠).
(٣) المصدر السابق ص(٤٧٤).

ومن فعل الملامتية ما يكثر من ذكره الشعراني في «الطبقات الكبرى» مسوِّدًا بها الصفحات، عادًّا لها من محاسن القوم منها:

أن إبراهيم العريان كان من كبار الأولياء وسُمِّي بذلك؛ لأنه كان يخطب الجمعة عاريًا، ومن ذلك حكايته على الوليّ الكبير الذي جاءه قوم من كبار العباد لينتفعوا بما عنده، فلما جاء وقت الصلاة، استأذنوه ليصلوه جماعة في المسجد، فإذا به يقول لهم: ليس من عادتي الصلاة، وإنما نصلي اليوم من أجلكم، ثم ذهب ليتوضأ من مشخة حمير!!!، أو بركات الخياط الوليّ الذي ما كان يسمع بقط أو كلب ميت إلاّ وأتى به إلى حانوته، بل وأشد من هذا كبار المنكرات والأقوال الكفرية البذيئة التي تُسوّد بها الصفحات.. وكم يضج الإسلام من الشطحات الشبلية، والكفريات الحلاّجية والفارضية، وكفريات محيي الدين بن عربي، والسهروردي، وابن سبعين، والفاجر التلمساني» وعلى الطرف الآخر أفضل الهدي هدي نبينا ﷺ.

ومن دقيق الرياء وخَفِيّه

أما أولها: فما ذكره أبو حامد الغزالي في إحيائه حيث قال ـ أثناء ذكره للرياء الخفي ـ: «وأخفى من ذلك أن يختفي العاملُ بطاعتهِ بحيثُ لا يريدُ الاطلاعَ، ولا يسر بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحبَّ أن يبدءوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنُوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، وأن يسامحوه في البيع والشراءِ، وأن يوسعوا له في المكان، فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه، ووجد لذلك استبعادًا في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يُطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعةُ لما كان يستبعد تقصيرَ الناس في حقه، ومهما لم يكن وجودُ العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم اللَّه، ولم يكن خاليًا عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل،

وكلُّ ذلك يوشكُ أن يحبط الأجرَ، ولا يسلمُ منه إلا الصِّدِّيقُون» (١) أهـ.

وأما ثانيها: فهو أن يجعل الإخلاصَ للَّه وسيلةً ـ لا غاية وقصدًا ـ لأحد المطالب الدنيوية.

□ وقد نبّه شيخ الإسلام على تلك الآفة الخفية فكان مما قال ـ رحمه اللَّه ـ: «حكي أن أبا حامدٍ الغزالي بلغه أن من أخلص للَّه أربعين يومًا تفجرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصتُ أربعين يومًا فلم يتفجر شيء فذكرتُ ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنك إنما أخلصت للحكمة، ولم تخلص للَّه تعالى..».

□ ثم قال ابن تيمية: «وذلك لأن الإنسانَ قد يكون مقصودُه نيلَ العلمِ والحكمة، أو نيلَ المكاشفات والتأثيرات، أو نيلَ تعظيم الناس له ومدحهم أيّاه، أو غير ذلك من المطالب، وقد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص للَّه وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص للَّه وإرادة وجهه كان متناقضًا؛ لأن من أراد شيئًا لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه. فإذا قصد أن يخلص للَّه ليصير عالمًا أو عارفًا أو ذا حكمة، أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد اللَّه، بل جعل اللَّه وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى...» (٢).

□ ومن ذلك ما ذكروه أن رجلاً سمع قول السري السقطي عن التهجد: «رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل»، فقام ليله وانتظر أن تأتي الفوائد ولمّا لم تأته، ذهب إلى عالم عابد وقصّ عليه القصة، فقال الشيخ: إنك صليتَ للفوائد، ولم تصل للَّه.

---

(١) «الإحياء» (٣/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٢) «درء تعارض المنقول مع صريح المعقول» لابن تيمية (٦/ ٦٦، ٦٧).

❑ ولذا يقول الشاطبي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الفاعلَ للسبب عالمًا بأن المسببَ ليس إليه، إذا وكله إلى فاعلِه وصرف نظره عنه كان أقرب إلى الإخلاص، فالمكلفُ إذا لبّى الأمرَ والنَهيَ في السبب من غير نظر إلى ما سوى الأمر والنهي، خارج عن حظوظه، قائم بحقوق ربه، واقف موقف العبودية، بخلاف ما إذا التفت إلى المسبب وراعاه، فإنه عند الالتفات إليه متوجهٌ شطرَه، فصار توجهُهُ إلى ربه بالسبب، بواسطة التوجه إلى المسبب، ولا شكَّ في تفاوت ما بين الرتبتين في الإخلاص»[1] .

❑ ولما ذكر الشاطبي حكاية: «من أخلص للَّه أربعين يومًا..» قال ـ رحمه اللَّه ـ: «وهذا وقع كثيرًا في ملاحظة المسببات «النتائج والعواقب» في الأسباب، وربما غطت ملاحظاتها فحالت بين المتسبب وبين مراعاة الأسباب، وبذلك يصيرُ العابدُ مستكثرًا لعبادته، والعالمُ مغترًا بعلمه إلى غير ذلك»[2] .

ومن دقائق الرياء ـ وهو ثالثها ـ: ما أشار إليه ابنُ رجب ـ رحمه اللَّه ـ بقوله: «وههنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذمُّ نفسه بين الناس، يريدُ بذلك أن يرى الناسُ أنه متواضعٌ عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلفُ الصالحُ، قال مطرف ابن عبداللَّه بن الشخير: كفى بالنفس اطراءً أن تذمها على الملأ كأنك تريدُ بذمها زينتَها، وذلك عند اللَّه سفهٌ»[3] .

❑ قال الحسن البصري: من ذمّ نفسه في الملأ، فقد مدحها وذلك من علامات الرياء.

❑ وكان إبراهيم بن أدهم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: لا تسأل أخاك

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (١/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٢) «الموافقات» (١/ ٢٢٠).

(٣) «شرح حديث ما ذئبان جائعان» لابن رجب ص(٤٦).

عن صيامه، فإنه إن قال: أنا صائم فرحت نفسه بذلك، وإن قال: أنا غير صائم حزنت نفسه، وكلاهما من علامات الرياء، وفي ذلك فضيحة للمسئول، واطلاع على عورته من السائل[1].

□ وكان عبدالله بن المُبارك ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: «إن الرجل ليطوف بالكعبة وهو يرائي أهل خراسان، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: يحب أن يقول فيه أهل خراسان: إنَّ فلانًا مجاور بمكة على طواف وسعي فهنيًا له»[2].

□ قال ابن الجوزي: «قد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً، وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه، وهذا من خفيّ الرياء، ولو أراد الإخلاص وستر الحال، لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم، ثم عاد إلى الصوم ولم يُعلِم به، ومنهم من يخبر بما قد صامه، فيقول: اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت، ويُلَبِّس عليك بأنك إنما تُخبر ليقتدى بك، والله أعلم بالمقاصد.

□ قال سفيان الثوري ـ رضي الله عنه ـ: إن العبد ليعمل العمل في السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السرّ إلى ديوان العلانية.

□ وفيهم من عادته صوم الاثنين والخميس، فإذا دُعِي إلى طعام، قال: اليوم الخميس، ولو قال: أنا صائم كانت محنته، وإنما قوله: اليوم الخميس معناه أني أصوم كل خميس»[3].

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٥).
(٢) المصدر السابق ص(٢٥).
(٣) «تلبيس إبليس» ص(١٩٠).

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «وأكثر ما يُلَبِّس به إبليس على العُبّاد والزهاد خفيّ الرياء. فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الرؤوس ليستدل به على الزهد، وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع، وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفى، وإنما نشير إلى خفيّ الرياء، وقد قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ومتى لم يرد بالعمل وجه اللَّه عز وجل لم يُقْبَل.

❑ قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقًا لا تتعب.

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا اللَّه سبحانه وتعالى، وإنما يدخل عليه خفيّ الرياء فيُلبِّس الأمر، فنجاته منه صعبة.

❑ عن يسار قال لي يوسف بن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة»[1].

ويقول: «وقد لبّس إبليس على قوم من المُحْكِمين في العلم والعمل.. فحسّن لهم الكِبْر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم، وتارة يُقوِّي حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ، وعلاج هذا لمن وُفِّق إدمان النظر في إثم الكِبر والحسد والرياء، وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شرَّ هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها، ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه ولم يتكبّر، ومن عرف اللَّه لم يُراءِ، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول: ما تظنون رياء فليس برياء؛ لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون

---

(١) المصدر السابق ص(٢٠٠).

بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبّر متكبِّر على غيرهم من جنسهم وصَعَد في المجلس فوقه، أو قال حاسد عنه شيئًا، لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه، وإن كان المذكور من نّواب الشرع، فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم.

وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد، ولا يصلح أن يكون طريقًا لدعاية الناس.. والناقد بصير وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم، ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر، وعُلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردّد إليه أو قُرِئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم، وقد قال بعض السلف: ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن يُنسب إليّ، ومنهم: من يفرح بكثرة الأتباع ويُلبِّس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم، وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر، ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه، وما هذه صفة المخلص في التعليم؛ لأن مَثَل المخلِص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى للَّه سبحانه وتعالى، فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر.

❑ عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يُسأل عن شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه.

❑ قال: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة، فيأتيهم بخفيّ من تلبيسه بأن يقول له: ما لقيت مثلك، ما أعرفَك بمداخلي ومخارجي، فإن سكن إلى هذا هلك بالعُجب، وإن سلم من المسالمة له سلم.

❑ وقد قال السري السقطي: «لو أن رجلاً دخل بستانًا فيه من جميع ما خلق اللَّه عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق اللَّه تعالى من الأطيار، فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا وليّ اللَّه فسكنت نفسه إلى ذلك كان في أيديها أسيرًا، واللَّه الهادي لا إله إلا هو»[1].

* * *

(١) «تلبيس إبليس» ص(١٦٧، ١٦٨، ١٦٩).





علاج الريـــاء



علاج الرياء

✍ تكلمنا من قبل عن طريق الإخلاص، وكيف يصبح من المخلصين وهو نفسه طريق علاج الرياء.

❑ قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ: «قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند اللَّه تعالى، وأنه من كبائر المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجدّ في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق، فلا شفاء إلا في شرب الأدوية المرّة البشعة، وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم، إذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتدّ العين إلى الخلق الكثير والطمع فيهم؛ فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه، وإنما يشعر بكونه مهلكًا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات. فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة، ولكنها تشق أولاً وتخف آخرًا وفي علاجه مقامان.

أحدهما: قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.

والثاني: دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول: في قلع عروقه واستئصال أصوله: وأصله حب المنزلة والجاه. وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي لذة المحمدة، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس».

ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الإنسان إنما يقصد الشيء، ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ، إما في الحال وإما في المآل، فإن علم إنه لذيذ في الحال، ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكن إذا بان له أن فيه سمًّا أعرض

عنه؛ فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة.

ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند اللَّه وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر، حيث ينادى على رؤوس الخلائق: يا فاجر، يا غادر يا مرائي، أما استحييت إذا اشتريت بطاعة اللَّه عرض الدنيا، وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة اللَّه، وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى اللَّه، وتزينت لهم بالشين عند اللَّه، وتقربت إليهم بالبعد من اللَّه، وتحمدت إليهم بالتذمم عند اللَّه، وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط اللَّه، أما كان أحد أهون عليك من اللَّه! فمهما تفكر العبد في هذا الخزي، وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة، وبما يحبط من ثواب الأعمال، مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوي إلى النار، فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيًا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة، فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند اللَّه في زمرة النبيين والصديقين، وقد حط عنهم بسبب الرياء، ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإن رضا الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم، ومن طلب رضاهم في سخط اللَّه سخط اللَّه عليه، واسخطهم أيضًا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم اللَّه لأجل حمدهم؟ ولا يزيده حمدهم رزقًا ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة، وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أن اللَّه تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا اللَّه، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة،

فكيف يترك ما عند اللَّه برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ، وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته، وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئًا ما لم يكتبه عليه اللَّه، ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة، ولا يبغضه إلى اللَّه إن كان محمودًا عند اللَّه، ولا يزيده مقتًا إن كان ممقوتًا عند اللَّه، فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على اللَّه قلبه؛ فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه، وسيكشف اللَّه عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند اللَّه، ولو أخلص للَّه لكشف اللَّه لهم إخلاصه وحببه إليهم، وسخرهم له، وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه، مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم، إذ لا زين إلا في مدحه، ولا شين إلا في ذمه، فأي خير لك في مدح الناس. وأنت عند اللَّه مذموم ومن أهل النار؟ وأي شر لك من ذم الناس وأنت عند اللَّه محمود في زمرة المقرّبين؟ فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند اللَّه استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات، واجتمع همه وانصرف إلى اللَّه قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه باللَّه ووحشته من الخلق، واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة، وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص.

وأما الدواء العملي: فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم اللَّه،

أو إطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير اللّٰه به.

✍ وقد روي أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها، فقال: أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا. فلم يرخص في إظهار هذا القدر؛ لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها، فلا دواء للرياء مثل الإخفاء، وذلك يشق في بداية المجاهدة، وإذا صبر عليه مدّة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف اللّٰه وما يمدّ به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، فمن العبد المجاهدة ومن اللّٰه الهداية، ومن العبد قرع الباب ومن اللّٰه فتح الباب: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠]، ﴿**وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٠].

المقام الثاني: في دفع العارض منه في أثناء العبادة، وذلك لا بد من تعلمه أيضًا، فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات، بل يعارضه بخطرات الرياء، ولا تنقطع عنه نزعاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية، فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء. وخواطر الرياء ثلاثة ـ قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج ـ فالأول: العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم. ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم. ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه. فالأول: معرفة. والثاني: حالةتسمى الشهوة والرغبة. والثالث: فعل يسمى العزم وتصميم العقد. وإنما كمال القوّة في دفع الخاطر الأول وردّه قبل أن يتلوه الثاني، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال: مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا واللّٰه عالم

بحالك فأي فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرّضه للمقت عند اللَّه في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، فكما أنّ معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة، إذ يتفكر في تعرّضه لمقت اللَّه وعقابه الأليم، والشهوة تدعوه إلى القبول، والكراهة تدعوه إلى الإباء، والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما.

فإذن فلا بدّ في ردّ الرياء من ثلاثة أمور: المعرفة، والكراهة والإباء. وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص، ثم يردّ خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويًا عليها، وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره، فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد، أو خوف الذم، وهو كالذي يحدّث نفسه بالحلم وذم الغضب، ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب، ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظًا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه، فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب. وإليه أشار جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ بقوله: بايعنا رسول اللَّه ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين[1]. حتى نودي: يا أصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأنّ القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون، إذ ينسى معرفة

(١) حديث جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ: «بايعنا رسول اللَّه ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفر.. الحديث». أخرجه مسلم مختصراً دون ذكر «يوم حنين» فرواه مسلم من حديث العباس ـ رضي اللَّه عنه ـ.

مضرته الداخلة في عقد الإيمان. ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة. وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرّضه لسخط اللَّه، ولكن يستمر عليه لشدّة شهوته، فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال، فيسوّف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدّة الشهوة، فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك، ولكنه يستمرّ عليه فتكون الحجة عليه أوكد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذمومًا عند اللَّه، ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة. وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوّة الشهوة، وهذا أيضًا لا ينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل.

فإذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث: وهي المعرفة، والكراهة، والإباء. فالإباء ثمرة الكراهة، والكراهة ثمرة المعرفة، وقوةالمعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم، وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند اللَّه وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة، وبعض ذلك ينتج بعضًا ويثمره، وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة، ومنبع كل ذنب؛ لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم.

فإن قلت: فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء، ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله إليه وغير محبب إليه، فهل يكون في زمرة المرائين؟ فاعلم أن اللَّه لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها، وإنما غايته

أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان باللَّه واليوم الآخر، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به. ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول اللَّه ﷺ شكوا إليه وقالوا: تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير، أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها، فقال ﷺ: **«أو قدْ وجدْتُمُوهُ»**، قالوا: نعم قال: **«ذلِك صرِيحُ الإيمانِ»**[(١)] ، ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له، ولا يمكن أن يقال: أراد بصريح الإيمان الوسوسة، فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة، والرياء كان عظيمًا فهو دون الوسوسة في حق اللَّه تعالى، فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الأصغر أولى.

● وكذلك يروى عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: **«الحمْدُ للَّه الذي ردّ كيد الشيطانِ إلى الوسوسةِ»**[(٢)] .

□ وقال ابن حازم: ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو عدوك، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه. فإن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالإباء والكراهة، والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان، والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس،

---

(١) حديث: «شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله: «ذلك صريح الإيمان»، أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ مختصراً: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال: «ذلك محض الإيمان» والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان في «صحيحه»، ورواه النسائي فيه من حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ.

(٢) حديث ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «الحمد للَّه الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة» أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بلفظ: «كيده».

والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل، إلا أن للشيطان ها هنا مكيدة، وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال؛ حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب؛ لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع اللَّه فيوجب ذلك نقصانًا في منزلته عند اللَّه.

* والمتخلصون من الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب:

الأولى: أن يرده على الشيطان فيكذبه، ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته، ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه، وهو على التحقيق نقصان؛ لأنه اشتغل عن مناجاة اللَّه وعن الخير الذي هو بصدده، وانصرف إلى قتال قطاع الطريق، والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك.

الثانية: أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته.

الثالثة: أن لا يشتغل بتكذيبه أيضًا؛ لأن ذلك وقفه وإن قلت؛ بل يكون قد قرّر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمرّ على ما كان عليه مستصحبًا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة.

الرابعة: أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء، فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال باللَّه وإخفاء الصدقة والعبادة غيظًا للشيطان، وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع. يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له: إن فلانًا يذكرك، فقال: واللَّه لأغيظن مَنْ أمره، قيل ومَن أمره؟ قال: الشيطان، اللَّهم اغفر له. أي: لأغيظنه بأن أطيع اللَّه فيه. ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد

في حسناته.

☐ وقال إبراهيم التيمي: إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الإثم، فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرًا، فإذا رآه كذلك تركه.

وقال أيضًا: إذا رآك الشيطان مترددًا طمع فيك، وإذا رآك مداومًا ملّك وقلاك.

☐ وضرب الحارث المحاسبي ـ رحمه اللَّه ـ لهذه الأربعة مثالاً أحسن فيه فقال: مثالهم كأربعة قصدوا مجلسًا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشدًا، فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق، فتقدّم إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى، فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له، وهو غرض الضال ليفوّت عليه بقدر تأخره. فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه، فوقف فدفع في نحر الضال، ولم يشتغل بالقتال واستعجل، ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه. ومرّ به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله، بل استمرّ على ما كان، فخاب منه رجاؤه بالكلية. فمرّ الرابع فلم يتوقف له، وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي، فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير، فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله.

فإن قلت: فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارًا لوروده، أم يجب التوكل على اللَّه ليكون هو الدافع له، أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه؟ قلنا: اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه.

☐ فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان؛ لأنهم انقطعوا إلى اللَّه واشتغلوا بحبه، فاعتزلهم الشيطان

وأيس منهم وخنس عنهم ـ كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنى ـ فصارت ملاذ الدنيا عندهم ـ وإن كانت مباحة ـ كالخمر والخنزير، فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر.

وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله، فمن أيقن بأن لا شريك للَّه في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر، ولا يكون إلا ما أراده اللَّه فهو الضار والنافع، والعارف يستحي منه أن يحذر غيره، فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر.

❑ وقالت فرقة من أهل العلم: لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورًا، إذ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم؟! وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا، بل في صفات اللَّه تعالى وأسمائه، وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك، ولا ينجو أحد من الخطر فيه، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**﴾ [الحج: ٥٢].

● وقال النبي ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي**»[١]، مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير[٢]، فمن ظن أن اشتغاله بحب اللَّه أكثر من اشتغال رسول اللَّه ﷺ وسائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فهو مغرور، ولم يؤمنهم

(١) حديث: «إنه ليغان على قلبي».
(٢) حديث: «إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير».

من كيد الشيطان، ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال اللَّه لهما: ﴿**إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ**﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩]، ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد، فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان، فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا، وهي منبع المحن والفتن معدن الملاذ والشهوات المنهيِّ عنها؟!

* وقال موسى - عليه السلام - فيما أخبر عنه تعالى: ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ [القصص: ١٥]. ولذلك حذر اللَّه منه جميع الخلق، فقال اللَّه تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال عز وجل: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ**﴾ [الأعراف: ٢٧]، والقرآن من أوّله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه؟ وأخذ الحذر من حيث أمر اللَّه به لا ينافي الاشتغال بحب اللَّه، فإن من الحب له امتثال أمره، وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار، فقال تعالى: ﴿**وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**﴾ [النساء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، فإذا لزمك بأمر اللَّه الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدوّ يراك ولا تراه أولى.

❑ ولذلك قال ابن محيريز: صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به، وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك. فأشار إلى الشيطان، فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم؟ فليس من الاشتغال باللَّه الإعراض عما حذر

اللّه، وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل؛ فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود، وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول اللّه ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف اللّه به والحذر مما أمر بالحذر منه؟ وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالكلية، وقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، لا يناقض امتثال التوكل، مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو اللّه تعالى، فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادي والمضل هو اللّه، ويرى الأسباب وسائط مسخرة ـ كما ذكرناه في التوكل.

✍ وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي ـ رحمه اللّه ـ وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم، وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذي لم يغزر علمهم، ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق باللّه يستمر على الدوام وهو بعيد.

ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاث أوجه في كيفية الحذر، فقال قوم: إذا حذرنا اللّه تعالى العدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب في قلوبنا عن ذكره والحذر منه والترصد له، فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا. وقال قوم: إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر اللّه واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا، بل نشتغل بالعبادة وبذكر اللّه تعالى، ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين، فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب، وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر اللّه، فالجمع أولى.

◻ وقال العلماء المحققون: غلط الفريقان؛ أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان، ونسي ذكر اللّه فلا يخفى غلطه، وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان

كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو؟ ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر اللَّه تعالى، فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر اللَّه تعالى، وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه، فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره.

✍ وأما الفرقة الثانية: فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر اللَّه والشيطان، وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر اللَّه، وقد أمر اللَّه الخلق بذكره ونسيان ما عداه ـ إبليس وغيره ـ فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته، فإذا اعتقد ذلك وصدق به، وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر اللَّه ويُكِبُّ عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان، فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له، وعند التنبيه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر اللَّه لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان، بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح؛ فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر، مع أنه بالنوم غافل عنه، فاشتغاله بذكر اللَّه كيف يمنع تنبهه؟ ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر اللَّه تعالى، قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم، وأماط عنه ظلمة الشهوات، فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر، ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر اللَّه، ودفعوا بالذكر شر العدو، واستضاؤوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو. فمثال القلب، مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي. فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر، والذي جمع بين ذكر الشيطان، وذكر اللَّه قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه

جاريًا إليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدًّا وملأها بالماء الصافي؛ فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب[1] .

* * *

(١) «الإحياء» (٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٥).



مواعظ النبلاء
في
الترهيب من الرياء

«وا عجباه من ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف»

«الحسن البصري»



مواعظ النبلاء في الترهيب من الرياء

❑ قال الحسن البصري: «وا عجباه من ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف»[1].

❑ «وكان ميمون بن مهران ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إن علانية بغَير سريرة صالحة مثل كنيف مزخرف من خارجه»[2].

❑ وكان أبو عبدالرحمن الزاهد يوبّخ نفسه كثيرًا، ويقول في مناجاته: من أسوأ حالاً مني؟ عاملت عبادك في الظاهر بالأمانة، وعاملتك في السر بالخيانة[3].

❑ وكان عكرمة ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «ما رأيت أقل عقلاً ممن يعلم من نفسه السوء، ويحب من الناس أن يصفوه بالعلم والصلاح، ولا بد لقلوب المؤمنين أن تطلع على سوء سريرته، ومثله مثل من غرس شوكًا وطلب أن يحمل له رطبًا»[4].

*** لا في العير ولا في النفير:**

❑ « قال الفُضيل بن عياض: أدركنا الناس وهم يراؤون بما يعلمون، فصاروا الآن يراؤون بما لا يعلمون».

❑ كان الفضيل ـ رحمه اللَّه ـ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. يقول: اللَّهم إنك إن بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، وأنت

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٩).

(٢) تنبيه المغترين» ص(٣٢).

(٣) المصدر السابق ص(٣٠ ـ ٣١).

(٤) المصدر السابق ص(٣٠).

أرحم الراحمين»[١] .

*** من الرياء :**

☐ وكان أيوب السختياني ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «إن من الرياء بما لا تعلم تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس وأقوالهم في العلم، فإن ذلك الذي تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته»[٢] .

☐ عن عبدة بن أبي لبابة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن أقرب الناس للرياء آمنهم له»[٣] .

☐ وقال الفضيل: قيل لسفيان بن عيينة: ويلٌ لك إن لم يعف عنك إذا كنت تزعم أنك تعرفه، وأنت تعمل لغيره[٤] .

☐ وقال محمد بن الحنفية: «كل ما لا يُبتغى به وجه اللَّه يضمحل»[٥] .

☐ وقال أبو العالية: قال لي أصحاب محمد ﷺ : «لا تعمل لغير اللَّه، فيكلك اللَّه إلى مَن عملت له»[٦] .

وقال: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف عن نفسه من النفاق.

*** للَّه درك يا سريّ:**

☐ قال السري: «احذر أن تكون ثناءً منشوراً وعيبًا مستوراً»[٧] .

---

(١) المصدر السابق ص(٢٥، ٢٦).
(٢) المصدر السابق ص(٢٦).
(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٧٨).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٤١).
(٥) «تهذيب الحلية» (١/ ٥٠٥).
(٦) المصدر السابق (١/ ٣٦٩).
(٧) المصدر السابق (٣/ ٢٨٥).

وقال: «لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل عليّ، فقلت: بلحيتي كذا، وأمرّ يده على لحيته، كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل ـ لخفت أن يعذبني اللَّه على ذلك بالنار».

وقال: «من النذالة أن يأكل العبد بدينه»[1].

* والفضيل معلم الخير:

❑ عن الفيض بن إسحاق قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو قيل لك يا مرائي لغضبت، وشقّ عليك وتشكو: قال لي يا مرائي، وعساه قال حقًّا، من حبك للدنيا تزيّنت للدنيا، وتصنّعت للدنيا، ثم قال: اتق لا تكن مرائيًا وأنت لا تشعر، تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل صالح فأكرموك، وقضوا لك الحوائج ووسّعوا لك في المجلس، وإنما عرفوك باللَّه، لولا ذلك لهنت عليهم كما هان عليهم الفاسق لم يكرموه ولم يقضوه ولم يوسعوا له المجلس[2].

❑ قال الفضيل: «لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به، أحسنَ من أن يطلب بأحسن ما تُطلب الآخرة»[3].

❑ وقال: تزينت لهم بالصوف، فلم ترهم يرفعون بك رأسًا، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسًا، تزينت لهم بشيء بعد شيء، كل ذلك إنما هو لحب الدنيا»[4].

وقال: من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء.

❑ قال الفضيل: «لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه،

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٨٣، ٢٨٤).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٣).

(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٧).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٧).

فيستخرج منه ما يخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف فيقول: ما كان أحلى الطواف الليلة، أو يكون صائمًا فيقول: ما أثقل السحور، أو ما أشد العطش.

فإن استطعت أن لا تكون محدثًا، ولا متكلمًا ولا قارئًا. إن كنت بليغًا، قالوا: ما أبلغه وما أحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغًا ولا حسن الصوت قالوا: ليس يحسن يحدّث، وليس صوته بحسن، أحزنك وشقّ عليك فتكون مرائيًا، وإذا جلست فتكلمت ولم تبال من ذمّك ومن مدحك من الناس فتكلم»[1].

❑ وقال: «من وُقي خمسًا فقد وُقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة».

❑ وقال عبدالله بن المبارك: «لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه، كان ذلك رياء، وإن صلاّهما من أجل صاحبه فهو شرك»[2].

❑ وقال ابن السماك:

أخي: كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مُخوّف بالله جريء على الله، وكم من داع إلى الله فارٌّ من الله، وكم من قارئ لكتاب الله ينسلخ من آيات الله والسلام[3].

* الرياء على أوجه:

❑ «قال حاتم الأصم: الرياء على ثلاثة أوجه: وجه الباطن، ووجهان

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٠).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٠).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٦).

الظاهر. فأما الظاهر: فالإسراف والفساد، فإنه جوّزلك أن تحكم أن هذا رياء لا شك فيه، فإنه لا يجوز في دين اللَّه الإسراف والفساد، وأما الباطن فإذا رأيت الرجل يصوم ويتصدق، فإنه لا يجوز لك أن تحكم عليه بالرياء، فإنه لا يعلم ذلك إلا اللَّه سبحانه وتعالى».

❑ وقال حاتم: «لا أدري أيهما أشد على الناس: اتقاء العُجْب أو الرياء؟ العجب داخل فيك، والرياء يدخل عليك، العُجْب أشد عليك من الرياء، ومثلهما أن يكون معك في البيت كلب عقور وكلب آخر خارج البيت فأيهما أشد عليك؟ الداخل معك أو الخارج، فالداخل العُجْب، والخارج الرياء»[١] .

❑ وقال حاتم: «المنافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء، والمؤمن يأخذ بالخوف، ويُمسك بالشدة، وينفق للَّه خالصًا في الطاعة»[٢] .

❑ وقال: «اطلب نفسك في أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منّة، والإمساك بغير بخل»[٣] .

❑ قال الربيع بن خثيم: «كل مالا يُبتغى به وجه اللَّه يضمَحِلّ». وقال: «السرائر السرائر اللاتي تخفين من الناس وهنّ للَّه تعالى بواد، التمسوا دواءهن».

❑ وقال: «أريدوا بهذا الخير اللَّه تنالوه لا بغيره».

وقال: «لا يغرنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك»[٤] .

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٠٩).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥١٤).

(٤) «الحلية» (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨، ١١٢، ١١٣).

◻ قال مطرِّف: «إن أقبح ما طُلبت به الدنيا عمل الآخرة»[١].

◻ وعن محمد بن عبدالله الحذاء قال: «وقفنا للفضيل بن عياض على باب المسجد الحرام، ونحن شبان علينا الصوف، فخرج علينا، فلما رآنا قال: وددت أني لم أركم ولم تروني، أترونْي سلمت منكم أن أكون ترسًا لكم، حيث رأيتكم وتراءيتم لي! لأن أحلف عشرًا أني مراءٍ وأني مخادع، أحبّ إليّ من أن أحلف واحدة أني لست كذلك»[٢].

* المنافقون والرياء:

◻ كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة: إن لنا ولك من اللَّه مقامًا، يسألنا فيه عن الرمق الخفيّ، وعن الخليل الجافي، ولست آمن أن يكون فيما يسألني ويسألك عنه وساوس الصدور، ولحاظ الأعين، وإصغاء الأسماع.

اعلم أن مما يوصف به منافقو هذه الأمة: أنهم خالطوا أهل الدين بأبدانهم، وفارقوهم بأهوائهم، وخففوا مما سعوا للَّه الحق، ولم ينتهوا عن خبيث فعالهم، إذ ذهبوا إليه فنازعوا في ظاهر أعمال البر بالمحامل والرياء، وتركوا باطن أعمال البر مع السلامة والتقى، كثرت أعمالهم بلا تصحيح، فأحرمهم اللَّه الثمن الربيح[٣].

◻ وقال: «لا يقبل اللَّه عملاً فيه مثقال حبة من رياء».

قال يوسف: وكانوا يستحبون أن يسألوا اللَّه العفو.

وكان يوسف يقول: اللَّهم عرّفني نفسي ولا تقطع رجاءك من قلبي»[٤].

---

(١) «الحلية» (٢/ ٣٦٤).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٦).

(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٥٨ _ ٥٩).

(٤) «تهذيب الحلية» (٤/ ٥٧، ٥٨).

* بؤساً للمرائي:

قال أبو إسحاق الفزاري: «إن من الناس مَن يحب الثناء عليه، وما يساوي عند اللَّه جناح بعوضة»[1].

بؤسًا له يتزيّن للناس بالشيْن عند اللَّه

ويتقرّب إليهم بالتباعد من اللَّه

ويتحمّد إليهم بالتذمم للَّه عز وجل

ويطلب رضاهم بالتعرّض لسخط اللَّه عز وجل

ويُحرم في الآخرة الثواب، ويحبط عمله في الدنيا، ويبطل أجره في يوم فقره وحاجته وفاقته.

* الجاه عند اللَّه وعند الناس:

عن عبداللَّه بن المبارك قال: كان سيار أبو الحكم ومالك بن دينار يحبان أن يلتقيا، فقدم سيار البصرة، وكان له ثياب حسان، كان يلبسها أحيانًا، فلبس يومئذٍ ثيابه الحسان، وتعمم بعمامة، ثم دخل على مالك، وعليه وعلى أصحابه الصوف، فحدّث مالك ووعظ أصحابه حتى تفرّقوا، وبقي هو ومالك وهو لا يعرفه، فقال: يا أيها الشيخ، إني لأرغب بك من هذا اللباس، فقال لمالك: أتضعني هذه عندك؟ قال: نعم، قال: فنعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس، قال: ولكن يوشك هذان أن قد بلغا بك من الناس ما لم يبلغك من اللَّه، فقام من محله، فجاء حتى جلس بين يديه، فقال: من أنت يرحمك اللَّه؟ قال: سيار أبو الحكم»[2].

لا تبغين جاهًا وجاهك ساقط عند الإله وكن للموت حذّارا

(١) المصدر السابق (٣/ ٦٢).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٨٢).

* الفقه الأكبر للرباني السريّ السقطي:

أراكِ مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري:

□ عن الجُنيد قال: سمعت السري يقول: خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عُرفت بنا، لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلّفت عن وقتك. فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنتُ آتيه، فجعلتُ أصلي في أماكن مختلفة لئلا يُعرف مكاني هذا أو نحوه»[١].

□ قال رجل: أتينا على ابن بكار فقلنا له: حذيفة المرعشي يقرأ عليك السلام، فقال: عليكم وعليه السلام، إني لأعرفه بأكل الحلال منذ ثلاثين سنة؛ ولأن ألقى الشيطان عيانًا، أحبّ إليّ من أن يلقاني وألقاه. فقلت له في ذلك فقال: أخاف أن أتصنع له، فأتزين لغير اللَّه فأسقط من عين اللَّه[٢].

□ قال مسلم بن يسار: «إذا لبست ثوبًا فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره؛ فبئس الثوب هو لك»[٣].

□ وقال مسلم: إياكم والرياء فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته[٤].

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٩٠).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢١٨).
(٣، ٤) السابق (١/ ٣٩٥).

* المحبة لغير اللَّه:

◻ قال ابن تيمية: «من أحب أحدًا لغير اللَّه كان ضرر أصدقائه عليه أعظم من ضرر أعدائه».

* قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾.

◻ قال فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد: «هي المودات التي كانت لغير اللَّه، والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ فالأعمال التي أراهم اللَّه حسرات عليهم هي الأعمال التي يفعلها بعضهم مع بعض في الدنيا كانت لغير اللَّه، ومنها الموالاة والصحبة والمحبة لغير اللَّه»[1].

* مالك بن دينار السيد الوليّ الرباني:

◻ قال مالك بن دينار: «إنكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير، إنكم في زمان كثير تفاخرهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعونكم في شباكهم»[2].

◻ وقال مالك: «يا عالم أنت عالم تأكل بعلمك، وتفخر بعلمك، لو كان هذا العلم طلبته للَّه تعالى لرؤي فيك وفي عملك.

◻ وقال: «من طلب العلم للعمل وفّقه اللَّه، ومن طلب العلم لغير

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦٠٦/١٠).

(٢) «تهذيب الحلية» (٤٢١/١).

العمل يزداد بالعلم فخرًا»[١] .

❑ وقال أبو عبداللَّه البصري: «تزال عن القلب ظلم الرياء بالإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق، ومن صبر على مخالفة نفسه أوصله اللَّه إلى مقام أنسه»[٢] .

❑ قال أبو الخير الأقطع: من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراءٍ ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذّاب[٣] .

❑ وقال الحارث بن قيس النخعي: «إذا هممت بأمر خير فلا تُؤخره، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك مراء فزدها طولا»[٤] .

❑ وقال يحيى بن معاذ: «لا تجعل الزهد حرفتك لتكتسب بها الدنيا، ولكن اجعلها عبادتك لتنال بها الآخرة، وإذا شكرك أبناء الدنيا ومدحوك، فاصرف أمرهم على الخرافات»[٥] .

❑ قالت معاذة العدوية لأبي السوار العدوي: يا أبا السوار إذا كنت في البيت شغلني الصبيان، وإذا كنت في المسجد كان أنشط لي. قال: النشاط أخاف عليك»[٦] .

* إياك وخشوع النفاق:

❑ قال سفيان لعلي بن الحسن السليمي: «. . . إياك وخشوع النفاق،

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٦٦).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٦٥).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٧).
(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٦٣).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٨١).

وأن تظهر على وجهك خشوعًا ليس في قلبك»[١] .

❑ وسُئل ذو النون عن السفلة من هو؟ قال: من لا يعرف الطريق إلى اللَّه ولم يتعرفه[٢] .

❑ وعن حريش بن سُلِم قال: كان طلحة بن مصرف يقول في دعائه: اللَّهم اغفر لي ريائي وسمعتي[٣] .

❑ وقال أبو عثمان بن سعيد بن العباس الرازي: «احذر الدنيا وأهلها ومن يدعوك إليها، فإن المحب للدنيا زعم بلسانه أنه يعبد ربه، وهو يعبد هواه ودنياه بقلبه ونيّته، وغدوه ورواحه، وطواعيته وغضبه ورضاه[٤] .

* البكاء على أوجه منها ما هو رياء:

❑ عن يزيد بن ميسرة قال: «البكاء من سبعة أشياء؛ من الفرح، والحزن، والفزع، والوجع، والرياء، والشكر، وبكاء من خشية اللَّه، فذلك الذي تُطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار»[٥] .

* عبدتني وعبدتِك:

❑ عن أحمد بن عاصم قال: التقي سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة. قال له فضيل: ترجو لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤمًا، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي وتزينت

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٩٥).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٣٤).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٣١).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٦٨).
(٥) المصدر السابق (٢/ ١٩٣).

لك به؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحييتني أحياك اللَّه[١].

□ وعن سفيان قال: كان ربيعة بن أبي عبدالرحمن يومًا جالسًا فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى. فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا»[٢].

□ وقال سفيان الثوري لعلي بن الحسن السلمي موصيا: «إياك يا أخي والرياء في القول والعمل، فإنه شرك بعينه، وإياك والعجب فإن العمل الصالح لا يُرفع وفيه عُجْب»[٣].

□ عن بديل بن ميسرة العقيلي قال: من أراد بعلمه وجه اللَّه، أقبل اللَّه عليه بوجهه وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير اللَّه تعالى صرف عنه وجهه، وصرف قلوب العباد عنه[٤].

□ قال عمرو بن قيس الملائي: ثلاث من رؤوس التواضع؛ أن تبدأ بالسلام على مَن لقيت، وأن ترضى بالمجلس الدون من الشرف، وأن لا تحب الرياء والسمعة والمدحة في عمل اللَّه[٥].

□ وقال سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ: البكاء عشرة أجزاء فواحد منها للَّه تعالى، والتسعة كلها رياء، فإذا جاء ذلك الجزء الذي للَّه تعالى في السنة مرّة واحدة نجا صاحبه من النار.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٠٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ٥٣٣).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٠٩).
(٤) «تهذيب الحلية» (١/ ٤٥١).
(٥) المصدر السابق (٢/ ١٥٤).

❑ وقال الفضيل بن عياض: ليس البكاء بكاء العين إنما البكاء بكاء القلب[١].

❑ وقال زيد بن أسلم ـ يصف الرياء ـ: «ما كان من نفسك ورضيته نفسك، فإنه من نفسك»[٢].

❑ كان وهب بن منبه ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكّس اللَّه قلبه، وكتب اسمه في ديوان أهل النار».

❑ وكان سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: قالت لي والدتي: يا بنيّ لا تتعلّم العلم إلا إذا نويت العمل به، وإلا فهو وبال عليك يوم القيامة.

❑ وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: من لم يكن في أعماله أكيس من ساحر وقع في الرياء.

❑ وكان أبو عبداللَّه الأنطاكي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: إذا كان يوم القيامة قال اللَّه للمرائي: خُذ ثواب عملك ممن كنت ترائيه، وفي رواية عنه: إذا طلب المرائي ثواب عمله يوم القيامة، يقال له: خُذ ثواب عملك ممن كنت ترائيه، وفي رواية يقال له: ألم توسع لك الناس في المجالس لأجل عملك وعلمك؟ ألم تكن رئيسًا في دنياك، ألم ترخص لك الناس بيعك وشراءك، ألم يكرموك ألم ألم؟ مثل هذا وأشباهه.

❑ وكان الفُضَيل بن عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: ما دام العبد يستأنس بالناس، فلا يسلم من الرياء، وكان الأنطاكي يقول: المتزينون ثلاثة متزين بالعلم، ومتزين بالعمل، ومتزين بترك التزين، فهو أغمضها وأحبها

---

(١) «التنبيه» ص(٩٠).

(٢) «تهذيب الحلية» (١/ ٥١٧).

إلى الشيطان.

❑ وقال أبو عبداللَّه الأنطاكي: من طلب الإخلاص في أعماله الظاهرة وهو يلاحظ الخلق بقلبه، فقد رام المحال؛ لأن الإخلاص ماء القلب الذي به حياته والرياء يميته.

❑ «كان ابن السمّاك - رحمه اللَّه تعالى - يقول: لو أنّ المرائي بعلمه وعمله أخبر الناس بما في ضميره لمقتوه وسفّهوا عقله»(١).

❑ يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه اللَّه -: «طبيعة الفضيلة كطبيعة الثمرة الناضجة، يجب لسلامتها والإبقاء على نظافتها وحلاوتها، أن تكون خالية من العطوب والآفات.

وقد أعلن الإسلام كراهيته العنيفة للرياء في الأعمال الصالحة واعتبره شركًا باللَّه رب العالمين.

والحق أن الرياء من أفتك العلل بالأعمال. وهو إذا استكمل أطواره وأتم دورته في النفس، كما تستكمل جراثيم الأوبئة أطوارها ودورتها، أصبح ضربًا من الوثنية، التي تقذف بصاحبها في سواء الجحيم.

❑ وإنما كانت حملات الإسلام على الرياء.. وغيره من العلل الناشئة عن فقد الإخلاص - على ما هي عليه من الشدة؛ لأنها فساد معقّد وطريقة ملتوية في التنفيس عن الشهوات المكبوتة.

فالرذيلة السافرة تولد جريمة، وتسير في المجتمع جريمة، فهي منكورة محقورة، ولعل صاحبها - لشعوره بسوئها - يتوب منها على عجل أو على مهل أما الرذيلة التي تظهر في لباس من الطاعة المطلوبة، فهي رذيلة مرهوبة الشر على صاحبها وعلى المجتمع.

(١) «تنبيه المغترين» ص(٢٤ - ٢٥).

ذلك أن صاحبها يقترفها وهو يشبع نهم نفسه، في الوقت الذي يتوهم فيه أنه يُرضي اللَّه.. فكيف يحس أنه ارتكب إثمًا؟ وكيف يتوب مما يفترض أنه خير؟

❑ أمّا المجتمع العام فمصائبه من الفضلاء المنافقين، أنكى من مصائبه التي ينزلها به معتاد الإجرام من الصعاليك.

❑ ثم إن تلويث الفضيلة بأقذار الهوى عدوان على منزلتها، ومحاولة متعمدة لإسقاط قيمتها، وهذا جرم آخر، ينشأ عن فقدان الإخلاص، والرجل الذي يقصد بعمله وجه الناس، ويذهل عن وجه ربه، رجل لا يدري ـ لسفاهته ـ حطة ما يصنع، إنه ينصرف عن القوي الغني ذي الجلال والإكرام إلى الضعاف الفقراء الذين لا حول لهم ولا طول.

❑ يقول الشيخ محمد الغزالي: «إن الدابة قد تكدح سحابة النهار، نظير طعامها، والإنسان قد يهبط بقيمة جهده إلى مستوى الحيوان، فيكون عمله لقاء راتبه فحسب، لكن الرجل العاقل يغالي بتفكيره ونشاطه فيجعلهما لشيء أجل»[1].

❑ كتب خالد بن صفوان إلى عمر بن عبدالعزيز: «يا أمير المؤمنين إن أقوامًا غرّهم ستر اللَّه، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبنّ جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا اللَّه وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض اللَّه علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين». فبكى عمر ثم قال: «أعاذنا اللَّه ـ وإياك ـ من اتباع الهوى»[2].

---

(١) انظر «خلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي (٦٩ ـ ٧٨) باختصار ـ دار القلم بدمشق.
(٢) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٨٥).

* الفرق بين الرياء والسمعة والعُجب:

والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسّة البصر، والسمعة بحاسّة السمع، قال الحافظ ابن حجر: «المراد بالسمعة نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر»(١).

فالتسميع على هذا لا يكون إلا في الأمور التي تسمع كقراءة القرآن وذكر اللَّه تعالى، ونحو ذلك.

إلا أن العز بن عبدالسلام يرى أن المراد بالتسميع هو أن يحدّث المرء غيره بما يفعله من الطاعات التي لم يطلع عليها المتحدث، أمّا الرّياء فهي الطاعة التي يظهرها الفاعل كي يراها الناس(٢).

وعلى ذلك فالرياء لا يدخل في العبادات القلبية كالخوف والرجاء بخلاف التسميع؛ لأنَّ العبد قد يحدّث عما يكنه قلبه يريد بذلك ثناء الناس. يقول العز بن عبدالسلام: «أعمال القلوب مصونة من الرياء، إذ لا رياء إلا بأفعال ظاهرة ترى أو تسمع، والتسميع عام لأعمال القلوب والجوارح، وقد عدَّ الصوم من الأعمال التي لا تظهر إلا بالتسميع»(٣).

* وقسم التسميع إلى قسمين(٤):

الأول: تسميع الصادقين، وهو أن يعمل الطاعة خالصة للَّه، ثم

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٦).

(٢) «قواعد الأحكام» (١/ ١٤٧)، وقال مثله النووي ـ رحمه اللَّه ـ: «التسميع أن يعمل العمل في الخلوة، ثم يحدِّث بما عمل» «شرح الأربعين» ص(١١).

(٣) «قواعد الأحكام» (١/ ١٤٨).

(٤) «قواعد الأحكام» (١/ ١٤٧).

يظهرها ويسمّع الناس بها، ليعظموه، ويوقروه، وينفعوه، ولا يؤذوه.

قال: وهذا محرم، وقد جاء في الحديث: «من سمَّع سمع اللَّه به، ومن راءى راءى اللَّه به»، وهذا تسميع الصادقين.

الثاني: تسميع الكاذبين وهو أن يقول: صلّيت ولم يصلّ، وزكيت ولم يزك، وصمت ولم يصم، وحججت ولم يحج، وغزوت ولم يغز. فهذا أشدّ ذنبًا من الأول؛ لأنَّه زاد على إثم التسميع إثم الكذب، فأتي بذلك معصيتين قبيحتين.

● وجاء في الحديث «الصحيح»: «المتسمِّع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[1] .

وقد يجمع العبد بين هذين الأمرين القبيحين: الرياء والتسميع، يقول العز بن عبدالسلام في ذلك: «لو راءى بعبادات، ثمَّ سمَّع موهمًا لإخلاصها، فإنه يأثم بالتسميع والرياء جميعًا، وإثم هذا أشد من الكاذب الذي لم يفعل ما سمَّع به؛ لأنَّ هذا أثم بريائه وتسميعه وكذبه ثلاثة آثام»[2] .

*** الرياء والعجب:**

☐ يقول ابن تيمية: «وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب».

ثم يفرّق بينهما قائلاً: «فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس»[3] .

☐ والعجب في لغة العرب: الزهـو، ورجل معـجب مزهو بما يكون منه حسنًا، أو قبيحًا، وقد أعجب فلان بنفسه فهو معجب برأيه وبنفسه

---

(١) المحفوظ «المتشبع»، وهو في البخاري ومسلم.

(٢) «قواعد الأحكام» (١/ ١٤٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٧٧).

والاسم العجب[١] .

والعجب بالطاعات إنما يكون نتيجة استعظام الطاعة، فكأنه يمنّ على اللَّه ـ تعالى ـ بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها: ﴿ **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الحجرات: ١٧].

والمعجب المغرور بنفسه وبعبادته وطاعته لا يحقّق ﴿ **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾، كما أن المرائي لا يحقق ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾.

ومتى شغل العبد بتحقيق: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾، خرج عن الرياء والعجب. وفي الحديث: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٢] .

□ والعجب آفة تحبط العمل، يقول النووي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «اعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب، فمن أعجب بعمله حبط عمله، وكذلك من استكبر حبط عمله»[٣] .

□ ويرى القرافي أن العجب والتسميع لا يكونان إلا بعد تمام الطاعة، بخلاف الرياء فهو مقارن للعبادة، ومن هنا كان الرياء عنده مفسد للعبادة بخلاف العجب والتسميع فمع أنهما معصيتان إلاّ أن العبادة لا تفسد بهما، ويفرّق القرافي بين العجب والتسميع بأن العجب إنما يكون بالقلب، بخلاف التسميع فهو باللسان».

---

(١) انظر: «لسان العرب» (عجب).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني ـ انظر: «مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٣٧).

(٣) «شرح الأربعين النووية» ص(١٠). وراجع: «المدخل» لابن الحاج (٣/ ٥٤)، و«الفروق» للقرافي (٤/ ٢٢٧، ٢٢٨).

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**المتشبِّع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور**»[١].

● وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه اللَّه يوم القيامة ثوبًا مثله، ثم يُلهب فيه النار**»[٢].

● وعنه قال ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه اللَّه ثوب المذلة يوم القيامة**»[٣].

* لبس الشهرة:

قد يجمع الرجل في لبسه للصوف ـ إن لم يكن من عادته ـ بين الشهرة وإظهار الزهد وقد قال الحسن لفرقد: يا فريقد يا ابن أم فريقد: إن البرليس في هذا الكساء، وإنما البر ما وقر في الصدر وصدّقه العمل.

❑ وكان الحسن يقول عمن يلبسون الصوف: «ما لهم تعاقدوا ثلاثًا أكنُّوا الكِبْر في قلوبهم، وأظهروا التواضع في لباسهم، واللَّه لأحدهم أشد عجبًا بكسائه من صاحب المِطْرَف بمطرفه»[٤].

❑ وجاء رجل ممن يلبس الصوف إلى الحسن، وعليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف، فجلس فوضع بصره في الأرض، فجعل لا يرفع رأسه، وكأن الحسن خال فيه العُجب، فقال الحسن: إن قومًا جعلوا كبرهم في صدورهم شنّعوا واللَّه دينهم بهذا الصوف، ثم قال: إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوّذ من زي المنافقين. فقالوا: يا أبا سعيد وما زيّ المنافقين؟ قال: خشوع اللباس بغير خشوع القلب.

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود عن أسماء بنت أبي بكر، ومسلم عن عائشة.

(٢) حسن: رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٥٢٦).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٦) و(٣٦٠٧)، وأحمد (٩٢١٢).

(٤) المطرف: ثوب من خزّ مربّع ذو أعلام، والجمع مطارف.

❏ وقال أبو قلابة: إياكم وأصحاب الأكسية.

❏ وقال النضر بن شميل: قيل لبعض الصوفية: تبيع جبتك الصوف، فقال: إذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد»[1].

❏ قال ابن الجوزي:

«عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد، يرجو بذلك قربة من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم بيد من يعمل له؛ فإن رضي عمله ورآه خالصًا؛ لفت القلوب إليه، وإن لم يره خالصًا؛ أعرض بها عنه.

ومتى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه، فقد زاحم الشرك؛ لأنه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له.

ومن ضرورة الإخلاص ألا يقصد التفات القلوب إليه؛ فذاك يحصل لا بقصده، بل بكراهته لذلك.

وليعلم الإنسان أن أعمالَه كلها يعلمها الخلق جملة، وإن لم يطّلعوا عليها؛ فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح وإن لم يشاهد منه ذلك.

❏ فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله، فقد مضى العمل ضائعًا؛ لأنه غير مقبول عند الخالق، ولا عند الخلق؛ لأن قلوبهم قد أُلْفِتت عنه؛ فقد ضاع العمل، وذهب العمر[2]!

فليتق اللَّه العبدُ، ويقصد من ينفعه قصدُه، ولا يتشاغل بمدح مَن عن قليل يبلى هُوَ وَهُمْ»[3].

❏ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ما أقلّ من يعمل للَّه تعالى خالصًا!».

---

(١) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٥٣ ـ ٢٥٨) مختصرًا.

(٢) أي: قاربه.

(٣) «صيد الخاطر» (٥٨٨ ـ ٥٨٩).

لأن أكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم، وسفيان الثوري كان يقول: لا أعتدّ بما ظهر من عملي! وكانوا يسترون أنفسهم، واليوم ثياب القوم تُشهِرُهم! وقد كان أيوب السختياني يُطوِّل قميصه، ويقول: كانت الشهرة في التطويل، واليوم الشهرة في التقصير.

❑ فاعلم أن ترك النظر إلى الخلق، ومحو الجاه من قلوبهم بالتعمُّل[١]، وإخلاص القصد وستر الحال، هو الذي رفع من رفع؛ فقد كان أحمد بن حنبل يمشي حافيًا في وقت، ويحمل نعليه في يديه، ويخرج للِّقاط[٢]، وبشر يمشي حافيًا على الدوام وحده، ومعروف يلتقط النوى.

❑ واليوم صارت الرياسات من كل جانب، وما تتمكّن الرياسات حتى تتمكن من القلب الغفلة ورؤية الخلق ونسيان الحق، فحينئذ تُطلب الرياسة على أهل الدنيا.

ولقد رأيت من الناس عجبًا، حتى من يتزيّى بالعلم: إنْ رآني أمشي وحدي أنكر عليّ، وإن رآني أزور فقيرًا؛ عظّم ذلك، وإن رآني أنبسط بتبسم؛ نقصت من عينه.

فقلت: واعجبًا! هذه كانت طريق الرسول ﷺ والصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ، فصارت أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه.

لا جرم واللَّه سقطتم من عين الحق فأسقطكم من عين الخلق.

فكم ممَّن يتعَب في تربية ناموس؛ ولا يلتفت إليه، ولا يحظى بمراده، ويفوته المراد الأكبر.

---

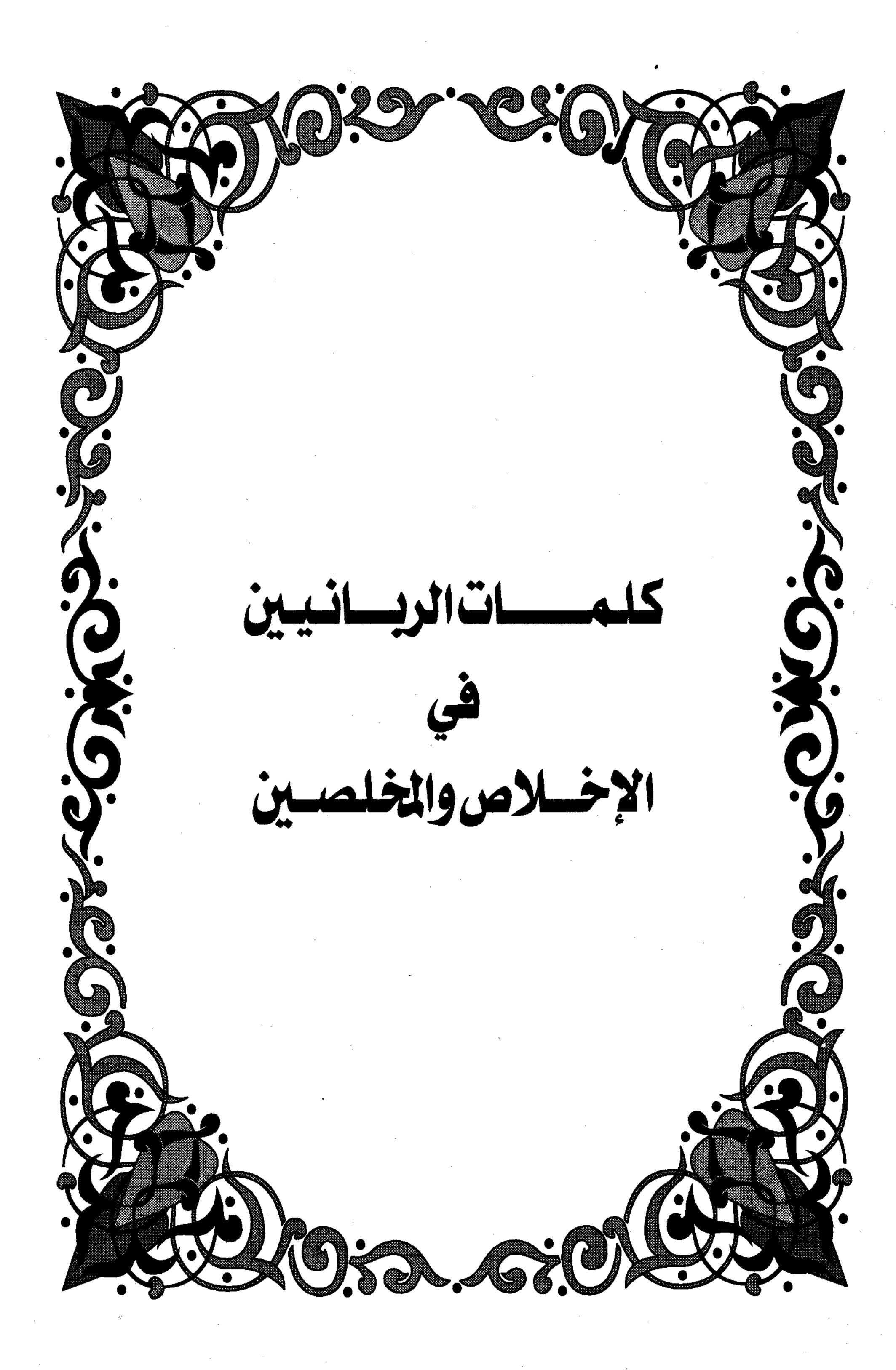
(١) بالتظاهر.

(٢) اللقاط: السنبل الذي تخطئه المناجل، فلا يأخذه أهله، بل يتركونه للمحتاج وربما قصد المؤلف: الحصاد، فيكون خروجه على سبيل العمل بالأجرة. واللَّه أعلم.

فالتفتوا إخواني إلى إصلاح النيات وترك التزين للخلق! ولتكن عمدتكم الاستقامة مع الحق؛ فبذلك صَعِد السلف وسَعِدوا، وإياكم وما الناس عليه اليوم؛ فإنه بالإضافة إلى يقظة السلف نوم[1] .

* * *

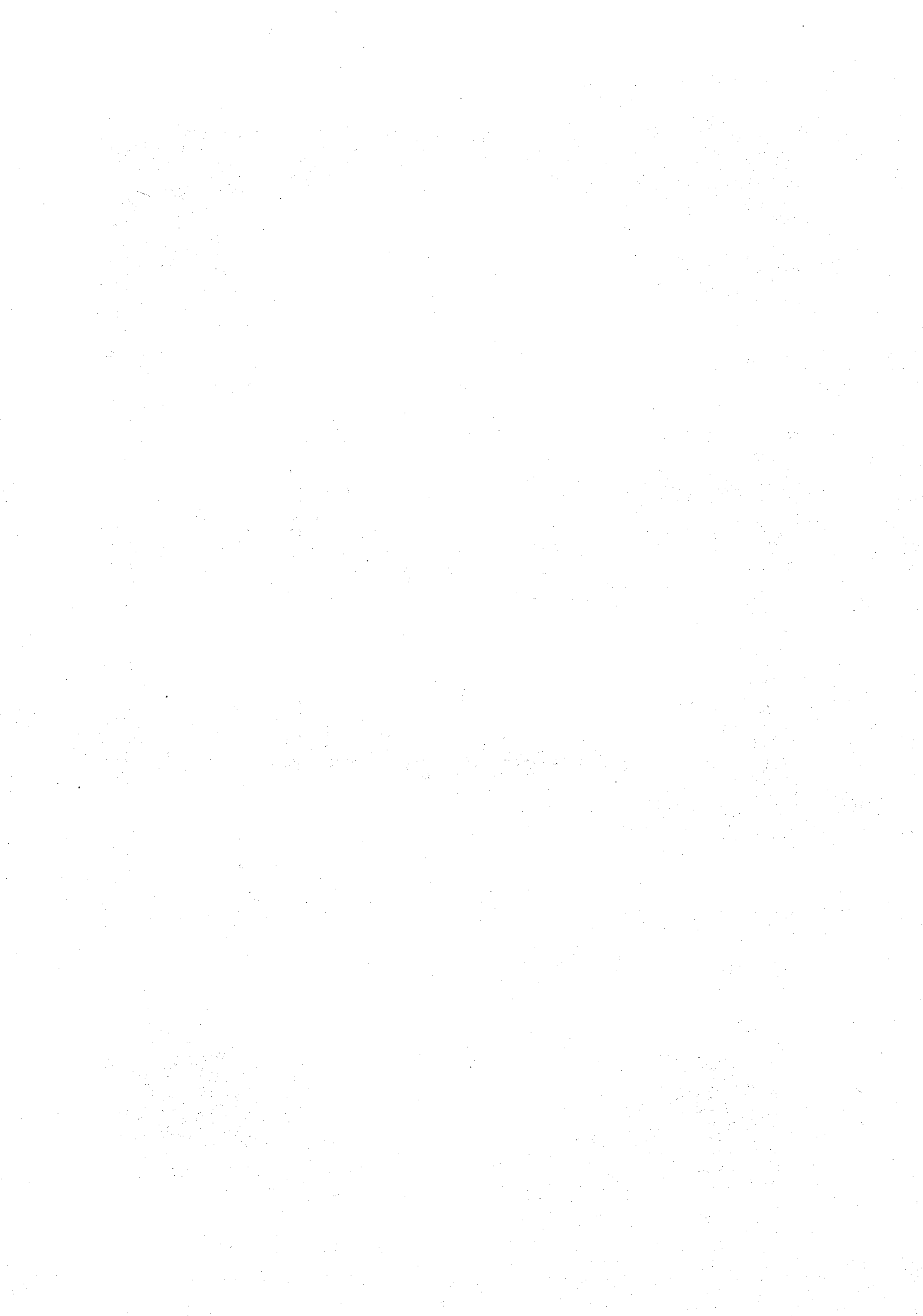
(١) «صيد الخاطر» (٤١٩ ـ ٤٢١).



كلمـــات الربـانيين

في

الإخــلاص والمخلصــين



كلماتُ الرَّبانيين فِي الإِخلاصِ والمخلصين

☐ قال رجل لأبي الدرداء: أوصني، فقال له: اذكر يومًا تصير السريرة فيه علانية[1].

☐ قال علي الخوّاص ـ رحمه اللَّه ـ: «اعمل لنفسك ولا تُعوّل على غيرك من صاحب وشيخ، فإن لكل منهم يومئذ شأن يغنيه، وصَفِّ أعمالك من الرعونات، فإن نورها يوم القيامة على قدر إخلاصك فيها، واعلم أنه لا يستضيء منافق في نور مؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير»[2].

*** من جواهر الكلام:**

☐ قال أبو الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ: يا حبّذا نوم الأكياس وفِطرهم، كيف يَغْبنونَ به قيام الحمقى وصومَهم! والذرّة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين[3].

☐ قال ابن القيم: «وهذا من جواهر الكلام وأدلّه على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على مَن بعدهم في كل خير ـ رضي اللَّه عنهم ـ.

فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى اللَّه بقلبه وهمته لا ببدنه.

* والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال: ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [الحج: ٣٧].

---

(١) «تنبيه المغترين» ص(١١٤).

(٢) المصدر السابق ص(٩٢).

(٣) «الزهد» لأحمد (١٣٧ ـ ١٣٨).

فالكيس يقطع من المسافة ـ بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد، وصحة النية مع العمل القليل ـ أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيّب السير»[1] .

*** الوفاء والإخلاص:**

❑ سُئل معروف الكرخي عن حقيقة الوفاء فقال: «إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهمّ عن فضول الآفات. وكان يقول: علامة الأولياء ثلاثة: همومهم للَّه، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه وكان كثيرًا ما يعاتب نفسه ويقول: يا مسكين كم تبكي وتندب؟ اخلص وتخلّص»[2] .

❑ «ما كان من الحديث لغير اللَّه فعاقبته الندم» سمعها ابن السمّاك فقال: خرجت واللَّه من معدن»[3] .

❑ وقال الفضيل بن عياض: كان يُقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال للَّه، وإذا عمل عمل للَّه[4] .

❑ قال سفيان: كان يُقال: من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، ومن كانت سريرته شرًا من علانيته فذلك الجور»[5] .

❑ «من تزيّن للناس بشيء يعلم اللَّه تعالى منه غير ذلك شانه اللَّه»[6] .

---

(١) «الفوائد» لابن القيم.

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٨).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٤ ـ ١٥).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٨٥).

(٦) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٢٥).

*** تصحيح الضمائر:**

❑ قال أبو حازم: عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمّه الفتوح[١] .

*** من درر أبي حازم:**

❑ قال أبو حازم: لا يحسن عبد فيما بينه وبين اللَّه تعالى إلا أحسن اللَّه فيما بينه وبين العباد، ولا يعور فيما بينه وبين اللَّه تعالى إلا عور اللَّه فيما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها، إنك إذا صانعت اللَّه مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنئتك الوجوه كلها[٢] .

*** الإخلاص فتوّة:**

سُئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة، فقال: حسن المراعاة ودوام المراقبة، وأن لا تُرِي من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك[٣، ٤] .

*** الناس مراتب:**

❑ قال أبو الحسن البوشنجي: الناس على ثلاثة منازل: الأولياء، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء الذين سرهم وعلانيتهم سواء، والجهال هم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم ولا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم[٥] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٥١٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

(٣، ٤) «تهذيب الحلية» (٣/ ٤٦٧).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٤٧٩).

* **الإخلاص اليقين:**

□ قال صالح بن مهران: كل عمل لغير اللَّه فهو ذنب على صاحبه، والإخلاص: اليقين.

□ قال محمد بن واسع: «إذا أقبل العبد بقلبه إلى اللَّه أقبل اللَّه بقلوب المؤمنين إليه»[١] .

□ قال رجل لمحمد بن النضر: أين أعبد اللَّه؟ قال: أصلح سريرتك واعبده حيث شئت»[٢] .

* **السريرة والعلانية:**

□ قال سفيان بن عيينة: إذا أظهر العبد لباسًا، وسريرته مثل ما أظهر من لباسه، كتبه إليه عنده من أهل العدل، فإن زلّ فيما بينه وبين ربه بذنب لم يطلع الناس عليه كتبه اللَّه عنده من الجائرين؛ لأن ذنبه مخالف للباسه، فإذا أظهر العبد لباسًا وسريرته أحسن من لباسه كتبه اللَّه عنده من أهل الفضل، فإن زل فيما بينه وبين ربه بذنب لم يطلع الناس عليه ردّه اللَّه عن الفضل إلى العدل، ولم يكتبه من الجائرين؛ لأن ذنبه محتمل للباسه، فكم من جارين متجاورين هذا يظهر للناس التجارة يطلع اللَّه من قلبه على أنه زاهد في الدنيا، وهذا يظهر للناس الزهد يطلع اللَّه من قلبه على أنه محب للدنيا[٣] .

□ قال أبو تراب: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله[٤] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤١١).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٥٠).
(٣) «تهذيب الحلية» (٢/ ٤٣٣).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٥٦).

* السعادة والإخلاص:

❑ قال ذو النون: ثلاث من أعلام السعادة: «الفقه في الدين، والتيسير للعمل، والإخلاص في السعي»[١] .

* تصحيح المعاملة «الإخلاص»:

❑ قال أحمد بن أبي الحواري: إن بيننا وبين طريق النجاة عقابًا، وتلك عقابًا، وتلك العقاب لا تُقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة عن أمر الدنيا والآخرة»[٢] .

❑ قال أبو إسحاق الآجري لعبدون الزجاج: «يا غلام لأن تَرُدّ إلى اللَّه عز وجل من هَمّك ذرة خير لك مما طلعت عليه الشمس»[٣] .

* أهل الإخلاص:

❑ قال ذو النون: «إن للَّه عبادًا عبدوه بخالص من السر، فشرّفهم بخالص من شكره»[٤] .

* من دعاء المخلصين:

❑ قال ذو النون: «اللَّهم أوصلنا إلى منازل المخلصين في معرفتك»[٥] .

❑ وقال رحمه اللَّه: «اللَّهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا العمل بنور الإخلاص، واستقوا من

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٤٠).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٤٣).
(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٤٤).
(٤) تهذيب الحلية (٣/ ٢٢٥).
(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٢٨).

عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين، ولجوا في بحر النجاة، ورسوا بشط الإخلاص».

◻ «اللَّهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلا، وحطّت همم قلوبهم في عاريات التقى، حتى أناخوا في رياض النعيم، وجنوا من رياض ثمار التسنيم، وخاضوا لجة السرور، واستظلوا تحت عرش الكرامة»(١) .

✍ «جعلنا اللَّه وإياكم من أخصّ من أخلصه بالإخلاص له».

◻ وقال ميمون بن مهران: «إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل».

* المخلص الشجاع:

◻ قال السري: خمس مَن كنّ فيه فهو شجاع بطل: «استقامة على أمر اللَّه ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، وتيقظ ليس معه غفلة، ومراقبة للَّه في السر والجهر ليس معه رياء، ومراقبة الموت بالتأهب»(٢) .

* صلاح الباطن:

◻ قال يحيى بن معاذ: «اتقوا اللَّه الذي إليه معادكم، وانظروا ألا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة، وحالكم عند اللَّه على خلاف ذلك؛ فإن اللَّه إنما يجزيكم على ما يعرف منكم، لا على ما يعرفه الناس، ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذي إنما هو للخلق، ولا ثواب له بل عليه العقاب، ويدع الباطن الذي هو للَّه وله الثواب وعليه العقاب»(٣) .

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٢٣).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢٨٤).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٦٢).

✍ أخي:

استح من اللَّه أن يراك منقطعًا إلى خدمة غيره، فانقطع إلى خدمة سيدك، وتعزز بملكه، فترحل الدنيا عن قلبك، واعلم أن في خدمة اللَّه شغلاً عن خدمة غيره، يلبسك اللَّه رداء عملك، ويعتقك من عبوديتك للأغيار فتكون عزيزًا من غير مال ولا عشيرة، درّت ينابيع الحكمة من قلبك، ونفدت بصيرتك، وسمت همتك، وتصل إلى منتهى أمنيتك.

* ليكن السمت الحسن للَّه رب العالمين:

كان محمد بن المنكدر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يقول: «أحب للإخوان أن يظهر أحدهم السمت الحسن بالليل؛ فإنه أشرف من سمت النهار؛ لأنه في النهار يراه الناس، وفي الليل يكون لرب العالمين.

❑ قال مجاهد: «إن العبد إذا أقبل على اللَّه تعالى بقلبه، أقبل اللَّه عز وجل بقلوب المؤمنين إليه»[١].

* من كلام وهب بن منبه في الإخلاص:

عن عقيل بن معقل بن منبه قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: «يا بني أخلص طاعة اللَّه بسريرة ناصحة، يصدق اللَّه فيها فعلك في العلانية، فإن من فعل خيرًا ثم أسرّه إلى اللَّه فقد أصاب موضعه، وأبلغه قراره، وإن من أسرّ عملاً صالحًا لم يطلع عليه أحد إلا اللَّه، فقد أطلع عليه من هو حسبه، واستودعه حفيظًا لا يضيع أجره، فلا تخافنّ على عمل صالح أسررته إلى اللَّه عز وجل ضياعًا، ولا تخافن من ظلمه ولا هضمه، ولا تظننّ أن العلانية هي أنجح من السريرة؛ فإن مثل العلانية مع السريرة، كمثل

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٠).

ورق الشجر مع عِرْقها، العلانية ورقها، والسريرة عرقها، إن نخر العرق هلكت الشجرة كلها ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة في خير ما كان عِرقها مستخفيًا لا يرى منه شيء، كذلك الدين لا يزال صالحًا ما كان له سريرة صالحة، يصدق اللَّه بها علانيته؛ فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة، كما ينفع عِرْق الشجرة صلاح فرعها، وإن كان حياتها من قِبل عرقها، فإن فرعها زينتها وجمالها، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين، فإن العلانية معها تزين الدين وتجمله، إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاء ربه عز وجل»[1] .

* الإخلاص والرياء:

❑ يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه اللَّه - : «إن صلاح النّية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة. وإن خبث الطوية، يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها، بعد التعب في أدائها إلاّ الفشل والخسار.

والحق أن المرء ما دام قد أسلم للَّه وجهه، وأخلص نيته؛ فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظاته، تُحتسب خطوات إلى مرضاة اللَّه. وقد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته، ولكن اللَّه المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين، لأن بُعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم!!

* قال تعالى: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا**

(١) المصدر السابق (٢/ ٥١ - ٥٢).

أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢].

أترى أن اللَّه يهدر هذا اليقين الراسخ وهذه الرغبة العميقة في التضحية؟!

ولئن كانت النّية الصالحة تقتضي على صاحبها هذا القبول الواسع، فإن النية المدخولة تنضم إلى العمل الصالح في صورته فيستحيل بها إلى معصية تستجلب الويل ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾** [الماعون: ٤ ـ ٧].

إن الصلاة مع الرياء، أمست جريمة، وبعدما فقدت روح الإخلاص باتت صورة ميتة لا خير فيها، وكذلك الزكاة، إنها إن صدرت عن قلبٍ يسخو للَّه ويّدخر عنده قُبِلت، وإلا فهي عمل باطل.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾** [البقرة: ٢٦٤].

إن القلب المقفر من الإخلاص، لا ينبت قبولاً، كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعًا، والقشور الخادعة، لا تغنى عن اللباب الردئ شيئًا. ألا ما أنفس الإخلاص، وأغزر بركته، فإنه يخالط القليل فينميه حتى يزن الجبال، ويخلو منه الكثير فلا يزن عند اللَّه هباءة.

*** الإخلاص:**

الإخلاص يسطع شعاعه في النفس، أشد ما يكون تألقًا في الشدائد المحرجة، إن الإنسان عندما ينسلخ من أهوائه، ويتبرأ من أخطائه، ويقف في ساحة اللَّه أوّابا، يرجو رحمته ويخاف عذابه.

وقد صور القرآن الكريم فزع الإنسان عند الحيرة، وإنقطاعه إلى ربه يستنجد به، ليخرجه من مأزقه الذي وقع فيه.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤].

✍ إن هذا الإخلاص حال طارئة. والأحوال التي تنتاب المرء وتفارقه ليست خُلُقًا، واللَّه تبارك وتعالى يريد من الناس أن يعرفوه حق المعرفة، وأن يقدروه حق قدره، في السراء والضراء جميعًا وأن يجعلوا الإخلاص له مكينا في سيرتهم فلا تنهى صلتهم به، ولا يقصدون بعملهم غيره. وحرارة الإخلاص تنطفئ رويدًا رويدًا، كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبُعْدِ الصيت، والرغبة في العلو والافتخار، وذلك لأن اللَّه يحب العمل النقي من الشوائب الكدرة ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

❑ قال أبو عثمان المكي: «طلبوا طيب الحياة بإخلاص الإجابة»[1].

❑ وقال محمد بن المبارك الصوري: «أعمال الصادقين للَّه بالقلوب، وأعمال المرائين بالجوارح للناس، فمن صدق فليقف موقف العمل للَّه لعلم اللَّه به، لا لعلم الناس لمكان عمله»[2].

* الخير كله في الإخلاص:

❑ قال عبداللَّه بن عيسى الرقي، قال: قال لي حذيفة: هل لك أن

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٣٩٥).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٢١٣).

تجمع لك الخير كله في حرفين، قلت في نفسي: تراه فاعلاً، قال: قلتُ: ومَن لي بذلك؟، قال: مداراة الخير من حلّه، وإخلاص العمل للَّه حسبك.

❑ وعن موسى بن العلاء قال: قال لي حذيفة: يا موسى، ثلاث خصال إن كن فيك لم ينزل من السماء خير إلا كان لك فيه نصيب، يكون عملك للَّه، وتحب للناس ما تحب لنفسك، وهذه الكِسرة تحرّ فيها ما قدرت(١).

*** الإخلاص خيرٌ محضٌ:**

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المحبة للَّه والتوكل عليه، والإخلاص له ونحو ذلك هذه كلها خير محض، وهي حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن قال إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك إن أراد خروج الخاصة عنها، فإن هذه لا يخرج عنها مؤمن قط، وإنما يخرج عنها كافر ومنافق»(٢).

*** الإخلاص للَّه حقيقة الإسلام:**

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإخلاص للَّه هو الإسلام؛ إذ الإسلام هو الاستسلام للَّه لا لغيره، كما قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٢٩]، فمن لم يستسلم للَّه فقد استكبر، ومن استسلم له ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٦٥).

(٢) «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لابن تيمية ص(٣١٣).

* ابن القيم وكلمات في الإخلاص:

* قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق، فإن ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص، والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل»[١].

* قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

قال ابن القيم: «يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يُحمدوا باتباع السنة والإخلاص»[٢].

* أحسن الناس حالاً المخلص:

قال ممشاد الدينوري: أحسن الناس حالاً من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، وكان صافي الخلوات، لسره راعيًا، واعتمد في جميع أموره على من كان له كافيًا، وواثقًا بضمانه.

✍ لن تصل إلى درجات العارفين حتى يسكن سرك إلى اللَّه، وتثق به فيما ضمن لك.

✍ ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك، وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك»[٣].

---

(١) «بدائع التفسير» (١/ ٤٢٨).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٨٤).
(٣) «تهذيب الحلية» (٣/ ٤٤٥).

❑ قال الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ: «الإخلاص سيف إذا وُضع على جرح برأ».

* تصحيح المعاملة مع اللَّه:

❑ قال ممشاد الدينوري: «لا سبيل إلى تصحيح المعاملة إلا بالإخلاص منها والصبر عليها، وأفضل الأعمال رؤية فضل اللَّه»[١].

* إياك وهتك سترك إن كنت مرائيا:

❑ قال إبراهيم بن شيبان القرميسيني ـ رحمه اللَّه ـ : «من تكلم في الإخلاص ولم ير من نفسه حقيقته، ابتلاه اللَّه بهتك ستره، وافتضاحه عند أقرانه وإخوانه»[٢].

❑ وقال: «إياك أن يشغلك عن اللَّه شاغل، فقلّ من أعرض عنه فأقبل عليه»[٣].

❑ قال أبو عمرو الزجاجي: «الحمية في القلب تصحيح الإخلاص وملازمته، نفسك سائرة بك، وقلبك طائر بك فكن مع أقربهما وصولاً»[٤].

* المناوي والإخلاص:

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٢٧٤): الإخلاص إخلاصان: إخلاص عمل، وإخلاص طلب أجر.

فالأول: إرادة التقرب إلى اللَّه وتعظيم أمره وإجابة دعوته، والباعث إليه الاعتقاد الصحيح، وضده النفاق وهو التقرب إلى مَن دون اللَّه.

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ٤٤٧).
(٢، ٣) المصدر السابق (٣/ ٤٥٥).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٤٥٨).

◻ وقال إمام الحرمين: النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في اللَّه وليس هو من قبيل الإيرادات.

والإخلاص في طلب الأجر: «إرادة نفع الآخرة بعمل الخير» أهـ.

*** غرّهم الستر:**

◻ قال إبراهيم بن أدهم: «بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز. فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقوامًا غرّهم ستر اللَّه وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبنّ جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا اللَّه وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض اللَّه علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين، قال: فبكى ثم قال: أعاذنا اللَّه وإياك من اتباع الهوى»[1] .

*** سحرة فرعون وإخلاصهم العجيب:**

قد كان سحرة فرعون آية في اليقين الصحيح والإخلاص العالي، عندما رفضوا الإغراء وحقروا الإرهاب، وداسوا حبّ المال والجاه، وقالوا للملك الجبار: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴿٧٢﴾ **إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ [طه: ٧٢ - ٧٣].

وشتان بين هؤلاء الذين يستهينون بالدنيا في سبيل اللَّه، وبين الذين يسخّرون الدين نفسه في التقرّب من كبير، أو الاستحواذ على عرض حقير»[2] ويذهلون عن وجه ربهم.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٨٥).

(٢) «خلق المسلم» ص(٦٩ ـ ٧٨) باختصار.

*** ومن درر ابن القيم :**

❑ قال ابن القيم :

الإخلاص : عدم انقسام المطلوب . والصدق : عدم انقسام الطلب .

فحقيقة الإخلاص : توحيد المطلوب . و«حقيقة الصدق» : توحيد الطلب والإرادة . ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة .

فهذه الأركان الثلاثة هي أركان السير ، وأصول الطريق التي من لم يَبْنِ عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع ، وإن ظن أنه سائر ، فسيره إمّا إلى عكس جهة مقصوده ، وإمّا سير المقعد والمقيَّد ؛ وإما سير صاحب الدابة الجموح ؛ كلما مشت خطوة إلى قدّام رجعت عشرة إلى خلف .

فإن عَدِم الإخلاص والمتابعة : انعكس سيره إلى الخلف ، وإن لم يبذل جهده ويوحِّد طلبه سار سير المقيّد .

وإن اجتمعت له الثلاثة : «فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره . وذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم»[1] .

*** ابن الجوزي طبيب القلوب وكلامه في الإخلاص والرياء :**

يا قـــومنا هذي الفـــوائد جمـــة فتخـيّروا قبل الندامـــة وانتقـــوا

✍ كلمات ابن الجوزي كلمات للحياة ، ومواعظ تحيي قلوب الحيارى بل والهداة وإليك أريج من شذاه . . . قال ـ رحمه اللَّه ـ :

«يا من أعماله رياء وسمعة ، يا من أعمى الهوى بصره وأصمّ سمعهْ ، يا من إذا قام إلى الصلاة لم يُخلِص ركعة . يا نائما في انتباهه إلى متى هذه الهجعة؟»[2] .

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٧) .

(٢) «المدهش» لابن الجوزي (٤١٢) .

❑ يا معاشر العلماء قد كتبتم ودرستم. ثم إن طلبكم العلم، فلستم في بيت العمل، ثم لو ناقشكم الإخلاص لأفلستم. شجرة الإخلاص أصلها ثابت لا يضرها زعزع ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾، وأما شجرة الرياء فاجتثت عند نسمة ﴿وَقِفُوهُمْ﴾.

❑ كم متشبه بالمخلصين في تخشعه ولباسه، وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقه. وا أسفى ما أكثر الزور؟ «أما الخيام؛ فإنها كخيامهم».

ليس كل مستدير يكون هلالاً. لا... لا.

وما كلٌّ من أومى إلى العزّ ناله ودون العُلى ضرب يُدَمِّي النواصيا

❑ كم حول معروف من دفين؟ ذهب اسمه، كما بلى رسمه، ومعروف معروف.

فما كل دارٍ أقفرت دارة الحمى ولا كلّ بيضاء الترائب زينبُ

❑ لريح المخلصين عطرية القبول، وللمرائي سموم النسيم. نفاق المنافقين صيّر المسجد مزبلة ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ وإخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ «ربّ أشعث أغبر».

❑ أيها المرائي قلبُ من تُرائيه بيد من تعصيه.

❑ لا تنقش على الدرهم الزائف اسم الملِك، فما يتبهرج الشحم بالورم المرائي يتبرطل على باب السلطان يدّعى أنه خاص وهو غريب.

❑ أتدرون ما ذنب المرائي «دعا باسم ليلى غيرها، فيا أسفى ذهب أهل التحقيق وبقيت بُنّيات الطريق. خلت البقاع من الأحباب، وتبدلت العمارة بالخراب. يا ديار الأحباب عندك خبر.

❑ المخلص يبهرج على الخلق بستر الحال، وببهرجته يصحّ النقد. مرض ابن أدهم، فجعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء، لئلا يتشبّه بالشاكين. هذه واللّه بهرجة أصح من نقدك.

❑ قُرئ على أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ في مرضه أن طاووسًا كان يكره الأنين فما أنّ حتى مات.

تفـيض نفـوسٌ بأوصـابها ... وتكـتمُ عُـوّادَها ما بها
وما أنصـفت مهجة تشتـكي ... هواهـا إلى غير أحبـابها

❑ وا شوقاه إلى أرباب الإخلاص، وا توقاه إلى رؤية تلك الأشخاص، إني لأحضر ذكركم فأغيب، وإن وقتي بتذكركم ليطيب.

إذا هزّنا الشوق اضطربنا لهزّه ... على شعب الرّحل اضطراب الأراقِم
فمن صبوان تستقيم بمائلٍ ... ومن أريحيات تهب بنائِم
وأستشرف الأعلام حتى يدلني ... على طيبها مرٌّ الرياح النواسِم
وما أنسم الأرواح إلاّ لأنها ... تهبُّ على تلك الربى والمعالمِ

❑ الإخلاص مسك مصون في مسك القلب تنبّه ريحه على حامله. العمل صورة والإخلاص روح. المخلص يعدّ طاعته لاحتقاره لها عرضًا، وقلم القبول قد أثبتها في الجوهر خالصًا.

❑ الإخلاص اليسير كثير، ووجوه عمل الرياء عدم، قراضة الأماني لا تقف، وصحيح الشبه مردود.

❑ خليج صافٍ أنفع من بحر كدر. إذا لم تخلص فلا تتعب. لا يكسر الجوز بالعهن. أتحْدُو وما لك بعير. أتمدُّ القوس وما لها وتر. أتتجشأ من غير شبع، وا عجبا من وحشي بلا حيل؟!

❑ كم بذل نفسه مراء لتمدحه الخلق، فذهبت والمدح، ولو بذلها للحق لبقيت والذكر. عمل المرائي بصلة كلها قشور. المرائي يحشو جراب العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه. ريح الرياء جيفة تتحاماها مسام القلوب، وما يخفى المرائي على ما مسانح الفطن. لمّا أخذ دود القز ينسج، أقبلت العنكبوت

تتشبه، وقالت: لك نسج ولي نسج، فقالت دودة القزّ: ولكن نسجي أردية للملوك، ونسجك شبكة للذباب، وعند مسّ النسيجيْن يبين الفرق.

إذا اشتبكت دمـــوع في خـــدود تبيّن من بكـــى ممّـــن تباكـــا

❑ شجرة الصنوبر: تثمر في ثلاثين سنة، وشجرة الدُّبَّاء تصعد في أسبوعين فتقول لشجرة الصنوبر: إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة، قد قطعتُها في أسبوعين، فيُقال لي: شجرة ولكِ شجرة، فتجيبها: مهلاً إلى أن تهب ريح الخريف.

❑ قال الدب للآدمي: أنت تمشي على رجليْن، وأنا أيضًا، فقال الآدمي: ولكن صدمة تردّك إلى أربع، وكم أصدم وأنا منتصب.

❑ كان الأشياخ أصحاب قدم، والمريدون أصحاب ألم، فذهب القدم والألم. كان المريد يسأل عن غُصّة، والشيخ يعرف القصّة. فاليوم لا غصة ولا قصة.

❑ كان الزهد في بواطن القلوب، فصار في ظاهر الثياب، كان الزهد حُرقه، فصار اليوم خِرقة. ويحك صَوِّف قلبك لا جسمك. وأصلح نيتك لا مرقعتك، غيرّ زيّك أيها المرائي، فهو يصيح: خذوني.

❑ تحمل السيف وما تُحسن القتال؟! سيف ودرع لزَمِن هتكة، ولُمُقْعَد فضيحة. البهرج يتبيّن عند الحك.

إذا كان العلوي ثابت النسب لم يحتج إلى ضفِيرتين، ولا يصير المخنّث تركيا بلبس القباء، ولا المرائي وليًّا بلبس العباء، هذي من النكت الخفايا، وفي الزوايا خبايا.

❑ وا عجبًا ما للدواعي إلى الدعاوى، الباطن ينطق. لمّا علم الصالحون خطر البيات، أدلجوا بأحمال الأعمال في ليل الكتم. كان خوفهم من الرياء

يوجب مدافعه النهار، فإذا خلوا بالحبيب لم يصبر الشوق.

أحنّ بأطراف النهار صبابة ... وفي الليل يدعوني الهوى فأجيب

لو قدروا على استدامة الكتمان ما أذاعوا «وكم يقدر المشتاق أن يكتم الوجدا». إذا جنّ الليل وظلامه، ثار شجن المحب وسقامُه، ورمى الوجد فأصابت سهامه، واستطلق مزاد العين، فانهلّ سجامه، وطال بالحزين قعوده وقيامه.

كم بذكراك وُلُوعِي ... يا جوىً بين الضلوعِ

هجع العاذل لكنْ ... مَن لعيني بالهجوعِ

هي في شُغل عن النوم ... بمرفضّ الدموعِ

أتغنّى بك في الحيّ ... كورقاء سجوع

لو أبصرت طلائع الصدّيقين في أوائل القوم، أو شاهدت ساقه المستغفرين في أواخر الرّكْب، أو سمعت استغاثة المحبين في وسط الليل:

من رأى البرق بنجد إذ ترآى ... سلب النوم وأهدَى البرحاء

فاض فيضًا كجفوني ماؤه ... والتظى وهنًا كأنفاسي التظاء

نام سمّار الدجى عن ساهر ... اتخذ الهم سميرًا والبكاءَ

أسعدته أدمع تفضحه ... فإذا ما أحن الدمع أساءَ[1]

* أُوَيْس وما أدراك ما أويس؟!:

كان أويس يهرب من الناس فيقولون: مجنون، وصف الرسول ﷺ لأصحابه حلية حلّته، فقوى توق عمر، وكان في كل عام يسأل عنه أهل اليمن.

---

(١) «المدهش» (٤٣٣ ـ ٤٣٦).

ألا أيها الرّكب اليمانون عرِّجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديًا

□ لمّا كانت آخر حجة حجّها عمر قام على أبي قبيس، فنادى بأعلى صوته: أفيكم أويس؟.

وإني للشوق مِنْ بعدهم أراعي الخبوب مراحًا ومغدَى
وأفــرح من نحــو أوطانهم بغيث يجلجل برقًا ورعدا
إذا طلع الركب يمّمتهم أحيّ الوجوه كهولاً ومُرْدا
واسألهم عن عقيق الحمى وعن أرض نجدٍ ومَن حَلّ نجدا
نشدتكم اللّه فليخبـرنّ من كان أقرب بالرَّمل عهدا
هل الدار بالجـزع مأهولة أنار الربيع عليها وأسدى
وهل جلب الغيـث أخـلاقه على محضر من زرودٍ وميدا

□ كان الصبيان يرمونه بالحجارة، والعقلاء عند نفوسهم يقولون: مجنون، والمحبة تنهاه أن يفسّر ما استعجم.

وكم عذلوني فيهمُ غير مرّةٍ فقلتُ لهم واللّه بالصدق أعلَمُ
إذا كان قلبي موثقًا في حبالكم وجسمي لديكم كيف أفهم عنكمُ[١]

✍ **إخواني**: أعجب العجائب، أن النقاد يخافون دخول البهرج في أموالهم، والمبهرج آمن. هذا الصديق يمسك لسانه، ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، وهذا عمر يقول: يا حذيفة، هل أنا منهم؟! والمخلط على بساط الأمن[٢].

(١) «المدهش» ص(٤٤٣ ـ ٤٤٥).
(٢) «المدهش».

❑ «للَّه در أرواح تشتاق إلى رَوْح قربه، ويطول عليها الزمان شوقًا إليه لحبه، إن سألت عن أوصافهم فكل منهم مخلِصٌ لربه، مجتهد في طاعته خائف من عتْبه»[١].

❑ «إذا لم تخلص فلا تتعب، لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجًا إلا بشهود الموقف، ولا تغترّ بصورة الطاعات، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول. سوق الإخلاص رائجة رابحة ليس فيها كساد.

❑ «لما وصف الرسول ﷺ للصحابة جمال الخمول من حلية أويس، عمل معول الشوق في قلب عمر، فكان في كل عام ينشد الطالب، ويسأل عن أهل اليمن فلما لقيه عمر قال: من أنت؟ قال: راعي غنم وأجير قوم، وستر ذكر أويس.

❑ الأولياء تحت ستر الخمول، ما يعلمهم إلا قليل، فإن عرفتهم بسيماهم، فتلمّح نقا الأسرار، لا دنس الثياب، ولا تعدُ عيناك عنهم».

❑ سحقت نافجة مسك المحبة في محاريب المتعبدين، وليس كل ثوب يعلق به الطيب، رب قائم حظه السهر، كم من مرائي يتعب في تهجده، فتنفض ريح الرياء أوراق تعبده، فتبقى أغصان العمل كالسلى، وليس للشوك نسيم، فلو صدقوا اللَّه لكان خيراً لهم.

❑ إذا بهرج المنافق على عمل المخلص فماجت أرائج النفاق فتجافته القلوب بجيفته، فذهب عمله جفاء.

❑ وا عجبًا! من أهل الرياء على ما يبهرجوه، ﴿**وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ**﴾ غلب على المخلصين الخشوع، فجاء المرائي يبهرج فقيل: مهلاً فالناقد بصير»[٢].

---

(١) «اليواقيت الجوزية» لابن الجوزي ص(٤٢).

(٢) «اليواقيت الجوزية» ص(٧٧ ـ ٧٩).

❑ «اصدق في باطنك ترى ما تحب في ظاهرك، أرش سهم علمك بريش إخلاصك في مقصدك تصب هدف الأمل.

وا عجبًا! قوسك مكسورة بالزلل، ووترك مقطوع بالكسل، فكيف تنال صدر الغرض، إذا أردت العلو، فارتق بدرجة التقوى، وإن شئت العز فضع جبهة التواضع، وإن أثرت الرياسة فارفع قواعد الإخلاص، فواللَّه ما تحصل المناصب بالمنى، فدينار التبهرج، وإن نفق مردود، وقد يتزيّا الهوى غير أهله.

❑ وإذا نزلت عن مطية الإخلاص مشيتَ في حَسَك التعثير فتقطّعت قدم القصد، ولم ينقطع المنزل.

❑ الرياء أصل النفاق: إذا رأيت منافقًا قد اتُّبع فتذكِّر الدجال غدا، والسامريّ بالأمس، وانتظر للسامري ﴿لَا مِسَاسَ﴾ وللألَدّ باب لدّ.

❑ في ظلمة الليل يتشبه الشجر بالرجال، فإذا طلع الفجر بان الفرق، في وقت الضحى يتمثّل السراب بالماء فمن قرب منه لم يجده شيئًا.

❑ وا أسفا ما أكثر الزور، تراهم كالنخل، وما تدري ما الدخل ما كل سوداء تمرة، ولا يتبهرج الشحم بالورم»[1] .

❑ «من الصفوة أقوام؛ مُذْ تيقَّظوا ما ناموا، ومُذْ سلكوا ما وقفوا؛ فهمّهم صعود وترقٍّ، كلما عبروا مقامًا إلى مقام؛ رأوا نقص ما كانوا فيه فاستغفروا.

❑ واعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام، وإنما يُقطع بالقلوب، والشهوات العاجلة قُطّاع الطريق، والسبيل كالليل المدلهم، غير أن غير الموفَّق بصر فرس؛ لأنه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء، والصديق في الطب منار؛ أين وُجد يدل على الجادة.

وإنمـــا يتعثر من لم يُخلِص وإنما يمتنعُ ممن لا يُـراد»[2] .

---

(١) المصدر السابق ص(١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) «صيد الخاطر» ص(٥٧٨ ـ ٥٧٩).



الأحـاديث الضعيفـةوالموضوعـة



الأحاديث الضعيفة والموضوعة

(١) «يضاعف عمل العلانية، إذا استنّ بعامله، على عمل السر سبعين ضعفا».

انظر: «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي من كتابه «طبقات الشافعية» ص(٣٥١).

(٢)«أخلص دينك، يكفك القليل من العمل».

ضعيف: وعن معاذ بن جبلٍ؛ أنه قال حين بُعث إلى اليمن: يا رسول اللَّه! أوصني. قال: «أخلص دينَك؛ يكفكَ العملُ القليل».

رواه الحاكم من طريق عُبيداللَّه بن زَحْرٍ عن ابن أبي عمران وقال: «صحيح الإسناد». كذا قال. ورواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص».

□ قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ١٩) ح(٢): «قلت: ليس في «المستدرك» (٢/ ٣٣٢): «على شرط الشيخين». وفيه أبو جعفر الرازي وهو ضعيف.

(٣) «أخلصوا أعمالكم للَّه، فإن اللَّه لا يقبل إلا ما خلص له».

ضعيف: رواه الدارقطني في «الأفراد» عن الضحّاك بن قيس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٤١)، و«السلسلة الضعيفة».

(٤) عن أبي الدرداء أن رجلاً أتى رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، ماعصمة هذا الأمر، وعُراه، ووثائقه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ وعقد: «أخلصوا عبادة ربكم، وأقيموا خمسكم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وصوموا شهركم، وحجوا بيتكم، تدخلوا جنة ربكم». ويحرِّك يده.

ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/١٦٦)، وابن عساكر (١٨/١٨٩/١ ـ ٢).

□ قال الألباني في «الضعيفة» رقم (٢١٦١): «هذا إسناد ضعيف، صدقة بن عبداللَّه، وهو السمين، قال الحافظ: «ضعيف». وأورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال: «قال أحمد والبخاري: ضعيف جدًّا». والوضين بن عطاء سيئ الحفظ».

(٥) «أدنى الرياء شرك، وأحب العباد إلى اللَّه تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، أولئك أئمة الهدى مصابيح العلم».

انظر: «الجامع المصنف مما في الميزان من حديث الراوي المضعّف» لعبدالعزيز بن الصديق الغماري (٤٥).

(٦) «إذا كان يوم القيامة بعث اللَّه قومًا عليهم ثياب خضر بأجنحة خضر فيسقطون على حيطان الجنة فتشرف عليهم خزنة الجنة فيقولون لهم: ما أنتم؟ أما شهدتم الحساب والوقوف بين يدي اللَّه؟! فقالوا: لا، نحن قوم عبدنا اللَّه سرّاً فأحب أن يدخلنا الجنة سرّاً».

موضوع: رواه أبو عبدالرحمن السلمي في «الأربعين» من حديث أنس، وأخرجه ابن النجار في «تاريخه».

□ وقال الكناني في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨٢): «محمد بن شعيب لا يُعرف». انظر: «ترتيب الموضوعات لابن الجوزي» للذهبي (١١٢٩)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨٢)، و«الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (٢/ ٤٥١)، و«الموضوعات» لابن الجوزي ص(٢٥٢).

(٧) «أشد الناس عذابًا يوم القيامة، من يرى الناس أن فيه خيرًا ولا خير فيه».

موضوع: رواه أبو عبدالرحمن السلمي في «الأربعين في أخلاق الصوفية» (٤/٢)، وعنه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/١/١١٦) عن ابن عمر مرفوعًا.

☜ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٧٨٢): «هذا إسناد ضعيف جدًّا، بل موضوع؛ لأن السلمي نفسه متهم بوضع الأحاديث للصوفية، والربيع بن بدر متروك، والراوي عنه لم أعرفه» ا.هـ وحكم عليه الألباني بالوضع أيضًا في «ضعيف الجامع» (٨٦٩).

(٨) «أصف النيّة ونم حيث شئت».

انظر: «المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للسخاوي (١١٩).

(٩) «أصف النيّة ونم في البرية».

موضوع: انظر: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لملاّ على القاري (٤٤)، و«الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» للغزي (٣٠)، و«اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» لأبي المحاسن القاوقجي (٤٦)، و«المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لملا على القاري (٢٩)، و«النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية» لمحمد الأمير المالكي (٢٣).

(١٠) «اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها».

ضعيف جدًّا: رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (١٧٠، ٣٥٠) عن أبي هرمز: سمعت أنسًا يقول فذكره مرفوعًا.

☐ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٨٢٣): «هذا سند ضعيف جدًّا، أبو هرمز هذا اسمه نافع بن هرمز قال أبو حاتم: «متروك ذاهب الحديث». وقال النسائي: «ليس بثقة»، والحديث أورده السيوطي في «الجامع

الصغير» من رواية ابن عدي والديلمي، وحكم عليه بالوضع المناوي. وقال الألباني في «الضعيفة» (٢/ ٢٢٦): «لا يصل الأمر إلى الحكم على الحديث بالوضع. والله أعلم».

(١١) «أفضل العمل النيّة الصادقة».

ضعيف: رواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٠٣٠).

(١٢) «إن أدنى الرياء شرك، وأحب العبيد إلى اللَّه تعالى الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يُعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم».

ضعيف جدًّا: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٥٦/ ٥٣)، وابن عدي (٧/ ٢٤٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥)، والحاكم (٣/ ٢٧٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «مرّ عمر بمعاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنهما ـ وهو يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال حديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ ....» فذكره.. وفيه أبو قحذم، قال الحاكم: «صحيح الإسناد»! وردّه الذهبي بقوله: «قلت: أبو قحذم قال أبوحاتم: لا يُكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة»، وذكره الذهبي في «الميزان» مشيرًا إلى أنه من منكراته. وللحديث طريق أخرى.

(١٣) عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ خرج إلى المسجد، فوجد معاذًا عند قبر رسول اللَّه ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديثٌ سمعتُه من رسول اللَّه ﷺ قال: «اليسيرُ من الرياء شركٌ، ومن عادى أولياءَ اللَّه فقد بارزَ اللَّه بالمحاربةِ، إن اللَّه يحب الأبرارَ الأتقياءَ الأخفياءَ؛ الذين إن غابوا لم يُفْتَقَدوا، وإن حَضروا لم يُعرفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كل غبراءَ مظلمةٍ».

ضعيف جدًّا: أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٤/ ٣٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣١٦/ ١)، والطبراني (٢٠/ ١٥٣/ ٣٢١)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» ص(١٠١ ـ ١٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥)، والطحاوي في «مشكل الاثار» (٢/ ٣١٧). وقال الحاكم: «إسناد مصري صحيح، ولا نحفظ له علة». ووافقه الذهبي. وفيه عيسى بن عبدالرحمن الزرقي.

❑ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٧٥) (٦/ ٥٤٦): «وعيسى هذا هو الزرقي المدني، وهو ضعيف اتفاقًا، فمن صححه فقد وَهِم، منهم الشيخ الغماري في «تنوير البصيرة» ص(٤١)، والشيخ القرضاوي في «نحو موسوعة للحديث النبوي» ص(٣٨ ـ ٤٠).

(١٤) «ألا أنبئك بشر الناس؟ من أكل وحده، ومنع رفده، وسافر وحده، وضرب عبده، ألا أنبئك بشرٍّ من هذا؟ من يبغض الناس فيبغضونه؟ ألا أنبئك بشرٍّ من هذا؟ من يُخشى شره ولا يرجى خيره. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من باع آخرته بدنيا غيره، ألا أنبئك بشرٍّ من هذا؟ من أكل الدنيا بالدين».

ضعيف: رواه ابن عساكر عن معاذ مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٧٣).

(١٥) «إن أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفرش، ورب قتيل بين الصفّيْن اللَّه أعلم بنيته».

ضعيف: رواه أحمد (٣٧٧٢) عن أبي محمد ـ وكان من أصحاب ابن مسعود. وقال الحافظ ابن حجر في «بذل الماعون» (٤٦/ ١): «سنده جيد»؛ ورد عليه الألباني بأن فيه عدة علل:

الأولى: الإرسال؛ فإن أبا محمد صاحب ابن مسعود لم يصرّح أنه

رواه عن ابن مسعود.

الثانية: جهالة أبي محمد هذا.

الثالثة: اختلاط سعيد بن أبي هلال.

الرابعة: ابن لهيعة، فإنه سيئ الحفظ.

والحديث قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣٠٢): «رواه أحمد هكذا، ولم أره ذكر ابن مسعود، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، والظاهر أنه مرسل، ورجاله ثقات». وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٨٨). و«ضعيف الجامع» (١٤٠٤).

(١٦) «إن الرجل إذا رضى هدْيَ الرجل وعمله فهو مثله».

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٣٤/ ٩٢٢)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ١٤٩/ ٢) عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

❑ قال الهيثمي فيما نقله المناوي: «فيه عبدالوهاب بن الضحاك وهو متروك».

❑ قال الألباني: تابعه محمد بن إسماعيل بن عياش ومحمد هذا ضعيف. وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٧٣)، و«ضعيف الجامع» (١٤٤٤).

(١٧) «إن الرجل من أمتي يعمل في السر، فيكتب له الحفظة في السر، فإذا حدّث به الناس نُسخ إلى العلانية، فإذا أعجب به نُسخ من العلانية إلى الرياء فيبطل».

موضوع: انظر «ترتيب الموضوعات لابن الجوزي» للحافظ الذهبي (٩٨١).

(١٨) «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه اللّه، هابه كل شيء».

انظر «تذكرة الموضوعات» لمحمد طاهر الفتَّني الهندي (٢٠)، و«الفوائد

المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (٨٩٥).

(١٩) «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه اللَّه هابه كل شيء، وإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب كل شيء».

لا أصل له: انظر: «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي من طبقات الشافعية (٣١٤).

(٢٠) «إن اللَّه تعالى يقول: إني لست على كل كلام الحكيم أقبل، ولكن أُقبل على همه وهواه، فإن كان همه وهواه مما يُحب اللَّه ويرضى، جعلتُ صحته حمدًا للَّه ووقارًا، وإن لم يتكلم».

ضعيف جدًّا: رواه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١/٤٩/١٠) عن المهاصر بن حبيب مرفوعًا.

❐ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٠٥٠): «فهذا سند ضعيف جدًّا؛ لأن صدقة هذا لم أجد من ترجمة فهو من شيوخ بقية المجهولين. والمهاصر من التابعين أو أتباعهم كما ذكره ابن حبان في كتابه «الثقات» (٥/ ٤٥٤)، (٧/ ٥٢٥)..

فالحديث مرسل أو معضل، مع الجهالة التي في سنده».

(٢١) «إن اللَّه عز وجل إذا أنزل سطوته على أهل نقمته، فوافَتْ آجال قوم صالحين، فأهلكوا بهلاكهم، ثم يُبعثون على نيّاتهم وأعمالهم».

رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٩٠) عن عائشة. وفيه عمرو بن عثمان الرقي متروك الحديث. انظر: «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٥٧٠).

(٢٢) «إن اللَّه عز وجل لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم».

رواه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٦٣٣). وفيه عبيداللَّه بن أبي حُميد

متروك الحديث. انظر «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٩٩٤).

(٢٣) «إن اللَّه يحب المسلم الخفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة، لا يُشار إليه بالأصابع، وأطاع ربه سرًا، قسمت معيشته كفافًا، فصبرعليها ورضى بها».

انظر: «النافلة في الحاديث الضعيفة والباطلة» (١٢).

(٢٤) «إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد اللَّه، فيستكثرونه ويزكّونه، حتى ينتهوا به إلى حيث شاء اللَّه تعالى من سلطانه، فيوحي اللَّه إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله فاكتبوه في سجين، قال: ويصعدون بعمل عبد من عباد اللَّه عز وجل فيستقلونه ويحتقرونه، حتى ينتهوا به إلى حيث شاء اللَّه من سلطانه، فيوحي اللَّه إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما فيه نفسه، إن عبدي هذا أخلص لي عمله فاكتبوه في عليين».

انظر: «الأحاديث القدسية الضعيفة والموضوعة» لأحمد العيسوي (٣).

(٢٥) «إن بالمدينة أقوامًا ما قطعنا واديًا ولا وطئنا موطئًا يغيظ الكفار، ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة إلا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة، قالوا: وكيف ذلك يا رسول اللَّه وليسوا معنا؟ قال: حبسهم العذر، فشركوا بحسن النية».

انظر: «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي (٣٧٨).

(٢٦) «إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء».

موضوع: انظر: «تذكرة الموضوعات» لمحمد طاهر الفتّني الهندي (١٧٧)، و«الموضوعات في الإحياء أو الاعتبار في حمل الأسفار» لمحمد أمين السويدي العراقي (١٩٦).

(٢٧) «إنما يُبعث المقتتلون على النيّات».

ضعيف: رواه ابن عساكر عن عمر مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٠٦٤).

(٢٨) «أوحى اللّه عز وجل إلى داود النبي ﷺ: يا داود! ما من عبد يعتصم بي دون خلقي، أعرف ذلك من نيّته، فتكيده السموات بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف منه نيّته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه وأرسخت الهوى من تحت قدميه، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني، وغافر له قبل أن يستغفرني».

موضوع: أخرجه تمام في «الفوائد» (٥/ ٥٨/ ٢) عن كعب بن مالك مرفوعًا.

□ قال الألباني: وهذا موضوع، المتهم به يوسف بن السفر، فإنه ممن يضع الحديث والحديث عزاه السيوطي في «الجامع» لابن عساكر وحده، وهذا قصور واضح». انتهى من «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٨٨).

(٢٩)«الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي»

عن الحسن قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يقول اللّه تعالى.. انظر: «المشتهر من الحديث الموضوع والضعيف والبديل الصحيح» لعبدالمتعال الجبري (٤٢).

□ وقال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ٣٢٧): «حديث الحسن مرسلا.. رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلاً يقول كل واحد من رواته: سألت فلانًا عن الإخلاص فقال، وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمي، عن عبدالواحد بن زيد، عن حذيفة، عن النبي ﷺ عن جبريل، عن اللّه تعالى، وأحمد بن عطاء وعبدالواحد كلاهما

متروك وهما من الزهاد، ورواه أبو القاسم القشيري في «الرسالة» من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف.

(٣٠) «تمام البرّ أن تعمل في السر عمل العلانية».

ضعيف: رواه الطبراني (٣/ ٢٨٣/ ٣٤٢٠) عن أبي مالك الأشعري

❑ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٤١٤): «وهذا إسناد ضعيف؛ لسوء حفظ ابن لهيعة وابن أنعم، وكذا عتبة بن حميد، ولكنه خير منهما».

❑ وقال الهيثمي (١٠/ ٢٩٠): «رواه الطبراني، وفيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف لم يتعمد الكذب، وبقية رجاله وثِّقوا على ضعف في بعضهم».

ثم ذكره عن أبي عامر السكوني مثله وقال: «رواه الطبراني وفيه عبدالرحمن بن زياد أيضًا». طريق أبي مالك، وطريق أبي عامر السكوني أخرجه الطبراني في «كنى المعجم الكبير» (٢٢/ ٣١٧/ ٨٠٠). ومدار الطريقين على ابن زياد الضعيف».

وضعفه أيضًا الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٤٧٩).

(٣١) «إن اللَّه يُعطي الدنيا على نيّة الآخرة، وأبى أن يعطى الآخرة على نية الدنيا».

ضعيف: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٩) عن أنس مرفوعًا.

❑ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣١٥٦): «هذا إسناد ضعيف، لجهالة الراوي عن أنس».

(٣٢) عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رجلاً قال: حدثني حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ . قال: فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا

يسكتُ، ثم سكتَ، ثم قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ قال لي: «يا معاذُ!».

قلتُ لهُ: لبيك بأبي أنتَ وأمي، قال: «إني مُحدِّثك حديثًا إن أنتَ حفظتَهُ نَفَعَك، وإن أنتَ ضيَّعته ولم تحفظهُ انقطعت حُجَّتكَ عند اللَّه يوم القيامة، يا معاذُ! إن اللَّه خلق سبعةَ أملاك، قبل أن يخلُقَ السموات والأرض، ثم خلق السمواتِ، فجعل لكلِّ سماءٍ من السبعة ملكًا بوابًا عليها، قد جلَّلها عظمًا، فتصعدُ الحفظةُ بعمل العبدً؛ من حين أصبح إلى أن أمسى، له نورٌ كنور الشمسِ، حتى إذا صعدت به السماءِ الدنيا ذَكَرَتهُ فكثَّرتهُ، فيقولُ الملكُ للحفظة: اضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِه؛ أنا صاحبُ الغيبة، أمرني ربي أن لا أدعَ عملَ من اغتاب الناسَ يجاوزني إلى غيري. قال: ثم تأتي الحفظةُ بعملٍ صالحٍ من أعمالِ العبد، فتمرُّ فتزكِّيه وتُكثِّره، حتى تبلغَ به إلى السماءِ الثانيةِ، فيقول لهم الملكُ الموكَّلُ بالسماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه؛ إنه أراد بعمله هذا عَرَضَ الدنيا، أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يجاوزني إلى غيري؛ إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم. قال: وتَصعد الحفظةُ بعمل العبد يبتهجُ نورًا من صدقةٍ وصيام وصلاة قد أَعجب الحفظة، فتجاوزُ به إلى السماء الثالثة، فيقول لهم الملكُ الموكلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبِه، أنا ملكُ الكبرِ، أمرني ربي أن لا أدعَ عمله يجاوزني إلى غيري؛ إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم. قال: وتَصعدُ الحفظةُ بعمل العبد يُزهرُ كما يُزهر الكوكب الدُّري، له دويٌّ من تسبيح وصلاةٍ وحجٍ وعُمرةٍ، حتى يُجاوزوا به إلى السماءِ الرابعةِ، فيقول لهم الملكُ الموكّلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبه، اضربوا ظهرهَ وبطنَه، أنا صاحب العُجب، أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يُجاوزني إلى غيري؛ إنه كان إذا عمل عملاً أَدخلَ العُجبَ في عمله. قال:

وتَصعدُ الحفظةُ بعمل العبدِ حتى يُجاوزوا به إلى السماءِ الخامسةِ، كأنه العروسُ المزفوفةُ إلى بعلِها، فيقول لهم الملكُ الموكَّلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العملِ وجه صاحبه، واحملوه على عاتقه، أنا ملكُ الحسد؛ إنه كان يحسد الناسَ ممن يتعلم ويعمل بمثل عمله، وكلُّ من كان يأخذ فضلاً من العبادة يَحسدُهم ويقعُ فيهم، أمرني ربي أن لا أدعَ عمله يجاوزني إلى غيري. قال: وتصعدُ الحفظةُ بعمل العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وحجٍ وعُمرةٍ وصيامٍ فيُجاوزون به إلى السماء السادسة، فيقول لهم الملكُ الموكَّلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبِه، إنه كان لا يرحمُ إنسانًا قط من عبادِ اللَّه أصابَه بلاءٌ أو ضرٌّ، بل كان يَشمَتُ به، أنا ملكُ الرحمةِ أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يجاوزني إلى غيري. قال: وتَصعَدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ إلى السماءِ السابعةِ؛ من صومٍ وصلاةٍ ونفقةٍ واجتهادٍ وورعٍ، له دويٌّ كدويِّ الرعدِ، وضوءٌ كضوءِ الشمسِ، معه ثلاثةُ آلافِ ملكٍ، فيجاوزون به إلى السماء السابعةِ: فيقول لهم الملك المُوكَّلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، اضربوا جوارحَه، اقفلوا على قلبه، إني أحجبُ عن ربي كلَّ عملٍ لم يرد به وجهُ ربي، إنه أرادَ بعمله غير اللَّه؛ إنه أراد به رفعةً عند الفقهاءِ، وذكرًا عند العلماء، وصوتًا في المدائن، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، وكلُّ عملٍ لم يكن للَّه خالصًا فهو رياءٌ، ولا يَقبلُ اللَّه عملَ المرائي. قال: وتَصعَدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍ وعُمرةٍ، وخُلُقٍ حسنٍ، وصمتٍ، وذكرٍ للَّه تعالى، تُشيِّعه ملائكةُ السموات حتى يقطعوا به الحُجُبَ كلها إلى اللَّه عز وجل، فيقفون بين يديه، ويشهدون له بالعمل الصالح المخلصِ للَّه، قال: فيقول اللَّه لهم: أنتم الحفظةُ على عمل عبدي، وأنا الرقيبُ على نفسه، إنه لم يُردني بهذا العمل، وأراد به غيري، فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلها: وعليه لعنتُك ولعنتُنا، وتقول السمواتُ كلُّها: عليه لعنةُ اللَّه ولعنتُنا، وتَلعنه

السمواتُ السبعُ ومَن فيهن.

قال معاذٌ: قلت: يا رسول اللَّه! أنت رسول اللَّه وأنا معاذ. قال:

«اقتد بي، وإن كان في عملك تقصير، يا معاذُ! حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن، واحمل ذنوبك عليك، ولا تحملها عليهم، ولا تُزكِّ نفسك بذمِّهم، ولا ترفع نفسك عليهم، ولا تُدخل عملَ الدنيا في عمل الآخرة، ولا تتكبَّر في مجلسك؛ لكي يحذرَ الناسُ من سوءِ خلقك، ولا تُناجِ رجلاً وعندك آخرُ، ولا تتعظَّم على الناس فينقطعَ عنك خيرُ الدنيا والآخرة، ولا تُمزِّق الناسَ، فتُمزِّقَكَ كلابُ النار يومَ القيامةِ في النار، قال اللَّه تعالى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، أتدري ما هنَّ يا معاذُ؟

قلت: ما هنَّ بأبي أنت وأمي؟ قال:

«كلابٌ في النار، تَنشُطُ اللحمَ والعظمَ».

قلتُ: بأبي وأمي! فمن يطيق هذه الخصالَ، ومن ينجو منها؟ قال:

«يا معاذُ! إنه ليسيرٌ على من يَسَّره اللَّه عليه».

قال: فما رأيت أكثرَ تلاوةً للقرآن من معاذ؛ للحذر مما في هذا الحديث.

☐ رواه ابن المبارك في «كتاب الزهد» عن رجل لم يُسمِّهِ عن معاذ[1].

ورواه ابن حبان في غير «الصحيح»، والحاكم وغيرهما.

وروي عن علي وغيره. وبالجملة؛ فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع

---

(١) قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»: لم أجده بهذا التمام في «الزهد» عن معاذ، وقد نبَّه على ذلك الحافظ الناجي في «عجالة الإملاء» (ق ١٠ ـ ١٢)، وفصَّل القول في ذلك تفصيلاً، وإنما روى قطعة منه برقم (٤٢٢) عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب مرسلاً، وكذلك روى بعضه ابن حبان في «الضعفاء» (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥)، ومن طريقه ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٥٤ ـ ١٦١)، ومن طرق أخرى منها طريق الحاكم، وساقه أيضًا من حديث عليٍّ، وحكم على كل ذلك بالوضع. وهو ظاهر لكل ذي لب.

طرقه، وبجميع ألفاظه.

موضوع: وقد ورد عن معاذ بلفظ آخر: «سمعت رسول اللَّه يقول وأنا رديفه ونحن نسير إذ رفع بصره إلى السماء فقال: الحمد للَّه الذي يقضي في خلقه ما أحب، يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول اللَّه إمام الخير ونبي المرحمة. قال: أحدثك حديثًا ما حدّث به نبي أمته، فإن أنت حفظته نفعك عيشك وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند اللَّه عز وجل ثم قال: إن اللَّه خلق سبعة أملاك...» ا.هـ انظر «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) رواه الحاكم وفيه إسحاق بن نجيح، وابن حبان وفيه القاسم بن عبداللَّه المكفوف وابن الجوزي وفيه عبدالواحد بن زيد متروك وجماعة لا يعرفون، وابن عدي من حديث علي نحوه، وفيه القاسم بن إبراهيم ومجهولون.

(٣٣) «ذرة من أعمال الباطن خير من الجبال الرواسي من أعمال الظاهر، وقال: الفقير على فقره أغير من أحدكم على أهل بيته، قال رتن: كنت في زفاف فاطمة على عليّ في جماعة من الصحابة، وكان ثم من يغني فطابت قلوبنا ورقصنا فلما كان الغد سألنا رسول اللَّه ﷺ عن ليلتنا فأخبرناه فلم يُنكر علينا ودعا لنا، وقال: اخشوشنوا وامشوا حفاة تروا اللَّه جهرة».

موضوع: ذكره الذهبي في «الميزان» وجزء «كسر وثن رتن»، والكناني في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٩) نقلاً عنه، و«ذيل اللآلئ» (٨١)، و«تذكرة الموضوعات» (١٠٣، ١٩٢).

❏ قال الذهبي في «الميزان»: رتن الهندي وما أدراك ما رتن؟ شيخ دجّال بلا ريب ظهر بعد الستمائة فادعى الصحبة والصحابة لا يكذبون، وهذا جريء على اللَّه ورسوله، وقد ألفت في أمره جزءًا، وقد قيل: إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ومع كونه كذّابًا، فقد كذبوا عليه جملة كثيرة من

أسمج الكذب ومحال.

❑ قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» نقلاً عن الذهبي: أن في الجزء طبقة سماع الكاشغري على الطيبي الأسدي بسماعه لها على موسى بن مجلى بخوارزم، قال الذهبي: فأظن أن هذه الخرافات من وضع موسى هذا الجاهل أو وضعها له من اختلق ذكر رتن، وهو شيء لم يُخلق، ولئن صححنا وجوده وظهوره بعد سنة ستمائة، فهو إما شيطان تبدّى في صورة بشر فادّعى الصحبة وطول العمر المفرط وافترى هذه الطامات، أو شيخ ضال أسس لنفسه بيتًا في جهنم بكذبه على النبي ﷺ، قال: وإسناد فيه هذا الكاشغري والطيبي وابن مجلى ورتن سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب، ولو نُسبت هذه الأخبار لبعض السلف لكان ينبغي أن ينزه عنها فضلاً عن سيد البشر»[1] ا.هـ

(٣٤) «ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب».

ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي الدرداء مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٠٤٤)، ثم قال معقبًا: «لم أره في «الحلية» إلا موقوفًا على أبي الدرداء (١/ ٢١٦)، وكذلك هو في «زوائد الزهد» (١٢٣).

(٣٥) «الرجلان من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد، وإن ما بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض».

انظر «الأسرار المرفوعة» (٣٩٦)، و«أسنى المطالب» (٧٢٣)، و«كشف الخفاء» (٤١٠)، و«اللؤلؤ المرصوع» (٢١٩).

(٣٦) «سُئل رسول الله ﷺ: «الرجلُ يعمل عملاً يسره، فإن اطُّلِعَ

(١) انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨، ٣٩).

عليه، أعجبه؟ فقال رسول الله ﷺ: له أجران: أجر السر، وأجر علانية».

ضعيف: خرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٠٠)، وقال ابن عدي: رواه سعيد بن سنان أبو سنان الكوفي، ليس بالقوي في الحديث.. وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٤١٦).

(٣٧) «سُئل عن الإخلاص؟ قال: «أن تقول ربي اللَّه، ثم تستقيم كما أمرت».

لا أصل له: انظر: «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي في طبقات الشافعية (٣٧٩).

(٣٨) «سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت عنه رب العزة. فقال: الإخلاص سرٌّ من أسراري أودعته قلب مَن أحببت من عبادي».

انظر: «اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» (٢٤٠).

(٣٩) «السر أفضل من العلانية، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به»

ضعيف جدًّا: رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢٩٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٣٣٨/ ١٣٧٧)، والديلمي (٢/ ١١٩/ ١) عن ابن عمر مرفوعًا.

❑ وقال العقيلي: «عثمان بن زائدة حديثه غير محفوظ، وعبدالملك بن مهران متروك».

❑ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٤٠٦): «قلت: وبقية مدلس، قد عنعنه». والحديث أورده السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية الديلمي في «مسند الفردوس» فقط وأعلّه المناوي ببعض هذه العلل، وبأن فيه محمد بن الحسين السلمي كان يضع للصوفية الأحاديث. قال الألباني: «لكنه ليس في طريق العقيلي هذه».

(٤٠) «طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الدجى، تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء».

موضوع: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥ ـ ١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٢٤/ ١) عن ثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ مرفوعًا.

وفيه عبيدة بن حسان؛ قال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الثقات»، وقال الدارقطني «ضعيف». -وعمرو بن عبدالجبار؛ قال ابن عدي: «روى عن عمه مناكير». وعبدالحميد بن ثابت.

□ قال الألباني في «الضعيفة»: لم أجد له ترجمه، والحديث ضعّفه المنذري في «الترغيب» (١/ ٢٣) انظر: «ضعيف الجامع» (٣٦٣٦).

(٤١) «طوبى لكل غني تقي ولكل فقير خفيّ يعرفه اللَّه ولا يعرفه الناس».

انظر: «الشذرة في الأحاديث المشتهرة» لمحمد بن طولون الصالحي (٤٠٣).

(٤٢) «العبد محمول على نيّته».

انظر: «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» (٢٢٩)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١٧٠٤).

(٤٣) «العينان دليلان، والأذنان قمعان، واللسان ترجمان، واليدان جناحان، والكبد رحمة، والطحال ضحك، والرئة نفس، والكليتان مكر، والقلب ملك، فإذا صلح الملك صلحت رعيته، وإذا فسد الملك فسدت رعيته».

ضعيف جدًّا: رواه أبو الشيخ في «العظمة» وابن عدي في «الكامل»، وأبونعيم في «الطب» عن أبي سعيد، والحكيم الترمذي عن عائشة. وضعّفه جدًّا الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٩٠٣).

(٤٤) «فيم النجاة؟ قال: «أن لا يعمل العبد بطاعة اللَّه يريد بها الناس».

لا أصل له: انظر: «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي (٣٥٠).

(٤٥) «قال رجل: يا رسول اللَّه! إني أعمل العمل، فيُطلع عليه، فيعجبني؟ قال: لك أجران: أجر السر، وأجر علانية».

ضعيف: ضعّفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٩٢٧).

(٤٦) «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه مستقيمًا ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعة وعينه ناظرة: فأما الأذنان فقمع والعين معبرة ما يوعى فقد أفلح من جعل له قلبًا واعيًا واللَّه أعلم».

ضعيف: رواه أحمد والبيهقي عن أبي ذر مرفوعًا. قال المنذري: وفي إسناد أحمد احتمال للتحسين.

❑ قال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٥): «قلت: بل هو حسن لولا أنه منقطع بين خالد بن معدان وأبي ذر، وقد غفل الهيثمي أيضًا عن هذه العلة فصرّح بتحسينه».

(٤٧) «كل العاملين هلكى إلا العاملون، والعالمون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم».

انظر: «المشتهر من الحديث الموضوع والضعيف والبديل الصحيح» (٤٢).

(٤٨) «كم ممن أصابه السلاح ليس بشهيد ولا حميد، وكم ممن قد مات على فراشه حتف أنفه، عند اللَّه صديق شهيد».

ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي ذر.

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٥٠): «يوسف بن أسباط أورده

الذهبي في «الضعفاء»، وقال: وثقه يحيى وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال ابن حجر: في إسناده نظر فإنه من رواية عبداللَّه بن خبيق عن يوسف بن أسباط الزاهد»، وأشار السيوطي في «الجامع الصغير» إلى ضعفه، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٢٧٣).

(٤٩) «كم ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على اللَّه لأبرّه».

ضعيف: رواه ابن عدي في «الكامل» عن ابن مسعود مرفوعًا، وعنه أورده الذهبي في «الميزان» (١/ ٦١٤). رواه حميد الأعرج الكوفي عن عبداللَّه بن الحارث عن ابن مسعود.

□ قال ابن حبان: يروى عن ابن الحارث، عن ابن مسعود، نسخة كلها موضوعة.

(٥٠) «كن ذنبًا ولا تكن رأسًا».

انظر: «السلسلة الضعيفة» (٣٠٥)، و«كشف الخفاء» (٢٠٢٦)، و«الجد الحثيث» (٣٠٣)، و«المقاصد الحسنة» (٨٤٣).

(٥١) «كن ذنبًا ولا تكن رأسًا، فإن الرأس يهلك والذنب يسلم».

موضوع: انظر: «اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» (٤١٧)، و«المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (٢٣٤).

(٥٢) «كنا نعدّ الرياء على عهد رسول اللَّه ﷺ الشرك الأصغر».

انظر «كشف الخفاء» للعجلوني (١٤٠١)، و«المقاصد الحسنة» (٥٣٢).

(٥٣) «لا أجر إلا عن حسبة، ولا عمل إلا بنيّة».

ضعيف: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي ذر، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦١٧٠).

(٥٤) «لا إيمان لمن لا يقين له، ولا يقين لمن لا دين له، ولا صلاة لمن

لا إخلاص له، ولا زكاة لمن لا نيّة له، ولا صوم لمن لا ورع له، ولا حج لعاق الوالدين، ولا جهاد لمن كان عليه حقوق المسلمين، ولا توبة لمدمن الخمر، ولا دين لمن كان في قلبه زيغ وبدعة وضلالة ولا وقاء للفاسق، ولا نور للكذوب، ولا راحة للحقود في الدنيا والآخرة، ولا سلامة للحسود في الدنيا والآخرة».

◻ قال ابن عراق الكناني في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٩٤): «رواه ابن عساكر من حديث ابن عباس وقال: إسناده مظلم.

(٥٥) «لا حسب إلا بالتواضع، ولا كرم إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بالنيّة».

انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني (٣٠٥٧).

(٥٦) «لاقوني بنيّاتكم ولا تلاقوني بأعمالكم».

موضوع: انظر: «ذيل اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٢٠٣). قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣١٧): قال ابن تيمية: موضوع.

انظر: الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» (٢٩٨)، و«موضوعات الإحياء» (٥٠).

(٥٧) «لا يقبل اللَّه من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه».

انظر: «تبيض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة» لمحمد عمرو عبداللطيف (٣٤).

(٥٨) «ما من عبد يخلص للَّه أربعين صباحًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

انظر: «تذكرة الموضوعات» (١٩١)، و«كشف الخفاء» (٢٣٦١).

(٥٩) «من أحسن فيما بينه وبين اللَّه، كفاه اللَّه ما بينه وبين الناس؛

ومن أصلح سريرته أصلح اللَّه علانيته».

ضعيف: أخرجه الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمرو، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٣٥٦).

(٦٠) «من أخلص العبادة للَّه أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه».

ضعيف: أخرجه ابن عدي من حديث أبي أيوب، ولا يصح، فيه محمد بن إسماعيل مجهول، عن يزيد الواسطي كثير الخطأ عن حجّاج مجروح عن مكحول عن أبي أيوب، ومكحول لم يلق أبا أيوب. وكذا أخرجه من حديث أبي موسى؛ وقال: منكر فيه عبدالملك بن مهران الرقاعي مجهول، وكذا أخرجه ابن الجوزي من حديث ابن عباس وفيه سوار بن مصعب متروك، وضعّفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء». انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٠٥)، و«اللآلئ» (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٦١) «من أخلص العبادة للَّه أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»

انظر «تذكرة الموضوعات» (١٩١)، و«اللآلئ» (٢/ ٣٢٨)، و«أسنى المطالب» (١٣٣٠).

(٦٢) «من أخلص للَّه أربعين صباحًا، نوّر اللَّه قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»

انظر «موضوعات الصغاني» (١١٧)، و«كشف الخفاء» (٢٣٦١)، و«التهاني في التعقب على موضوعات الصغاني» لعبد العزيز بن الصديق الغماري (٥٤).

(٦٣) «من أخلص للَّه أربعين يومًا تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

انظر «أحاديث القصاص» (٣٥)، و«كشف الخفاء» (٢٣٦١)، و«الكشف الإلهي» لمحمد السندروسي (٨٧٧)، و«الغماز على اللمّاز» (٣٠٦).

(٦٤) «من أخلص للَّه أربعين يومًا؛ ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه»

انظر «السلسلة الضعيفة» (٣٨)، و«تذكرة الموضوعات» (١٩٢)، و«ترتيب الموضوعات» لابن الجوزي، لابن الذهبي، و«الموضوعات» (٣/ ١٤٤).

(٦٥) «من أخلص للَّه أربعين يومًا، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي أيوب.

□ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٤): «أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال: يزيد بن يزيد الواسطي كثير الخطأ، وحجاج مجروح، ومحمد بن إسماعيل مجهول، ومكحول لم يصح سماعه من أبي أيوب. اهـ وتعقبة السيوطي بأن الحافظ العراقي اقتصر في «تخريج الإحياء» على تضعيفه وهو تعقّب لا يسمن ولا يغني من جوع. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٣٦٩).

(٦٦) «من ادّان دينًا وهو مجمع على ألا يقضيه لقي اللَّه سارقًا، ومن أصدق امرأة صداقا وهو مجمع على ألا يؤديه لقي اللَّه زانيًا»

انظر «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» لابن الجوزي (١٠٢٨).

(٦٧) «من ادّانَ دينًا وهو ينوي قضاءه وكّل اللَّه به الملائكة يحفظونه، ويدعون له حتى يقضيه»

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي (٣١٢).

(٦٨) «من ادّان دينًا ينوي قضاءه أدّاه اللَّه عنه يوم القيامة»

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن ميمونة وضعّفه الألباني في «ضعيف

الجامع» رقم (٥٣٧٠)، وصححه في «صحيح الجامع» (٥٩٨٦) بدون زيادة «يوم القيامة».

(٦٩) «من أسرّ سريرة ألبسه اللَّه رداءها يوم القيامة»

انظر «كشف الخفاء» (٢٥٥١).

(٧٠) «من التمس محامد الناس بسخط اللَّه، عاد حامده من الناس ذامًا».

منكر: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٧٦)، (٥/ ١٨٩٨)، عن ابن عباس مرفوعًا. وفيه عيسى بن عبداللَّه العسقلاني ضعيف، وأنكر البخاري على قطبة بن العلاء العدوي الكوفي هذا الحديث. انظر «ذخيرة الحفاظ» (٤/ ٢٢٢٥) ح رقم (٥١٦٧).

(٧١) «من أوتي إليه معروفًا فليكافئ به، فإن ذكره فقد شكره، ومن تشبّع بما لم ينل فهو كلابس ثوبي زور»

ضعيف: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٨٣) عن عائشة مرفوعًا. وفيه صالح بن أبي الأخضر ليس بشيء في الحديث. انظر «ذخيرة الحفاظ» (٤/ ٢٢٣٠) حديث رقم (٥١٨١).

(٧٢) «من بكى على الجنة دخل الجنة، ومن بكى على النار دخل النار، يرى الناس أنه يبكي على الآخرة وهو يبكي على الدنيا»

موضوع: رواه الديلمي في «مسند الفردوس»، عن أبي هريرة مرفوعًا، وفيه داود بن المحبر، قال عنه ابن حبان كان يضع الحديث على الثقات.

انظر «تنزيه الشريعة» (١/ ٥٩)، (٢/ ٣١٧).

(٧٣) «من تعلّم للَّه وعلّم للَّه كُتِب في ملكوت السموات عظيمًا»

انظر «كشف الخفاء» للعجلوني (٢٧٧٦).

(٧٤) «من فارق الدنيا على الإخلاص للَّه وحده، وعبادته لا شريك

له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض»

ضعيف: رواه ابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أنس مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٧١٩)، و«ضعيف ابن ماجه» (١٢/ ٧٠)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ١٩): «وفيه أبو جعفر الرازي وهو ضعيف».

(٧٥) «من كان له سريرة صالحة، أو سيئة، أظهر الله عليه منها رداءً يُعرف به».

ضعيف جدًّا: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٦٠٣) عن عثمان بن عفان مرفوعًا. وفيه حفص بن سليمان القاري الغاضري، متروك الحديث.

(٧٦) «من كانت له سريرة صالحة أو سيئة؛ نشر الله منها رداءً يعرف به».

ضعيف جداً: رواه ابن عدي (١٠٠/ ٢)، والقضاعي (٤٣/ ٢) عن عثمان بن عفان مرفوعًا فيه حفص بن سليمان. قال فيه الحافظ في «التقريب»: «متروك الحديث مع إمامته في القراءة». وضعّف الحديث جدًا الألباني في «الضعيفة» رقم (١٩٢٩).

(٧٧) «من لقم أخاه المؤمن لقمة حلوة لا يرجو بها ثناءه ولا يخاف بها من شره ولا يريد بها إلا وجهه صرف الله بها عنه حرارة الموقف يوم القيامة»

انظر «تذكرة الموضوعات» (١٤٩، ١٥٠).

وفي رواية أخرى:

«من لقم أخاه المؤمن لقمة حلواء لا يرجو بها ثناء ولا يخاف بها من شره ولا يريد بها إلا وجهه صرف الله عنه بها مرارة الموقف يوم القيامة»

انظر «الشذرة في الأحاديث المشتهرة» (٦٦٥).

(٧٨) «من نكح لله، وأنكح لله، فقد استحق ولاية الله»

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» (٣٠٩).

(٧٩) «من هاجر يبتغي شيئًا من الدنيا فهو له»

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» (٣٧٩).

(٨٠) «المرء محمول على نيته»

انظر «الجد الحثيث» (٣٧٤)، و«كشف الخفاء» (٢٢٨٠).

(٨١) «نية المؤمن أبلغ من عمله»

انظر «أسنى المطالب» (١٦١٩).

(٨٢) «نية المؤمن أبلغ من عمله»

انظر «كشف الخفاء» (٢٨٣٦)، و«تذكرة الموضوعات» (١٨٨)، و«الشذرة» (١٠٨٥).

(٨٣) «نية المؤمن خير من عمله»

ضعيف: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٧٨٩).

(٨٤) «نية المؤمن خير من عمله، ونيّة الفاجر شر من عمله»

موضوع: رواه القضاعي في «مسند الشهاب» عن النواس بن سمعان مرفوعًا.

❑ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٧٨٩): «هذا موضوع، الشامي هذا كان يضع الحديث. والنصيبي لم أعرفه».

(٨٥) «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيّته، وكل يعمل على نيّته، فإذا عمل المؤمن عملاً نار ـ وفي رواية ثار ـ في قلبه نور»

ضعيف: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن سهل بن سعد مرفوعًا.

❑ قال الهيثمي: رجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار لم أر من ذكر له ترجمة. اهـ.

وأطلق الحافظ أنه ضعيف من طريقه[١] . وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٩٧٧).

(٨٦) «نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الفاجر شر من عمله، وإن اللَّه عز وجل ليعطي العبد على نيته مالا يعطيه على عمله؛ وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطة الرياء»

انظر «كشف الخفاء» (٢٨٣٦)، و«المقاصد الحسنة» (١٢٦٠).

(٨٧) «الناس كلهم موتى إلا العالمون، والعالمون كلهم موتى إلا العاملون، والعاملون كلهم موتى إلا المخلصون» [والمخلصون على خطر عظيم]

انظر «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٧٧١)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٠٠).

(٨٨) «الناس كلهم موتى؛ إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم غرقى؛ إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»

انظر «موضوعات الصغاني» (٣٩)، و«التهاني في التعقب على موضوعات الصغاني» (٣٥)، و«السلسلة الضعيفة» رقم (٧٦).

(٨٩) «الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم».

انظر «أسنى المطالب» (١٦٣١).

(٩٠) «النية الحسنة[٢] تدخل صاحبها الجنة»[٣] .

موضوع: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» عن جابر.

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٢٩٢).

(٢) في «النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة» (٢٤٠٦): «الحسنى» بدل «الحسنة».

(٣) بقيّة الحديث «..والخلق الحسن يدخل صاحبه الجنة، والجوار الحسن يُدخل صاحبه الجنة، فقال رجل: يا رسول اللَّه وإن كان رجل سوء؟ قال: «نعم على رغم أنفك».

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٣٠١): «وفيه عبد الرحيم الفارابي.

❑ قال الذهبي في «الضعفاء»: متهم أي بالوضع عن إسماعيل بن يحيى بن عبيدالله، قال: أعني الذهبي كذاب عدم. أهـ. فكان ينبغي للمصنف حذفه. وضعّفه السيوطي، وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٩٩٦).

(٩١) «النية الصادقة معلقة بالعرش»

انظر «أسنى المطالب» (١٦٤٣).

(٩٢) «النية الصادقة معلقة بالعرش، فإذا صدق العبد نيّته تحرك العرش فيُغفر له»

موضوع: رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعًا.

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٣٠١): «قال ابن الجوزي: حديث لا يصح وفيه مجاهيل. وقرّة منكر الحديث، وفيه أيضًا القاسم بن نصر السامري، قال في «الميزان» لا يُعرف، أتى بخبر عجيب ثم ساق هذا الخبر، وضعفه السيوطي، وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٩٩٧).

(٩٣) «يا عبداللَّه بن عمرو! إن قاتلت صابرًا محتسبًا بعثك اللَّه صابرًا محتسبًا، وإن قاتلت مرائيًا مكاثرا بعثك اللَّه مرائيًا مكاثرا، يا عبداللَّه بن عمرو! على أيِّ حال قاتلت أو قُتِلت، بعثك اللَّه على تيك الحال»

ضعيف: «ضعيف أبي داود» (٥٤١)، رواه أبو داود واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمرو ولفظه: «يا عبداللَّه بن عمرو! إن قاتلت صابرًا محتسبًا، بعثك اللَّه صابرًا محتسبًا، وإن قاتلت مرائيًا مكاثرا، بعثك اللَّه

مرائيا مكاثرا، يا عبداللَّه بن عمرو! على أي حالة قاتلت أو قوتلت، بعثك اللَّه على تلك الحالة». وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٩٧)، و«ضعيف أبي داود»، و«ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٣٥).

(٩٤) «لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول»

لا أصل له: عن علي مرفوعًا. انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي (٣٧٩).

(٩٥) «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صمّاء ليس لها باب ولا كوّة، لخرج عمله للناس كائنا ما كان»

ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٥٢١/ ٤٠٤) وابن بشران في «الأمالي» (٢٧/ ١)، وابن حبان (١٩٤٢)، والحاكم (٤/ ٣١٤) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

❑ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي!

وهو من رواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم، قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف».

❑ قال الألباني في «الضعيفة» (١٨٠٧): «ومن ذلك تعلم أن قول الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٥): «رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن» ليس بحسن، ونقله المناوي وأقرّه! كما نقل تصحيح الحاكم والذهبي وأقرّه! ثم جمع بينهما في «التيسير»، فقال: «إسناده حسن صحيح»!!» ا.هـ

(٩٦) وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا كان آخرُ الزمان صارت أُمتي ثلاثَ فِرقٍ. فرقةٌ يعبدون اللَّه خالصًا، وفرقةٌ يعبدون اللَّه رياءً، وفرقةٌ يعبدون اللَّه لِيستأكلوا به الناسَ، فإذا جمعهم اللَّه يوم القيامة قال للذي يستأكلُ الناس: بعزتي وجلالي؛ ما أردت

بعبادتي؟ فيقول: وعزَّتك وجلالكَ؛ أستأكلُ به الناس. قال: لم ينفعك ما جمعتَ، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبدُه رياءً: بعزتي وجلالي؛ ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك وجلالك، رياءَ الناس. قال: لم يصعد إليَّ منه شيء، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبده خالصًا: بعزتي وجلالي؛ ما أردتَ بعبادتي؟ قال: بعزَّتِك وجلالك؛ أنت أعلم بذلك من أردتُ به؟ أردتُ به ذكرك ووجهك. قال: صدق عبدي، انطلقوا به إلى الجنة».

ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» من رواية عبيد بن إسحاق العطار ـ وهو متروك ـ وبقية رواته ثقات، والبيهقي عن مولى أنس ولم يُسمّه قال: قال أنس: قال رسول اللَّه ﷺ فذكره باختصار، وضعّفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٣١ ـ ٣٢) حديث (٢٥).

(٩٧) وعنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُؤتى يوم القيامة بصحف مُختَّمة فتنُصبُ بين يدي اللَّه تعالى، فيقولُ تبارك وتعالى: ألقوا هذه، واقبلوا هذه، فتقول الملائكةُ: وعزَّتك وجلالك؛ ما رأينا إلا خيرًا، فيقول اللَّه عز وجل: إن هذا كان لغير وجهي، وإني لا أقبل إلا ما ابتُغي به وجهي».

ضعيف: رواه البزار والطبراني، ومدار الإسناد على رجل مجهول وهو الحارث ابن غسان وعمر بن يحيى الأبلي ضعيف جدًّا. وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٣٢) رقم (٢٦)، و«الضعيفة» رقم (٢٦٧٢).

(٩٨) وعن عُبادة بن الصامت ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «يجاءُ بالدنيا يومَ القيامة فيقالُ: ميزوا ما كان منها للَّه عز وجل، فيُمازُ، ويُرمى سائره في النار».

ضعيف موقوف: رواه البيهقي عن شهر بن حوشب عنه موقوفًا.

❑ وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٠): ضعيف موقوف.

(٩٩) ورواه أيضًا عن شهرٍ عن عمرو بن عبسةَ - رضي اللَّه عنه - قال: إذا كان يومُ القيامة جيء بالدنيا فَيُميَّزُ منها ما كان للَّه، وما كان لغير اللَّه رُميَ به في نار جهنم.

موقوف أيضًا.

❑ قال الحافظ: «وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد، فسبيله سبيل المرفوع».

❑ قال الشيخ الألباني: «نعم هو كذلك لو ثبت». وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٠): «ضعيف موقوف».

(١٠٠) «احذروا الشهرتين: الصوف والحمرة».

موضوع: رواه الديلمي (١/ ١/ ٢١) عن عائشة مرفوعًا. وفيه الحسين بن أحمد الصفّار، قال الحاكم: «كذّاب لا يشتغل به»، ومحمد بن الحسين السلمي هو أبو عبدالرحمن الصوفي. قال الذهبي: «تكلموا فيه، وليس بعمدة، وفي القلب مما يتفرّد به»، وقال الخطيب: «قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الأحاديث للصوفية»، وضعّف الحديث السيوطي فردّه المناوي بقوله: «وفيه أحمد بن الحسين الصفَّار كذّبوه»، وحكم على الحديث بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (١٩٩٩).

(١٠١) «احذروا الشهرتين: الصوف، والخزّ».

موضوع: رواه أبو عبدالرحمن السلمي، والديلمي في «مسند الفردوس» عن عائشة مرفوعًا، وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الجامع» (١٩٢)، و«الضعيفة» (١٩٩٩).

(١٠٢) «احذروا الشهوة الخفية: العالم يُحبُّ أن يُجلس إليه».

ضعيف جدًا: رواه الديلمي (١/ ١/ ٢١) في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة

مرفوعًا. قال الحافظ: ابن أبي يحيى: ضعيف»، وقال الألباني في «الضعيفة» (٢٠٠١): «متهم بالكذب». وفي الحديث أبي صالح مولى التوأمة وهو ضعيف أيضًا.

والفضل بن عبدالله اليشكري شر منه، وقال ابن حبان: «يروي عن مالك بن سليمان وغيره العجائب.. لا يجوز الاحتجاج به بحال.

(١٠٣) «إذا رأيت الرجل لجوجًا معجبًا بعمله فقد تمت خسارته».

انظر: «اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» لأبي المحاسن القاوقجي (٢٨).

(١٠٤) «أصل كل داء الرضى عن النفس».

انظر: «الأسرار المرفوعة» (٤٥)، و«اللؤلؤ المرصوع» (٤٧)، و«الجد الحثيث» (٣١). و«المقاصد الحسنة» (١٢١).

(١٠٥) إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص».

ضعيف: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/١/٥٧) عن أبي هريرة مرفوعًا وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٥٢٦)، و«ضعيف الجامع» رقم (٥٠٠).

(١٠٦) «إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تُخدع فيُقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو تردّ مظلمة، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها فجار القرّاء سلمًا».

انظر: «الأسرار المرفوعة» (٢٧)، و«كشف الخفاء» (٢٣٣)، و«المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لملا على القاري (١٩).

(١٠٧) «إذا قرأ الرجل القرآن، وتفقّه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملقًا إليه، وطمعًا لما في يده، خاض بقدر خطاه في نار جهنم».

ضعيف: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن معاذ بن جبل مرفوعًا. وفيه: إبراهيم بن رستم، أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال ابن عدي: منكر الحديث، ومكحول لم يسمع من معاذ، وضعّف الحديث الألباني في «الضعيفة» رقم (٢١٩١)، و«ضعيف الجامع» رقم (٦٢٩).

(١٠٨) «من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس، لم يقبل اللَّه منه يوم القيامة صرفًا، ولا عدلاً».

ضعيف: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعًا. قال الحافظ المنذري: ويشبه أن يكون فيه انقطاع، فإن الضحاك بن شرحبيل ذكره البخاري وابن أبي حاتم، ولم يذكروا له رواية عن الصحابة. واللَّه أعلم». وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٥٢٩)، و«ضعيف الترغيب» رقم (٨٧).

(١٠٩) عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: «من تعلّم علمًا لغير اللَّه، أو أراد به غير اللَّه؛ فليتبوأ مقعده من النار».

ضعيف: رواه الترمذي وابن ماجه، كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر، ولم يسمع منه. وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٥٣٠)، و«ضعيف الترغيب» رقم (٨٥).

(١١٠) «إن أناسًا من أمتي سيتفقهون في الدين، يقرؤون القرآن، يقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا! ولا يكون ذلك، كما لا يُجتنى من القتاد(١) إلا الشوك؛ كذلك لا يُجتنى من قربهم إلا - قال ابن الصباح كأنه يعني - الخطايا».

ضعيف: رواه ابن ماجه، وفيه عبيداللَّه بن زبي بردة لم يوثقه أحد، وضعّفه الألباني في «ضعيف الترغيب» رقم (٨٦)، و«ضعيف ابن ماجه».

---

(١) شجر ذو شوك لا يكون له ثمر إلا الشوك.

(١١١) وعن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ: أنه ذكر فتنا تكون في آخر الزمان، فقال له عمر: متى ذلك يا علي؟ قال: «إذا تُفُقِّه لغير الدين، وتُعُلِّم العلم لغير العمل، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة».

رواه عبدالرزاق في كتابه موقوفًا، وقال الألباني: ضعيف جدًّا موقوف، انظر: «ضعيف الترغيب» رقم (٨٨).

(١١٢) «من تعلم بابًا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه اللَّه أعطاه اللَّه أجر سبعين نبيًّا».

موضوع: رواه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعًا، وفيه الجارود بن يزيد كذّبه أبوأسامة وأبو حاتم، وقال الحاكم روى عن الثوري أحاديث موضوعة. انظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ٤٤)، (١/ ٢٧٥)، و«ذيل اللآلئ» (٣٧)، و«الفوائد المجموعة» (٨٨٥).

(١١٣) «من تعلّم الأحاديث ليحدث بها الناس، لم يرح رائحة الجنة، وإنه ليصيب ريحها من مسيرة خمسمائة عام».

انظر: «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير» للجورقاني (٩٦).

(١١٤) «من طلب العلم لغير اللَّه، أو أراد به غير اللَّه، فليتبوأ مقعده من النار».

ضعيف: رواه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعًا. وخالد بن دريك لم يسمع من ابن عمر، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٦٨٧).

(١١٥) «من طلب الدنيا بعمل الآخرة طُمِس وجهه، وعمي ذكره وجُعِل من أصحاب السعير».

رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٩٦) عن ابن مسعود مرفوعًا. وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان ضعيف.

(١١٦) من طلب الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة من نصيب».

انظر: «كشف الخفاء» (٢٥٢٧).

(١١٧) «من طلب العلم للَّه لم يصب منه بابا إلا ازداد به في نفسه ذلاً، وفي الناس تواضعًا وللَّه خوفًا وفي الدين اجتهادًا فذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابًا إلا ازداد به في نفسه عظمة وباللَّه اغترارًا، وفي الدين جفاء فذلك الذي لا ينتفع بالعلم، فليكفّ عن الحجة على نفسه والندامة والخزي يوم القيامة».

موضوع: رواه ابن مردويه عن علي مرفوعًا، وفيه عمر بن صبح البلخي كذاب اعترف بالوضع. انظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٦)، و«الموضوعات» (١/ ٢٣١)، و«اللآلئ» (١/ ٢٠٧)، و«الفوائد المجموعة» (٨٥٦).

(١١٨) «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع».

انظر: «موضوعات الإحياء» (١٢)، و«المصنوع» (٣٧٢)، و«الفوائد المجموعة» (٩٠٨).

(١١٩) «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت».

انظر: «الأسرار المرفوعة» (٥٣٧)، و«اللؤلؤ المرصوع» (٦٣٩)، و«أسنى المطالب» (١٥٣٦).

وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رجلٌ: يا رسول اللَّه! إني أقفُ الموقفَ أريدُ وجهَ اللَّه، وأُريدُ أن يُرى موطني؟ فلم يَرُدَّ عليه رسول اللَّه ﷺ حتى نزلت: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾.

ضعيف: رواه الحاكم وقال: «صحيح على شرطهما»، والبيهقي من طريقه،

ثم قال: «رواه عبدان عن ابن المبارك فأرسله، لم يذكر فيه ابن عباس».

❑ قال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٢) حديث (٩): «يشير البيهقي إلى إعلاله بالإرسال، وتصحيح الحاكم إياه من أوهامه الفاحشة، وبخاصة أن في إسناده الموصول «نعيم بن حماد»، وهو ضعيف، وقد خالفه: «عبدان» فأرسله، وعبدان ثقة.

(١٢٠) والطبراني ولفظه: «يعني عن أبي هند الداريّ»؛ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «من راءى باللَّه لغير اللَّه؛ فقد برئَ من اللَّه».

ضعيف جدًّا: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠). وفيه سعيد بن زياد وهو متروك كما قال الهيثمي، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٣): ضعيف جدًّا.

(١٢١) وروي عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «من تَزَيَّن بعملِ الآخرةِ وهو لا يريدُها ولا يَطلُبها؛ لُعِنَ في السموات والأرض».

موضوع: رواه الطبراني في «الأوسط». وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الترغيب» حديث رقم (١١).

(١٢٢) ورُوي عن الجارود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من طلبَ الدنيا بعملِ الآخرةِ؛ طُمس وَجههُ، ومُحِقَ ذِكرهُ، وأُثبتَ اسمه في النار».

رواه الطبراني في «الكبير».

❑ وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٣): ضعيف جدًّا.

(١٢٣) وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخرجُ في آخر الزمان رجالٌ يختِلُون[1] الدنيا بالدين، يَلبَسون للناس

(١) أي: يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يُقال: ختله يختله: إذا خدعه وراوغه.

جُلودَ الضأنِ من اللِّين، ألسنتُهم أحلى من العسلِ، وقلوبُهم قلوبُ الذئابِ، يقول اللَّه عز وجل: أبي يغترُّون، أم عليَّ يجترئون؟! فَبِيَ حلفتُ: لأبعثنَّ على أُولئك منهم فتنةً تدعُ الحليم منهم حيرانَ».

ضعيف جدًّا: رواه الترمذي من رواية يحيى بن عبيداللَّه: سمعت أبا هريرة فذكره. وفيه يحيى بن عبيداللَّه وهو متروك.

ورواه مختصرًا من حديث ابن عمر، وقال: «حديث حسن».

❑ قال الألباني: أما حديث أبي هريرة فقد أعلّ إسناده الترمذي في حديث قبله بيحيى بن عبيداللَّه، وضعف هذا الحديث جدًّا الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٤).

وأما حديث ابن عمر الذي حسّنه الترمذي فقد ضعّفه الألباني، وقال: فيه (حمزة بن أبي محمد)، قال أبو حاتم: «منكر الحديث».

(١٢٤) وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من تحبَّبَ إلى الناس بما يُحبّون، وبارز اللَّه بما يكره؛ لقى اللَّه وهو عليه غضبان».

موضوع: رواه الطبراني في «الأوسط»، وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٤). وفيه الشاذكوني كذاب متروك، انظر «الضعيفة» (٢٦٤٥).

(١٢٥) ورُوي عنه[١] أيضًا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تعوَّذوا باللَّه من جبِّ الحزن[٢]».

---

(١) أي: عن أبي هريرة.

(٢) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة: البئر التي لم تُطو. و«الحزن» بفتحتين أو بضم فسكون: ضد الفرح. قال العلامة الطيبي: هو علمٌ، والإضافة كما في دار السلام، أي: دار فيها السلام من الآفات.

قالوا: يا رسول اللَّه! وما جبُّ الحزن؟ قال: «وادٍ في جهنم، تتعوذُ منه جهنمُ كل يومٍ مئة مرةٍ». قيل: يا رسول اللَّه ومن يدخله؟ قال: «القرَّاءُ المراؤون بأعمالهم».

ضعيف: رواه الترمذي وقال: «حديث غريب»، وابن ماجه ولفظه: «تَعوَّذوا باللَّه من جُبِّ الحزن». قالوا: يا رسول اللَّه! وما جُبُّ الحزن؟ قال: «وادٍ في جهنم، تتعوذُ منه جهنمُ كل يوم أربعمئة مرةٍ». قيل: يا رسول اللَّه! من يدخلهُ؟ قال: «أُعدَّ للقرَّاء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القرَّاء إلى اللَّه الذين يزورون الأمراء، ـ وفي بعض النسخ: الأمراء الجورةَ ـ»[1].

ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه؛ إلا أنه قال: «يُلقى فيه الغَرّارون». قيل: يا رسول اللَّه! وما الغرّارون؟ قال: «المراؤن بأعمالهم في الدنيا».

(١٢٦) رواه أيضًا عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لواديًا تستعيذُ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمئةِ مرةٍ، أعدَّ ذلك الوادي للمُرائين من أمة محمد ﷺ؛ لحامل كتابِ اللَّه، والمتصدِّق في غير ذاتِ اللَّه، والحاجِّ إلى بيت اللَّه، وللخارج في سبيل اللَّه».

ضعيف: قال الحافظ: «رفع حديث ابن عباس غريب. ولعله موقوف. واللَّه أعلم».

(١٢٧) وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أحسن الصلاةَ حيثُ يراه الناسُ، وأساءَها حيث يَخلو، فتلك استهانةٌ استهانَ بها ربَّه تبارك وتعالى».

ضعيف: رواه عبدالرزاق في «كتابه»، وأبو يعلى؛ كلاهما من رواية إبراهيم

---

(١) الجَورَة كظَلَمة لفظًا ومعنى: جمع جائر.

ابن مسلم الهَجَري[1] عن أبي الأحوص عنه.

ورواه من هذه الطريق ابن جرير الطبري مرفوعًا أيضًا، وموقوفًا على ابن مسعود، وهو أشبه.

(١٢٨) وعن شَدَّاد بن أوسٍ - رضي اللَّه عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من صام يرائي فقد أشرك، ومن صلى يرائي فقد أشركَ، ومن تصدَّق يرائي فقد أشرك».

ضعيف: رواه البيهقي من طريق عبدالحميد بن بَهرام، عن شهر بن حوشَب.

(١٢٩) وعن شهر بن حَوشبٍ عن عبدالرحمن بن غنمٍ قال: «لما دخلتُ مسجد (الجابية) ألفينا عبادةَ بن الصامت، فأخذ يميني بشماله، وشمالَ أبي الدرداء بيمينه، فخرج يمشي بيننا، ونحن ننتجي، واللَّه أعلم بما نتناجى، فقال عبادةُ بن الصامت: لئن طال بكما عُمُرُ أحدكما أو كلاكما لتوشكان أو تريا الرجلَ من ثَبَج المسلمين - يعني من وسط -، قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ، فأعاده وأبداه، فأحلَّ حلاله، وحرَّمَ حرامه، ونزل عند منازِله، لا يَحُورُ منه إلا كما يحور رأسُ الحمار الميت»[2].

قال: فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا شدّادُ بن أوسٍ وعوف بن مالكٍ - رضي اللَّه عنهما -، فجلسا إليه، فقال شدادُ: إن أخوفَ ما أخافُ عليكم أيها الناس لما سمعتُ من رسول اللَّه ﷺ يقول: «من الشهوةِ الخفيةِ والشركِ».

فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللَّهم غُفرًا، أو لم يكن رسول اللَّه

---

(١) وهو ضعيف.

(٢) الحورة: الرجوع؛ أي: لا يرجع منه بخير ولاينتفع بما حفظه من القرآن كما لا ينتفع بالحمار الميت صاحبه.

ﷺ قد حدثنا: «إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في جزيرة العرب؟». فأما الشهوة الخفية فقد عرفناها، هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟!

فقال شداد: أرأيتكُم لو رأيتم رجلاً يصلي لرجلٍ، أو يصومُ لرجلٍ، أو يتصدَّق له أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم واللَّه، إنه من صلى لرجلٍ أو صامَ له أو تصدق له لقد أشرك.

فقال شداد: فإني قد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك».

قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد اللَّه إلى ما ابتُغيَ به وجهُهُ من ذلك العملِ كلِّه فيقبلُ ما خلص به، ويدعُ ما أشرك به؟

قال شداد عند ذلك: فإني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن اللَّه عز وجل قال: أنا خيرُ قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئًا فإن حَشدَ عمله[1] قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، وأنا عنه غني».

ضعيف: رواه أحمد، ورواه البيهقي، ولفظه: عن عبدالرحمن بن غنم:

أنه كان في مسجد (دمشق) مع نفرٍ من أصحاب النبي ﷺ فيهم معاذُ ابن جبلٍ، فقال عبدالرحمن: يا أيها الناس! إن أخوف ما أخافُ عليكم الشركُ الخفيُّ. فقال معاذ بن جبل: اللَّهم غُفرًا، أو ما سمعتَ رسول اللَّه ﷺ يقول حيث ودَّعَنا: «إن الشيطانَ قد يَئسَ أن يُعبدَ في جزيرتكم هذه، ولكن يُطاعُ فيما تحتقرون من أعمالكم، فقد رضي بذلك»؟

فقال عبدالرحمن: أنشدك اللَّه يا معاذ! أما سمعت رسول اللَّه ﷺ

(١) الحشد: الجمع.

يقول: «من صامَ رياءً فقد أشركَ، ومن تصدَّقَ رياءً فقد أشرك»؟ فذكر الحديث. وإسناده ليس بالقائم.

❑ قال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٨): موضوع.

ورواه أحمد أيضًا والحاكم من رواية عبدالواحد بن زيد عن عبادة بن نُسيٍ قال: دخلتُ علي شدّاد بن أوسٍ في مصلاه وهو يبكي، فقلت: يا أبا عبدالرحمن! ما الذي أبكاك؟ قال: حديث سمعتُه من رسول اللَّه ﷺ. قلت: وما هو؟ قال: بينما أنا عند رسول اللَّه ﷺ إذ رأيتُ بوجهه أمرًا ساءني، فقلت: بأبي وأمي يا رسول اللَّه! ما الذي أرى بوجهك؟ قال:

«أرى أمرًا أتخوَّفه على أُمتي؛ الشركُ، وشهوةٌ خفية». قلت: وتشركُ أُمتُكَ من بعدك؟! قال:

«يا شداد! إنهم لا يعبدون شمسًا، ولا وثنًا، ولا حجرًا، ولكن يراؤون الناس بأعمالهم». قلت: يا رسول اللَّه! الرياء شركٌ هو؟ قال:

«نعم». قلت: فما الشهوة الخفية؟ قال:

«يصبح أحدهم صائمًا، فتعرِض له شهوةٌ من شهوات الدنيا فيُفطر».

ضعيف جدًا:

❑ قال الحاكم ـ واللفظ له ـ: «صحيح الإسناد».

❑ قال الحافظ عبدالعظيم: «كيف وعبدالواحد بن زيد الزاهد متروك؟!».

❑ وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٩): ضعيف جدًّا.

ورواه ابن ماجه مختصرًا من رواية روّاد بن الجراح عن عامر بن عبداللَّه عن الحسن بن ذكوان عن عُبادة بن نُسيٍ عن شداد بن أوس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن أخوف ما أخافُ على أمتي الإشراكُ باللَّه، أما إني لستُ أقولُ: يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا وثنًا، ولكن أعمالاً لغير اللَّه، وشهوةً خفية».

ضعيف: وعامر بن عبدالله لا يعرف.

(١٣٠) وعن القاسم بن مُخيمرةَ؛ أن النبي ﷺ قال: «لا يقبلُ اللَّه عملاً فيه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من رياءٍ».

ضعيف مرسل: رواه ابن جرير الطبري مرسلاً.

(١٣١) ورُوي عن عدي بن حاتم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يؤمرُ يوم القيامة بناسٍ من النار إلى الجنة، حتى إذا دَنوا منها، واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها، وما أعَدَّ اللَّه لأهلها فيها، نودوا: أن اصرفوهم عنها، فلا نصيبَ لهم فيها، فيرجعون بحسرةٍ ما رَجعَ الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا! لو أدخلتنا النارَ قبل أن تُرينا الجنة، ـ وفي رواية: قَبل أن تُرينا ما أرَيتَنا من ثوابِك، وما أعددتَ فيها لأوليائك ـ كان أهون علينا. قال: ذاك أردتُ بكم، كنتم إذا خَلوتُم بارزتموني بالعظائِم، وإذا لقيتُم الناسَ لقيتُمُوهم مُخْبتين، تُراؤون الناسَ بخلاف ما تُعطوني من قلوبكم، هبتُمُ الناس ولم تَهابوني، وأَجللتُم الناسَ ولم تُجَلُّوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، اليومَ أُذيقكم أليمَ العذاب، مع ما حُرمتم من الثواب».

موضوع: رواه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي. وحكم عليه الألباني بالوضع في «ضعيف الترغيب» (١/ ٣٠).

(١٣٢) ورُوي عن أبي الدرداء عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن الاتِّقاءَ على العمل؛ أشدُّ من العملِ، وإن الرجلَ ليعملُ العملَ فيُكتبُ له عملٌ صالحٌ، معمولٌ به في السر، يُضعَّف أجرهُ سبعين ضعفًا، فلا يزال به الشيطانُ حتى يَذكرهَ للناس ويُعلنَهُ فيُكتَبُ علانيةً، ويُمحى تضعيفُ أجره كله، ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانيةَ، ويُحبُّ أن يذكرَ به ويُحمدَ عليه، فيُمحى من العلانية، ويُكتبُ رياءً، فاتَّقى اللَّه امرؤٌ صانَ دينَه،

وإن الرياءَ شركٌ».

ضعيف: رواه البيهقي وقال: «هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين».

❑ قال الحافظ عبدالعظيم: «أظنه موقوفًا. واللَّه أعلم».

❑ قال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١/ ٣١): «قلت: ما فائدة هذا الظن، والسند ضعيف للجهالة التي أشار إليها البيهقي، يعني في «الشعب» (٥/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وفيه أيضًا عنعنة بقية، والحسن البصري عن أبي الدرداء مرفوعًا.

(١٣٣) «الإيمان بالنيّة واللسان، والهجرة بالنفس والمال».

موضوع: رواه عبدالخالق بن زاهر الشحامي في «الأربعين» (٢٦٠/ ١) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا، وفيه نوح بن أبي مريم معروف بالوضع.

(١٣٤) «ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل أيَّ أبواب الجنة شاء، وزُوِّج من الحور العين حيث شاء، من عفا عن قاتله، وأدّى دينا خفيًا، وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ قال: فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول اللَّه؟ قال: أو إحداهن».

ضعيف جدًّا: أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، والطبراني في «الأوسط»، وأبومحمد الخلال في «فضائل الإخلاص» عن جابر مرفوعًا.

❑ قال الألباني في «الضعيفة» (٦٥٤): «وهو ضعيف جدًّا، عمر بن نبهان، قال ابن معين: «ليس بشيء»، وقال ابن حبان: في «الضعفاء» (٢/ ٩٠): «يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك». وأبو شداد لم أعرفه».

❑ وقال الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ١٥٤/ ١): «أبو شداد لا يعرف اسمه ولا حاله، والراوي عنه ضعّفه جماعة».

❑ وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٠٢): «رواه أبو يعلى، وفيه عمر

ابن نبهان وهو متروك».

(١٣٥) «من قام ليلتي العيدين محتسبًا للَّه؛ لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

ضعيف جدًّا: أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٤٢) عن أبي أمامة مرفوعًا.

❑ قال في «الزوائد»: «إسناد ضعيف لتدليس بقية».

❑ وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٢٨): «إسناده ضعيف»، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٢١).

(١٣٦) «من أذّن على نيّة صادقة، لا يطلب عليها أجرًا حُشِر يوم القيامة، فأوقف على باب الجنة فقيل له: اشفع لمن شئت».

موضوع: رواه ابن شاهين في «رباعياته» (١٧٦/ ١) وتمام (١٤٧/ ١)، وابن عساكر (٥/ ٢/ ٢) وابن النجار. وآفته محمد بن مسلمة الواسطى، فإنه متهم بالوضع، قال عنه الحسن بن محمد الخلال ضعيف جدًّا. وموسى الطويل فهو ابن عبداللَّه.

❑ قال عنه ابن حبان (٢/ ٢٤٢): «روى عن أنس أشياء موضوعة، كان يضعها، أو وُضِعت له فحدّث بها».

❑ قال أبو نعيم: «روى عن أنس المناكير، لا شيء». وأقرّه ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٦)، وقال المناوي في «فيض القدير»: «قال ابن الجوزي: حديث لا يصح، فيه موسى الطويل كذّاب، قال ابن حبان: زعم أنه رأى أنسًا، وروى عنه أشياء موضوعة، ومحمد بن مسلمة غاية في الضعف». وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٨٤٨).

(١٣٧) «ما قال عبد لا إله إلا اللَّه مخلصًا إلا صعدت لا يردّها حجاب، فإذا وصلت إلا للَّه عز وجل نظر اللَّه إلى قائلها، وحق على اللَّه

أن لا ينظر إلى موحد إلا رحمه».

منكر: رواه ابن بشران في «الأمالي» (١/ ٧٠، ٢/ ١٠٨) عن أبي هريرة مرفوعًا وفيه علي بن الحسين الصدائي ذكره الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٣٩٤) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وضعّفه الألباني. ولذا ضعّف الحديث بسببه في «السلسلة الضعيفة» رقم (٩١٩).

(١٣٨) «تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه، أفشى اللَّه عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع اللَّه له أموره، وجعل غناه في قلبه، وما أقبل عبد بقلبه إلى اللَّه تعالى إلاّ جعل اللَّه عز وجل قلوب المؤمنين تفد عليه بالودّ والرحمة، وكان اللَّه إليه بكل خير أسرع».

موضوع: رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٧٧/ ١٧٨) وعنه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٥٨)، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الزهد»، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٧) عن أبي الدرداء مرفوعًا. وآفة الحديث من محمد بن سعيد بن حسان المصلوب وهو كذّاب، صُلِب في الزندقة كما قال الذهبي في «الضعفاء»، وفي ترجمته ساق الذهبي له هذا الحديث.

□ وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٨): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه محمد بن سعيد بن حسان المصلوب وهو كذّاب». من أجل هذا حكم الألباني على هذا الحديث بالوضع في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٠١٨).

(١٣٩) «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمتي للنزهة، وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة، وفقراؤهم للمسألة».

ضعيف: أخرجه الخطيب (١٠/ ٢٩٦) ومن طريقة ابن الجوزي في «منهاج

القاصدين» (١/ ٦٤/ ١ ـ ٢).

❐ قال الألباني في «الضعيفة» (١٠٩٣): وإسناده مظلم، كل من دون جعفر بن سليمان لم أجد له ترجمة، سوى شيخ الخطيب عبدالرحمن بن الحسن، فإنه أورده في «تاريخه»، وساق له هذا الحديث، ولم يزد!».

(١٤٠) «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة، إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا الدماء، واستعلوا البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفًا، والكذب صدقًا، والحرير لباسًا، وظهر الجور، وكثر الطلاق وموت الفجأة، وائتمن الخائن، وخُوِّن الأمين؛ وصُدِّق الكاذب، وكُذِّب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وفاض اللئام فيضًا، وغاض الكرام غيضًا، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقرّاء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمرّ من الصبر، يغشيهم اللَّه فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء ـ يعني الدنانير ـ وتُطلب البيضاء ـ يعني الدراهم ـ وتكثر الخطايا، وتغل الأمراء، وحُلِّيت المصاحف، وصُوِّرت المساجد، وطوّلت المنائر، وخربت القلوب، وشُربت الخمور، وعُطِّلت الحدود، وولدت الأَمَة ربّتها، وترى الحفاة العُراة، وقد صاروا ملوكًا، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحُلِف باللَّه من غير أن يُستحلف، وشهد المرء من غير أن يُستشهد، وسُلِّم للمعرفة، وتُفُقِّهَ لغير الدين، وطُلبت الدنيا بعمل الآخرة، واتُّخذ المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبرّ صديقه، وأطاع زوجته، وعَلَتْ أصوات الفسقة في المساجد، واتُّخذت القينات والمعازف، وشُرِبت الخمور في الطرق، واتُّخذ الظلم فخرًا، وبيع

الحكم، وكثرت الشرط، واتُّخِذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفافًا، والمساجد طرقًا، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليتقوا (كذا) عند ذلك ريحًا حمراء، وخسفًا ومسخًا وآيات».

ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٥٨) عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا.

❑ قال أبو نعيم: «غريب من حديث عبداللَّه بن عُبيد بن عمير، لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة».

❑ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١١٧١): «وهو ضعيف كما قال الحافظ العراقي (٣/ ٢٩٧): وفيه علة أخرى، وهي الانقطاع، فقد قال أبو نعيم في ترجمة عبداللَّه بن عبيد هذا (٣/ ٣٥٦): «أرسل عن أبي الدرداء وحذيفة وغيرهم».

(١٤١) «ثلاث من فعلهن ثقة باللَّه واحتسابًا، كان حقًّا على اللَّه أن يعينه وأن يبارك له: من سعى في فكاك رقبة ثقة باللَّه واحتسابًا كان حقًّا على اللَّه أن يعينه وأن يبارك له، ومن تزوّج ثقة باللَّه واحتسابًا كان حقًّا على اللَّه أن يعينه وأن يبارك له، ومن أحيا أرضًا ميتة ثقة باللَّه واحتسابًا كان حقًّا على اللَّه أن يعينه وأن يبارك له».

ضعيف: رواه البيهقي (١٠/ ٣١٩)، والطبراني فى «الأوسط» (٥٠٥٠). وفيه عبيداللَّه بن الوازع مجهول كما قال الحافظ في «التقريب»، وأبو الزبير مدلس وقد عنعنه، ولذا ضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٥٦).

(١٤٢) «من صام يومًا ابتغاء وجه اللَّه، بعّده اللَّه عز وجل من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرمًا».

ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٦) عن أبي هريرة مرفوعًا. وفيه لهيعة والد

عبداللَّه بن لهيعة، قال الحافظ: مستور، وشيخ لهيعة لم يُسَمّ. والحديث لا يصح كما قال البخاري؛ لأن مداره على ابن لهيعة، وقد اختلفوا عليه في إسناده. وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (١٣٣٠).

(١٤٣) «من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم. قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعته فاستجرّ به الملوك، واستمال به الناس.

ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه، وضيّع حدوده، وكثُر هؤلاء من قرّاء القرآن لا كثّرهم اللَّه.

ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، فأقاموا به في مساجدهم، فهؤلاء يدفع اللَّه بهم البلاء، ويزيل الأعداء، وينزل غيث السماء، فواللَّه لهؤلاء من قرّاء القرآن أعزُّ من الكبريت الأحمر».

موضوع: أخرجه ابن حبان في «الضعفاء والمتروكين» (١/١٤٨) عن سليمان ابن بردة عن أبيه مرفوعًا. وقال ابن حبان: «لا أصل له من حديث رسول اللَّه ﷺ وأحمد بن ميثم هذا يروي عن علي بن قادم المناكير الكثيرة وعن غيره من الثقات الأشياء المقلوبة»، وأقرّه الذهبي في «الميزان» والعسقلاني في «اللسان» ومن قبلهما ابن الجوزي في «الأحاديث الواهية»، وقد رواه (١/١٤٨) وقال: «لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ، وإنما يُروى عن الحسن البصري».

❏ قال الألباني في «الضعيفة» (١٣٥٦): «ولوائح الصنع والوضع ظاهرة عليه، ولقد أحسن السيوطي بإيراده إياه في كتابه «ذيل الأحاديث الموضوعة» ص(٢٩)».

(١٤٤)«إذا تمّ فجور العبد، ملك عينيه، فبكى بهما ما شاء».

منكر: رواه ابن عدي (١/ ٧٢و ٢/ ٢١١) عن عقبة بن عامر مرفوعًا. وفيه ابن لهيعة وله أحاديث منكرات كما قال ابن عدي، ونقل المناوي عن ابن الجوزي أنه قال: «حديث لا يصح»، ولذلك جزم في «التيسير» بأن إسناده ضعيف، وضعفه الألباني في«السلسلة الضعيفة» رقم (١٦٣١).

(١٤٥)«بحسب امرئ من الشرّ أن يُشار إليه في دينه ودنياه، إلا من عصمه اللَّه».

ضعيف: رواه ابن عدي (٢/ ٢٧٧) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٣٧/ ١) عن أبي هريرة مرفوعًا. وفيه كلثوم بن محمد بن أبي سندرة. قال أبو حاتم: يتكلمون فيه، وعطاء الخراساني صدوق يهم كثيرًا، ويرسل، ويدلس. ضعّف الحديث البيهقي، وجزم العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٧٦) بضعفه.

(١٤٦)«ما من أحد يلبس ثوبًا ليباهي به، لينظر الناس إليه، لم ينظر اللَّه إليه حتى ينزعه».

ضعيف جدًّا: أخرجه تمام في «الفوائد» (١/ ١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٨٣/ ٦١٨) عن أم سلمة مرفوعًا. فيه عبدالخالق بن زيد، قال البخاري: منكر الحديث، وعبدالملك بن مروان، قال الذهبي في «الميزان» أنيَّ له العدالة، وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل؟!، والحديث قال عنه المناوي في «فيض القدير» ضعفه المنذري. قال الهيثمي: فيه عبدالخالق بن زيد بن واقد وهو ضعيف، وبه عرف ما في رمز المؤلف - أي السيوطي - لحسنه». وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٧٠٤).

(١٤٧)«ما تقرّب العبد إلى اللَّه تعالى بشيء أفضل من سجودٍ خفيّ».

ضعيف: رواه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٤)، ومن طريقه الديلمي

والقضاعي (٢/ ١٠٥) عن ضمرة بن حبيب بن صهيب مرفوعًا.

□ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٧٩٢): «هذا إسناد ضعيف؛ أبو بكربن أبي مريم، وهو أبو بكر بن عبداللَّه بن أبي مريم الغساني الشامي، قال الحافظ: «ضعيف... وضمرة بن حبيب، تابعي ثقة، فهو مرسل».

(١٤٨) «أحب العباد إلى اللَّه تعالى الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإن شهدوا لم يُعرفوا، أولئك هم أئمة الهدى، ومصابيح العلم».

ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥) عن معاذ بن جبل مرفوعًا. وإسناده ضعيف. فإن فيه انقطاعًا؛ فإن أبا قلابة لم يسمع من عمر، وفيه أبو قحذم النضر بن معبده ضعفه الذهبي والنسائي، وشداد بن فياض كان البخاري يحطّ عليه.

وللحديث طريق أخرى عن معاذ مرفوعًا، وزاد في أوله: «إن يسير الرياء شرك...». وإسناده ضعيف.

(١٤٩) «من تعلّم علمًا لغير اللَّه، فليتبوأْ مقعده من النار».

ضعيف: رواه الترمذي عن ابن عمر، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٥٣٠)، و«الضعيفة» رقم (٥٠١٧).

(١٥٠) «إن العبد لينشَر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب، وما يزن عند اللَّه جناح بعوضة».

موضوع: انظر: «موضوعات الإحياء» (١٣)، و«الفوائد المجموعة» (٧٤٤)، و«كشف الخفاء» (٦٧٣)، و«تذكرة الموضوعات» (١٨٩)، و«الأسرار المرفوعة» (٨١).

(١٥١) «إن العُجْبَ ليحبط عمل سبعين سنة».

موضوع: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ٢/ ٢٨٦) عن الحسين بن علي. وفيه موسى بن إبراهيم هو المروزي؛ متروك، ومحمد بن خلف بن عبدالسلام مروزي أيضًا؛ كذّبه يحيى بن معين. وابن الجوزي، وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٥٦٧).

(١٥٢) «كفى بالمرء علمًا أن يخشى اللَّه، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بنفسه».

ضعيف: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن مسروق مرسلاً. وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤١٧٨).

(١٥٣) «لو كان العجب رجلاً كان رجل سوء».

ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الكبير» عن عائشة، قال المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٣٢٣): «وفيه عبدالرحمن بن معاوية أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: قال مالك: ليس بثقة»، وضعّف الحديث جدًّا الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٨٣٣).

(١٥٤) «حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً يموت فلم يجد فيه خيرًا، وشقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئًا، ثم فكّ عن لحيَيْه فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول: لا إله إلا اللَّه، فغفر اللَّه له بكلمة الإخلاص».

منكر: رواه الخطيب في «التاريخ» (٩/ ١٢٥)، والديلمي (٢/ ٩٧)، والضياء في «المختارة» عن أبي هريرة مرفوعًا. وإسناده ضعيف لجهالة رجل فيه، وقال الألباني في «الضعيفة» (٢٥٩٠): منكر.

(١٥٥) «اذكروا اللَّه ذكرًا خاملاً»، فقيل: وما الذكر الخامل؟ قال: «الذكر الخفي».

ضعيف: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٥) عن ضمرة بن حبيب قال:

قال رسول اللَّه ﷺ . . . فذكره.

وضمرة تابعي من الطبقة الرابعة، فالإسناد مرسل ضعيف. وفيه أبوبكر ابن أبي مريم؛ ضعيف اختلط. وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٧٢٢).

(١٥٦) «أشد الناس عذابًا يوم القيامة من يُرِي الناس أنّ فيه خيرًا ولا خير فيه».

موضوع: رواه أبو عبدالرحمن السلمي في «الأربعين في أخلاق الصوفية» (٤/ ٢)، وعنه الديلمي (١/ ١/ ١١٦) عن ابن عمر مرفوعًا.

□ قال الألباني في «الضعيفة» (٢٧٨٢): «وهذا إسناد ضعيف جدًّا، بل موضوع؛ لأن السلمي نفسه متهم بالوضع للصوفية، والربيع بن بدر متروك. والراوي عنه لم أعرفه».

(١٥٧) «من آوى يتيمًا أو يتيمين، ثم صبر واحتسب؛ كنت أنا وهو في الجنة كهاتين. وحوّل أصبعيه: السبابة والوسطى».

ضعيف: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٦٤٢) عن ابن عباس مرفوعًا. وفيه عمران بن عبيداللَّه مولى عبيد الصيد ضعّفه ابن معين، وقال البخاري: «فيه نظر». وضعف الحديث الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٨٠٩).

(١٥٨) «إن المرائي يُنادى عليه يوم القيامة: يا فاجر يا غادر يا مرائي ضلّ عملك وحبط أجرك، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له».

ضعيف: أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسمّ وزاد «يا كافر يا خاسر ولم يقل: «يا مرائي»، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٣١٢): ضعيف.

(١٥٩) «من تطيّب للَّه جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيّب لغير اللَّه جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة».

ضعيف: قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ٣٦٤): «أخرجه أبوالوليد الصفار في كتاب «الصلاة» من حديث إسحاق بن أبي طلحة مرسلاً».

(١٦٠) «إن العبد يخفّ ميزانه فتطير صحيفته بيضاء من العرش، فتقع في ميزانه فيثقل، فيقول: ما هذا؟ فيُقال له: هذه نيّاتك، كان اللَّه يحصيها عليك في ديوانه».

رواه الحكيم الترمذي في «الفروق ومنع الترادف» ص(١٤٥).

(١٦١) «رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على اللَّه لأبره».

ضعيف: رواه الحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية».

□ قال المناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٥): «قال الحاكم: صحيح الإسناد وأقرّه الذهبي. وأقول: فيه عند أبي نعيم محمد بن زيد الأسلمي ضعفه النسائي وقبله غيره».

(١٦٢) «من قال لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصًا من قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق اللَّه لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبدٍ نظر اللَّه إليه أن يُعطيه سؤله».

ضعيف: رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ح٢٨) وسنده ضعيف فيه محمد بن عبداللَّه بن ميمون بن مسيكة، ويعقوب بن عاصم وهما مقبولان كما قال الحافظ: «إذا توبعا وإلا فليّنان».

(١٦٣) «من صام يومًا تطوّعا لم يطلّع عليه أحد لم يرض اللَّه له بثواب دون الجنة».

ضعيف: رواه الخطيب في «التاريخ» عن سهل بن سعد، وضعّفه السيوطي.

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٦٢): «وفيه عصام بن الوضاح قال الذهبي: له مناكير، قال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به»، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع».

(١٦٤) «من تزيّن بعمل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لُعِن في السموات والأرض».

ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وقال المناوي: في «فيض القدير» (٦/ ١٠٤): «قال المنذري: ضعيف، وقال الهيثمي: فيه إسماعيل بن يحيى التيمي وهو كذّاب» ا.هـ

(١٦٥) «أبغض العباد إلى اللَّه، من كان ثوباهُ خيرًا من عمله، أنْ تكون ثيابه ثياب الأنبياء، وعمله عمل الجبارين».

موضوع: رواه العقيلي في «الضعفاء» والديلمي في «مسند الفردوس» عن عائشة، وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٨٠٧)، و«ضعيف الجامع» رقم (٤٦).

(١٦٦) «اتقوا أبواب السلطان وحواشيها، فإن أقرب الناس منها أبعدهم من اللَّه، ومن آثر سلطانًا على اللَّه، جعل اللَّه الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة، وأذهب عنه الورع، وتركه حيران».

موضوع: رواه الحسن بن سفيان، والديلمي في «مسنده الفردوس» عن ابن عمر، وحكم عليه الألباني بالوضع في «الضعيفة» رقم (١٦٩٨)، و«ضعيف الجامع» رقم (١١١).

(١٦٧) «إذا تزين القوم بالآخرة، وتجمّلوا للدنيا، فالنار مأواهم».

ضعيف: رواه ابن عدي عن أبي هريرة، وهو مما بيض له الديلمي، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٢٩).

(١٦٨) «إذا قرأ الرجل القرآن، وتفقه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملقًا إليه، وطمعًا لما في يده، خاض بقدر خُطاه في نار جهنم».

ضعيف: رواه أبو الشيخ، والديلمي في «مسند الفردوس» عن معاذ، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢١٩٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (٦٢٩).

(١٦٩) «إذا كان يوم القيامة، أُتي بصحف مُختّمة تُنصب بين يدي اللَّه تعالى، فيقول اللَّه للملائكة: اقْبَلوا هذا، وألقوا هذا، فتقول الملائكة: وعزتك ما رأينا إلا خيرًا، فيقول: نعم، ولكن كان لغيري، ولا أقبل اليوم إلا ما ابتُغي به وجهي».

ضعيف جدًّا: أخرجه سموية عن أنس، وضعّفه جدًّا الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٤٧٢)، و«ضعيف الجامع» رقم (٦٦٠).

(١٧٠) «اذكروا اللَّه ذكرًا يقول المنافقون إنكم تُراءون».

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٥١٥)، و«ضعيف الجامع» رقم (٧٣٨).

(١٧١) «أربعة من كنز الجنة: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وصلة الرحم، وقول: لا حول ولا قوة إلا باللَّه».

ضعيف: رواه الخطيب في «تاريخه» عن علي، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٧٣٧)، و«ضعيف الجامع» رقم (٧٦٦).

(١٧٢) «أفضل الصدقة سِرٌ إلى فقير، وجهدٌ من مُقِلّ».

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وضعّفه الألباني في «الإرواء» (٨٩٧)، و«الترغيب» (٢/ ٣١)، و«ضعيف الجامع» (١٠١٨).

(١٧٣) «اقرؤوا القرآن بلُحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قومٌ يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغنا،

والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم».

ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن حذيفة، وضعّفه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٢٠٧)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٠٦٧).

(١٧٤) «أكثروا ذكر اللَّه تعالى حتى يقول المنافقون: إنكم مراؤون».

ضعيف: رواه سعيد بن منصور في سننه، وأحمد في «الزهد» والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي الجوزاء مرسلاً، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٥١٦)، و«ضعيف الجامع» (١١٠٧)، و«الترغيب» (٢/ ٢٣٠).

(١٧٥) «إن أبغض الخلق إلى اللَّه تعالى العالمُ يزور العمّال».

موضوع: رواه ابن لال عن أبي هريرة، وحكم عليه الألباني في «الضعيفة» (٢٩٦٢)، و«صحيح الجامع» رقم (١٣٥٧) بأنه موضوع.

(١٧٦) «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه تعالى، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، . . . ومن يتّبع السمعة يُسمِّع اللَّه به».

ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني، وأبو نصر السجزي في «الإبانة» عن أبي الدرداء، وابن أبي شيبة في «مصنفه» عن ابن مسعود موقوفًا، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٠٥٩)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٢٣٩).

(١٧٧) «عن أبي هريرة وزيد بن ثابت ـ رضي اللَّه عنهما ـ: عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن الشهرتين. فقيل: يا رسول اللَّه: وما الشهرتان؟ قال: رقة الثياب وغلظها، ولينها وخشونتها وطولها وقصرها، ولكن سداد بين ذلك واقتصاد».

موضوع: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٢٣١)، وفيه أبو نعيم لا يعرف، وهو آفة الحديث.

(١٧٨) «إن أغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضًا في الناس، لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافًا فصبر على ذلك عُجِّلت منيته، وقلت بواكيه، وقل تراثه».

ضعيف: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي أمامة وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٣٩٧).

(١٧٩) «إن الأرض لتعجُّ إلى اللَّه تعالى من الذين يلبسون الصوف رياءً».

موضوع: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس، وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٢٥٨)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٤٠٩).

(١٨٠) «إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن، وصلى في السر فأحسن قال اللَّه تعالى: هذا عبدي حقًّا».

ضعيف: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وضعّفه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٣٢٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٤٩٨).

(١٨١) «إن العبد إذا كان همّه الآخرة، كفَّ اللَّه تعالى عليه ضيعتهُ وجعل غناه في قلبه، فلا يصبح إلا غنيًا، ولا يمسي إلا غنيًا، وإذا كان همّه الدنيا، أفشى اللَّه تعالى ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، فلا يمسي إلا فقيرًا، ولا يصبح إلا فقيرًا».

ضعيف: رواه أحمد في «الزهد» عن الحسن مرسلاً، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٠٢٨)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٤٩٩).

(١٨٢) «إن اللَّه تعالى قال: لقد خلقت خلقًا ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر فبي حَلَفْتُ: لأُتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران فبي يغترون؟ أم عليَّ يجترؤن؟».

ضعيف: رواه الترمذي عن ابن عمر، وضعّفه الألباني في «تخريج الترغيب» (٢/ ٣٢)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٦٢٠).

(١٨٣) «إن اللَّه مع القاضي ما لم يَحِفْ عمدًا، يُسدده للجنة، ما لم يُرد غيره».

موضوع: رواه الطبراني في «الكبير» عن زيد بن أرقم، وحكم عليه بالوضع في «ضعيف الجامع» رقم (١٦٦٢)، و«تخريج المشكاة» (٣٧٤١).

(١٨٤) «إن اللَّه تعالى يقول: إني لستُ على كلّ كلام الحكيم أُقبِلُ، ولكن أُقبل على همه وهواه، فإن كان همه وهواه مما يحب اللَّه ويرضى، جعلت صحته حمدًا للَّه ووقارًا، وإن لم يتكلم».

ضعيف جدًّا: رواه ابن النجار عن المهامر بن حبيب، وضعّفه جدًّا الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٠٥٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٧٥٢).

(١٨٥) «إنّ أناسًا من أهل الجنة، يطّلعون إلى أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فواللَّه ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل».

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن الوليد بن عقبة، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (١٢٦٨)، و«تخريج أحاديث اقتضاء العلم» ص(٧٣)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٨١٩).

(١٨٦) «إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى وليًا للّه فقد بارز اللّه بالمحاربة، إن اللّه يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن حضروا لم يُدعَوا ولم يعرفوا، مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة».

ضعيف: رواه ابن ماجه عن معاذ، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (١٨٥٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٠٢٩).

(١٨٧) «أيتها الأمّة إني لا أخاف عليكم فيما لا تعلمون، ولكن انظروا كيف تعملون فيما تعلمون».

ضعيف جدًّا: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة، وضعّفه جدًّا الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٣٦٥)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٢١٦).

(١٨٨) «بئس العبدُ عبدٌ تخيل واختال، ونسى الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبّر واعتدى، ونسى الجبار الأعلى، بئس العبد عبدٌ سها ولها، ونسى القبر والبلا، بئس العبد عبدٌ طغى وعتا، ونسى المبتدا والمنتهى، بئس العبد عبد يختلُ الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يختِلُ الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمعٌ يقوده، بئس العبد عبد هوى يضلّهُ، بس العبد عبد رغَبٌ يذله».

ضعيف: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» وابن ماجه عن أسماء بنت عُميس، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن نعيم بن عمار، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» (٢٠٢٦)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٣٥٠).

(١٨٩) «تعوذوا باللّه من جب الحزن، واد في جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائه مرة، يدخله القراء المراؤن بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى اللّه الذين يزورون الأمراء».

ضعيف: رواه البخاري في «التاريخ»، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٤٦٠)، و«تخريج المشكاة» (٢٧٥)، و«ضعيف ابن ماجه» (٢٥٦/٥٢)، و«الترغيب» (١/ ٣٣).

(١٩٠) «أيُّما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئًا، مات يوم يموت وهو زانٍ، وأيما رجل اشترى من رجل بيعًا، فنوى أن لا يعطيهُ من ثمنه، شيئًا ماتَ يوم يموت وهو خائن، والخائن في النار».

ضعيف جدًّا: رواه أبو يعلى، والطبراني في «الكبير» عن صهيب، وضعّفه جدًّا الألباني في «الترغيب» (٣/ ٣٤)، و«ضعيف الجامع» (٢٢٣٥).

(١٩١) «ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة، لا يهو لهم الفزع، ولا يفزعون حين يفزع الناس: رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه اللَّه وما عنده، ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه اللَّه وما عنده، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا من طاعة ربه».

ضعيف.

(١٩٢) «ثلاثة من كنّ فيه يستكمل إيمانه: رجل لا يخاف في اللَّه لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عُرض عليه أمران، أحدهما للدنيا، والآخرة للآخرة، اختار أمر الآخرة على الدنيا».

ضعيف: رواه ابن عساكر عن أبي هريرة، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» (٢٤٤٥)، و«ضعيف الجامع» (٢٥٨٥).

(١٩٣) «ثلاثة مواطن لا ترد فيها دعوة عبد: رجل يكون في برية حيث لا يراه أحد إلا اللَّه، فيقوم فيصلي، ورجل يكون معه فئة فيفر عنه أصحابه فيثبُتُ، ورجل يقوم من آخر الليل».

ضعيف جدًّا: رواه ابن مندة وأبو نعيم في «الصحابة» عن ربيعة بن وقاص،

وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٤٤٦)، و«ضعيف الجامع» (٢٥٨٧).

(١٩٤) «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي».

ضعيف: رواه أحمد في «مسنده»، وابن حبان، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سعد، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٨٨٧)، و«الترغيب» (٣/ ٩).

(١٩٥) «خير العبادة أخفاها».

موضوع: رواه القضاعي عن عثمان

قال الحافظ حجر: يروي بالموحدة والمثناة التحتية، حكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٥٥٦)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٨٩٤).

(١٩٦) «دعوة في السرّ تعدِل سبعين دعوة في العلانية».

ضعيف: رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن أنس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٩٧٨)، و«الضعيفة» رقم (٣٥٩٨).

(١٩٧) «ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب».

ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» عنْ أبي الدرداء.

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» ص(٤٤٧): لم أره في «الحلية» إلا موقوفًا على أبي الدرداء، (١/ ٢١٦)، وكذلك هو في «زوائد الزهد» (١٢٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٠٤٤).

(١٩٨) «ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار».

موضوع: رواه الطبراني في «الأوسط» عن سعد، وحكم عليه الهيثمي بالوضع في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٥)، و«الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٠٥٦).

(١٩٩) «الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفًا».

ضعيف جدًّا: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن عائشة، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٦٢٧)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣٠٦٠).

(٢٠٠) «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك ودعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية، وصدقة في السر أفضل من سبعين صدقة في العلانية».

موضوع: رواه ابن النجار عن أبي هريرة، وحكم عليه بالوضع المناوي في «فيض القدير»، والألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣١٢٧).

(٢٠١) «ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عامٍ ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة».

ضعيف: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٦٥١)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣١٤٣).

(٢٠٢) «سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر اللَّه ففاضت عيناه، ورجل يحب عبدًا لا يحبه إلا للَّه، ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها، ورجل يعطي الصدقة بيمينه، فيكاد يخفيها عن شماله، وإمام مقسط في رعيته، ورجل عرضت عليه امرأة نفسها ذات منصب وجمال فتركها لجلال اللَّه، ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو، فانكشفوا، فحمى آثارهم حتى نجا ونجوا أواستشهد».

ضعيف: رواه ابن زنجويه عن الحسين مرسلاً، وابن عساكر عن أبي هريرة، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٢٣٦).

(٢٠٣) «سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء، ويقل الفقهاء،

ويقبض العلم، ويكثر الهرج، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن في مثل ما يقول».

ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط»، والحاكم عن أبي هريرة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٢٩٥).

(٢٠٤) «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحبّ على شيء من الجور، أو تبغض على شيء من الجور، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾.

ضعيف: رواه الحكيم الترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية» عن عائشة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٤٣٢).

(٢٠٥) «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره؛ تقول: اللَّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم، تقولها ثلاث مرات».

ضعيف: رواه الحكيم الترمذي عن أبي بكر، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٤٣٣).

(٢٠٦) «ظهرت لهم الصلاة فقبولها، وخفيت الزكاة فمنعوها، أولئك هم المنافقون».

ضعيف جدًّا: رواه البزار عن ابن عمر، وحكم عليه بالضعف الشديد الألباني في «الترغيب» (١/ ٢٧٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣٦٦٦).

(٢٠٧) «العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يُكثر به الكنوز هاب من كل شيء».

ضعيف: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أنس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٨٣٦).

(٢٠٨) «العلماء أمناء الرسل، ما لم يُخالطوا السلطان، ويُداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان، وداخلوا الدنيا، فقد خانوا الرسل فاحذروهم».

ضعيف: رواه الحسن بن سفيان، والبيهقي في «سننه» عن أنس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٨٨٣).

(٢٠٩) «ليس في الصوم رياء».

ضعيف: رواه هناد، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن شهاب مرسلاً، وكذا رواه ابن عساكر عن أنس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٩٠٧).

(٢١٠) «من أحسَنَ الصلاة حيث يراهُ الناس، ثم أساءها حيث يخلو، فتلك استهانةٌ استهان بها ربه».

ضعيف: رواه عبدالرزاق في «مصنفه»، وأبو يعلى، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٣٥٥)، و«الترغيب» (١/ ٢٣).

(٢١١) «من أحسن فيما بينه وبين اللَّه، كفاه اللَّه ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح اللَّه علانيته».

ضعيف: رواه الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمرو وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٣٥٦).

(٢١٢) «من أرى الناس فوق ما عنده من الخشية فهو منافق».

ضعيف: رواه ابن النجار عن أبي ذر، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٣٨٥).

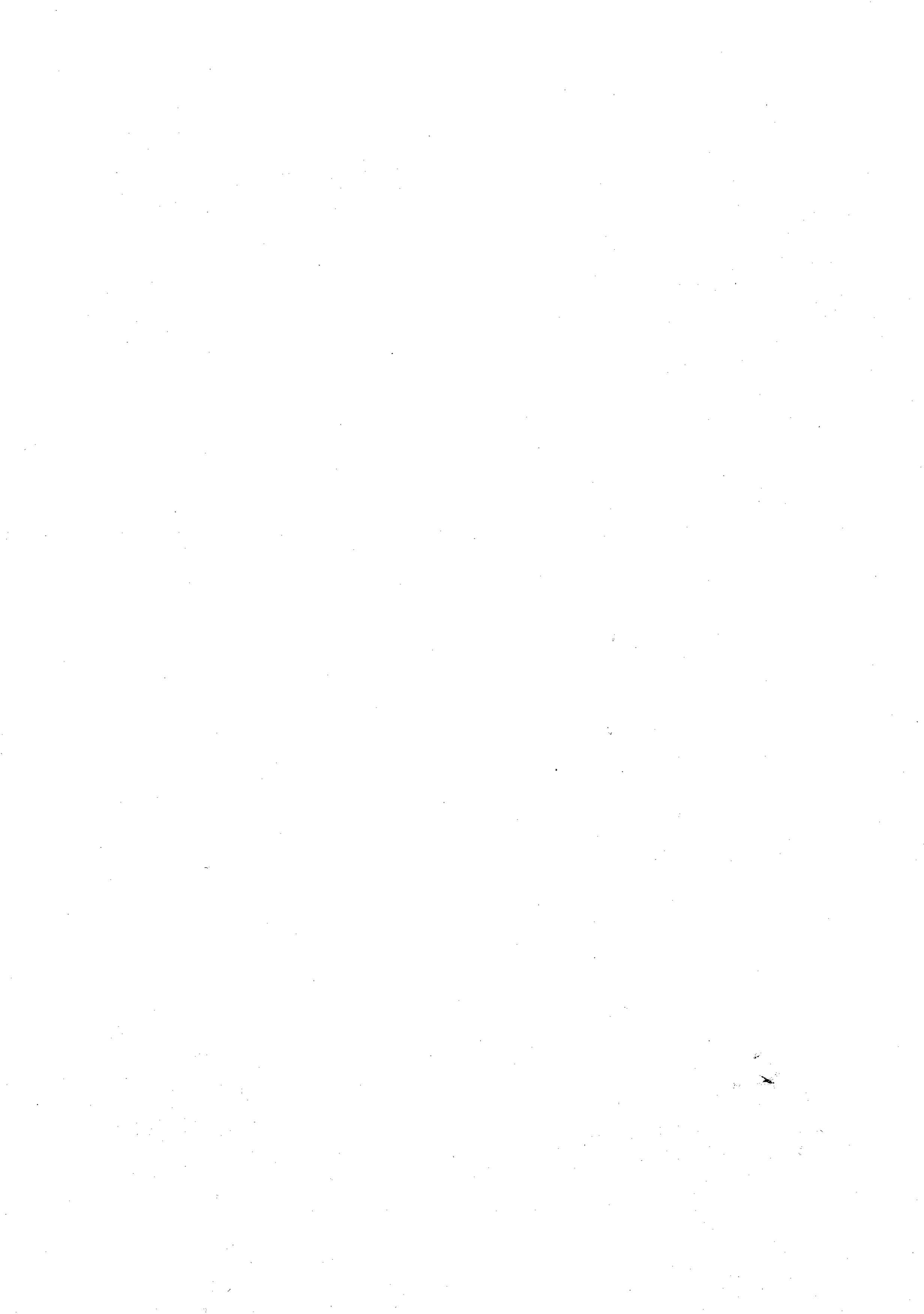
وهذي نهاية المطاف مع «الأحاديث الضعيفة» التي جمعنا لنحذر منها إخواننا الوّعاظ وطلبة العلم.

وخير أمور الدين ما كان سُنَّةً   وشر الأمور المحدثات البدائع

* * *



خاتمـــة



خاتمة

✍ **أخي:** كيف يستنير قلب صور الأكوان منطبقة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى اللَّه وهو منكبٌّ على شهواته، أم كيف يطمع أن يدخل من باب مولاه وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يخلص ويتجرّد وهو لم يتب من هفواته.

✍ **أخي:** ارحل عن الأكوان إلى خالقها ومكوِّنها، ولا تشغلك العوائق والخلائق عن اللَّه. ألق سمعك وأنت شهيد، يأتك منه المزيد، واعلم أنه ليس منك ببعيد إنْ اشتغلت بنفسك حجبك، وإن اتبعت هواها طردك، وإن خرجت عنها قرّبك.

✍ **أخي:** آما أن لك أن تقول: تشاغل الناس بلذاتهم، وعبدوا شهواتهم، وقد جئت إليك يا إلهي، وقصدي إليك يا ذا الجلال والإكرام.

سروري من الدهر لقياكمُ	ودار سلامي مغناكمُ
وأنتم مدى أملي ما حييتُ	وما طاب عيشي لولاكمُ
جنابكمُ الرَّحب مرعى الكرام	فلا صوّح الدهر مرعاكمُ
إذا ازدحمت في فؤادي الهموم	أُعلِّلُ قلبي بذكراكمُ
وأستنشق الريح من أرضكم	لعلّي أحظى برؤياكم(1)
فلا تنسوا العبد	فلسنا مدى الدهر ننساكمُ

❑ **وللَّه در القائل:**

وكيف يقعدُ مشتاق يحرّكه	إليكم الحافزان الشوق والأملُ
فإنْ نهضتُ فمالي غيركمْ وَطَرٌ	وإن قعدتُ فما لي غيركمْ شُغُلُ
وكم تعرّض لي الأقوام بعدكم	يستأذنون على قلبي فما وصلوا

---

(١) في الآخرة إن شاء اللَّه في دار رحمته في يوم المزيد.

❑ وما أجمل قول القائل:

أروحُ وقد ختمتُ على فؤادي ... بحبك أن يحلّ به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلم أبصر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا
وفي الأحباب مختص بوجْدٍ ... وآخر يدّعى معه اشتراكا
وكلٌّ يَدّعى حُبًّا لربي ... وربي لا يُقرُّ لهم بذاكا
إذا اشتبكت دموع في خدودٍ ... تبيّن مَن بكى مِمَّنْ تباكا
فأما مَن بكى فيذوبُ شوقًا ... وينطق بالهوى من قد تباكا

✍ إلهي: أنا الفقير في غنايَ، فكيف لا أكون فقيرًا في فقري؟، وأنا الجهول في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟

✍ إلهي: مني ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك، إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك، ولك المنّة عليّ، وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجّة عليّ.

✍ إلهي: عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبًا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبِّك نصيبًا.

✍ إلهي: كيف أضيع وقد توكلت عليك، وكيف أضام وأنت الناصر لي، أم كيف أخيب وأنت الحفيّ بي، كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك أم كيف تخيب آمالي وهي وفدتْ عليك؟، أم كيف لا تطيب أحوالي وبك قامت وإليك؟

✍ إلهي: كلما أخرسني لؤمى أنطقني كرمك، وكلما آيستنى أوصافى أطمعني عفوك.

✍ إلهي: من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي،

ومن كانت حقائقه دعاوى، فكيف لا تكون دعاويه دعاوى؟

✍ **اللَّهم**: نوِّر دنيانا بنور من توفيقك، واقطع أيامنا في الاتصال بك، وانظم شتاتنا في سلك طاعتك، اخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام، ولا تجعلنا ممن رأى الصبح فنام، وا عجبًا لمن عرفك ثم أحب غيرك وقصده، ولمن سمع مناديك ثم تأخرّ عنك.

✍ **إلهي**: لا تعذِّب نفْسًا قد عذّبها الخوف منك، ولا تخرس لسانا كل ما يروي عنك، ولا تفقد بصرًا طالما يبكي لك، ولا تُخيِّب رجاءً هو منوط بك.

ارحم عبرة تترقرق على ما فاتها منك؛ برِّد كبدًا تحترق على بعدها عنك .

«أعوذ بك أن ترى همتي تسبق إلى أحد سواك، وأعوذ بك أن تجعل غيري أسعد بما آتيتني مني، وأعوذ بك أن أتزيّن للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن أقول قولاً أبتغي به غير وجهك»[1] .

✍ **اللَّهم**: إليك تقصد رغبتي، وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفاتيح مسألتي، لا أسأل الخير إلا منك، يا من الكريم اسمه، لا أحد غيرك فأسأله، ولا أثق بسواك فآمله.

✍ **اللَّهم**: هبّ لي إخلاصًا ويقينًا ترّحب به صدري، وتيسِّر به أمري، ويأوي إلى محبتك وقصدك قلبي، رَقِّ في دار الكرامة مهجتي، ونضِّر اللَّهم بالكمال لديك بهجتي.

✍ نزِّه قلوبنا عن مواقف المتحيّرين، وأطلقها من أسر غيرك لتجول في شرف خدمتك مع الربانيين.

✍ **اللَّهم**: حصِّن قلوبنا بطهارة الصفاء، وزيِّنها بالإخلاص والحياء.

✍ **اللَّهم**: اجعلنا ممن خلتْ من غيرك قلوبهم وهمومهم، واشتغلت بذكرك ألسنتهم وعقولهم، وانصرفت عن خلقك إليك همومهم، وأنِست

---

(١) من دعاء حسّان بن عطية ـ انظر «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٦٧).

وطابت بالخلوة فيك نفوسهم، اعقد قلوبنا بحبل محبتك، استدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة، واسلك بنا مسلك المخلصين منزلة منزلة، اجعل قلوبنا من القلوب التي لا تريد غيرك ولا ترضى بسواك.. يا وراث الأرض ومن عليها، ويا باعث جميع من فيها ورِّث أملي فيك مُنى أملي، وبلّغ همي فيك منتهى وسائلي.

✍ اخلع عن قلوبنا لباس التزيّن لغيرك، واجعل أرواحنا في ظل نسيم المخلصين، الذين أناخوا في رياض الراحة، ومعدن العزّ وعرصات المخلّدين.

✍ اللَّهم يا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمة، افعل بنا ما أنت أهله. وا سوأتاه منك، إذا شاهدتني، وهمتي تسبق إلى سواك. اللَّهم لا تقطع رجاءنا يوم يفرح الفائزون.

✍ إلهي: قد جرنا على نفوسنا بالنظر لها، وبقى لها حسن نظرك.

✍ اللَّهم إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الأرض والسموات أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك. واجعل وجهك الكريم قصدنا وبغيتنا، ومتعنا بالنظر إليه في فردوسك الأعلى.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين..

* * *

وكتبه حامدًا ومصليًا

الفقيـــر إلى رحمـــة ربه

سيد بن حسين العفاني

مصر ـ بني عفان ـ مركز ومحافظة بني سويف

أو مصر ـ محافظة بني سويف ـ صندوق بريد ١٢٣

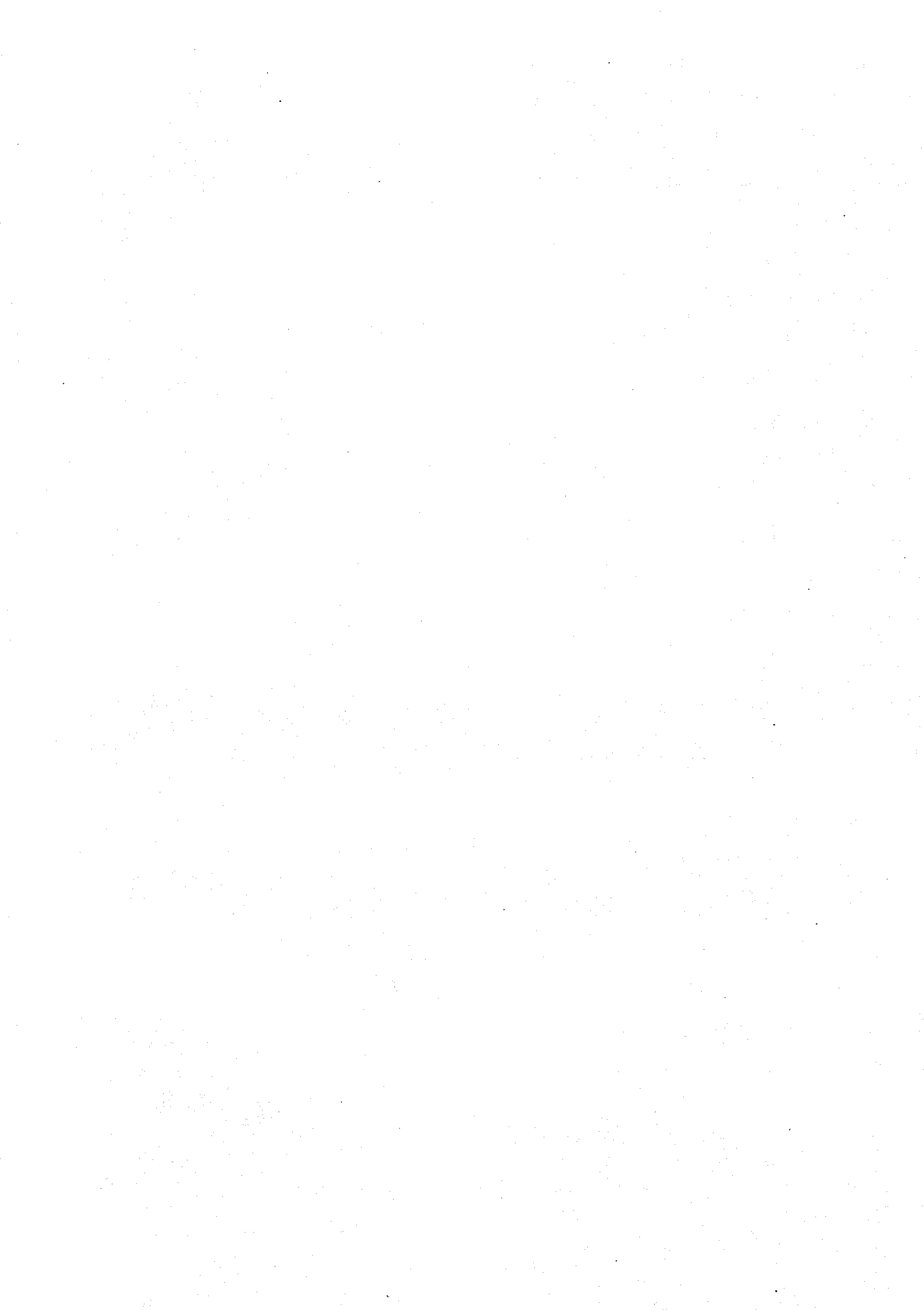
ت: ٠٨٢ ٧٧٠٥٢٢ ت: ٠٢ ٣٩١٢٣١٧

فاكس: ٠٨٢ ٧٧٠٥٢٢ ت: ٠١٢ ٣٤٣٩١٦٨

ت: ٠٨٢ ٣١٧٣٤٤ ت: ٠١٠ ٥٢٤٦٤٢٠



فهرس المراجع



فهرس المراجـــع

التفسير

١ ـ «تفسير الطبري» ـ لابن جرير الطبري ـ مطبعة مصطفى الحلبي.
٢ ـ «تفسير الطبري» ـ لابن جرير ـ طبع دار المعارف ـ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر.
٣ ـ «تفسير القرطبي» ـ للإمام القرطبي ـ كتاب الشعب.
٤ ـ «تفسير ابن كثير» ـ للحافظ ابن كثير ـ كتاب الشعب.
٥ ـ «زاد المسير» ـ ابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي.
٦ ـ «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للعلامة الألوسي ـ طبعة دار الفكر.
٧ ـ «الكشاف» ـ للزمخشري.
٨ ـ «في ظلال القرآن» ـ للشيخ سيد قطب ـ دار الشروق.
٩ ـ «تفسير المنار» للشيخ محمد رشيد رضا ـ طبع دار المعرفة.
١٠ ـ «مفاتيح الغيب» للرازي ـ طبع دار الغد العربي.

السنة

١ ـ «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ـ للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ طبعة السلفية.
٢ ـ «شرح مسلم للنووي» ـ للإمام محيي الدين النووي ـ دار الشعب.
٣ ـ تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» ـ للمباركفوري ـ طبعة الهند.

٤ ـ تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» ـ للمباركفوري ـ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٥ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود» ـ للطيب أبادي.

٦ ـ «بذل المجهود شرح سنن أبي داود».

٧ ـ «حاشية السيوطي على النسائي».

٨ ـ «مختصر سنن أبي داود» للمنذري ومعه معالم السنن للخطابي ـ مكتبة أنصار السنة المحمدية.

٩ ـ «سنن ابن ماجه» ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠ ـ «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه».

١١ ـ «موارد الظمآن في زوائد ابن حبان».

١٢ ـ «مسند أحمد بن حنبل» ـ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبع دار المعارف.

١٣ ـ «جامع الأصول لابن الأثير» ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ دار الفكر.

١٤ ـ «الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري» ـ للساعاتي.

١٥ ـ «صحيح ابن خزيمة» ـ تحقيق د. مصطفى الأعظمي والشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٦ ـ « مجمع الزوائد» للهيثمي ـ مكتبة القدسي.

١٧ ـ «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» ـ لابن حجر العسقلاني ـ المكتب الإسلامي.

١٨ ـ «صحيح الترغيب والترهيب» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٩ ـ «صحيح الجامع الصغير» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٠ ـ «فيض القدير» للمناوي المكتبة التجارية.
٢١ ـ «مشكاة المصابيح» للتبريزي ـ تحقيق الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٢ ـ «السلسلة الصحيحة» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٣ ـ «شرح السنة» للإمام البغوي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.
٢٤ ـ «إرواء الغليل» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٥ ـ «تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة» ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٦ ـ «خطبة الحاجة» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٧ ـ «المستدرك» للحاكم.
٢٨ ـ «المصنف» لعبد الرزاق الصنعاني.
٢٩ ـ «السنن الكبرى» للبيهقي.
٣٠ ـ «المعجم الكبير» للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.
٣١ ـ «الزهد» للبيهقي.
٣٢ ـ «الزهد» لأحمد بن حنبل.
٣٣ ـ «تلخيص الحبير» لابن حجر دار المعرفة.
٣٤ ـ «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» ـ للحافظ المزي ـ المكتب الإسلامي.
٣٥ ـ «لسان الميزان» لابن حجر.
٣٦ ـ «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي.
٣٧ ـ «تهذيب التهذيب» لابن حجر.
٣٨ ـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.
٣٩ ـ «شعب الإيمان» للبيهقي طبع الهند.

٤٠ ـ «المصنف» لابن أبي شيبة طبع الهند ـ دار الفكر.
٤١ ـ «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.
٤٢ ـ «مشكل الآثار» للطحاوي.
٤٣ ـ «تغليق التعاليق» لابن حجر ـ تحقيق سعيد بن عبد الرحمن ـ المكتب الإسلامي.
٤٤ ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي.
٤٥ ـ «صحيح سنن أبي داود» للشيخ الألباني ـ مكتب التربية.
٤٦ ـ «ضعيف سنن أبي داود» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٤٧ ـ «صحيح سنن الترمذي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٤٨ ـ «ضعيف سنن الترمذي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٤٩ ـ «صحيح سنن النسائي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥٠ ـ «ضعيف سنن النسائي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥١ ـ «صحيح سنن ابن ماجه» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥٢ ـ «ضعيف سنن ابن ماجه» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥٣ ـ «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» لعلاء الدين الفارسي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة.
٥٤ ـ «مسند أبي يعلى الموصلي» تحليق حسين سليم أسد ـ دار المأمون.
٥٥ ـ «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني ـ دار الكتب العلمية.
٥٦ ـ «العلل للدارقطني» تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي ـ طبع دار طيبة.
٥٧ ـ «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني» للحافظ الغساني ـ تحقيق أشرف عبد المقصود ـ دار عالم الكتب ـ الرياض.

٥٨ ـ «علل الحديث» لابن أبي حاتم الرازي ـ طبع دار السلام بحلب.

٥٩ ـ «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ مطبعة أنصار السنة.

٦٠ ـ «موسوعة أطراف الحديث النبوي» ـ لمحمد السعيد زغلول ـ دار الفكر.

٦١ ـ «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للقاري ـ دار الكتاب الإسلامي.

٦٢ ـ «مرشد المحتار إلى ما في مسند الإمام أحمد من الأحاديث والآثار» لحمدي عبد المجيد السلفي ـ طبع عالم الكتب.

٦٣ ـ «المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد» لعبد اللَّه بن ناصر رحماني ـ دار طيبة.

٦٤ ـ «أطراف مسند الإمام أحمد» للحافظ ابن حجر تحقيق د. زهير بن ناصر الناصر ـ دار ابن كثير.

٦٥ ـ «تبيض الصحيفة في أصول الأحاديث الضعيفة» ـ محمد عمرو عبداللطيف ـ مكتبة التوعية الإسلامية.

٦٦ ـ «نصب الراية» للزيلعي.

الرقـــــائق

١ـ «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي ـ دار الكتب العلمية.

٢ ـ «الحلية» لأبي نعيم الأصبهاني.

٣ ـ «تهذيب حلية الأولياء».

٤ ـ «بدائع الفوائد» لابن القيم.

٥ ـ «طريق الهجرتين» لابن القيم ـ المطبعة السلفية.

٦ ـ «صفة الصفوة» لابن الجوزي.

٧ـ «قوت القلوب» لأبي طالب المكي.

٨ـ «صيد الخاطر» لابن الجوزي.

٩ـ «المدهش» لابن الجوزي.

١٠ـ «اليواقيت الجوزية» لابن الجوزي ـ مكتبة السنة.

١١ ـ «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» لسليم الهلالي ـ دار ابن الجوزي.

١٢ـ ««النية» للدكتور عبداللَّه بن عبد العزيز الجبرين.

١٣ـ «وحي القلم» لمصطفى صادق الرافعي.

١٤ـ «شرح إنما الأعمال بالنيات» لابن تيمية ـ المطبعة السلفية.

١٥ـ «الزهد» لهنّاد بن السري.

١٦ـ «تطهير الطوية بتحسين النية» لعلي سلطان القاري ـ المكتب الإسلامي ودار عمار.

١٧ـ «الفوائد» لابن القيم.

١٨ـ «مع اللَّه» للشيخ محمد الغزالي ـ دار القلم ـ دمشق.

١٩ـ «التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي.

٢٠ـ «الرسالة القشيرية» للقشيري ـ تحقيق هاني الحاج ـ المكتبة التوفيقية.

٢١ـ «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية ـ تحقيق حامد الفقي ـ أنصار السنة.

٢٢ـ «شرح الأربعين النووية».

٢٣ـ «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لابن القيم ـ مكتبة الرشد.

٢٤ـ «شعب الإيمان» للبيهقي.

٢٥ـ «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

٢٦ـ «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم.

٢٧ـ «حاجتنا إلى الإخلاص» للشيخ محمد صالح المنجد ـ الشروق الإسلامية.

٢٨ـ «تنبيه المغترين» للشعراني ـ دار الكتب العلمية.

٢٩ـ «جلاء الأفهام» لابن القيم.

٣٠ـ «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.

٣١ـ «بستان العارفين» للنووي.

٣٢ـ «الإخلاص» لحسين العوايشة ـ مكتبة التوعية الإسلامية ـ الهرم.

٣٣ـ «التبصرة» لابن الجوزي.

٣٤ـ «كتاب الجهاد» لعبد اللَّه بن المبارك.

٣٥ـ «فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق» للشيخ محمود العالم ـ مكتبة القاهرة.

٣٦ـ «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس ـ دار البشائر الإسلامية.

٣٧ـ «عدة الصابرين» لابن القيم ـ دار ابن الجوزي.

٣٨ـ «الورع» لابن أبي الدنيا.

٣٩ـ كتاب «القصد والرجوع إلى اللَّه» للمحاسبي ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار الكتب العلمية.

٤٠ـ «الرعاية لحقوق اللَّه» للمحاسبي.

٤١ـ «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي.

٤٢ـ «الجانب العاطفي من الإسلام» لمحمد الغزالي.

٤٣ـ «النية والإخلاص» للدكتور يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة.

٤٤ـ «الأتقياء الأخفياء» للدكتور سعيد عبد العظيم ـ دار الإيمان.

٤٥ـ كتاب «الزهد والرقائق» لابن المبارك ـ تحقيق د. أحمد فريد.

٤٦ـ «الزهد» لابن حنبل.

٤٧ـ «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا.
٤٨ـ «الإخلاص لصالح العضيمي» دار ابن خزيمة.
٤٩ـ «فوائد الفوائد» لابن القيم ـ لعلي حسن عبد الحميد.
٥٠ـ «رجال حول الرسول» لخالد محمد خالد.
٥١ـ «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ـ طبعة الرسالة.
٥٢ـ «كرامات أولياء اللَّه» للالكائي ـ دار طيبة.
٥٣ـ «مجابو الدعوة» لابن أبي الدنيا.
٥٤ـ «أيها الولد المحب» للغزالي.
٥٥ـ «صفحات من صبر العلماء» لأبي غدة.
٥٦ـ «صحيح الكلم الطيب» لابن تيمية للألباني.
٥٧ـ «الرياء» لسليم الهلالي.
٥٨ـ «الشهرة أو عالم الأضواء» لسعيد عبدالعظيم ـ مكتبة الفرقان.
٥٩ـ «الإخلاص والشرك الأصغر» لعبد العزيز عبد اللطيف ـ دار الوطن.
٦٠ـ شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب.
٦١ـ «خلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي ـ دار القلم.
٦٢ ـ «مجموعة الرسائل» لابن أبي الدنيا.

عقيدة

١ـ «الصواعق المرسلة» لابن القيم.
٢ـ «شفاء العليل» لابن القيم.
٣ـ «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ وحاشية للشيخ ياسر برهامي ـ مركز الهدى للدراسات.
٤ـ «درء تعارض المنقول مع صريح المعقول» لابن تيمية.

الفقـه وأصـولـه

١ـ «مجموع فتاوى» ابن تيمية.

٢ـ «إعلام الموقعين» لابن القيم.

٣ـ «المجموع» للنووي (شافعي).

٤ـ «مقاصد المكلفين» للدكتور عمر الأشقر ـ دار النفائس ـ مكتبة الفلاح.

٥ـ «الأشباه والنظائر» للسيوطي.

٦ـ «إحكام الأحكام» لابن حزم.

٧ـ «حاشية ابن عابدين» (حنفى).

٨ـ «الموافقات» للشاطبي.

٩ـ «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام.

١٠ـ «الفروق» للقرافي.

١١ـ «المحلى» لابن حزم.

١٢ـ «نيل الأوطار» للشوكاني.

١٣ـ «أحكام القرآن» لابن العربي.

١٤ـ «سبل السلام» للصنعاني.

١٥ـ الأشباه والنظائر» لابن نجيم.

التاريخ والتراجم

١ـ «تاريخ الطبري» للطبري.

٢ـ «البداية والنهاية» لابن كثير.

٣ـ «الكامل» لابن الأثير.

٤ـ «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي.

٥ـ «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة ـ مؤسسة الرسالة.

٦ـ «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ـ دار هجر.
٧ـ «تاريخ دمشق» لابن عساكر.
٨ـ «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
٩ـ «سير أعلام النبلاء» للذهبي ـ مؤسسة الرسالة.
١٠ـ «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ـ المكتب الإسلامي.
١١ـ «العقود الدرية في مناقب ابن تيمية» للحافظ ابن عبد الهادي.
١٢ـ «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ـ دار الكتب العلمية.
١٣ـ «مناقب عمر بن عبدالعزيز» لابن الجوزي ـ دار الكتب العلمية.
١٤ـ «الطبقات الكبرى» لابن سعد.
١٥ـ «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» لنجم الدين الغزّي.
١٦ـ «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ـ دار هجر.
١٧ـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.
١٨ـ «الإصابة» لابن حجر.
١٩ـ «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني.
٢٠ـ «القادسية» لمحمد أحمد بشاميل.
٢١ـ «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المزي ـ مؤسسة الرسالة.
٢٢ـ «ابن تيمية» لأبي الحسن الندوي.

اللغـــة

١ـ «لسان العرب» لابن منظور.
٢ـ «النهاية» لابن الأثير.
٣ـ «تهذيب اللغة» للأزهري.
٤ـ «الحيوان» للجاحظ.

٥ـ «الفروق ومنع الترادف» للحكيم الترمذي ـ دار النهار.

٦ـ «مفردات الراغب».

٧ـ «القاموس المحيط» ـ المطبعة المصرية.

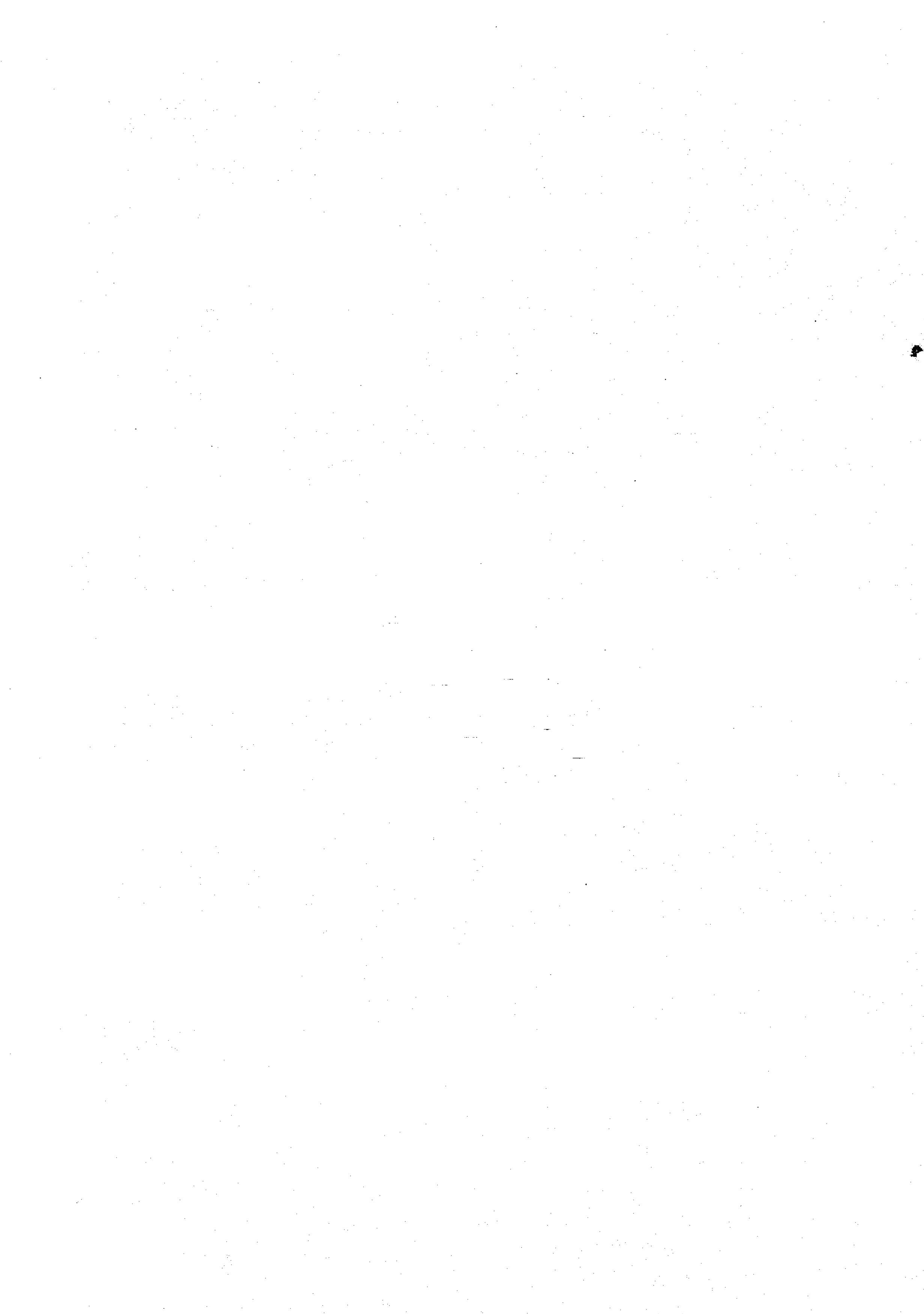
٨ـ «شموخ في زمن الانكسار» للعشماوي ـ مكتبة الأديب ـ الرياض.

متفرّقـــات

١ـ «الجنازة حارة» لمحمد جلال كشك.

٢ـ «المدخل» لابن الحاج.

* * *





فهرس أطراف الأحاديث



طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
* إن العبد	٣٨
* إن الغزاة	٣٩٦
* إن في الجنة	٤٥٩
* إن المسلم إذا أنفق	٤٧
* إنك إذا خرجت	٤١٧
* إنك قد فعلت	١٤٣
* إنما الأعمال	١٤، ٢٥
* إنما ينصر اللَّه	٩٤
* إنه ليغان	٥٦٠
* إنه من تكن الدنيا	٣٢
* إني لأدخل	٣٥٩
* إني لأعلم كلمة	١٤٤، ٤٧٨
* إني لم أومر	٥٣٨
* أوثق عرا الإيمان	١٥٣، ٢٦٤
* أولياء اللَّه	٤٦٦
* أيكم يحب أن يكون	٤٥٦
* أين المتصدق هذه الليلة؟	١٦٣
* الإيمان بضع وستون	٢٦٩
* بشر هذه الأمة	٩٤، ٩٥
* بل أنت عبداللَّه	٤١٦
* بني الإسلام على خمس	٢٧
* البينة على المدعي	٢٧
* تعس عبد الدرهم	١٠٩

طرف الحديث	الصفحة
* تعس عبد الدينار	٨٤، ٣١٨
* تلك عاجل	٣٥١
* ثلاث أقسم عليهن	٣٩
* ثلاث من كن فيه	١٥٤
* ثلاث مهلكات	٥٨٤
* ثلاثة يحبهم اللَّه	٢٣٩
* الثلث يا سعد	٤٦
* الجاهر بالقرآن	٢٤٦
* الجنة بناؤها	٤٥٩
* الجنة مائة درجة	٤٥٩
* حبب إليَّ	٣٧٤
* الحلال بين	٢٧
* الحمد للَّه	٥٥٧
* حولها ندندن	٣٦٧
* الحياء لا يأتي إلا بخير	٢٦٩
* دعاء الأخ لأخيه	١٨٩
* دعاء المرء المسلم	١٨٩
* دعه	٢٦٩
* دعوة الرجل لأخيه	١٩٠
* دعوة المظلوم	١٨٨
* الدنيا سجن المؤمن	٤٥٥
* الدنيا ملعونة	١٤٣
* ذاك اللَّه	٢٧٠

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
* مثل الجليس الصالح	٤٦٦
* مثل الذين يغزون	٣٦٢
* من ابتغى العلم	٥٢٠
* من أتى فراشه	٣٩
* من أحب للَّه	١٥٣
* من أحدث في أمرنا	٢٨
* من ادّان دينًا	٧١
* من بنى للَّه مسجدًا	١٨٣، ١٨٤
* من بنى مسجدًا	١٨٣
* من تاب إلى اللَّه	١٧٣
* من تبع جنازة مسلم	١٨٤
* من ترك اللباس	١٧٨
* من تعلم العلم	٥٢٠
* من تعلم علمًا	٥١٩
* من تواضع للَّه	١٧٨
* من جاء مسجدي	١٩٣
* من جعل الهم همّا واحدًا	٣٣
* من جعل الهموم همّا واحدًا	٣٣
* من جهز غازيًا	١٦٩
* من حج للَّه	١٦٤
* من حسن إسلام المرء	٢٧
* من خرج في طلب العلم	١٩٤
* من رابط يومًا	١٦٨

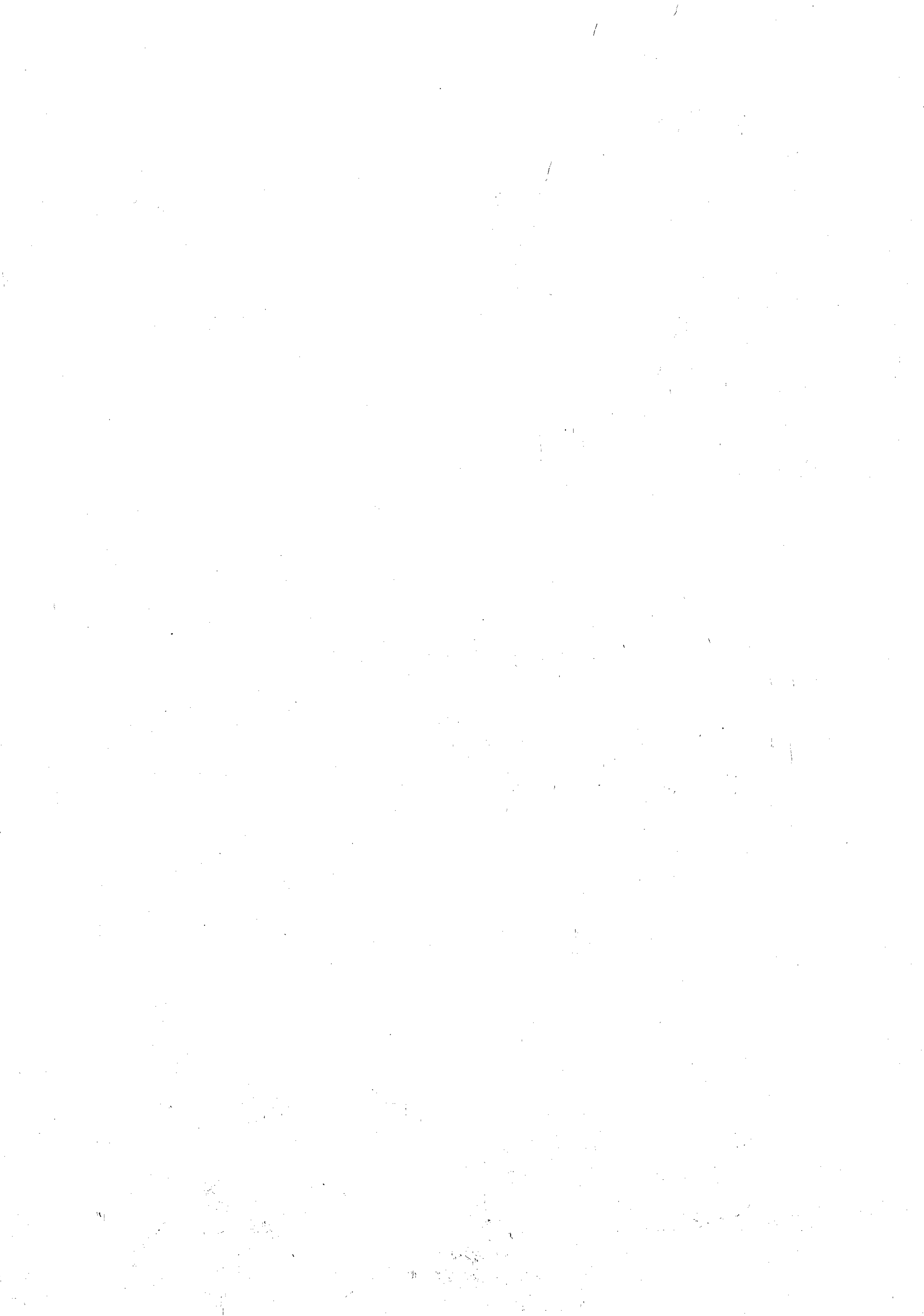
طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

* * *



فهرس الموضوعات



الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *


العصرية للطباعة
هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨